اللؤلؤ والمرجان من قصص القرآن (١)

ثمراتُ السيرة النبوية

أعده

أبو إسلام

صالح بن طه عبد الواحد

إمام وخطيب مسجد إبراهيم الحاج حسن

مقدمة المؤلف

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عمران]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾[النساء]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأحزاب].

أما بعد؛

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار.

هذا هو الجزءُ الرابعُ من سلسلة (من قصص القرآن) والذي هو بعنوان (اللؤلؤ والمرجان من قصص القرآن)، والذي سنتكلم فيه -إن شاء الله تعالى- عن قصة نبينا محمدٍ ﷺ.

وهو هذا الكتاب الذي بين يديك. وكلامنا عن قصة نبينا محمدٍ ﷺ سيكون على خمس مراحل:

المرحلة الأولى: اللؤلؤ والمرجان من قصص القرآن (١) وهي بعنوان: «ثمراتُ السيرة النبوية».

المرحلة الثانية: اللؤلؤ والمرجان من قصص القرآن (٢) وهي بعنوان «البشارات النبوية».

وهي التي نحن في صدد الحديث عنها في هذه الأيام.

المرحلة الثالثة: اللؤلؤ والمرجان من قصص القرآن (٣) وهي بعنوان «المعجزات النبوية».

المرحلة الرابعة: اللؤلؤ والمرجان من قصص القرآن (٤) وهي بعنوان «الوصايا النبوية».

المرحلة الخامسة: اللؤلؤ والمرجان من قصص القرآن (٥) وهي بعنوان «السيرةُ النبوية العطرة من القرآن والسنة».

• قصصُ الأنبياءِ عامةً، وقصةُ رسولنا محمد ﷺ خاصةً، فيها دورسٌ وعِظاتٌ وعبرٌ، تُسعِدُ المسلمَ في الدنيا والآخرة، وتثبته على دينه في زمن الفتن.

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾[يوسف:١١١].

وقال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾[هود].

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[الأحزاب].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[التوبة].

• وقد دفعني إيماني بالله عز وجل، وحبي لرسول الله ﷺ -مُستعيناً بالله وحده- أن أُطيلَ النفسَ في التحدثِ عن قصة نبينا وحبيبنا محمدٍ ﷺ من الكتاب والسُنة من جميع جوانبها لإصابة الأهداف التالية:

١- إن الدارس والسامع لسيرة الرسول ﷺ يقف على التطبيق العملي للرسول ﷺ وأصحابه لأحكام الإسلام التي تضمنتها الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة في مجالات الحياة المختلفة.

٢- إن الاقتداء برسول الله ﷺ يقتضي معرفة شمائله وأحواله ودلائل نبوته وخصائصه ﷺ في المجالات المختلفة، ومن عرف شمائله وأحواله المذكورة وأحبه واقتدى به، فسينال ما يدَّخره الله له على ذلك، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[الأحزاب].

٣- إن الاقتداء برسول الله ﷺ واتباعه دليل على محبة العبد ربه، وسينال العبد محبة الله له، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[آل عمران].

٤- إن معرفة ما حفلت به السيرة من مواقف إيمانية عقَدية، وقفها الرسول ﷺ وأصحابه لإعلاء كلمة الله، تُقَوِّي من عزائم المؤمنين السائرين على درب الرسول ﷺ، وتُثبتهم للدفاع عن الدين الحق، وتقذف في قلوبهم الطمأنينة.

٥- في السيرة كثير من العِظات والعِبر والحِكم التي يتّعظ ويعتبر بها كل ذي لُب من الحكام والمحكومين، فيعرف مَن تحدثه نفسه بالجبروت والكبرياء مآل من اتصف بهذه الصفات.

٦- في سيرته ﷺ دروس كثيرة لجميع فئات الناس، ومواساة لهم في كافة أنواع الابتلاءات التي يتعرضون لها، لا سيما الدعاة.

٧- يجد المرء في سيرته ﷺ ما يعينه على فهم كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

٨- يحصل دارس السيرة والسامع لها على قدر كبير من المعارف الصحيحة في علوم الإسلام المختلفة، من عقيدة وشريعة وأخلاق وتفسير وحديث وسياسة ودعوة وتربية واجتماع..

٩- يتعرف الدارسُ والسامعُ لسيرته ﷺ على تطور الدعوة الإسلامية، وما كابده الرسول ﷺ وأصحابه لإعلاء كلمة الله، وما واجهه هو

وأصحابه من مشكلات، وكيفية التصرف في تذليل تلك العقبات، وحل تلك المشكلات.

١٠ - إن معرفة أسباب نزول الآيات القرآنية ومناسبات أقوال كثيرة للنبي ﷺ وأصحابه لا تُعرف إلا بمعرفة السيرة النبوية.

١١ - إن علم الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم والسنة، لا يتأتى فهمه ومعرفته إلا في ضوء وقائع السيرة.

١٢ - إن المعجزات التي أجراها الله تعالى على يدي نبيه محمد ﷺ، لا تفهم جيداً إلا في ضوء معرفة وقائع السيرة التي حدثت خلالها تلك المعجزات، وفهمها مما يقوي ويزيد إيمان المسلم.

١٣ - إن خصائص النبي ﷺ لا تعرف إلا في ضوء معرفة سيرته[1].

فإنْ وفقتُ لإصابة هذه الأهداف من خلال خطب الجمعة، فالفضلُ كلهُ لله؛ ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾[هود:١٢٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾[آل عمران].

(١) انظر كتاب «السيرة النبوية» (١/ ١٦) للدكتور مهدي رزق الله أحمد.

وقال تعالى على لسان شعيب عليه السلام: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [هود].

وأحتسبُ عملي هذا عند الله ينفعني به: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء].

وآخرُ دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه

أبو إسلام

صالح بن طه عبد الواحد

إمام وخطيب مسجد إبراهيم الحاج حسن

مساء يوم الثلاثاء

الموافق ١٠ من ربيع الثاني ١٤٣٢ هـ

الموافق ٢٠١١/٣/١٥م

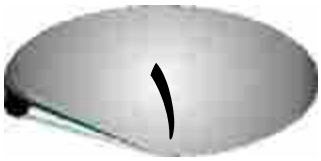

[الله أعلمُ حيث يجعل رسالته]

• **عباد الله!** يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف]، ويقول سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾﴾ [آل عمران].

نعودُ بكم مرة ثانية للحديث عن سلسلةِ «من قصص القرآن» والتي تتكون من أربعةِ أجزاء.

الجزء الأول: «الفرقان من قصص القرآن» والذي تكلمنا فيه عن قصص القرآن من غيرِ قصصِ الأنبياء.

الجزء الثاني: «البيانُ من قصص القرآن» والذي تكلمنا فيه عن قصص الأنبياء من غير أولي العزم.

الجزء الثالث: «البرهان من قصص القرآن» والذي تكلمنا فيه عن قصص أولي العزم من الرسل: نوح وإبراهيمَ وموسى وعيسى عليهم السلام.

الجزء الرابع: «اللؤلؤ والمرجان من قصص القرآن» والذي سنتكلمُ فيه -إن شاءَ اللهُ تعالى- عن قصة نبينا وحبيبنا وقائدنا وإمامنا محمدٍ ﷺ.

• **عباد الله!** وموعظتُنا في هذا اليوم بعنوان: «**اللهُ أعلمُ حيث يجعلُ رسالته**».

الأنبياء والرسل هم أشرف الناس نسباً، وأفضلهم خُلُقاً وخَلْقاً.

وذلك لأن الله -تبارك وتعالى- اصطفاهُم واختارَهم لرسالته.

قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [القصص].

فاللهُ -سبحانهُ وتعالى- هو المنفردُ بالخلق والاختيار.

• خلقَ المكانَ واختارَ منه مكةَ شرفها الله.

• وخلق الزمانَ واختارَ شهرَ رمضانَ ويومَ الجمعة

• وخلق بني الإنسان، واختارَ منهم الأنبياءَ والرسلَ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فالأمورُ كُلُّها بيده -سبحانه- ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ [هود:١٣٢].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾ [الحج].

أي: يختارُ ويجتبي من الملائكة رسلاً، ومن الناس رسلاً، يكونون أزكى ذلك النوع وأجمَعَهُ لصفات المجدِ وأحقَّهُ بالاصطفاء؛ فالرسلُ لا يكونون إلا صفوة الخلق على الإطلاق، والذي اختارهم واجتباهم واصطفاهم هو الله الذي خلقهم ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾[الملك]؛ فاختياره إياهم عن علمٍ منهُ -سبحانه- أنهم أهلٌ لذلك، وأن الوحي يصلُحُ فيهم.

كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[الأنعام:١٢٤].

ولما سأل هِرْقلُ مَلِكُ الرومِ أبا سفيان بن حربٍ -وذلك قبل أن يُسلِمَ- عن نسبِ رسول الله ﷺ فقال: كيف نَسَبَهُ فيكم؟ فقال أبو سفيان: هو فينا ذو نسبٍ....

ثم قال هِرقلُ: سألتُك عن نسبه فذكرتَ أنه فيكم ذو نسبٍ، «فكذلك الرسلُ تبعث في أنسابِ قومِها»(١). يعني في أكرمِها أحساباً، وأكثرِها قبيلة -صلوات الله عليهم أجمعين-.

ورسولنا ﷺ هو أَولى الأنبياء بكلِّ فضيلةٍ؛ فهو سيدُ ولدِ آدمَ وفخرُهم في الدنيا والآخرة.

يقول ﷺ عن نسبه الشريف: «**إنّ الله -عز وجل- اصطفى بني كِنانةَ من بني إسماعيلَ، واصطفى من بني كنانةَ قريشاً، واصطفى من قريشٍ بني هاشمٍ، واصطفاني من بني هاشم**» (٢).

• يقول العباسُ رضي الله عنه بلَغَ النبيَّ ﷺ بعضُ ما يقولُ الناسُ فصَعِدَ المنبرَ، فقال: «**مَنْ أنا؟**»، قالوا: أنت رسول الله. فقال ﷺ: «**أنا محمدُ بنُ عبدالله بن عبد المطلب، إنَّ الله -تعالى- خلقَ الخلقَ فجعلني في**

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣) واللفظ للبخاري.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم: (٢٢٧٦).

خيرهم، ثم جعلهم فرقتين، فجعلني في خيرهم فرقةً، ثم جعلهم قبائلَ، فجعلني في خيرهم قبيلةً، ثم جعلهم بيوتاً، فجعلني في خيرهم بيتاً، فأنا خيركم بيتاً، وأنا خيركم نسباً»[1].

- ويقول ﷺ: «**خرجتُ مِنْ نكاحٍ، لم أخرج من سِفاحٍ، مِنْ لدُن آدمَ إلى أن ولدني أبي وأمي، ولم يُصبني من سِفاحِ الجاهلية شيءٌ**»[2].
- ويقولُ ﷺ: «**أنا سيدُ ولد آدمَ يومَ القيامةِ ولا فخر**»[3].
- ويقولُ ﷺ: «**بُعثتُ من خيرِ قُرونِ بني آدم قرناً فقرْناً، حتى كنتُ مِنَ القرنِ الذي كُنت فيه**»[4].

فرسولُنا ﷺ هو أشرفُ الناسِ نسباً فهو: «أبو القاسم محمدُ بن عبدالله ابن عبد المطلب بن هاشمٍ بن عبد مناف بن قصي بن كِلاب بن مرَّةٍ بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مُدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن مَعْدٍ بن عدنان»[5].

---

(١) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٣٥٣٢)، وأحمد (٤/ ١٦٥)، [حسّنه شعيب الأرناؤوط في تعليقه على المسند].

(٢) **حسن**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٤٧٢٨)، والرامَهُرمزي في «المحدث الفاصل» (ص٤٧٠)، [«صحيح الجامع» (٣٢٢٠)].

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٦١٥)، وابن ماجه (٤٣٠٨)، والإمام أحمد (١/ ٢٨١)، [«صحيح السيرة النبوية» (ص١٢)].

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٣٥٥٧).

(٥) ذكره البخاري في كتاب «مناقب الأنصار» باب رقم (٢٨)، مبوباً.

وعدنان بلا شكٍ من ولد إسماعيل الذبيح عليه السلام، وإسماعيلُ بن إبراهيم -عليهما السلام-.

ومن أسمائه ﷺ:

• يقول ﷺ: «**إنّ لي أسماءً: أنا محمدٌ، وأنا أحمدُ، وأنا الماحي الذي يمحو اللهُ بي الكفرَ، وأنا الحاشرُ الذي يُحشرُ الناسُ على قدميَّ**» -أي: على أثري- «**وأنا العاقبُ، الذي ليس بعده أحَدٌ**»(١).

• ويقول أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: كان رسولُ الله ﷺ يسمي لنا نفسه أسماء فقال: «**أنا محمدُ وأحمدُ والمُقَفِّي والحاشرُ، ونبيُّ التوبة، ونبيُّ الرحمة**»(٢).

• وقال البيهقي: وزاد بعضُ العلماء فقال: «سمّاه الله في القرآن رسولاً نبياً، أمياً، شاهداً، مبشراً، نذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه، وسراجاً منيراً، ورؤوفاً، رحيماً، ومذكِّراً، وجعله رحمة، ونعمة، وهادياً»(٣).

• ومن أسمائه ﷺ: «المُذَكِّرُ، والرحمةُ، والنعمةُ، والهادي، والشهيد، والأمين، والمزّملُ، والمدّثرُ».

• ومن أسمائه أيضاً: «المختارُ، والمصطفى، والشفيعُ، والمشفَّعُ، والصادقُ المصدوق»(٤).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٥٣٢)، ومسلم (٢٣٥٤) واللفظ لمسلم.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣٥٥).

(٣) ذكره البيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ١٦٠)، [«صحيح السيرة النبوية» للألباني (ص٩)].

(٤) «فتح الباري» (٦/ ٦٤٣-٦٤٤) تحت رقم (٣٥٣٣).

• **عباد الله! هذا هو رسولنا محمد ﷺ، دعوةُ أبينا إبراهيم عليه السلام، وبشرى عيسى عليه السلام.**

قال إبراهيمُ عليه السلام في دعائه: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾[البقرة].

وقد استجاب الله -عز وجل- دعائه: فقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة].

وها هو عيسى عليه السلام آخرُ أنبياءِ بني إسرائيل يُبشرُ برسولنا محمد ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾[الصف:٦].

كيف لا؟ والله -عز وجل- يقول: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح:٢٩]. وقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب:٤٠].

وقال ﷺ: «**أنا دعوةُ أبي إبراهيم، وبشرى عيسى -عليهما السلام- ورأت أمي حين حملت بي؛ أنه خرجَ منها نورٌ أضاءَ له قصورُ الشامِ**»[1].

أدلةٌ صريحةٌ مِنْ كتابِ ربنا، ومِنْ سُنّةِ نبينا ﷺ، تدلُّ على أنَّ الله اختارَ واصطفى محمداً ﷺ العربي الأميَّ المكيَّ القُرشيَّ لرسالته، وخاتِماً لأنبيائه ورسله، فلا نبيَّ بعدهُ ولا رسول.

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٢٦٢)، والطبري في تفسيره (١/ ٥٦٦)، والحاكم (٤١٣٩)، [«السلسلة الصحيحة» (١٥٤٥)].

• ومع ذلك نسمعُ من بعض المستشرقين وأعداء الإسلام مَنْ يُشكك في عربيته ومكيته وقرشيتهِ ﷺ.

• وها هو كتابُ ربنا الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت]. يُخبرنا الله فيه أن محمداً ﷺ عربيٌّ مكيٌّ قرشيٌّ أميٌّ.

أولاً: قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾﴾ [محمد]

آيةٌ صريحةُ الدلالةِ على أصالة مكيةِ النبيّ ﷺ، وذلك لأن قريتهُ التي أُخْرِج منها هي مكةُ، قال ﷺ عندما خرج من مكة مهاجراً إلى المدينة: **«والله إنك لخيرُ أرضِ الله، وأحبُ أرضِ الله إليّ، والله! لولا أني أُخرجتُ منك ما خرجتُ»**[1].

ثانياً: لقد تكرر في القرآن الكريم لفظُ: مِنْ أنفسِهم، ومنكم، ومنهم، في معرض الخطاب للعربِ، ولأهل مكةَ خاصةً، وفي ذلك توكيدٌ لتلك الأصالة من جهةٍ، ولصلةِ النبيِّ ﷺ بالعربِ بوجهٍ عام من جهةٍ أخرى.

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾ [البقرة:١٢٩]. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران:١٦٤]. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٩٢٥)، وابن ماجه (٣١٠٨)، [«صحيح ابن ماجه» (٢٥٢٣)].

وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [النحل].

ثالثاً: لقد تكرر ورودُ كلمةِ «قومٍ» مضافةً إلى النبيِّ ﷺ في آياتٍ مكيةٍ كما ترى فيما يلي:

- قال تعالى: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾[الأنعام:٦٦].
- وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾[الزخرف:٤٤].

وفي آيةٍ في سورة إبراهيمَ، تقرر أنَّ الرُّسلَ لا يُرسَلون إلا بلسان أقوامهم، وفي هذا ينطوي تقرير كونه منهم كما ترى فيها؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾[إبراهيم:٤] ولقد تكررت التقريرات القرآنية بعروبة القرآن، وبأن الله قد يسره بلسان النبي ﷺ؛ ليفهمه الذين خوطبوا لأول مرة وهم العرب، كما ترى في الآيات التالية:

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ [يوسف]. وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾﴾ [مريم]. وقال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾[الشعراء].

وهكذا تلتحم الصلةُ أيضاً من هذه الناحية بين عروبة النبي ﷺ وكونه جزءاً مِنَ العرب، ثم جزءاً مِنْ عربِ مكةَ وقريشها بنوع خاص[1].

(١) انظر: كتاب «سيرة الرسول» محمد عزت (ص١٠-١٣).

رابعاً: قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء]. هذه الآية تتضمنُ -كما هو ظاهر- دلالةً قاطعةً على أن النبي ﷺ كان له في مكة عشيرةٌ، أو بطنٌ خاصٌ يلتحم به التحام القرابة العصبية المباشرة، فوق ما يلتحم هذا البطن الخاص بوشائج القربى مع سائر بطون قريش.

يقول أبو هريرة رضي الله عنه: لما أنزلت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء] دعا رسول الله ﷺ قريشاً فاجتمعوا، فعم وخص. فقال: «**يا بَنِي كعبِ بن لؤي! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بَنِي مرةَ بن كعبٍ! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بَنِي عبدِ شمسٍ! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بَنِي عبدِ منافٍ! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بَنِي هاشمٍ! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بَنِي عبد المطلبِ! أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمةُ! أنقذي نفسك من النار، فإني لا أَمْلِكُ لكمُ من الله شيئاً، غير أنَّ لكم رحِماً سأُبُلُّها بِبِلالها**(*)»(1).

فمحمدُ ﷺ عربيٌّ أمِّيٌّ مكيٌّ قرشيٌّ، اختاره الله لرسالته: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص:٦٨]، ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام:١٢٤]، فبعثه نبياً ورسولاً إلى الناس كافة:

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سبأ]. وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨].

(*) سأُبُلها ببلالها: سأصلها.

(1) **صحيح**: رواه مسلم (٢٠٤).

وقال ﷺ: «**أعطيتُ خمساً لم يُعطَهُنَّ أحدٌ قبلي**»، وذكر منها: «**وكان النبي يُبعثُ إلى قومه خاصةً، وبُعثتُ إلى الناس عامةً**»(١).

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام:١٢٤]، اختار الله محمداً ﷺ لرسالته من أشرف الناس نسباً، ومِنْ أحسن الناس خُلُقاً وخَلْقاً.

• **أما خُلُقُهُ ﷺ**:

فيكفيه شهادةُ الله فيه:

• قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم].

• ولما سُئلت عائشة رضي الله عنها عن خُلِقِ رسول الله ﷺ قالت: (**كان خُلُقُه القرآن**)(٢)، «ومن دراسة سيرته، وقراءة الأحاديث النبوية في صفاته الخُلُقية تُطالعنا صور التواضع المقترن بالمهابة، والحياء المقترن بالشجاعة، والكرم الصادق البعيد عن حب الظهور، والأمانة المشهورة بين الناس، والصدق في القول والعمل، والزهد في الدنيا عند إقبالها، وعدم التطلع إليها عند إدبارها، والإخلاص لله في كل ما يصدر عنه، مع فصاحة اللسان وثبات الجَنان، وقوة العقل، وحُسن الفهم، والرحمة للكبير والصغير، ولين الجانب، ورقة المشاعر، وحب

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١) واللفظ للبخاري.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٧٤٦).

الصفح، والعفو عن المسيء، والبُعد عن الغلظة والجفاء والقسوة، والصبر في مواطن الشدة، والجرأة في قول الحق»[1].

• يقول أنس رضي الله عنه: (كان رسولُ الله ﷺ أحسنَ الناس خُلُقاً)[2].

• يقول أيضاً رضي الله عنه: «ولا مسستُ ديباجاً ولا حريراً ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممتُ رائحةً قطُّ أطيبَ من رائحة رسول الله ﷺ»[3].

ويقول أيضاً: «ولقد خدمتُ رسولَ الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي أفٌّ قط، ولا قال لشيء فعلتُهُ: لم فعلتَه؟ ولا لشيء لم أفعلْه: ألا فعلتَ كذا؟»[4].

• **أما خَلْقُهُ ﷺ**.

فيكفيه أن أعداءَهُ لم يجدوا في خِلقته عيباً واحداً يعيبونه به، فكان ﷺ من أحسن الناس خُلُقاً وخَلْقاً.

• يقول البراءُ رضي الله عنه: (كان رسول الله ﷺ أحسنَ الناس وجهاً وأحْسنَهُ خَلْقاً، ليسَ بالطَّويلِ البائنِ ولا بالقصير)[5].

• وسئل البراءُ: أكان وجهُ النبي ﷺ مثلَ السيفِ؟ قال: (لا، بل مثل القمر)[6].

---

(١) «السيرة النبوية الصحيحة»، أكرم ضياء العمري (ص٨٩).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٢٠٣)، ومسلم (٦٥٩).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٩٧٣)، ومسلم (٢٣٣٠). واللفظ لمسلم

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠٣٨)، ومسلم (٢٣٠٩).

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٥٤٩)، ومسلم (٢٣٣٧).

(٦) **صحيح**: رواه البخاري (٣٥٥٢).

• ويقول كعبُ بن مالك رضي الله عنه وهو يَصِفُ رسولَ الله ﷺ: (كان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنارَ وجهُه حتى كأنه قطعةُ قمرٍ، وكنا نعرفُ ذلك منه)[1].

• ويقول أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: (كان النبي ﷺ أشدَّ حياءً مِنَ العذراء في خِدرها)[2].

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في وصف رسوله ﷺ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة]. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء].

ما هي الثمارُ التي نجنيها من دراسة السيرةِ النبويةِ من الكتاب والسنة؟

هذا الذي سنعرفهُ في الجمعِ القادمة -إن شاء الله تعالى- إن كان في العمر بقية.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٥٥٦)، ومسلم (٢٧٦٩).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٥٦٢)، ومسلم (٢٣٢٠).

ثمرات دراسة السيرة النبوية من الكتاب والسنة

الثمرة الأولى: محبتهُ ﷺ أكثر من كلِّ شيءٍ، بدون غُلُوٍ ولا جفاءٍ

• **عباد الله!** يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح]، ويقول سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران].

موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمَرْجان من قصص القرآن، دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**. والتي نتكلم فيها عن قصةِ نبينا ﷺ محمدٍ بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرةٍ، بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك، بن النضر بن كِنانة بن خُزيمة بن مُدركة بن إلياس ابن مضر بن نزار بن مَعد بن عدنان[1]. وعدنان بلا شك من ولد إسماعيل

(١) ذكره البخاري في كتاب (الأنصار)، باب رقم (٢٨)وذكره مبوباً.

الذبيح عليه السلام، وإسماعيلُ بن إبراهيم -عليهما السلام- أتدرون ما هي يا عباد الله؟

هي: **الثمرةُ الأولى من ثمارِ دراسةِ سيرةِ النبي ﷺ من الكتاب والسنةِ ألا وهي: محبتُهُ ﷺ أكثرَ من كلِ شيءٍ بدون غلوٍ ولا جفاءٍ(*) وبدون إفراطٍ ولا تفريطٍ.**

حبُّ النبيِّ ﷺ مِنَ الإيمان، والإيمان يزيدُ وينقصُ، يزيدُ بالطاعة، وينقصُ بالمعصية. ودراسةُ سيرة النبي ﷺ من القرآن والسنة تزيد من محبة المؤمن لرسوله ﷺ؛ فيزاد إيمانُهُ إلى أن يبلغ كمالَهُ.

وقد وردتْ نصوصٌ كثيرةٌ تدل على أنهُ يجب على العبدِ أن يكون الرسولُ الكريم ﷺ أحبَّ إليه من نفسهِ ووالدهِ وولدِه وأهلهِ ومالهِ والناسِ أجمعين،وأنهُ من لم يكن كذلك فهو يُعرِّضُ نفسه لعقوبةِ اللهِ العاجلةِ والآجلة ومنها:

أولاً: وجوبُ محبتهِ ﷺ أكثرَ من حُبِّ النفس

• عن عبد الله بن هشام رضي الله عنه قال: كنَّا مع النبي ﷺ وهو آخذٌ بيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال له عمر: (يا رسول الله! لأنتَ أحبُّ إليَّ من كل شيءٍ إلا من نفسي). فقال ﷺ: «**لا، والذي نفسي بيده! حتى أكونَ**

(*) انظر: كتاب «حب النبي ﷺ» للدكتور فضل إلهي -حفظه الله-.

أحبَّ إليك من نفسك». فقال له عمر: (فإنه الآن، والله لأنت أحبُّ إليَّ من نفسي). فقال النبي ﷺ: «**الآن يا عمر!**»[1].

يقول العلّامة العيني في شرح قوله ﷺ: «**لا، والذي نفسي بيده! حتى أكون أحبّ إليك من نفسك**»: لا يكملُ إيمانك... [2]. كما يقول في شرح قوله ﷺ: «**الآن يا عمر**»: «يعني كمل إيمانُكَ»[3].

ثانياً: وجوب محبته ﷺ أكثر من حبِ الوالد والولد

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**فوالذي نفسي بيده! لا يؤمنُ أحدكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من والدهِ وولده**»[4].

ثالثاً: وجوب محبته ﷺ أكثر من الأهلِ والمالِ والناس أجمعين

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يؤمن عبدٌ حتى أكونَ أحبَّ إليه من أهلهِ وماله والناس أجمعين**»[5].

رابعاً: التهديد لمن كان شيءٌ من الخلق أحبَّ إليه منه ﷺ

هدد الله تعالى بالعقاب مَن كان أحدٌ مِنَ الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة، أو شيءٌ من الأموال والتجارة والمساكن أحبَّ إليه من

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٦٣٢).

(٢) «عمدة القارئ» (٢٣/ ١٦٩).

(٣) المرجع السابق (٢٣/ ١٦٩).

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (١٤).

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (٤٤).

الله تعالى، ورسوله ﷺ، وجهادٍ في سبيله -عز وجل- يقول تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة].

يقول الحافظ ابن كثير في تفسير الآية: «أي إن كانت هذه الأشياء ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟﴾، أي: فانتظروا ماذا يحل بكم من عقابه ونكاله بكم»[1].

ومحبةُ النبي ﷺ لها ثمراتٌ في الدنيا والآخرة منها:

أولاً: حبّهُ ﷺ من أسباب الحصول على حلاوة الإيمان:

جعل الله تعالى لنيل حلاوة الإيمان أسباباً، ومنها: حبُّ النبي ﷺ أكثر من كل الخلق.

فقد روى الشيخان عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون اللهُ ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار».

ومعنى حلاوة الإيمان -كما ذكر العلماء رحمهم الله تعالى- استلذاذُ الطاعاتِ، وتحمل المشاق في الدين، وإيثار ذلك على أعراض الدنيا[2]، وما أشرفها من ثمرة وأكرمها: اللهم لا تحرمنا منها.

---

(١) «مختصر تفسير ابن كثير» (لنسيب الرفاعي) (٢/ ٣٢٤).

(٢) انظر: «شرح النووي» (٢/ ١٣)، و«فتح الباري» (١/ ٦١).

ثانياً: مُحِبُّهُ ﷺ سيكون معه في الآخرة

من أحب النبي الكريم ﷺ فإنه سيكون معه في الآخرة.

فقد روى الإمام مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقالَ: يا رسول الله! متى الساعة؟»، قال: «**وما أعددتَ للساعة؟**» قال: حبَّ الله ورسوله، قال: «**فإنك مع من أحببت**».

قال أنس رضي الله عنه: فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً أشدَّ من قول النبيِّ ﷺ «**فإنك مع من أحببت**».

قال أنس رضي الله عنه: (فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكرٍ وعمر رضي الله عنهما فأرجو أن أكون معهم، وإن لم أعملْ بأعمالهم)[1].

وجاء في حديث آخر رواه الشيخان، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! كيف تقول في رجلٍ أحبَّ قوماً ولم يلحق بهم؟»، فقال رسول الله ﷺ: «**المرءُ مع مَنْ أحبَّ**»[2]، والمراد بقوله ﷺ: «**المرء مع مَنْ أحبَّ**» أي: في الجنةِ[3]. الله أكبر! ما أَجلَّ جزاءَ من أحبَّ النبيَّ الكريم ﷺ وأعظمَه.

عباد الله! والناس في محبة النبي ﷺ طرفان ووسط: طرفٌ غلا، وطرفٌ جفا في محبته ﷺ، والوسط هم أصحاب محمدٍ ﷺ ومن سلك سبيلهم، أحبوا رسول الله ﷺ محبةً شرعيةً بدون إفراطٍ ولا تفريط، بدون غلوٍّ ولا جفاء.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٨٨)، ومسلم (٢٦٣٩).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦١٦٩)، ومسلم (٢٦٤٠).

(٣) انظر: «عمدة القارئ» (٢٢/ ١٩٧).

فتعالوا لنعيش مع أصحاب رسول الله ﷺ، وهم يضربون لنا أروع الأمثلة في محبته ﷺ بدون غلوٍ ولا جفاء.

أولاً: محبةٌ تتمثل في الحرص على صحبته ﷺ، ومرافقته في الدنيا والآخرة.

١ - أبو بكر الصديق رضي الله عنه يبكي فرحاً عندما أخبره النبي ﷺ أنه سيصحبه في الهجرة من مكة إلى المدينة:

• تقول عائشة رضي الله عنها: فبينما نحن يوماً جلوسٌ -في بيت أبي بكرٍ رضي الله عنه في نحر الظهيرة -أي: في أول وقت الحرارة-، قال قائلٌ لأبي بكرٍ: هذا رسول الله ﷺ مُتقنعاً -أي: مغطياً رأسه- في ساعةٍ لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: «فداءً له أبي وأمي، واللهِ ما جاء به في هذه الساعة إلا أمرٌ».

قالت: (فجاءَ رسول الله ﷺ فاستأذن، فأُذن له، فدخل، فقال ﷺ لأبي بكر: «**أَخرج مَن عندك**» فقال أبو بكر: (إنما هم أهلك بأبي أنتَ يا رسول الله!)، قال: «**فإني قد أُذِنَ لي في الخروج**»، فقال أبو بكر: (الصحابة -أي: الصحبة- بأبي أنت يا رسول الله!)، قال رسول الله ﷺ: «**نعم**»[1].

لم يكن الصديق رضي الله عنه بغافلٍ عما حُفَّ به هذا السفرُ من المخاوفِ والمخاطرِ، لكنها لم تؤثر أو تقلِّل من رغبته في صحبة الحبيب الكريم ﷺ، فلما أخبره عليه الصلاة والسلام بالموافقة على طلبه، بدأ يبكي

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٩٠٥).

فرحاً بنيل هذه السعادة.

يقول الحافظ ابن حجر: زاد ابن إسحاق في روايته: قالت عائشة رضي الله عنها: (فرأيت أبا بكر يبكي، وما كنتُ أحْسِبُ أن أحداً يبكي من الفرح) [1].

• ولذلك نال أبو بكر رضي الله عنه شرفَ الصحبة في الهجرةِ مع النبي ﷺ، وسجلها له ربه في القرآن، وسجلها له التاريخ رغم أنفِ الرافضة.

قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠].

٢- وهذا صحابي جليلٌ يخشى من عدمِ تمكُّنِه من النظر إلى وجهه ﷺ في الجنة.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رسول الله! إنك لأحبُّ إليّ من نفسي، وإنك لأحبُّ إليَّ من أهلي ومالي، وأحبُّ إليَّ مِنْ ولدي، وإني لأكونُ في البيت: فأذكركَ فما أجدُ حتى آتيك؛ فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتَك؛ عرفتُ أنك إذا دخلتَ الجنةَ رُفِعتَ مع النبيين، وإني إذا دخلتُ الجنة، خشيتُ أن لا أراك، فلم يردَّ عليه النبي ﷺ شيئاً حتى نزل جبريلُ عليه السلام بهذه الآية: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾[النساء:٦٩] [2].

---

(١) «فتح الباري» (٧/ ٢٣٥)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٩٣)، واللفظ من «فتح البخاري».

(٢) **حسن لغيره**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٤٧٧)، و«الصغير» (٥٢)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٩٣٣)].

٣- وهذا صحابيٌّ آخر يحرص على مرافقته ﷺ في الجنة.

• يقولُ ربيعةُ رضي الله عنه: (كنت أبيتُ مع رسول الله ﷺ فَأَتيتُه بوضوئه وحاجته، فقال لي: «**سلْ**»، فقلت: (أسألك مرافقتك في الجنة)، قال: «**أو غير ذلك؟**»، قلت: (هو ذاك)، قال: «**فأعني على نفسك بكثرة السجود**»[(١)].

ثانياً: محبةٌ تتمثل في الخوف على رسول الله ﷺ

١- فهذا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه الذي جاء يحرسُ رسول الله ﷺ وهو نائم:

تقول عائشة رضي الله عنها: سَهِرَ رسول الله ﷺ مَقدَمهُ المدينة ليلةً -وكان ذلك بسبب التهديدات التي تصل إلى المسلمين من كفار مكة بعد الهجرة-، فقال ﷺ: «**ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة**». قالت: فبينما نحن كذلك سمعنا خشخشة سلاحٍ -أي: صوت سلاح- فقال ﷺ: «**من هذا؟**»، قال سعد بن أبي وقاص، فقال له رسول الله ﷺ: «**ما جاء بك؟**» قال: وقع في نفسي خوفٌ على رسول الله ﷺ؛ فجئت أحرسُه، فدعا لهُ رسول الله ﷺ ثم نام[(٢)].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٤٨٩).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٨٨٥)، ومسلم (٢٤١٠)، والترمذي (٣٧٥٦)، واللفظ للترمذي.

٢- وهذا أبو قتادة ﷺ يسيرُ ليلةً مع رسول الله ﷺ يحفظهُ من السقوطِ عن الدّابةِ.

يقول أبو قتادة ﷺ: خطبنا رسولُ الله ﷺ فقال: «**إنكم تسيرون عشيتكم وليلتكم، وتأتون الماء إن شاء الله غداً**»، فانطلق الناس لا يلوي أحدٌ على أحدٍ -أي: لا يعطف- قال أبو قتادة: (فبينما رسول الله ﷺ يسير حتى ابهارَّ الليل -أي: انتصف- وأنا إلى جنبه، قالَ: فنعسَ رسولُ الله ﷺ فمال عن راحلتِهِ، فأتيتُه فدعمتُه -أي: أقمتُ مَيْلَهُ من النوم- من غير أن أوقظه، حتى اعتدل على راحلته، قال: ثم سار حتى تهوَّر الليل -أي: ذهب أكثره- مال عن راحلته، قال: فدعمته من غير أن أوقظه، حتى اعتدل على راحلته، قال: ثم سار حتى إذا كان من آخر السَّحر مال ميلةً هي أشدُّ من الميلتين الأوليين، حتى كاد ينجفل -أي: يسقط- فأتيته فدعمته، فرفع رأسه فقال: «**مَنْ هذا**»؟، قلت: أبو قتادة، قال: «**متى كان هذا مسيرُكَ مني؟**»، قلت: مازال هذا مسيري منذ الليلة. قال: «**حفظك الله بما حفظت به نبيه**» -أي: بسبب حفظك نبيه-)[1].

سبحان الله! كم كان أبو قتادة ﷺ حريصاً على سلامته ﷺ وراحته في آن واحد. سار معه ليلته يراقبه سعياً على حفظه، وكلما مال عليه الصلاة والسلام بسبب غَلبةِ النُّعاس عن راحلته، كان يصير تحته كالدعامة للبناء

(١) صحيح: رواه مسلم (٦٨١).

فوقها، لكنه مع هذا لم يجعله يستيقظ حرصاً منه على راحته ﷺ -رضي الله عنه وأرضاه.

٣- وهذا صحابيٌّ آخر أخذه الكفار في مكة، وعذبوه عذاباً شديداً وقالوا له وهو تحت التعذيب: أتحب أن محمداً مكانك، وأنت سليمٌ معافىً في أهلك ومالك؟ فصاح فيهم وقال: والله ما أحب أني في أهلي وولدي ومالي، معي عافية الدنيا ونعيمها، ويصاب رسول الله ﷺ بشوكةٍ[1].

الله أكبر.... الله أكبر... ما هذا الحب؟ وفيه قال القائل:

أسرَتْ قريشٌ مُسلماً ... فمضى بلا وجلٍ إلى السيافِ
سألوه: هل يرضيْكَ أنك سالمٌ ... ولكَ النبيُّ فدىً من الإتلاف؟
فأجاب: كلا، لا سَلِمتُ من الرَّدى ... ويُصابُ أنفُ محمدٍ برُعَافِ

ولذلك قال أبو سفيان عندما سمع ذلك: والله! ما رأيت أحداً يحب أحداً كما يحب أصحاب محمدٍ محمداً[2].

ثالثاً: محبةٌ تتمثل في الدفاع عنه ﷺ

١ - غلامانِ من الأنصار في غزوة بدر:

• يقول عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: (إني لواقفٌ يوم بدرٍ في الصف، فنظرت عن يمني وشمالي، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار، حديثةٌ

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٥٢٨٤).
(٢) «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ١٧٢).

أسنانهما، فغمزني أحدهما فقال: يا عماه أتعرف أبا جهلٍ؟ فقلت: نعم، وما حاجتك إليه؟

قال الغلام: أُخبرت أنه يسُبُّ رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده! لئن رأيته لا يفارقُ سوادي -أي: جسدي- سواده -أي: جسده- حتى يموت الأعجل منا؟ فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر فقال لي مثلها، فلم أنشبْ أن نظرتُ إلى أبى جهل وهو يجول في الناس، فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكم الذي تسألاني عنه، فابتدراه بسيفهما فضرباه حتى قتلاه، قال كلٌّ منهما: أنا قتلته)[1].

٢- وهاهم الصحابةُ رضي الله عنهم في غزوة أحدٍ، يقدمون أرواحهم في سبيل الدفاع عن رسول الله ﷺ عندما حاولَ الكفارُ أن يصلوا إليه.

- فهذا أبو دجانةَ رضي الله عنه (تترَّسَ دون رسول الله ﷺ بنفسهِ، ويقعُ النبلُ في ظهره، وهو منحنٍ عليه، حتى كثرُ فيه النبلُ، وهو لا يتحرك)[2].
- وهذا أبو طلحة رضي الله عنه (لـمّا كان يومُ أحدٍ، وانهزم ناسٌ من الناس عن النبي ﷺ، وقف أمام النبي ﷺ يدافع عنه، وإذا أشرف النبي ﷺ ينظر إلى القوم فيقول له أبو طلحة: يا نبي الله! بأبي أنت وأمي! لا تشرفْ. لا يُصبْكَ سهمٌ من سهام القوم. نحري دون نحرك)[3].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣١٤١)، ومسلم (١٧٥٢).

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٣/ ٣٠)، و«زاد المعاد» (٣/ ١٩٧)، و«جوامع السيرة» لابن حزم (ص١٦٢).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٨١١)، ومسلم (١٨١١).

٣- ولـمّا حاولَ عروةُ بن مسعود، موفَـد الكفـار -في صـلح الحديبيـة- أن يلمس لحية رسول الله ﷺ وهو يتكلم معـه، ضربَ الـصحابيُّ الجليـل المغيرة بن شعبة رضي الله عنه يده بنَعلِ السيفِ وقال له: أَخِّـرْ يـدكَ عـن لحيـةِ رسول الله ﷺ وإلا لا ترجعُ إليكَ.

• ولـمّا رجعَ عروةُ بن مسعود إلى كفار مكة قال لهم: أي قـوم! والله لقـد وفدت على الملوك، ووفدتُ على قيصرَ وكسرى والنجـاشيِّ، والله إن رأيت مِلِكاً قـطُّ، يعظِّمـهُ أصـحابُهُ مـا يُعظِّـمُ أصـحابُ محمـدٍ ﷺ محمداً، والله إن تَنخَّمَ نخامةً إلا وقعت في كف رجلٍ مـنهم، فـدلكَ بهـا وجهـه وجِلـدَهُ، وإذا أمـرهم ابتـدروا أمـره، وإذا توضّـأ كـادوا يقتتلون على وَضوئه، وإذا تكلَّم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحِدُّون إليه النظر تعظيماً له[1].

رابعاً: محبةٌ للنبي ﷺ تتمثلُ في اتباعه والتأسي به والتمسك بسنته

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[آل عمران:٣١].

١- وهاهم الصحابة رضي الله عنهم يضربون لنا أروعَ الأمثلة في المسارعة في التأسي برسول الله ﷺ:

يقول أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: بينما رسول الله ﷺ يصلي بأصحابه، إذ

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٢٧٣١).

خلع نعليه فوضعهما عن يساره، فلما رأى ذلك القوم ألقوا نعالهم، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته قال: «**ما حملكم على إلقائكم نعالكم**»؟ قالوا: رأيناك ألقيت نعليك فألقينا نعالنا، فقال رسول الله ﷺ: «**إن جبريل ﷺ أتاني فأخبرني أن فيهما قذراً**»، وقال: «**إذا جاء أحدكم إلى المسجدِ فلينظر، فإن رأى في نعليه قذراً، أو أذى فليَمْسَحْهُ وليُصَلِّ فيهما**»[1].

٢- وها هو أبو بكر رضي الله عنه يقول: «لستُ تاركاً شيئاً كان رسولُ الله ﷺ يعملُ به إلا عملت به، فإني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ»[2].

٣- وها هو الفاروقُ عمر رضي الله عنه يقفُ أمام الحجر الأسود ويقول: «والله إني لأعلم أنك حجرٌ لا تنفع ولا تضر، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ قَبّلَكَ ما قَبّلتُكَ»[3].

٤- ولما أفتى ابن عباس رضي الله عنه بجواز التمتع بالعمرة إلى الحج قالوا: لكن أبا بكر وعمر يقولان خلاف قولك؟ فغضب ابن عباس وقال: يوشك أن تُرجموا بحجارة من السماء، أقول: قال رسول الله، وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟![4].

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٦٥٠)، [«إرواء الغليل» (٢٨٤)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٠٩٣)، ومسلم (١٧٥٩).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٦١٠)، ومسلم (١٢٧٠).

(٤) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١٩٦).

خامساً: محبةٌ للنبيِّ ﷺ تتمثلُ في امتثالِ أوامرِه واجتناب نواهيه

• **عباد الله!** لا يختلف اثنان في أنَّ المحبَّ لمن يحبُّ مطيعُ. إنه يسعى إلى فعل ما يحبه حبيبه، واجتنابِ ما يبغضه، ويجد في ذلك حلاوةً ولذةً لا توصفان.

وكذلك من أحبَّ المصطفى ﷺ يحرصُ أشد الحرص على اتباعه، ويسارعُ إلى تنفيذِ أوامره، ويبادر إلى اجتناب نواهيه، وهاهم الصحابة رضي الله عنهم رجالاً ونساءً يضربون لنا أروع الأمثلة في ذلك:

١ - مسارعةُ قومٍ من الأنصار إلى تولية وجوههم نحو الكعبة وهم ركوع:

• عن البراء رضي الله عنه قال: (لـمّا قدِم رسول الله ﷺ المدينة صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً، وكان يحب أن يوجَّه إلى الكعبة، فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾[البقرة:١٤٤] فَوُجِّهَ نحو الكعبة، وصلى معه رجلٌ العصر، ثم خرج، فمر على قوم من الأنصار فقال: (هو يشهد أنه صلى مع النبي ﷺ وأنه وقد وُجِّهَ إلى الكعبة). فانحرفوا وهم ركوعٌ في صلاة العصر)[1].

ما أسرعهم تأسياً بالرسول الحبيب الكريم، صلوات ربي وسلامه

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٧٢٥٢).

عليه، سمعوا خبراً عنه ﷺ فلم يترددوا في التمسك به، بل لم ينتظروا رفع رؤوسهم من الركوع، وبادروا بالتوجه إلى حيث توجه الحبيب الكريم ﷺ -إلى الكعبة المشرفة- وهم ركوع.

٢- مبادرةُ الصحابةِ رضي الله عنهم إلى تنفيذ أمره ﷺ بانضمام بعضهم إلى بعضٍ عند النزول في سفر:

عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال: (كان الناس إذا نزلوا منزلاً تفرَّقوا في الشعاب والأودية، فقال رسول الله ﷺ: «**إن تفرقكم في هذه الشعاب والأودية إنما ذلكم من الشيطان**»، فلم ينزل بعد ذلك منزلاً إلا انضم بعضهم إلى بعض حتى يقال: «**لو بسط عليهم ثوب لعمّهم**»[1]. الله أكبر، لم يتحمل الرسول الكريم ﷺ تفرق المسلمين أثناء النزول في سفرٍ، فما بالهم تفرقوا في كل شيء إلا من رحم الله تعالى. وإلى الله المشتكى وهو المستعان.

٣- خلعُ المرأة سِوَارَيها عند استماع تهديد النبيِّ ﷺ:

لم يكن اتباع النبي الكريم ﷺ من قبل الرجال فحسب، بل كان كذلك مِنَ المؤمنات الصادقات اللواتي أحببنه ﷺ.

ومن الشواهد الدالة على ذلك: ما رواه الإمام أبو داود عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: (إنَّ امرأة أتت رسول الله ﷺ ومعها ابنةٌ لها، وفي يد

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٦٢٨)، [«صحيح سنن أبي داود» (٢٢٨٨)].

ابنتها مَسَكَتَان غليظتان من ذهب، فقال: «**أتعطين زكاة هذا؟**»، قالت: لا. قال: «**أيَسُرُّكِ أن يُسَوِّرَكِ الله بهما يوم القيامةِ سوارين مِنْ نار؟**»، قال: فخلعتهما فألقتهما إلى رسول الله ﷺ، وقالت:هما لله عزَّ وجلّ ولرسوله)[1].

الله أكبر! لم تقتصر المرأة المؤمنة المحبّة للرسول الكريم ﷺ على امتثال أمره بدفع زكاة السوارين، بل تنازلت عنهما وقدَّمتهما إلى رسول الله ﷺ صدقة لله -عز وجل- رضي الله عنها وأرضاها.

٤- التصاقُ النساءِ بالجدارِ تنفيذاً لأمرهِ ﷺ بالمشي في حافات الطريق، ولا يظنّن أحد أنَّ مثلَ تلك المسارعة إلى امتثال أمر الحبيب الكريم المصطفى عليه الصلاة والسلام من امرأةٍ مؤمنةٍ كان أمراً نادراً، أو حادثاً شاذاً، كلا ورب الكعبة! لقد عرف من نظر في سِيَرهنّ أنّ هذا كان هو السائد فيهن.

عن أبي أسيد الأنصاري رضي الله عنه (أنه سمع رسول الله ﷺ وهو خارج من المسجد، فاختلط رجال مع النساء في الطريق فقال رسول الله ﷺ: «**استأخِرن! فإنه ليس لكنَّ أن تَحْقُقْنَ الطريق** -أي وسطها- **عليكن بحافات الطريق**» فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إن ثوبها يتعلق بالجدار من لصوقها به)[2].

---

(١) **حسن**: رواه أبو داود (١٥٦٣)، والنسائي (٢٤٧٩)، [«صحيح سنن أبي داود» (١٣٨٢)].

(٢) **حسن**: رواه أبو داود (٥٢٧٢)، [«صحيح سنن أبي داود» (٤٣٩٢)].

عباد الله! هذه هي المحبة الشرعية الصادقة لرسول الله ﷺ، ثمرةٌ ناضجةٌ نقطفها من سيرته ﷺ، أما الذين غلَوا في محبة رسول الله ﷺ وأفرطوا، فرفعوه ﷺ من منزلة العبودية إلى منزلة الألوهية؛ فدعَوه من دون الله، واستغاثوا به فقد ضلوا ضلالاً مبيناً، وأما الذين جفوا في محبة النبيِّ ﷺ، وفرطوا فقدموا محبة الأولياء والصالحين على محبته ﷺ، ولم يستجيبوا لأمره ونهيه ولم يسلكوا سبيله فقد ضلوا أيضاً ضلالاً مبيناً وسنتكلم -إن شاء الله- عن هؤلاء وهؤلاء عندما نتكلمُ عن خصائصه ﷺ.

فما هي الخصائص التي أُفرد بها ﷺ في ذاته عن بقية الأنبياء والمرسلين في الحياة الدنيا؟ هذا الذي سنعرفه في الحديث عن الثمرة الثانية -إن شاء الله تعالى- في الجمعة القادمة إن كان في العمر بقية.

الثمرة الثانية: التعرف على خصائصه ﷺ (*)

القسم الأول: الخصائص التي انفردَ بها رسول الله ﷺ عن بقية الأنبياء والمرسلين -صلواتُ الله وسلامهُ عليهم أجمعين-

النوع الأول: ١- ما اختُص به ﷺ من الخصائص لذاته في الدنيا

• **عباد الله!** يقول الله -عز وجل- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٤٨﴾﴾ [الأحزاب]. ويقولُ سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦٢﴾﴾[آل عمران].

موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمَرْجان من قصص القرآن، دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**. والتي نتكلم فيها عن قصةِ نبينا وحبيبنا محمدٍ ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله؟

هي: **الثمرةُ التي نقطفها من دراستنا لسيرة المصطفى ﷺ ألا وهي: التعرفُ على خصائصه ﷺ**.

(*) انظر: كتاب «نضرة النعيم» (١/ ٤٤٩).

• **عباد الله!** اختصَ الله -تعالى- نبيهُ ﷺ وفضَّلَهُ على سائرِ الأنبياءِ والرسل عليهمُ الصلاةُ والسلامُ، وكذلكَ سائرَ البشرِ بخصائص.

ومعرفة هذه الخصائص، تجعل المسلم يزدادُ إيماناً مع إيمانه، ومحبةً وتبجيلاً لنبيه ﷺ وشوقاً له ويقيناً به.

وتدعو غير المسلم لدراسةِ أحوالِ هذا النبي ﷺ، ومن ثمَّ الإيمانُ والتصديقُ به وبما جاء به إن كان من المنصِفينَ.

وقسَّم العلماءُ خصائصَ النبي ﷺ إلى قسمين:

القسمُ الأول: خصائصُ اختُصَّ بها رسولُ الله ﷺ دون غيرهِ من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام.

القسمُ الثاني: ما اختُص به ﷺ من الخصائص والأحكام دون أمتِهِ، وقد يُشاركه في بعضها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

القسمُ الأولُ: الخصائصُ التي انفرد بها رسول الله ﷺ عن بقية الأنبياء والمرسلين -صلوات الله عليهم أجمعين-

اختصَّ الله تباركَ وتعالى عبدَه ورسولَهُ محمداً ﷺ دون غيرهِ مِنَ الأنبياء عليهمُ السلامُ بخصائص كثيرةٍ؛ تشريفاً له وتكريماً، مما يدلُّ على جليل رُتبته، وشرف منزلته عند ربِّه.

• ففي الدنيا آتاهُ القرآن العظيم، المعجزةَ المحفوظةَ الخالدةَ، ونَصرَهُ بالرُّعبِ، وأرسلهُ إلى الخلق كافةً وختمَ به النبيين... إلى غير ذلك.

• وفي الآخرةِ أكرمهُ بالشفاعة العُظمى، والوسيلة والفضيلةِ والحوضِ وسيادةِ ولد آدم إلى غير ذلك...

وأكرمه بخصائص في أمتهِ لم تُعطَها غيرها من الأمم.

• ففي الدنيا أحلَّ لها الغنائم، وجعل لها الأرض طهوراً ومسجداً، وجعلها خَيرَ الأُمم إلى غير ذلك.

• وفي الآخرة بأن جعلها شاهدةً للأنبياء على أُممهم، وجعلَها أولَ الأمم دخولاً الجنة إلى غير ذلك مما سيأتي معنا في الخُطبِ القادمة.

وقد قسَّمَ العلماءُ -رحمهم الله- الخصائصَ التي انفردَ بها رسولُ الله ﷺ عن بقية الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام إلى عدّةِ أنواع:

النوع الأول: ما اختُصَّ به في ذاته في الدنيا.

النوع الثاني: ما اختُصَّ به في ذاته في الآخرة.

النوع الثالث: ما اختُصَّ به في أمته في الدنيا.

النوع الرابع: ما اختُصَّ به في أمته في الآخرة.

النوع الأول: ما اختُصَّ به من الخصائص لذاته في الدنيا.

اختصَّ الله -تبارك وتعالى- نبيَّهُ محمداً ﷺ دون غيرهِ من الأنبياء والمرسلين -عليهم الصلاة والسلام- بخصائص في الدنيا لذاته منها:

أولاً: عهدٌ وميثاقٌ:

أخذ الله عز وجل- العهد والميثاق على جميع الأنبياء والمرسلين من لدن آدم إلى عيسى -عليهما السلام- لَما آتى الله أحدهم من كتابٍ وحكمةٍ، وَبَلَغ أيَّ مبلغ، ثم بُعِثَ محمد بن عبد الله ﷺ ليؤمِنُنَّ به ولينصُرُنَّهُ ولا يمنعُهُ ما هو فيه من العلمِ والنُّبوةِ من اتباعِهِ ونُصرتِهِ، كما أمرَهم أن يأخذوا هذا الميثاقَ على أممهم، لئنْ بُعِثَ ﷺ وهم أحياءٌ ليؤمِنُنَ به ولينصُرُنَّه[1].

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران].

- قال عليٌّ بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهم: (ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أُخِذَ عليه ميثاقٌ لئنْ بَعَثَ الله محمداً وهو حيٌّ ليؤمِنَنَّ به ولينصُرَنَّهُ، وأمره أن يأخُذَ الميثاق على أُمته لئن بُعِثَ محمدٌ وهم أحياءٌ ليُؤْمِنُنَّ به ولينصُرنَّهُ). وقال هذا القولَ غيرُ واحدٍ من أئمة التفسير[2].
- وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: (أنَّ عمرَ بن الخطاب أتى النبيَّ ﷺ بكتابٍ أصابَهُ من بعض أهل الكتاب، فقرأهُ النبيُّ ﷺ فغضب فقال: «**أمُتَهَوِّكون فيها يا ابن الخطاب؟! والذي نفسي بيده! لقد جئتكم بها**

(١) «تفسير ابن كثير» بتصرف.

(٢) «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٨٦)، والآثار في ذلك رواها ابن جرير في «تفسيره» (٥/ ٥٤٠-٥٤١).

بيضاءَ نَقِيَّةً، لا تسألوهُم عن شيءٍ فيُخبرُوكُم بحقٍّ فتُكَذِّبُوا بهِ، أو بِبَاطلٍ فتُصدِّقوا به، والذي نفسي بيده! لو أن موسى ﷺ كان حياً ما وسعه إلا أن يَتَّبِعَني»[1].

• قال الحافظُ ابنُ كثيرٍ -رحمه الله-: (فالرسولُ محمدٌ خاتمُ الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليه- دائماً إلى يوم الدين، هو الإمام الأعظم الذي لو وُجِدَ في أيِّ عصْرٍ لكان هو الواجبَ الطاعة، المُقدَّمَ على الأنبياء كلِّهِم، ولهذا كان إمامَهُم ليلةَ الإسراء لما اجتمعوا ببيتِ المقدسِ[2].

ثانياً: رسالةٌ عامةٌ:

فقد كان الأنبياءُ والرسلُ السابقون -عليهم الصلاةُ والسلامُ- يُرسَلُون إلى أقوَامِهِم خاصةً:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾[الأعراف:٥٩]. ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف:٦٥]. ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾[الأعراف:٧٣]. ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ﴾[الأعراف:٨٠]. ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف:٨٥].

وأما نبينا ﷺ فرسالته لجميع الناس؛ عَرَبِهِم وعَجَمِهِم، وإنسِهم وجنِّهِم، وهذا من خصائصه ﷺ.

---

(١) **حسن**: رواه أحمد (٣/ ٣٨٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٦٤٢١)، [«إرواء الغليل» (٦/ ٣٤)].

(٢) «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٨٦).

وقد جاءت الآياتُ القرآنية والأحاديث النبويَّةُ تُشيرُ إلى هذه الخصوصية:

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [سبأ:٢٨]. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾[الأنبياء]. وقال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾[الأعراف:١٥٨]. وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ١﴾ [الفرقان].

قال القرطبي -رحمه الله-: (والمرادُ بالعالمين هنا الإنس والجن، لأنَّ النبيَّ ﷺ كان رسولاً إليهما ونذيراً لهما)[1].

وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ٢٩﴾[الأحقاف].

قال العزُ بن عبد السلام -رحمه الله- (ومِنْ خصائِصه: أن الله تعالى أرسلَ كلَّ نبيٍ إلى قومه خاصةً، وأرسل نبينا محمداً ﷺ إلى الجن والإنس)[2].

- وعن جابر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**أُعطيتُ خَمساً لم يُعطَهُنَّ أحدٌ قبلي**»، وذكر منها: «**وكان النبيُّ يُبعثُ إلى قومه خاصةً وبُعثتُ إلى الناس كافةً**»[3].

---

(١) القرطبي «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٤).

(٢) «بداية السول في تفضيل الرسول» (ص٤٦، ٤٧).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٣٨)، ومسلم (٥٢١) واللفظ للبخاري.

• وفي رواية: «**كان كل نبيٍّ يُبعثُ إلى قومه خاصةً، وبعثتُ إلى كلِّ أحمرَ وأسودَ**»(١).

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**والذي نفسُ محمدٍ بيده لا يسمعُ بي أحدٌ مِنْ هذه الأمةِ: يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ، ثم يموت ولم يؤمِنْ بالذي أُرسلتُ به إلا كان من أصحاب النار**»(٢).

ثالثاً: نبوةٌ خاتمةٌ:

مِنْ رحمة الله -تعالى- بعباده إرسالُ محمدٍ ﷺ إليهم، ومِنْ تشريفِهِ لهُ خَتْمُ الأنبياءِ والمرسلين به، وإكمالُ الدين الحنيف لَهُ. وقد أخبر الله -تبارك وتعالى- في كتابه ورسوله ﷺ في السنةِ المتواترةِ عنهُ أنهُ لا نبيَّ بعدهُ، لِيعلَمَ العبادُ أن كلَّ منْ ادَّعى هذا المقامَ بعدَهُ فهو كذَّابٌ أفَّاكٌ دجَّالٌ.

قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب].

قال ابن كثير -رحمه الله-: (فهذه الآية نصٌّ في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبيٌّ بعده، فلا رسول بطريقِ الأولى والأحرى؛ لأنَّ مقام الرسالةِ أخصُ مِنْ مقام النبوة)(٣).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٥٢١).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٥٣).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٠١).

ومما يدلُّ على هذه الخصوصية من السنة ما يأتي:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**إنَّ مَثَلي وَمَثَلَ الأنبياءِ مِنْ قَبْلي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بيتاً فأحسنَهُ وأجْمَلَهُ إلا مَوْضِعَ لَبنةٍ من زاويةٍ، فجعلَ الناسُ يطُوفون به ويعجبون له ويقولون: هلاَّ وُضِعَتْ هذه اللَّبِنَةُ؟ فأنا اللبنة، وأنا خاتَمُ النبيين**»[1]. وزاد مسلم في حديثه؛ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**فأنا موضع اللبنة جِئتُ فختَمْتُ الأنبياء**»[2].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه في قصة العَرْضِ على الله -تبارك وتعالى- يوم القيامة، وفزع الناس إلى الأنبياء -عليهم السلام- قال ﷺ: «**أنَا سيِّدُ النّاس يوم القيامة... فيقولُ عيسى... اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمدٍ ﷺ، فيأتون محمداً ﷺ فيقولون: يا محمد! أنت رسولُ الله وخاتمُ الأنبياء...**»[3].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**فُضِّلتُ على الأنبياءِ بستٍّ**». وذكر منها: «**وأُرسِلتُ إلى الخلقِ كافةً، وخُتِمَ بيَ النبيون**»[4].

• وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ الرسالةَ والنبوةَ قدِ انقطعت، فلا رسولَ بعدي ولا نبيَّ**»[5].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٥٣٥)، ومسلم (٢٢٨٦).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٨٧).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٥٢٣).

(٥) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٢٧٢)، وأحمد (٣/ ٢٦٧)، [«إرواء الغليل» (٨/ ١٢٨)].

• وقال ﷺ: «**إنَّ لِيَ أسماءً: أنا محمدٌ، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بهِ الكفرَ، وأنا الحاشِرُ الذي يُحشرُ الناسُ على قدميَّ، وأنا العاقبُ الذي ليس بعده أحدٌ**»(١).

• قال ﷺ: «**كانت بنو إسرائيل تسوسُهُم الأنبياءُ، كلما هَلَكَ نبيٌّ خلفه نبيٌّ، وأنه لا نبيَّ بعدي، وسيكونُ بعدي خُلفاءُ فيَكثُرون**» قالوا: **يا رسول الله! فما تأمُرُنا؟ قال: «أوفوا ببيعةِ الأولِ فالأول، ثم أعطوهم حقهم، واسألوا الله الذي لكم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم**»(٢).

رابعاً: آيةٌ عظمى ومعجزةٌ خالدةٌ محفوظةٌ

اختصَّ الله -عز وجل- رسولَهُ محمداً ﷺ بالقرآنِ الكريمِ آية عظمى، ومعجزة خالدة محفوظة تدلُّ على نبوته. قال ﷺ: «**ما من الأنبياء نبيٌّ إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشرِ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليَّ؛ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة**»(٣).

ولذلك لما طلب كفارُ مكة من رسولِ الله ﷺ آيةً فقالوا: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[العنكبوت:٥٠].

فقال الله لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٥٣٢)، ومسلم (٢٣٥٤) واللفظ لمسلم.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٢٧٤)، ومسلم (١٥٢).

أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ [العنكبوت].

وقد تحدى الله -تعالى- الإنس والجنَّ أن يأتوا بمثل هذا القرآن.

فقال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ [الإسراء].

وقد خصَّ الله -تعالى- القرآن الكريم دونَ سائِر الكتب السماوية الأخرى بالحفظ:

قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ [الحجر]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ [فصلت].

وقد خصَّ الله تعالى رسوله ﷺ دون سائر الأنبياء والمرسلين بخواتيم (سورة البقرة).

قال ﷺ: «**أعطيتُ هذه الآيات من آخر البقرة، من كنزٍ تحت العرشِ، لم يُعْطَها نبيٌّ قبلي**»[1].

قال العز بن عبد السلام -رحمه الله-: (ومِن خصائصه أَنَّ معجزةَ كلِّ نبيٍّ تَصرَّمت وانقرضَت، ومعجزةُ سيد الأولين والآخرين وهي القرآنُ العظيمُ باقيةٌ إلى يومِ الدينِ، وقال: .... ومنها حِفْظُ كتابهِ، فلو اجتمع

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٣٨٣)، والنسائي في «الكبرى» (٨٠٢٢)، [«السلسلة الصحيحة» (١٤٨٢)].

الأولون والآخرون على أن يزيدوا فيه كلمة، أو ينقُصُوا منه لعجزوا عن ذلك، ولا يخفى ما وقع من التبديل في التوراةِ والإنجيلِ)[1].

خامساً: رحمةٌ مهداة:

أرسل الله -تبارك وتعالى- رسوله محمداً ﷺ رحمةً للخلائق عامةً؛ مُؤمِنِهم وكافرهم وإنسهم وجنهم، وجعله رؤوفاً رحيماً بالمؤمنين خاصةً، فمن قَبِلَ الرحمةَ وشكر هذه النعمة -وهي محمدٌ ﷺ- سَعِدَ في الدنيا والآخرة، ومَنْ ردَّها وجحدها خَسِرَ الدنيا والآخرة.

ويؤيد هذه الخصوصية من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء].

قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية: (مَنْ آمن بالله واليومِ الآخرِ كَتَبَ لهُ الرحمةَ في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن بالله ورسوله عوفي مما أصاب الأمم من الخسف والقذف)[2].

ومن السنة:

• عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قيل: يا رسولَ الله! ﷺ ادْعُ الله على المشركين.

(١) «غاية السول في تفضيل الرسول» (ص٣٩-٧٠).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٤٠).

قال: «**إني لم أُبعثْ لعَّاناً، وإنما بُعثتُ رحمةً**»[1].

• وقال ﷺ: «**يا أيها الناسُ! إنما أنا رحمةٌ مهداةٌ**»[2].

• وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كان رسولُ الله ﷺ يُسمِّي لنا نفسه أسماءً، فقال: «**أنا محمدٌ، وأحمد، والمقَفِّي** -أي: آخر الأنبياء- **والحاشرُ، ونبيُّ التوبة، ونبيُّ الرحمة**»[3].

• وعن سليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «... **أيما رجل من أُمتي سببتُهُ سَبَّةً أو لعنتُهُ لعنةً في غضبي فإنما أنا مِنْ وَلدِ آدم أغضبُ كما يغضبون، وإنما بعثني رحمةً للعالمين، فأجعلها عليهم صلاةً يوم القيامة**»[4].

قالَ بعضُ العلماءِ في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء]: (لجميعِ الخلقِ: للمؤمن رحمةً بالهداية، ورحمةً للمنافق بالأمانِ مِنَ القتلِ، ورحمةً للكافرِ بتأخير العذاب)[5].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٩٩).

(٢) **صحيح**: رواه ابن سعد في طبقاته (١/ ١٩٢)، والدارمي (١٥)، والحاكم (١٠٠)، [«السلسلة الصحيحة» (٤٩٠)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣٥٥).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٠١).

(٥) كتاب «الشفا» للقاضي عياض (١/ ٥٧).

• وأمَّا كونُهُ ﷺ رحمةً لأهلِ الإيمانِ خاصةً فقد قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة]. وقال تعالى في وصف رسوله ﷺ: ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾ [التوبة:٦١].

• وأمَّا كونُهُ ﷺ رحمةً للكافرين بأن الله لم يهلكهم في حياته ﷺ. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال:٣٣]. فالله -عز وجل- لم يهلك الكفار في حياة النبي ﷺ مع أنهم استعجلوا العذاب بعكس الأمم الماضية، فقد أهلكهُمُ الله في حياة أنبيائهم.

• قال تعالى في شأن نوح عليه السلام وقومه: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأعراف].

• وقال تعالى في شأن هود عليه السلام وقومه: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الأعراف].

• وقال تعالى في شأن صالح عليه السلام وقومه: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأعراف].

• وقال تعالى في شأن لوط عليه السلام وقومه: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأعراف].

فكان بذا ﷺ هو الرحمة المهداة والنعمة المسداة للعالمين.

سادساً: أمنةٌ لأصحابه

أكرم الله -تبارك وتعالى- نبيَّهُ محمداً ﷺ فجعل وُجُودَهُ بين أصحابه أَمَنَةً لهم من العذاب، بخلاف ما حصل لبعض الأمم السابقة حيث عُذبوا في حياة أنبيائهم.

وكان ﷺ أَمَنَةً لأصحابه كذلك من الفتن والحروب، وارتداد من ارتدَّ من الأعراب، واختلاف القلوب، ونحو ذلك مما أنذر به صريحاً ووقع بعد وفاته.

قال العزُّ بن عبد السلام -رحمه الله-: (.... ومن خصائصه ﷺ أنَّ الله تعالى أرسله ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ فأمهلَ عُصاةَ أُمته ولم يُعاجِلهم إبقاءً عليهم، بخلاف من تقدَّمَهُ من الأنبياء فإنهم لما كذَّبوا عُوجِلَ مُكَذِّبُهُم)[1].

وقد جاء النص على هذه الخصوصية من القرآن الكريم والسُّنة المطهرة وآثار السلف الصالح، فمن ذلك ما روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال أبو جهلٍ: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارةً من السماء أو ائتنا بعذابٍ أليم فنزلت: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ

(١) «غاية السول» (ص٦٥، ٦٦).

وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾[الأنفال].

• وعن أبي موسى ﷺ قال: (صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ ثم قلنا؛ لو جلسنا حتى نُصلي معه العشاء. قال: فجلسنا فخرج علينا فقال: «**ما زلتم ههنا؟**»، قلنا: يا رسول الله! صلينا معك المغرب، ثم قلنا نجلسُ حتى نصلي العشاء. قال: «**أحسنتم أو أصبتم**». قال: فرفع رأسه إلى السماء، وكان كثيراً ما يرفع رأسه إلى السماء. فقال: «**النجومُ أمنَةٌ للسماء، فإذا ذهبتِ النجومُ أتى السماء ما توعد، وأنا أمَنَةٌ لأصحابي، فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يُوعَدون. وأصحابي أمنةٌ لأمَّتِي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون**»[1].

• وقال ﷺ في صلاة الكسوف: «**ربِّ، ألم تَعِدني أن لا تُعذِّبهم وأنا فيهم؟ ألم تَعِدني أن لا تُعذِّبهم وهمْ يَستغفرون؟**»[2].

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٣١).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (١١٩٦)، [«إرواء الغليل» (٢/ ١٢٤)].

التعرف على خصائصه ﷺ

النوع الأول: ٢- ما اختُصَّ به ﷺ من الخصائصِ لذاتهِ في الدنيا

• **عباد الله!** يقول الله -عزَّ وجلَّ- في كتابه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة]. ويقول سبحانه: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾[الأعراف].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمَرْجان من قصص القرآن، دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**. والتي نتكلم فيها عن قصةِ نبينا وحبيبنا محمدٍ ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله؟!

هي: **التعرف على الخصائص التي اختَصَّ الله بها رسوله ﷺ دونَ غيرِه من الأنبياءِ والرُّسل في الدنيا**.

لقد قُلنا في الجمعةِ الماضيةِ: إن الله اختصَّ رسولهُ محمداً ﷺ دون غيره من الأنبياء والرُّسل بخصائص في الدنيا منها:

أولاً: عهدٌ وميثاقٌ.

ثانياً: رسالةٌ عامةٌ.

ثالثاً: نبوةٌ خاتمةٌ.

رابعاً: آية عظمى ومعجزةٌ باقيةٌ خالدةٌ.

خامساً: رحمةٌ مهداةٌ.

سادساً: أَمنة لأصحابه.

وقد تكلمنا عن هذه الخصائص كُلِّها في الجمعة الماضية.

فتعالوا بنا لنعيش في هذا اليوم أيضاً مع باقي هذه الخصائص ومنها:

سابعاً: القَسَمُ بحياته ﷺ

• قال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الحجر].

• قال ابن كثير -رحمه الله-: (أقسم تعالى بحياة نبيه صلوات الله وسلامه عليه، وفي هذا تشريفٌ عظيمٌ ومقامٌ رفيعٌ وجاهٌ عريضٌ)[1].

• وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (ما خلق الله وما ذرأ، وما برأ نفساً أكرم عليه من محمد ﷺ، وما سمِعتُ الله أقسمَ بحياةِ أحدٍ غيره)، قال الله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾، يقول: وَحَيَاتِكَ وعُمُرِك وبقائِك في الدنيا[2].

• وقال العز بن عبد السلام -رحمه الله-: ومن خصائصه: أنَّ الله تعالى أقسم

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٥٧٥).

(٢) «تفسير الطبري» (١٤/ ٩١)، و«ابن كثير» (٢/ ٥٧٥).

بحياته ﷺ فقال: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾، والإقسام بحياة المُقسَم بحياته يدل على شرفِ حياته وعزتها عند المقسِم بها... ولم يثبت هذا لغيره ﷺ[1].

فللخالق سبحانه أن يُقْسم بما يشاء من مخلوقاته، أما المخلوقُ فلا يجوزُ له القسم والحلف إلا بالله تعالى وأسمائه وصفاته. والأدلة على ذلك كثيرةٌ منها:

قوله ﷺ: «**مَنْ كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت**»[2].

- قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: (قال العلماء: السِّر في النهي عن الحلف بغير الله أنَّ الحلف بالشيء يقتضي تعظيمَهُ، والعظمةُ في الحقيقة إنما هي لله وحده)[3].
- فلا يجوزُ للمسلم أبداً أن يُقسِمَ بالنبيِّ ﷺ ولا بعليٍّ رضي الله عنه ولا بالعباس رضي الله عنه؛ ولا بالحسنِ ولا بالحسينِ رضي الله عنهما؛ لأنَّ ذلكَ شركٌ، قال ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ بغير اللهِ فقد أشرك**»[4].

---

(١) «بداية السول» (ص٣٧).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٦٧٩)، ومسلم (١٦٤٦).

(٣) انظر: «فتح الباري» (١١/ ٥٤٠).

(٤) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥)، وأحمد (٢/ ١٢٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٩٥٢)].

ثامناً: نداؤهُ ﷺ بوصف النبوة والرسالة

• خاطب الله -عز وجل- رسوله ﷺ وناداه في القرآن الكريم بأحبِّ أوصافه، وأسنى كمالاتهِ، بالنبوة والرسالة، ولم يناده باسمه زيادةً في التشريف والتكريم:

• قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ [المائدة:٤١].

• وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾[المائدة:٦٧].

• وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٤﴾[الأنفال].

• أمّا سائرُ الأنبياءِ والمرسلينَ عليهم الصلاة والسلام فَخُوطِبُوا بأسمائهم:

• قال تعالى: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾[البقرة:٣٥].

• وقال تعالى: ﴿يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا﴾ [هود:٤٨].

• وقال تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ﴾[الأعراف:١٤٤].

• وقال تعالى: ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآ﴾[الصافات:١٠٤-١٠٥].

• وقال تعالى: ﴿يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ ...﴾ [المائدة:١١٠].

• قال ابن الجوزي -رحمه الله-: (ولما ذكر اسمه للتعريف قرنه بذكر الرسالة):

• قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران:١٤٤].

• وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح:٢٩].

• وقال تعالى: ﴿وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ [محمد:٢].

ولما ذكره مع الخليل، ذكر الخليل باسمه وذكره باللقب:

• قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [آل عمران:٦٨] (١).

تاسعاً: نهي المؤمنين عن مناداته ﷺ باسمه

أدَّب الله -عز وجل- عبادهُ المؤمنين في مخاطبة نبيه ﷺ والكلام معه تشريفاً وتعظيماً وتقديراً له، فأمرهم أن لا يخاطبوه باسمه بل يخاطبوه: يا رسول الله! يا نبي الله! وإذا كان الله -تبارك وتعالى- خاطبه في كتابه العزيز بالنبوة والرسالة، ولم ينادِهِ باسمه زيادةً في التشريف والتكريم كما مر ذكره، فمن باب أولى وأحرى أهل الإيمان. واختص رسول الله ﷺ بذلك بخلاف سائر الأنبياء والمرسلين فإن أممهم كانت تخاطبهم بأسمائهم.

• قال الله -عز وجل-: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور].

• قال ابن عباسٍ ومجاهدٌ وسعيد بن جبير: (كانوا يقولون: يا محمد! يا أبا القاسم! فنهاهم الله -عز وجل- عن ذلك إعظاماً لنبيه ﷺ، وأمرهم

(١) انظر: «الوفا في أحوال المصطفى» (ص٣٦٣).

أن يقولوا: يا نبي الله! يا رسول الله!)[1].

• وقال قتادة -في تفسير الآية السابقة-: أمر الله تعالى أن يُهاب نبيه ﷺ، وأن يُبجَّل وأن يُعظَّم وأن يُسوَّدَ بخلاف ما خاطبت به الأمم السابقة أنبياءها:

• فقال تعالى -حكاية عنهم-﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾[الأعراف:١٣٤].

• وقال تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

• وقال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ...﴾[المائدة:١١٢].

• وقال تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَالَنَا﴾ [هود:٣٢].

عاشراً: تولى الله الدِّفاعَ عنه ﷺ مما رماهُ به قومهُ

• كان الأنبياء السابقون -عليهم السلام- يتولون الدفاع عن أنفسهم مما رماهم به المكذبون من أقوامهم من السَّفه والضلال:

• قال تعالى فيما أخبر عن قومِ نوحٍ عليه السلام أنهم قالوا له: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٦٠﴾[الأعراف].

• فقال عليه السلام دفاعاً عن نفسه: ﴿يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ﴾[الأعراف:٦١].

---

(١) «تفسير ابن جرير» (١٧/ ٣٨٩)، و«تفسير ابن كثير» (٣/ ٣١٨).

• وقال قوم هود عليه السلام له: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ [الأعراف:٦٦].

• فقال نافياً عن نفسه ما نسبوه إليه: ﴿يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾ [الأعراف:٦٧].

• وأما نبينا محمد ﷺ فقد تولى ربه الرد عنه حين رماه المشركون بالجنون والضلال وقول الشعر

• فلما رماه المشركون بالجنون، قال الله دفاعاً عنه: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾ [التكوير].

• وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾﴾[الطور].

• ولما رماه المشركون بالضلال.

• قال الله تعالى دفاعاً عنه: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾﴾[النجم].

• ولما قالوا عنه شاعر:

• قال الله تعالى -دفاعاً عنه: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾[الحاقة].

• وقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾ [يس].

فالله -عز وجل- تولى الدفاع عن رسوله ﷺ مما رماه به المشركون من قومه وقال له: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [يس].

وقال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾[الأنعام].

وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[الطور:٤٨].

الحادي عشر: كلمٌ جامع

• فضل الله -عز وجل نبيه ﷺ على غيره من الأنبياء -عليهم السلام- بأن أعطاه جوامع الكلم، فكان ﷺ يتكلمُ بالقول الموجز القليل اللفظ الكثير المعاني[1].

أعطاه مفاتيح الكلام، وهو ما يسره له من البلاغة والفصاحةِ، والوصول إلى غوامض المعاني وبدائع الحِكم ومحاسن العبارات والألفاظ التي أُغلقت على غيره وتعذرت عليه[2].

• قال العز بن عبد السلام -رحمه الله-: (ومِن خصائصه أنه بُعث بجوامع الكلم، واختُصر له الحديث اختصاراً، وفاق العرب من فصاحته وبلاغته) [3].

• ومما جاء في السنة دالاً على هذه الخاصية:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**فُضِّلتُ على الأنبياء بستٍّ**». وذكر منها: «**أعطيت جوامع الكَلِم**»[4].

• وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُعطيت فواتِح الكلم**

(١) قاله الحافظ ابن حجر، انظر: «فتح الباري» (١٣/ ٢٦١).

(٢) ذكره ابن منظور في «لسان العرب» (٢/ ٥٣٧).

(٣)« غاية السول في تفضيل الرسول» (ص٤٧).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٥٢٣).

-أي:مفاتيح الكلم- **وجوامِعَهُ وخواتِمَهُ** -أي: حُسن الوقوف ورعاية الفواصل-»[1].

• قال الحافظ ابن رجب الحنبلي -رحمه الله-: فجوامع الكلم التي خُصَّ بها النبي ﷺ نوعان:

أحدهما: ما هو في القرآن كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ﴾ [النحل:٩٠].

قال الحسن البصريُّ -رحمه الله: (لم تترُك هذه الآيةُ خيراً إلا أمرتْ به ولا شراً إلا نهتْ عنه).

الثاني: ما هو في كلامه ﷺ وهو مُنتشرٌ موجودٌ في السُّنن المأثورة عنه...[2].

• ومن ذلك قوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئٍ ما نوى**»[3].

• وقوله ﷺ: «**الدينُ النّصيحةُ**»[4].

---

(١) **صحيح**: رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٩٨)، وأبو يعلى (٧٢٣٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٤٢٠)، [«السلسلة الصحيحة» (١٤٨٣)].

(٢) انظر: «جامع العلوم والحكم» (ص٣).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧) واللفظ للبخاري.

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٥٥).

• وقوله ﷺ: «**احفظِ اللهَ يحفظكَ**»[1].

• وقوله ﷺ: «**اتقِ اللهَ حيثما كُنتَ**»[2].

• وقوله ﷺ: «**إذا لم تستحي فاصنعْ ما شِئتَ**»[3].

الثاني عشر: الأُميُّ المُعَلِمُ

من خصائصه ﷺ أنه كان أُمياً لا يقرأ ولا يكتبُ.

• قال تعالى في وصفه: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾[الأعراف:١٥٧].

• وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [العنكبوت].

ومع ذلك فقد بعثه الله في الناس ليُعلمهم العقيدة والعبادة والأخلاق والآداب التي تُسعدهم في الدنيا والآخرة.

• قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (١/ ٢٩٣)، والحاكم (٦٣٠٣)، و[«السلسلة الصحيحة» (٢٣٨٢)].

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (١٩٨٧)، وأحمد (٥/ ١٥٣)، [«السلسلة الصحيحة» (١٣٧٣)].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٣٤٨٤).

• وقال ﷺ: «**إن الله لم يبعثني مُعنِّتاً ولا مُتَعنِّتاً، ولكن بعثني معَلِّماً مُيسِّراً**»(١).

• ووصفه أصحابه رضي الله عنهم فيقول أحدهم: (فبأبي هوَ وأمي، ما رأيتُ معلماً قبلهُ ولا بعدهُ أحسنَ تعليماً منه)(٢).

ولذلك امتن الله على رسوله ﷺ بنعمة العلم. فقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء].

الثالث عشر: نصرٌ بالرعب:

اختُصَّ نبينا ﷺ، بأن الله -عز وجل- نصره بالرعب، وهو الفزعُ والخوف، فكان سبحانه يُلقيهِ في قلوب أعداءِ رسوله ﷺ، فإذا كان بينه وبينهم مسيرةُ شهرٍ أو شهرين هابوه وفزعوا منه فلا يُقْدِمُون على لقائه.

• قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: (وهذه الخصوصية حاصلةٌ له ﷺ على الإطلاق حتى لو كان وحده بغير عَسْكَرٍ)(٣).

• والأدلة على ذلك من السنة:

• قال ﷺ: «**أُعطيتُ خمساً لم يعطهنَّ أحدٌ قبلي**» وذكر منها: «**نُصِرْتُ بالرعب مَسيرة شهرٍ**»(٤).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٤٧٨).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٥٣٧).

(٣) «فتح الباري» (١/ ٥٢١).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

• وقال ﷺ: «**فُضِّلْتُ بأربع**» وذكر منها: «**ونُصِرْتُ بالرعب من مَسيرة شهرين**»[1].

• وقال ﷺ: «**فُضِّلْتُ على الأنبياء بخمسٍ**» وذكر منها: «**ونُصِرْتُ بالرعب شهراً أمامي، وشهراً خلفي**»[2].

الرابع عشر: إسراءٌ ومعراجٌ:

ومما اختُصَّ به رسول الله ﷺ عن غيره من الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- معجزة الإسراء والمعراج، فقد أُسريَ به ﷺ ببدنهِ وروحِهِ يقظةً من المسجد الحرام بمكة المكرمة إلى المسجد الأقصى، وهو بيت المقدس بإيلياءَ في جُنح الليل، ثم عُرجَ به إلى سِدْرَةِ المنتهى ثم إلى حيث شاء الله -عز وجل- ورجع مكة من ليلته.

وهذه المعجزة ثابتةٌ بالكتاب والسنة، وستتكلم عنها -إن شاء الله تعالى- عندما نتكلم عن سيرته ﷺ في مكة.

الخامس عشر: ذنوبٌ مغفورةٌ:

اختصَّ الله تعالى عبده ورسوله محمداً ﷺ تشريفاً له وتكريماً، بأن غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأخبره بهذه المغفرة وهو حيٌّ صحيحٌ يمشي على الأرضِ.

---

(١) **صحيح**: رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٤٣٣)، [«صحيح الجامع الصغير» (٤٢٢٠)].

(٢) **صحيح**: رواه الطبراني (٦٦٧٤)، [«صحيح الجامع الصغير» (٤٢٢١)].

• قال العز بن عبد السلام -رحمه الله-: (من خصائصه أنه أخبره الله بالمغفرة، ولم يُنْقَلْ أنه أخبر أحداً من الأنبياء بمثل ذلك، بل الظاهر أنه لم يخبرهم، بدليل قولهم في الموقف: نفسي نفسي)[1].

• وقال ابن كثير -رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح:١، ٢]:

هذا من خصائصه ﷺ التي لا يشاركه فيها غيره، وليس في حديث صحيح في ثواب الأعمال لغيرِه، غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهذا فيه تشريفٌ عظيمٌ لرسول الله ﷺ[2].

والأدلة على هذه الخصوصية من الكتاب والسنة:

• قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢﴾ [الفتح].

• وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [الشرح].

• وفي حديث أنس رضي الله عنه في الشفاعة وفيه: «فيأتون عيسى، فيقول: لستُ هُناكم -أي: لست أهلاً لذلك- ولكن ائْتُوا محمداً، عبداً غُفِرَ

(١) «بداية السول» (ص٣٥).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ١٩٨).

له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»[1].

• وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الشفاعة أيضاً وفيه: «... فيأتون عيسى فيقول... اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمدٍ ﷺ، فيأتون محمداً ﷺ فيقولون: يا محمد! أنت رسولُ الله، وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدَّم مِنْ ذنبك وما تأخَّر...»[2].

• وعن عائشة رضي الله عنها؛ أنَّ النبي ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لِمَ تَصنعُ هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «**أفلا أحبُّ أن أكون عبداً شكوراً**»[3].

السادس عشر: مفاتِيحُ خزائن الأرض بيده ﷺ

لقد أكرم الله عبده ورسوله محمداً ﷺ، واختصَّهُ على غيره من الأنبياء بأن أعطاه مفاتيح خزائن الأرض، وهي ما سهل الله تعالى له ولأمته مِنْ بعده مِنَ افتتاح البلاد المتعذِّرات، والحصول على كنوزها وذخائرها ومغانمها، واستخراج الممتنعات من الأرض كمعادن الذهب والفضة وغيرها[4].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٤٧٦)، ومسلم (١٩٣).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٨٣٧)، ومسلم (٢٨٢٠)، واللفظ للبخاري.

(٤) انظر: «فتح الباري» (٢/ ٤٤٢).

ومما يؤيد هذه الخصوصيَّة:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**بُعثتُ بجوامِعِ الكلم، ونُصرتُ بالرعبِ، فبينا أنا نائم أوتيتُ مفاتيح خزائن الأرض فوُضعتْ في يديَّ**»، قال أبو هريرة: «وقد ذهب رسول الله ﷺ وأنتم تنتثلونها»[1].

• قال النووي: «قوله: «تنتثلونها» يعني تستخرجون ما فيها، يعني خزائن الأرض، وما فتح الله على المسلمين من الدنيا»[2].

• عن عقبة رضي الله عنه أن النبي ﷺ خرج يوماً فصلى على أهل أُحُدٍ صلاته على الميت، ثم انصرف على المنبر فقال: «**إني فَرَطٌ لكم، وأنا شهيدٌ عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض** -أو مفاتيح الأرض- **وإني والله ما أخاف عليكم أن تُشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تنافَسُوا فيها**»[3].

• هذه هي خصائص النبي ﷺ التي اختصه بها على سائرِ الأنبياءِ والمرسلين في الدنيا وغيرها كثير.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٩٧٧)، ومسلم (٥٢٣).

(٢) «شرح النووي على مسلم» (٥/ ٥).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٣٤٤)، ومسلم (٢٢٩٦)، واللفظ للبخاري.

• فما هي الخصائص التي اختص الله بها رسوله ﷺ على سائر الأنبياء والمرسلين في الآخرة؟

هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة -إن شاء الله تعالى- إن كان في العمر بقية.

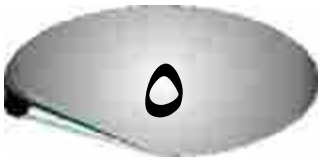

التعرف على خصائصه ﷺ

النوع الثاني: ما اختُصَّ به ﷺ لذاته في الآخرة

• **عباد الله!** يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ٤٧ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ٤٨﴾ [الأحزاب]. ويقول سبحانه: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٣﴾[يوسف].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمَرْجان من قصص القرآن، دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**. والتي نتكلم فيها عن قصةِ نبينا وحبيبنا محمدٍ ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله؟

هي: **خصائصهُ ﷺ التي اختُصَّ بها دونَ غيرِهِ من الأنبياء والرسل في الآخرة.**

قلنا في الجُمع الماضية: إن الله اختص رسوله ﷺ بخصائص، وقد قسم العلماء هذه الخصائص إلى قسمين:

القسم الأول: خصائص اختُصَّ بها رسول الله ﷺ دون غيره من الأنبياء والرسل.

القسم الثاني: ما اختُص به ﷺ مِنَ الخصائص والأحكام دونَ أُمتِهِ.

والقسم الأول ينقسم إلى أربعة أنواع:

النوع الأول: ما اختُص به في ذاته في الدنيا وقد تكلمنا عنه في الجمعتين الماضيتين.

النوع الثاني: ما اختُص به في ذاته في الآخرة وهو الذي سنتكلم عنه في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى-

اختص الله -عز وجل- رسوله محمداً ﷺ بخصائص لذاته في الآخرة، لم يُعطها غيره من الأنبياء. مِمَّا يدل على منزلته ﷺ وعظيم قدْرِهِ عند ربه -تبارك وتعالى- منها:

أولاً: وسيلةٌ وفضيلةٌ:

- الوسيلة أعلى درجةٍ في الجنة، لا ينالها إلا عبدٌ واحدٌ من عباد الله. وهو رسولنا ﷺ.
- والفضيلةُ هي المرتبةُ الزائدة على سائر الخلائق، فمنزلة الوسيلة والفضيلة خاصةٌ برسول الله ﷺ لا يشاركه فيها غيره.
- والأدلة على هذه الخصوصية:

١ - قال ﷺ: «**من قال حين يسمع النداء: اللهم ربَّ هذه الدعوة التامة،**

والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته. حلت له شفاعتي يوم القيامة»[1].

٢- وقال ﷺ: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليَّ، فإنه من صلى عليَّ صلاةً صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلةٌ في الجنة لا تنْبغي إلا لِعَبدٍ من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو. فمن سأل لي الوسيلة حَلَّتْ له الشفاعة**»[2].

٣- وقال ﷺ: «**سلوا الله لي الوسيلة، فإنه لا يسألها لي عبدٌ في الدنيا، إلا كنتُ له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة**»[3].

ثانياً: مقامٌ محمودٌ:

لرسول الله ﷺ يوم القيامة، تشريفاتٌ وتكريماتٌ لا يشركه ولا يساويه فيها أحد الأنبياء. ومن ذلك: المقام المحمود، الذي يقومه ﷺ فيحمده الخالق -عز وجل- والخلائق مِنْ بعده:

• قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [الإسراء].

• قال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: (المقام المحمود: مقام الشفاعة)[4].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦١٤).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٣٨٤).

(٣) **حسن**: رواه ابن أبي شيبة (٢٩٥٩٠)، والطبراني في «الأوسط» (٦٣٣)، والقاضي أبي إسحاق في «فضل الصلاة على النبي» (٤٨)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥٧)].

(٤) الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٤)، وابن كثير (٣/ ٥٨).

• وقال ابن جرير -رحمه الله-: (قال أكثر أهل العلم: ذلك هو المقام الذي يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم[1].

والأدلة من السنة على هذا المقام المحمود:

• قال ﷺ« **إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرقُ نصف الأذن، فبينا هم كذلك استغاثوا بآدم، ثم بموسى، ثم بمحمد ﷺ فيشفعُ ليُقضى بين الخلْقِ، فيَمْشِي حتى يأخذَ بحلقةِ الباب، فيومئذٍ يبعثه الله مقاماً محموداً يحمده أهل الجَمع كُلُّهم**»[2].

• وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: (إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثاً - أي: جماعات- كل أمةٍ تتبَعُ نبيها يقولون: يا فلان! اشفعْ، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود»[3].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ سئل عنها قال: هي الشفاعةُ»[4].

فالمقام المحمود هو الشفاعة العامة لأهل الموقف، وهو خاصٌ لرسولنا

---

(١) الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٤).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (١٤٧٥).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٤٧١٨).

(٤) **صحيح**: رواه الترمذي (٣١٣٧)، وأحمد (٢/ ٤٤١، ٥٢٨)، و[«صحيح سنن الترمذي» (٢٥٠٨)].

ﷺ دون إخوانه من الأنبياء والمرسلين، ولذلك قال ﷺ: «**أعطيت خمساً لم يعطهن أحدٌ قبلي**» وذكر منها: «**وأعطيت الشفاعة**»(١).

ثالثاً: شفاعةٌ عظمى وشفاعات:

يجمع الله -عز وجل- الأولين والآخرين يوم القيامة في صعيدٍ واحد:

- قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ [الواقعة].
- وقال تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾ [الكهف].
- وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾﴾ [الكهف].

أجسادُهم عاريةٌ، أبصارهم خاشعةٌ، قلوبهم واجفةٌ، أقدامهم حافيةٌ، الشمس على رؤوسهم، يلجمهم العرق إلجاماً، ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ [المعارج].

فإذا بلغ الكرب والجهد منهم ما لا طاقة لهم به؛ كلم بعضهم بعضاً في طلب من يَكْرُم على مولاه ليشفع في حقهم، فلم يتعلقوا بنبيٍّ إلا دفعهم، قال: نفسي نفسي! اذهبوا إلى غيري حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ فينطلق. فيشفع حتى يقضي الله -تبارك وتعالى- بين الخلق.

تعالوا بنا لنستمع إلى رسولنا ﷺ وهو يخبرنا عن شفاعته العظمى التي اختصه الله بها يوم القيامة:

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أُتِيَ رسول الله ﷺ بلحمٍ، فرُفع إليه الذراع وكانت تعجبه، فنهش منها نهشةً، ثم قال: «**أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون ممَّ ذلك؟ يجمعُ الله الناس: الأولين والآخرين في صعيدٍ واحدٍ، يُسمعُهُم الداعي، ويُنفُذُهُمُ البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم، فيأتون آدم -عليه السلام-، فيقولون له: أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي نفسي! اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوحٍ. فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح! إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبداً شكوراً، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي -عز وجل- قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوةٌ دعوتها على قومي، نفسي نفسي نفسي! اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم، فيقولون: يا إبراهيم! أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد كنت كذبت ثلاث كذباتٍ،**

فذكرهُنَّ، نفسي نفسي نفسي! اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى فيقولون: يا موسى! أنت رسول الله، فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها، نفسي نفسي نفسي! اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى ابن مريم، فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى! أنت رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه،وكلَّمت الناس في المهد صبياً، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنباً -نفسي نفسي نفسي! اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمدٍ ﷺ، فيأتون محمداً فيقولون: يا محمد! أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه، فأَنطلق فآتي تحت العرش، فأقع ساجداً لربي -عز وجل-، ثم يفتح الله علي من محامده، وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحدٍ قبلي، ثم يقال: يا محمد! ارفع رأسك، سل تُعطه، واشفع تُشفَّع».

وهذه هي الشفاعةُ العظمى وهي إراحة الخلائق من هول الموقف، والفصل بين العباد، وهذه الشفاعة خاصةٌ بالنبي ﷺ، لا يشاركه فيها أحدٌ من الأنبياء، ثم يقول ﷺ: «**فأرفع رأسي فأقول: أمتي يا رب! أمتي يا رب! فيقال: يا محمد!، أَدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن**

من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سِوى ذلك من الأبواب. ثم قال: والذي نفسي بيده! إن ما بين المصراعين من مصاريعِ الجنة كما بين مكة وحِمْيَر، أو كما بين مكة وبُصرى»[1].

ولرسولنا محمدٍ ﷺ شفاعاتٌ أخرى غير الشفاعة العظمى، منها: ما اختُصَّ بها وحده، ومنها: ما شاركه فيها غيره ممن أَذِنَ الله تعالى له من الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين وغيرهم.

• أما الشفاعات التي اختُصَّ بها ﷺ دون غيره فهي:

١- شفاعته ﷺ في استفتاح باب الجنة

ينتقل الناس في عرَصات القيامة من كربٍ إلى كربٍ، فأهوال قبل فصل القضاء فشفاعةٍ عُظمى ثم يُحاسَبُ الناس، وعند ذلك يُنصبُ الميزان، وتطايرُ الصحف، ويكون التمييز بين المؤمنين والمنافقين، ثم يؤذن في نصب الصراط والمرور عليه، ويوقف بعض من نجا عند القنطرة للمُقاصصة بينهم، فإذا انتهى ذلك كله يقوم المؤمنون وتقربُ لهم الجنة فيتطلبون من يَكْرُمُ على مولاه ليشفع لهم في استفتاح باب الجنة، فيأتون آدم، فإبراهيم فموسى، فعيسى -عليهم السلام- وكل منهم يعتذر عن هذا المقام العظيم، فيأتون رسول الله ﷺ فيشفع لهم إلى الله -تبارك وتعالى-.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

• قال ﷺ: «يَجمع الله تبارك وتعالى الناس. فيقوم المؤمنون حتى تُزلفَ لهم الجنة، فيأتون آدم، فيقولون: يا أبانا! استفتح لنا الجنة، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم! لستُ بصاحب ذلك، اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله. قال: فيقول إبراهيم: لست بصاحب ذلك. إنما كنت خليلاً من وراء وراء، اعمدوا إلى موسى ﷺ الذي كلمه الله تكليماً، فيأتون موسى ﷺ فيقول: لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه، فيقول عيسى ﷺ: لست بصاحب ذلك، فيأتون محمداً ﷺ فيقوم فيؤذن له. وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً. فيمر أوَّلكُمُ كالبرقِ؟ قال: قلت بأبي أنت وأمي! أي شيء كمرِّ البرق؟ قال: «ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين؟ ثم كمرِّ الريح، ثم كمرِّ الطير، وشدِّ الرجال -هو العَدْو البالغ والجري- تجري بهم أعمالهم. ونبيكم قائمٌ على الصراط، يقول: ربِّ سَلِّمْ سَلِّم. حتى تعجز أعمال العباد، حتى تجيئ الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً. قال:وفي حافَّتي الصراط كلاليبُ معلقةٌ مأمورةٌ بأخذ من أُمرت به، فمخدوشٌ ناجٍ، ومكدوسٌ -أي: مدفوع من ورائه- في النار»، والذي نفسُ أبي هريرة بيده! إنَّ قعْرَ جهنم لسبعون خريفاً»[1].

• وقال ﷺ: «آتي باب الجنة يوم القيامة، فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟

(١) صحيح: رواه مسلم (١٩٥).

فأقول: محمدٌ، فيقول: بك أُمرتُ لا أفتحُ لأحدٍ قبلك»[1].

٢- شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب:

كان أبو طالب يحوط ابن أخيه رسول الله ﷺ، وينصره ويقوم في صفه، ويبالغ في إكرامه والذبِّ عنه، ويحبه حبًّا شديداً طبْعيّاً لا شرعيًّا، فلما حضرته الوفاة، وحان أجله، دعاه رسول الله ﷺ إلى الإيمان والدخول في الإسلام، فسبق القدر فيه، فاستمر على ما كان عليه من الكفر، ولله الحكمة البالغة. ونظراً لما قام به من أعمال جليلةٍ مع رسول الله ﷺ، جوزي على ذلك بتخفيف العذاب خصوصيَّةً له مِنْ عموم الكفار الذين لا تنفعهم شفاعةُ الشافعين. وذلك إكراماً وتطييباً لقلب رسول الله ﷺ.

قال ابن حجر -رحمه الله-: (الشفاعة لأبي طالب معدودةٌ في خصائص النبي ﷺ)[2].

الأدلة على هذه الشفاعة:

- عن العباس بن عبد المطلب أنه قال: (يا رسول الله! هل نفعتَ أبا طالب بشيءٍ؟ فإنه كان يحوطك ويغضبُ لك! قال: «**نعم، هو في ضحضاحٍ من نار، ولولا أنا لكان في الدَّرْك الأسفل من النار**»)[3].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٧).

(٢) «فتح الباري» (١١/ ٤٣٩).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩).

• وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**أهونُ أهل النار عذاباً أبو طالبٍ، وهو منتعلٌ بنعلين يغلي منهما دماغُهُ**»(١).

• وعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أهون أهل النار عذاباً؛ من له نعلان وشِرَاكانِ مِنْ نار، يغلي منهما دماغهُ كما يغلي المرجلُ، ما يرى أن أحداً أشدُّ منه عذاباً، وإنه لأهونُهُمْ عذاباً**»(٢).

٣- شفاعته ﷺ في تقديم من لا حساب عليهم في دخول الجنة

ومما اختُص به رسولنا ﷺ من الشفاعات: أنه يشفع في تعجيل دخول الجنة لمن لا حساب عليهم من أمته. وهذا من عظيم قدره ﷺ، ورِفعة منزلته عند ربه -تبارك وتعالى-، وقد جاءت الأحاديث النبوية تنص على هذه الشفاعة:

• ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه الطويل في الشفاعة: «... **يا محمد! ارفعْ رأسكَ، سَلْ تُعطَهْ، واشفعْ تُشَفَّعْ، فأرفعُ رأسي فأقول: أمتي يا رب! أمتي يا رب! فيقول: يا محمد! أَدخِل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن مِنْ أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سِوَى ذلك من الأبواب**»(٣).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢١٢).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٥٦٢)، ومسلم (٢١٣)، واللفظ لمسلم.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

• وقال ﷺ: «**يدخل الجنة مِنْ أمتي سبعون ألفاً بغير حساب**» قالوا: من هم؟ يا رسول الله! قال: «**هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون**»(١).

• وليس هذا فقط، بل قال ﷺ: «**وعدني ربي أن يُدخل الجنة من أُمَّتي سبعين ألفاً، لا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفاً، وثلاث حثَيات من حثيات ربي**»(٢).

وله ﷺ شفاعات أخرى:

منها: شفاعته ﷺ في أقوامٍ تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فيشفع لهم ليدخلوا الجنة، وفي أقوامٍ آخرين قد أُمِر بهم إلى النار أن لا يدخلوها.

ومنها: شفاعته ﷺ في رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم.

ومنها: شفاعته ﷺ في أهل الكبائر ممن دخل النار فيخرجون منها.

• قال ﷺ: «**لكل نبيٍّ دعوةٌ مستجابةٌ فتعجَّل كلُّ نبيٍّ دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة**»(٣).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢١٨)، واللفظ لمسلم.

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٤٣٧)، وابن ماجه (٤٢٨٦)، وأحمد (٥/ ٢٦٨)، [«صحيح سنن الترمذي» (٣٦١٤)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٣٠٤)، ومسلم (١٩٩)، واللفظ لمسلم.

• **عباد الله!** مَن أسعد الناس بشفاعته ﷺ يوم القيامة؟

وما هي الوسائل التي بها يتحصل الإنسان على شفاعته ﷺ يوم القيامة؟

هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة -إن شاء الله تعالى- إن كان في العمر بقية.

وسائل الحصول على شفاعة الرسول ﷺ (*)

• **عباد الله!** يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء]. ويقول سبحانه: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾ [الأحزاب:٦]. ويقول -عز وجل-: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ﴾ [آل عمران:٦٢].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمَرْجان من قصص القرآن، دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**. والتي نتكلم فيها عن قصةِ نبينا وحبيبنا محمدٍ ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: وسائل الحصولِ على شفاعة الرسول ﷺ.

لقد قلنا في الجمعة الماضية إن الله -عز وجل- اختص رسوله ﷺ في الآخرة بخصائص دون الأنبياء والرسل ومنها: الشفاعة العظمى وشفاعات أخرى غير الشفاعة العظمى.

• الشفاعة في الآخرة جاءت في كتاب الله مثبتةً ومنفيةً.

(*) انظر: كتاب «الأربعون المنبرية في أشراط الساعة والأمور الأخروية» (ص٢٧٨، ٢٨٧)، لشيخي عبد العظيم بدوي -حفظه الله-.

• أما المنفية فهي في قوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾ [غافر].

وفي قوله سبحانه: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر].

• وأما المثبتة فهي في قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥].

وفي قوله سبحانه: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨]. وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه].

والناس في الشفاعة في الآخرة ثلاثة أقسامٍ: طرفان مذمومان ووسطٌ محمود.

أما الطرف الأول: فهم الذين غَلَوا في إثبات الشفاعة وأفرطوا فيها.

وأما الطرف الثاني: فهم الذين غلوا في نفيها وأفرطوا فيه.

وأما الوسط المحمود: فهم أهل السنة والجماعة الذين أثبتوا ما أثبته الله تعالى، ونفوا ما نفاه.

• فأما الذين أفرطوا في إثبات الشفاعة فهم المشركون، ومن قلَّدهم من جهَلةِ المسلمين، الذين غلوا في الأولياء والصالحين، فاعتقدوا شفاعتهم لهم، وتعلقوا بهم، ولم يخطرْ ببالهم أن تُرَدَّ أبداً، وقد أبطل الله تعالى قولهم، وأنكر عليهم مُعْتَقَدَهم.

• فقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس].

• وقال تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الزمر].

فأخبر سبحانه أن الشفاعة لمن له ملكُ السموات والأرض، وهو الله وحده: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾، فلا يشفع أحدٌ عنده سبحانه إلا بإذنه، ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥]. ولا يشفع أحدٌ في أحدٍ إلا إذا رضي الله عن المشفوع فيه ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨]، وهذا ضد الشفاعة الشركية التي أثبتها هؤلاء المشركون ومن وافقهم، وهي التي أبطلها الله سبحانه في كتابه بقوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [البقرة].

وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ﴾ [البقرة].

• قد اعترف القوم بخيبة آمالهم، وضياعِ رجائهم، وبُطلانِ ظنِّهم في شفاعة أوليائهم، كما قال تعالى: ﴿ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الشعراء].

• وقد أخبرنا الله -عز وجل- في كتابه عن ندم هؤلاء وخيبتهم وحسرتهم يوم القيامة، عندما لم يجدوا هؤلاء الشفعاء الذين تعلقوا بهم:

قال تعالى: ﴿هَلْ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام].

وقد قابل هذا الطرفَ الذي غلا في إثبات الشفاعة طرفٌ آخر من الفرق الضالة من المسلمين، كالمعتزلة والخوارج فأفرطوا في نفي الشفاعة، حتى نفوها عن عصاة المسلمين، وكفروا المسلم بالكبيرة، وحكموا عليه بالخلود في النار، وقالوا لا يخرج من النار أحدٌ دخلها أبداً، واستدلوا على ضلالهم بآياتٍ من كتاب الله نزلت في الكفار فجعلوها على المسلمين.

- كقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر].
- وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ [المائدة].
- **فدليلهم الأول**: وهو قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾، جاء عقب قوله تعالى حكايةً عن أهل النار: ﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ [المدثر].

فقال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾، «أي: من كان متصفاً بمثل هذه الصفات فإنه لا تنفعه يوم القيامة شفاعة شافعٍ، لأن الشفاعة إنما تنجع إذا

كان المحل قابلاً، فأما من وافى الله كافراً يوم القيامة فإن له النار لا محالة خالداً فيها»[1].

• **ودليلهم الثاني**: وهو قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ [المائدة]، وهذه أيضاً في الكافرين، وما قبلها يوضحها فقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ [المائدة]، وبهذا يظهر بطلان قول الخوارج والمعتزلة، كما ظهر بطلان قول المشركين.

وأما الوسط المحمود فهو ما عليه أهل السنة والجماعة من إثبات ما أثبته الله تعالى من الشفاعة ونفي ما نفاه.

فالشفاعة يوم القيامة كلها لله: قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٤٤].

فعلى المسلم أن يعلم أن الشفاعة المقبولة عند الله يوم القيامة هي التي تتوفر فيها الشروط التالية:

أولاً: لا يشفع أحدٌ يوم القيامة عند الله إلا بعد أن يأذن الله له ولو كان من أولي العزم.

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٤٤٧).

قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥]. أي: لا أحد يشفع عند الله يوم القيامة إلا بإذنه.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه].

فهذا رسولنا ﷺ لا يتقدم ليشفع لأحدٍ يوم القيامة إلا بعد أن يسجد لله، فيأذن له بذلك فيقال له: «**يا محمدُ! ارفعْ رأسكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشفعْ تشفع**»[1].

ثانياً: لا يشفع أحدٌ يوم القيامة في أحد إلا إذا رضي الله عن المشفوع فيه:

قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨]. وقال تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم].

ثالثاً: لا يشفع يوم القيامة أحدٌ في أحدٍ مات على الكفر أو على الشرك ليخرج من النار وذلك لأمور:

١- لأن الله -عز وجل- أعد النار للكافرين والمشركين:

قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [آل عمران]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾ [الأحزاب]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ [البينة].

٢- لأن الله -عز وجل- حرم الجنة على المشركين قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٥٦٥)، ومسلم (١٩٤).

ومن الأمثلة على ذلك:

- فهذا إبراهيم عليه السلام من أولي العزم ومع ذلك لم يشفع لأبيه آزر يوم القيامة لأنه مات كافراً.
- وهذا رسولنا ﷺ لم يشفع لعمه أبي طالبٍ في الخروج من النار لأنه مات كافراً، ولكن شفع له فقط في تخفيف العذاب.
- فالشفاعة تطلب من الله وحده بشروطها، والشفعاء يوم القيامة كثيرون: تشفع الملائكة، ويشفع النبيون، ويشفع العلماء الربانيون، ويشفع الشهداء المخلصون، ويشفع من أذن الله تعالى له من سائر المؤمنين الصالحين، ولكن أكثر الشافعين حظاً، وأوفرهم نصيباً، سيد الأولين والآخرين، وخليل رب العالمين، محمدٌ الأمين ﷺ فهو ﷺ صاحب الشفاعة العظمى، والمقام المحمود الذي يغبطه عليه النبيون والمرسلون.
- قال ﷺ: «**أُعطيتُ خَمَساً لم يُعطهنَّ أحدٌ قبلي**»، وذكر منها: «**وأُعطيتُ الشفاعةَ**»[1].
- وقال ﷺ: «**لكل نبيٍّ دعوةٌ مستجابةٌ فتعجَّل كلُّ نبيٍّ دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة**»[2].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٣٠٤)، ومسلم (١٩٩) واللفظ لمسلم.

• فما هي الوسائل التي يتحصل بها المسلم على شفاعة الرسول ﷺ؟

أولاً: التوحيد الخالص لله -عز وجل- في جميع العبادات:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قيل يا رسول الله! من أسعدُ الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال ﷺ: «**لقد ظننتُ يا أبا هريرةَ أن لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أوَّلُ منكَ، لما رأيتُ من حرصِكَ على الحديث، أسعدُ الناسِ بشفاعتي يوم القيامةِ من قال: لا إله إلا الله خالِصاً من قلبِهِ أو نفسِهِ**»(١).

كيف لا؟ والله -عز وجل- يقول لرسوله ﷺ: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾ [الزمر:٢-٣]. ويقول له أيضاً: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣]. ويقول سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة].

فالموحد هو أسعد الناس يوم القيامة بشفاعة النبي ﷺ.

ثانياً: الابتعاد عن كل مظاهر الشرك عامةً، وعن الشرك الأكبر خاصةً.

• قال ﷺ: «**لكل نبيٍّ دعوةٌ مُستجابةٌ، فتعجَّلَ كلُّ نبيٍّ دعوتَهُ، وإني اختبأتُ دعوتي شفاعةً لأُمتي يومَ القيامة، فهي نائِلةٌ -إن شاء الله- مَن مات مِنْ أمتي لا يُشرك بالله شيئاً**»(٢).

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٩٩).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٣٠٤)، ومسلم (١٩٩)، واللفظ لمسلم.

• وقال ﷺ: «**أتاني آتٍ مِنْ عند ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة، فاخترتُ الشفاعة وهي لِمَنْ مات لا يشرك بالله شيئاً**»(١).

• وهذا يدل على خطورة الشرك.

كيف لا؟ والله -عز وجل- يخبرنا في كتابه أن الشرك ظلمٌ عظيم، قال تعالى: ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان].

ويخبرنا أن الشرك يحبط الأعمال، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام]. ويخبرنا أن الشرك لا يغفره أبداً، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٨].

ويقول رب العزة في الحديث القدسي: «**يا ابن آدم! إنك لو أتيتني بِقُرابِ الأرض خطايا، ثم لقيتَني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقُرابها مغفرة**»(٢).

ويخبرنا أن الشرك سبب لدخول النار. قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة:٧٢].

ثالثاً: الدعاء للنبي ﷺ بالوسيلة عَقِبَ كل أذان

قال ﷺ: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليَّ، فإنه من صلى عليَّ صلاةً صلى الله عليه بها عشْراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها**

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٤٤١)، وأحمد (٦/ ٢٣، ٢٨)، و[«صحيح سنن الترمذي» (١٩٨٦)].
(٢) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٣٥٤٠)، [«السلسلة الصحيحة» (١٢٧)].

منزلةٌ في الجنة لا تنبغي إلا لعبدٍ من عباد الله، وأرجوا أن أكون أنا هو. فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة»[1].

وقال ﷺ: «**سلوا الله لي الوسيلة، فإنه لا يسألها لي عبدٌ في الدنيا، إلا كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة**»[2].

رابعاً: كثرة الصلاة

عن ربيعة بن كعب الأسلمي قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوَضوئه وحاجته، فقال لي: سلْ. فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، قال: «**أوَ غير ذلك؟**»، قلت: هو ذاك، قال: «**فأعِني على نفسك بكثرة السجود**»[3].

خامساً: سُكنى مدينة رسول الله ﷺ، والصبر على ما يصيب الإنسان فيها من الشدة

قال رسول الله ﷺ: «**المدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون. لا يدَعها أحدٌ رغبةً عنها إلا أبدل الله فيها من هو خيرٌ منه. ولا يثبت أحدٌ على لأْوائِها -أي: شدتها- وجَهدِها إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة**»[4].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٣٨٤).

(٢) **حسن**: رواه ابن أبي شيبة (٢٩٥٩٠)، والطبراني في «الأوسط» (٦٣٣)، والقاضي أبي إسحاق في «فضل الصلاة على النبي» (٤٨)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥٧)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٤٨٩).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (١٣٦٣).

سادساً: الموت بالمدينة

قال ﷺ: «**من استطاعَ أن يموتَ، بالمدينةِ فليَمُتْ بها؛ فإني أشفعُ لِمَنْ يموت بها**»[1].

اللهم ارزقنا شهادة في سبيلك، وموتاً في مدينة رسولك ﷺ.

هذه هي خصائصه ﷺ التي اختصه الله بها دون الأنبياء والرسل في الدنيا والآخرة، فما هي الخصائص التي اختصَّ الله بها رسوله ﷺ في أمته في الدنيا دون الأنبياء والرسل؟ هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة -إن شاء الله تعالى-

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٩١٧)، وابن ماجه (٣١١٢)، وأحمد (٢/ ١٠٤)، و[«السلسلة الصحيحة» (٢٩٢٨)].

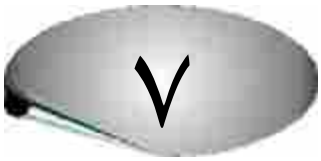

النوعُ الثالثُ: ما اختُصَّ به ﷺ في أمته في الدنيا

• **عباد الله!** يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران]. ويقول سبحانه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة]. ويقول -عز وجل-: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾[يوسف].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمَرْجان من قصص القرآن، دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**. والتي نتكلم فيها عن قصةِ نبينا وحبيبنا محمدٍ ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **ما اختُص به ﷺ في أمته في الدنيا**.

لقد قلنا في الجُمع الماضية: إن الله اختص رسوله ﷺ بخصائص، وقد قسَّمَ العلماء هذه الخصائص إلى قسمين:

القسم الأول: خصائص اختُصَّ بها رسول الله ﷺ دون غيره من الأنبياء والرسل.

القسم الثاني: ما اختُص به ﷺ من الخصائص والأحكام دون أُمتِهِ.

والقسم الأول: ينقسم إلى أربعة أقسام:

النوع الأول: ما اختُص به في ذاته في الدنيا

النوع الثاني: ما اختُص به ﷺ في ذاته في الآخرة، وقد تكلمنا عن هذين النوعين في الجمع الماضية.

النوع الثالث: ما اختُص به ﷺ في أمته في الدنيا، وهذا الذي سنتكلم عنه في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى-

عبد الله! فضَّل الله -عز وجل- هذه الأمة على سائر الأمم، واختصها بكراماتٍ كثيرةٍ في الدنيا ليست لغيرها، وذلك إكراماً وتشريفاً لنبيها ﷺ سيد الأولين والآخِرين. وإنما نالت هذه الأمة ما نالته من تكريمٍ وتشريفٍ باتباعها لرسولها محمد ﷺ، والسير على سنته والعمل بشريعته.

ومن هذه الخصائص:

أولاً: أنها خير الأمم

شَرَّف -الله تعالى- هذه الأمة ورفع ذكرها واصطفاها على غيرها، فجعلها خير الأمم وأكرمها عليه.

فقال -عز وجل- ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[آل عمران:١١٠].

وإنما حازت هذه الأمة هذا الخير بنبيها محمدٍ -صلوات الله وسلامه عليه- فإنه أشرف خلْقِ الله، وأكرمُ الرسل على الله؛ بعثه الله بشرعٍ كاملٍ عظيم لم يُعْطَهُ نبي قبله، ولا رسولٌ من الرسل، فالعمل على منهاجِهِ وسبيله يقوم القليل منه ما لا يقوم العمل الكثير من أعمال غيرهم مقامه.

وقد جاءت الآيات والأحاديث تدل على ذلك:

- قال تعالى: ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨].
- وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣].
- عن بَهْز بن حكيمٍ عن أبيه عن جده أنه سمع النبي ﷺ يقول في قوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾. قال: «**إنكم تُتِمُّونَ سبعينَ أمةً، أنتم خيرُها وأكرمُها على الله**»(١).
- عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُعطيتُ ما لم يُعطَ أحدٌ من الأنبياء**» فقلنا: يا رسول الله ما هو؟ وذكر منها: «**وجُعِلت أمتي خَيرَ الأمم**»(٢).

---

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٣٠٠١)، وابن ماجه (٤٢٨٨)، وأحمد (٤/ ٤٤٧)، [«صحيح سنن الترمذي» (٢٣٩٩)]، واللفظ للترمذي.

(٢) **حسن**: رواه أحمد (١/ ٩٨)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٩٣٩)].

• فيا أمة الإسلام! جعلكم الله خير الأمم، ما الذي أصابكم؟ وما الذي نزل بكم؟

رأى الفاروق عمر ﷺ في حجّةٍ حَجّها من الناس رِعةً سيئة فقرأ هذه الآية: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ ثم قال: (مَن سَرَّه أن يكون من تلك هذه الأمة، فَلْيؤدّ شرط الله منها)[1].

ثانياً: أُحِلتْ لها الغنائم

كانت الأمم فيمن قبلنا على ضربين: فمنهم من لم يؤذن له في الجهاد فلم تكن لهم غنائم، ومنهم من أُذِنَ له فيه فكانوا يغزون ويجاهدون ويأخذون أموال أعدائهم وأسلابهم، لكن لا يتصرفون فيها بل يجمعونها، وعلامةُ قبول غزوهم ذلك أن تنزل النارُ مِنَ السماءِ فتأكلها، وعلامَةُ عدم قبوله أن لا تنزل، ومن أسباب عدم القبول أن يقع فيهم الغلول، وقد من الله تعالى على هذه الأمة ورحمها وجبر عجزها وضعفها لشرف نبيها عنده، فأحل لهم الغنائم، وستر عليهم الغلول، فطوى عنهم فضيحة أمر عدم القبول، فلله الحمد على نعمه تترى، وآلائه لا تحصى.

قال تعالى: ﴿لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنفال].

قال جمهور المفسرين: إن المراد في قوله تعالى: ﴿لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ يعني في أم الكتاب الأول: إن الغنائم حلالٌ لهذه الأمة[2].

(١) «تفسير ابن جرير» (٧/ ١٠٢) طبعة أحمد شاكر، والرِعَة الهدي والهيئة؛ أي وجد سوء هيئة.
(٢) «تفسير ابن جرير» (١١/ ٢٧١)، «تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٣٩).

وهذه أدلةٌ من السنة تدل على هذه الخصوصية:

- عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أعطيت خمساً لم يعطهن أحدٌ قبلي**» وذكر منها: «**وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحدٍ قبلي**»(١).
- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**غزا نبيٌّ من الأنبياء، فقال لقومه: لا يَتْبعني رجلٌ قد ملكَ بُضع امرأةٍ، وهو يريد أن يبني بها، ولما يبْنِ، ولا آخرُ قد بنى بنياناً ولّما يَرفَعْ سُقُفَها، ولا آخرُ قد اشترى غنماً أو خَلِفاتٍ، وهو مُنتظرٌ وِلادَها، قال: فغزا. فأدنى للقرية حين صلاة العصر أو قريباً من ذلك، فقال للشمس: أنتِ مأمورةٌ، وأنا مأمورٌ، اللهمَّ احْبِسها عليَّ شيئاً، فحُبِسَتْ عليه حتى فتحَ اللهُ عليه، قال: فجمعوا ما غَنِموا، فأقبلتْ النارُ لتأكُلَهُ فأبتْ أن تَطْعَمَهُ، فقال: فيكم غُلُولٌ، فليُبايعني من كل قبيلةٍ رَجُلٌ، فبايعوهُ. فلصقت يدُ رجلٍ بيده، فقال: فيكم الغُلولُ. فلتبايعني قبيلتُكَ. فبايعته، قال: فلصقتْ بيد رجُلينِ أو ثلاثةٍ. فقال: فيكم الغلولُ، أنتمْ غللتُم، قال: فأخرجوا له مثل رأسِ بقرةٍ من ذهبٍ. قال: فوضعوه في المال وهو بالصعيد، فأقبلتْ النارُ فأكلته. فلم تَحِلَّ الغنائمُ لأحدٍ من قبلنا. ذلك بأنَّ الله تبارك وتعالى رأى ضَعفنا وعجْزنا، فطيَّبها لنا**»(٢).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣١٢٤)، ومسلم (١٧٤٧).

ثالثاً: جعلت لها الأرض مسجداً وطهوراً.

اختص الله -تبارك وتعالى- هذه الأمة من بين سائر الأمم، فجعل لها الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجلٍ منها أدركته الصلاة فلم يجد ماءً ولا مسجداً فعنده طهوره ومسجده، يتيمم ويصلي بخلاف الأمم قبلنا، فإن الصلاة أبيحت لهم في أماكن مخصوصة كالبِيَعِ والصوامع.

والدليل على ذلك:

- عن جابرٍ رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**أُعطيتُ خَمساً لم يُعطهنَّ أحدٌ قبلي**» وذكر منها: «**وجُعلتْ لي الأرضُ مسجداً وطهوراً، فأيُّما رجلٍ من أمتي أدركتهُ الصلاةُ فليصلِّ**»[1].
- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ -عام غزوة تبوك- قام من الليل يصلي، فاجتمع وراءه رجالٌ من أصحابه يحرسونه، حتى إذا صلى، انصرف إليهم فقال لهم: «**لقد أُعطيتُ الليلةَ خمساً ما أُعطيهنَّ أحدٌ قبلي**» وذكر منها: «**وجُعلتْ لي الأرضُ مساجِدَ وطهوراً، أينما أدركتني الصلاةُ تمسَّحتُ وصلّيتُ وكان مَن قبلي يُعظِّمون ذلك، إنما كانوا يُصلّون في كنائسهم وبِيعِهِم**»[2].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

(٢) **حسن**: رواه أحمد (٢/ ٢٢٢)، و[«إرواء الغليل» (١/ ٣١٧)].

رابعاً: جعلت صفوفها في الصلاة كصفوف الملائكة:

خص الله -عز وجل- هذه الأمة إكراماً لها على سائر الأمم، بأن جعل صفوفها في الصلاة كصفوف الملائكة.

- قال ﷺ: «**فُضِّلْنا على الناس بثلاثٍ**» وذكر منها: «**جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة**»(١).

- وعن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فرآنا حِلقاً. فقال ﷺ: «**مالي أراكُمْ عِزِينَ؟**» -أي: متفرقين- ثم خرج علينا فقال: «**ألا تَصفُّونَ كما تصفُّ الملائكة عند ربها؟**» فقلنا يا رسول الله! وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: «**يُتِمُّون الصفوف الأُوَلَ. ويتراصونَ في الصف**»(٢).

خامساً: وضع الله عنها الآصار والأغلال التي كانت على الأمم قبلها

ومن رحمة الله -تعالى- وكرمه بهذه الأمة المحمدية أن وضع عنها الآصار -أي: العهد الثقيل- والأغلال -أي: الأثقال- التي كانت على الأمم قبلها، فأحل لها كثيراً مما حُرِّمَ على غيرها، ولم يجعل عليها من عنتٍ وشدةٍ.

- قال تعالى: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[الحج:٧٨].

- وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[البقرة:١٨٥].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٥٢٢).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٤٣٠).

• فشريعته ﷺ أكمل الشرائع وأسهلها وأيسرها.

• قال ﷺ: «... **إنّي أُرْسِلتُ بحنيفيَّةٍ سَمْحةٍ**»(١).

• وقال ﷺ لمعاذٍ وأبي موسى رضي الله عنهما حين بعثهما إلى اليمن: «**يسِّرا ولا تُعسِّرا وبشِّرا ولا تُنَفِّرا**»(٢).

• ومن الأدلة من السنة التي تشير إلى اختصاص أمة الإسلام بوضع الآصار والأغلال عنها:

• عن أنس رضي الله عنه أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم، لم يؤاكلوها، ولم يجامعوهن في البيوت -أي: لم يخالطوهن ولم يساكنوهن في بيت واحد- فسأل أصحاب النبي ﷺ النبي ﷺ. فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾ [البقرة:٢٢٢].

فقال رسول الله ﷺ: «**اصنعوا كل شيءٍ إلا النكاح**» فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريدُ هذا الرجلُ أن يدعَ من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه(٣).

• وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان في بني إسرائيل القِصاص في القتلى، ولم يكن فيهم الدِّيةُ فقال الله تعالى لهذه الأمة: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ﴾[البقرة:١٧٨]، **فالعفو أن**

---

(١) **حسن**: رواه أحمد (٦/ ١١٦، ٢٣٣)، [«السلسة الصحيحة» (١٨٢٩)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٠٣٨)، ومسلم (١٧٣٣).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٣٠٢).

يقبل الدية في العَمْدِ، ذلك تخفيفٌ من ربكم ورحمةٌ مما كُتبَ على من كان قبلكم)[1].

• وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كانت بنو إسرائيل إذا أصاب أحدُهم ذنباً أصبح قد كُتب كفارة ذلك الذنب على بابه، وإذا أصاب البَوْلُ شيئاً منه قَرَضهُ بالمقراض، فقال رجلٌ: لقد آتى الله بني إسرائيل خيراً.

فقال عبد الله: ما آتاكم الله خيرٌ مما آتاهم: جعل الله الماء لكم طهوراً وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران:١٣٥]. وقال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء][2].

سادساً: تجاوز الله - عز وجل - لها عن الخطأ والنسيان وحديث النفس

أنعم الله -تبارك وتعالى- على أمة الإسلام بنعم كثيرةٍ لا تعد ولا تحصى، وفي ذلك تكريمٌ لنبيها محمدٍ ﷺ، ومن هذه النعم: أنه تجاوز لها عما صدر منها على سبيل الخطأِ والنسيان، وتجاوز لها عما حدَّثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم.

والأدلة على ذلك كثيرةٌ:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تجاوز لأمتي ما**

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤٤٩٨).

(٢) «تفسير ابن جرير» (٧/ ٤٧٥).

حدَّثتْ به أنفُسَها ما لم يَتكلّموا أو يعملوا به»[1].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ [البقرة].

قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الرُّكب. فقالوا: أي رسول الله! كُلِّفنا من الأعمال ما نطيق. الصلاة والصيام والجهاد والصدقة. وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقُها.

قال رسول الله ﷺ: «**أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا:** ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة]، قالوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾. فلما اقترأها القوم ذلت بها ألسنتهم. فأنزل الله في إثْرها ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة]. فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فأنزل الله -عز وجل-: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة]

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٦٦٤)، ومسلم (١٢٧) واللفظ لمسلم.

(قال: نعم)[1].

• عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى تجاوزَ لي عن أُمتي الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه**»[2].

سابعاً: لا تجتمع على ضلالة، وطائفةٌ منها على الحق

أكرم الله -تبارك وتعالى- الأمة المحمدية في الدنيا بكراماتٍ كثيرةٍ منها: ضمان العصمة لهم من الخطأ عند اجتماعهم تشريفاً وتعظيماً لنبيهم ﷺ، ومنها وجود طائفةٍ منهم على الحق والهدى في كل زمانٍ، ظاهرين لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك.

• قال ﷺ: «**إن الله تعالى قد أجارَ أمتي أن تجتمع على ضلالة**»[3].

• وقال ﷺ: «**إن الله لا يَجمعُ أمتي أو قال أمة محمدٍ ﷺ على ضلالةٍ، ويدُ اللهِ مع الجماعة**»[4].

• وقال ﷺ: «**لا تزال طائفةٌ من أمتي ظاهرين على الحقِّ، لا يضرُّهُمْ من خَذَلَهُم حتى يأتي أمرُ الله وهم كذلك**»[5].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٢٥).

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٢٠٤٤)، وابن أبي شيبة (١٩٠٥١)، والحاكم (٢٧٥٢)، وابن حبان (٧٢١٩)، [«إرواء الغليل» (١/ ١٢٣)].

(٣) **حسن**: رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٧٠)، والضياء في «الأحاديث المختارة» (٢٥٥٩)، [«السلسلة الصحيحة» (١٣٣١)].

(٤) **صحيح**: رواه الترمذي (٢١٦٧)، [«صحيح الجامع الصغير» (١٨٤٨)].

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٤١)، ومسلم (١٩٢٠) واللفظ لمسلم.

• عن عبد الله بن مسعودٍ ﷺ قال: (إن الله -عز وجل- نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمدٍ ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه، وابتعثه برسالاته، ثم نظر في قلوب العباد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه ﷺ، يقاتلون عن دينه، فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسنٌ، وما رآه المسلمون سيئاً فهو عند الله سيءٌ)[1].

ثامناً: اختصاصها بيوم الجمعة:

اختُصت الأمة المحمدية بخصائص كثيرةٍ في الدنيا لم تُعطها غيرها من الأمم. ومن ذلك يوم الجمعة، سيد الأيام، خير يومٍ طلعت فيه الشمس، فيه خُلِقَ آدم عليه السلام، وفيه أدخل الجنة وفيه أُخرج منها، وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة لا يوافقها عبدٌ مسلمٌ يسأل الله خيراً إلا أعطاه ما سأل، وفيه صلاة الجمعة التي أمر الله بالسعي إليها في كتابه العزيز فقال عز من قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩﴾ [الجمعة].

فهذا اليوم المبارك اختلفت فيه الأمم مِنْ قبلنا، فهدانا الله له، وأضل الناس عنه فهو لنا، ولليهود السبتُ، وللنصارى الأحد.

• قال ﷺ: «**خيرُ يومٍ طلعت عليه الشمسُ يوم الجمعة**»[2].

---

(١) **حسن الإسناد**: رواه أحمد (١/ ٣٧٩).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٨٥٤).

• وقال ﷺ: «**أضلَّ اللهُ عن الجمعة من كان قبلنا. فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يومُ الأحدِ، فجاء الله بنا، فهدانا الله ليوم الجمعة، فجعل الجمعة والسبت والأحد. وكذلك هم تَبَعٌ لنا يومَ القيامةِ، نحنُ الآخِرونَ في أهل الدنيا، والأولونَ يوم القيامةِ، المَقْضِيُّ لهم قبل الخلائقِ**»[1]. فالحمد لله على نعمة الإسلام والسنة.

تاسعاً: أن الله حفظها من الهلاك والاستئصال:

الأمة المحمدية أمةٌ مصونةٌ مرحومةٌ، حفظها الله وأجارها، فلا تهلك بالسنين ولا بجوع ولا غرقٍ، ولا يسلِّط عليها عدواً من غيرها، فيستبيحُ بَيضتها ويستأصلها، ولو اجتمع عليها مَن بأقطارها، وهذا من خصائصها التي انفردت بها على غيرها.

• قال رسول الله ﷺ: «**إن الله زوى لي الأرض. فرأيتُ مشارقها ومغارِبها، وإن أمتي سيبلغُ مُلْكها ما زُوِيَ لي منها، وأعطيتُ الكنزيْنِ: الأحمرَ والأبيضَ** -أي: كنزا كسرى وقيصر- **وإني سألتُ ربي لأمتي أن لا يُهلكها بسنةٍ عامةٍ، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم، فيستبيحُ بيضتهُم، وإن ربي قال: يا محمدُ! إني إذا قضيتُ قضاءً فإنه لا يُردُّ. وإنِّي أعطيتكَ لأمتكَ أن لا أُهلكهم بسنةٍ عامةٍ، وأن لا أسلّط عليهم عدواً من سوى أنفسِهم يستبيح**

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٨٥٦).

بيضتهم. ولو اجتمع عليهم مَن بأقطارها»[1].

• وقال ﷺ: «**سألت ربي ثلاثاً. فأعطاني ثنْتَينِ ومنعني واحدةً، سألت ربي أن لا يُهلك أُمتي بالسَّنَةِ فأعطانيها، وسألته أن لا يُهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسَهُم بينهم فمنعنيها**»[2].

عاشراً: الأمة المحمدية شهداءُ الله في الأرض:

فضل الله -تبارك وتعالى- هذه الأمة، ورفع ذكرها، وزكاها بأن أضافها إليه إضافةَ تشريفٍ وتكريمٍ، فقبل منها قولها وشهادتها، وذلك لعظم مكانتها ومنزلتها عنده.

ومما يدل على هذه الخصوصية:

• عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: مُرَّ بجنازةٍ فأُثني عليها خيراً. فقال نبي الله ﷺ: «**وَجبتْ وَجبتْ وَجبتْ**» ومُرَّ بجنازةٍ فأُثني عليها شراً. فقال نبي الله ﷺ: «**وَجبتْ وَجبتْ وَجبتْ**» قال عمر: فدىً لك أبي وأمي! مُرَّ بجنازةٍ فأُثنيَ عليها خيرٌ فقلتَ: وَجبتْ وَجبتْ وَجَبتْ.

ومُرَّ بجازةٍ فأُثنى عليها شرٌ فقلت: وَجبت وَجَبتْ وَجَبتْ؟ فقال رسول الله ﷺ: «**من أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شراً وجبت له النار. أنتم شهداء الله في الأرض. أنتم شهداء الله في الأرض. أنتم**

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٨٩)، والترمذي (٢١٧٦)، واللفظ للترمذي.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٩٠).

شهداء الله في الأرض»[1].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: مَرّوا بجنازةٍ على النبي ﷺ فأثنوا عليها خيراً، فقال النبي ﷺ: «**وَجبتْ**»، ثم مَرّوا بجنازةٍ أخرى، فأثنوا عليها شراً. فقال النبي ﷺ: «**وَجبتْ**» قالوا يا رسول الله! قولك الأولى والأخرى وجبت!

فقال ﷺ: «**الملائكةُ شهداءُ الله في السماء، وأنتم شهداءُ الله في الأرض**»[2].

هذه هي الخصائص التي اختُص بها ﷺ في أمته في الدنيا، فما هي الخصائص التي اختُص بها ﷺ في أمته في الآخرة؟ هذا الذي سنعرفه -إن شاء الله تعالى- في الجمعة القادمة إن كان في العمر بقية.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٣٦٧)، ومسلم (٩٤٩) واللفظ لمسلم.

(٢) **صحيح**: رواه النسائي (١٩٣٣)، [«صحيح الجامع الصغير» (٦٧٢٨)].

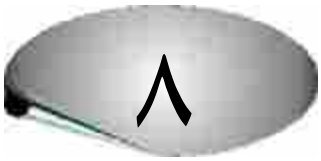

النوع الرابع: ما اختُصَّ به ﷺ في أمته في الآخرة

• **عباد الله!** يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ٤٧ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ٤٨﴾ [الأحزاب]. ويقول سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾ [البقرة:١٤٣]. وقال تعالى: ﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦﴾[الأعراف].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمَرْجان من قصص القرآن، دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**. والتي نتكلم فيها عن قصةِ نبينا وحبيبنا محمدٍ ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **ما اختُصَّ به ﷺ في أمته في الآخرة.**

لقد قلنا في الجُمع الماضية: إن الله اختص رسوله ﷺ بخصائص. وقد قسَّم العلماء هذه الخصائص إلى قسمين:

القسم الأول: ما اختُص به ﷺ دون غيره من الأنبياء والرسل.

القسم الثاني: ما اختُص به ﷺ دون أمته.

وقلنا: إن القسم الأول: ينقسم إلى أربعة أنواع:

النوع الأول: ما اختُص به ﷺ في ذاته في الدنيا.

النوع الثاني: ما اختُص به ﷺ في ذاته في الآخرة.

النوع الثالث: ما اختُص به ﷺ في أمته في الدنيا.

وقد تكلمنا عن هذه الأنواع الثلاثة في الجمع الماضية.

النوع الرابع: ما اختُص به ﷺ في أمته في الآخرة.

وهذا الذي سنتكلم عنه في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى.

اختُص الله -تبارك وتعالى- الأمة المحمدية في الآخرة بخصائص كثيرةٍ لم تُعطَها غيرها من الأمم، وفي ذلك تشريفٌ وتكريمٌ لنبيها ومُعلمها ومُربيها ﷺ سيد الأولين والآخرين، الذي أمضى عمره الشريف، وضحى بكل ما لديه في سبيل هدايتها ونصحها والأخذ بيدها إلى ما فيه عِزُّها ومجدها في الدنيا والآخرة، حتى أصبحت بفضل الله خير أمةٍ أخرجت للناس.

وإن مما اختُصت به الأمة المحمدية في الآخرة.

أولاً: الغُرُّ المحجلون:

تأتي الأمة المحمدية يوم القيامة غُرًّا محجَّلةً من آثار الوضوء، وبهذه الصفة يَعرف رسول الله ﷺ أمته من غيرهم حالما يكون منتظرَهم على حوضه.

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: ثبت أن الغرة والتحجيل خاصٌ بالأمة المحمدية[1].

وقد وردت الأحاديث النبوية تشهد لهذا المعنى:

• عن نُعيم بن عبد الله المجمِّر: قال: رأيت أبا هريرة يتوضأ. فغسل وجهه فأسبغ الوضوء. ثم غسل يده اليمنى حتى أشرع في العضد -أي:أدخل الغسل فيهما- ثم يده اليسرى حتى أشرع في العضد. ثم مسح رأسه، ثم غسل رجله اليمنى حتى أشرع في الساق، ثم غسل رجله اليسرى حتى أشرع في الساق، ثم قال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ.

وقال: قال رسول الله ﷺ: «**أنتم الغُرُّ المحَجَّلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء، فمن استطاع منكم فليُطِل غُرَّته وتَحجيلَهُ**»[2].

قوله ﷺ: «**أنتم الغُرُّ المحجَّلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء**». قال أهل اللغة: الغرة: بياضٌ في جبهة الفرس. والتحجيل: بياضٌ في يديها ورجليها. قال العلماء: سمي النور الذي يكون على مواضع الوضوء يوم القيامة، غُرةً وتحجيلاً، تشبيهاً بغرة الفرس.

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن حَوضي أبعدُ من أَيْلة من**

---

(١) «فتح الباري» (١١/ ٤٥٨).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤٦).

عدنٍ، لهو أشدُّ بياضاً من الثلج. وأحلى من العسل باللبن. ولَآنيته أكثر من عدد النجوم. وإني لأصُدُّ الناس عنه كما يصدُّ الرجل إبل الناس عن حوضه». قالوا: يا رسول الله! أتعرفنا يومئذٍ؟ قال: «**نعم. لكم سيما -أي: علامةٌ- ليست لأحدٍ من الأمم، تردون عليَّ غُرًّا محجَّلين من أثر الوضوء**»[1].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: «**السلام عليكم دار قومٍ مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددتُ أنَّا قد رأينا إخواننا**» قالوا: أوَلَسْنَا إخوانَكَ يا رسول الله؟ قال: «**أنتمْ أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد**». فقالوا: كيف تعرفُ من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟! فقال: «**أرأيتَ لو أنَّ رجلاً له خيلٌ غرٌّ محجلةٌ. بين ظهري خيلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ... أي: سودٍ لم يخالط لونها لون آخر -ألا يعرف خيله**». قالوا: بلى يا رسول الله! قال: «**فإنهم يأتون غُرًّا محجَّلين من الوضوء. وأنا فَرَطُهُم على الحوض. ألا لَيُذادَنَّ رجالٌ عن حوضي كما يُذادُ البعير الضال، أناديهم: ألا هَلُمَّ -أي: تعالوا-!** فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك. فأقول: **سُحْقاً سُحْقاً** -أي:بُعداً بعداً»[2].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤٧).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤٩).

ثانياً: شهداء على الأمم

الأمة المحمدية خير الأمم وأفضلها، خصها الله بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب، فهي وسطٌ بين أهل الأديان، فلم تغلُ كغلوِّ النصارى، ولم تُقصر كتقصير اليهود، ولهذا جعلها الله شاهدةً على الأمم يوم القيامة.

فما من نبي ولا رسولٍ تنكر أمته أنه قد بلغ إلا وتشهد له الأمة المحمدية بالبلاغ، فيُقبل قولها وشهادتها لما لها من الفضل والمنزلة.

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣].

وهذه الخِصِّيصَةُ لم تثبتْ لأحدٍ من الأنبياء[1].

والدليل على ذلك من السنة:

- عن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُدعى نوحٌ يوم القيامة فيقولُ: لبيكَ وسعديكَ يا ربِّ! فيقول: هل بلَّغت؟ فيقول: نعم. فيقال لأمته: هل بَلَّغكمْ؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقولُ: محمدٌ وأمتُهُ. فيشهدون أنه قد بلَّغ، ويكون الرسول عليكم شهيداً** فذلك قوله جل ذكره: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣]»[2].

---

(١) «بداية السول» (ص٦٩).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٤٤٨٧).

• وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يجيءُ النبيُّ ومعه الرجلان، ويجيءُ النبيُّ ومعه الثلاثة، وأكثرُ من ذلك وأقلُّ. فيقال له: هل بلَّغتَ قومكَ؟ فيقول: نعم. فيُدعى قومُهُ، فيقالُ: هل بلَّغكُم؟ فيقولون: لا، فيقال: من يشهد لك؟ فيقول: محمدٌ وأمته. فتدعى أمة محمدٍ فيقال: هل بلَّغ هذا؟ فيقولون: نعم. فيقول: وما عِلمُكُم بذلك؟ فيقولونَ: أخبرنا نبيُّنا بذلك أن الرُّسُل قد بلَّغُوا، فصدّقناهُ. قال**: فذلكم قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣]»[(١)].

ثالثاً: عملٌ قليلٌ وأجرٌ كثيرٌ:

أنعمَ الله -تبارك وتعالى- على هذه الأمة بنعم كثيرةٍ، وخصها بخصائص جسيمة، ومن ذلك أنها أقل عملاً ممن سبقها من الأمم، وأكثر أجراً وثواباً، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

والدليل على هذه الخصوصية من السنة:

• عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ عن رسول الله ﷺ قال: «**إنّما أجلكُم -في أجلِ مَن خلا من الأمم- ما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس، وإنما مثَلكُم ومثلُ اليهود والنصارى كرجلٍ استعمل عُمّالاً فقال: من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراطٍ قيراطٍ؟ فعملت اليهود إلى**

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٤٢٨٤)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٤٤٨)].

نصف النهار على قيراطٍ قيراطٍ، ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراطٍ قيراطٍ؟ فعملت النصارى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراطٍ قيراطٍ. ثم قال: من يعملُ لي من صلاة العصر إلى مغربِ الشمسِ على قيراطينِ قيراطينِ؟ ألا فأنتم الذين يعملون من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين، ألا لكم الأجرُ مرتين. فغضبت اليهود والنصارى فقالوا: نحن أكثر عملاً وأقل عطاءً، قال الله: هل ظلمتُكُم من حقّكُم شيئاً؟ قالوا: لا. قال: فإنه فضلي، أُعطيه من شئت»[1].

• قال ابن كثيرٍ -رحمه الله-: (والمراد من هذا التشبيه بالعمال، تفاوت أجورهم، وأن ذلك ليس مَنوطاً بكثرة العمل وقلته، بل بأمورٍ أُخر معتبرة عند الله تعالى، وكم من عملٍ قليلٍ أجدى مالا يجديه العمل الكثير، هذه ليلة القدر، العمل فيها أفضل من عبادة ألف شهرٍ سواها، وهؤلاء أصحاب محمدٍ ﷺ أنفقوا في أوقاتٍ لو أنفق غيرهم من الذهب مثل أُحدٍ ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه، وهذا رسول الله ﷺ بعثه الله على رأس أربعين سنةً من عمره، وقبضه وهو ابن ثلاثٍ وستين على المشهور، وقد برز في هذه المدة التي هي ثلاثٌ وعشرون سنةً في العلوم النافعة، والأعمال الصالحة على سائر

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٤٥٩).

الأنبياء قبله، حتى على نوحٍ الذي لبث في قومه ألف سنةٍ إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ويعمل بطاعة الله ليلاً ونهاراً، صباحاً ومساءً، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء أجمعين. فهذه الأمة إنما شَرُفَتْ وتضاعف ثوابها ببركة سيادة نبيها وشرفه وعظمته. كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحديد][1].

رابعاً: أول من يجتاز الصراط ويدخل الجنة:

الصراط جسرٌ ممدودٌ على متن جهنم، أحدُّ من السيف، وأدقُّ من الشَّعر، فمن استقام في هذه الدنيا على الصراط المستقيم خفَّ على صراط الآخرة، ونجا، ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا، وأثقل ظهره بالأوزار، وعصى، تعثَّر على الصراط وتردى.

وإن مما أكرم الله تعالى به هذه الأمة ونبيها ﷺ أن جعلهم أول من يجتاز ويعبر الصراط، وأول من يدخل الجنة دار السلام.

والأدلة على ذلك من السنة:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن ناساً قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله! هل

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (٢/ ١٣٥).

نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هل تُضارُّون في رؤية القمر ليلةَ البدر؟**» قالوا: لا يا رسول الله! قال: «**هل تُضارُّون الشمسَ ليس دونها سحابٌ؟**» قالوا: لا يا رسول الله! قال: «**فإنكم ترونه كذلك، يجمعُ الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبدُ شيئاً فَلْيَتَّبعْهُ. فيتبع من كان يعبدُ الشمسَ الشمسَ، ويتبع من كان يعبد القمرَ القمرَ، ويتبع من كان يعبد الطواغيتَ الطواغيتَ، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها. فيأتيهم الله تبارك وتعالى، في صورةٍ غير صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: نعوذُ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربُّنا، فإذا جاء ربُّنا عرفناه. فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربُّكُم، فيقولون: أنت ربُّنا، فيتبعونه، ويُضرب الصراط بين ظهرَي جهنم** -أي: يمد عليها- **فأكون أنا وأمتي أول من يُجيزُ** -أي: أول من يمضي عليه ويقطعه- **ولا يتكلم يومئذٍ إلا الرسل. ودعوى الرسل يومئذٍ: اللهم! سَلِّمْ، سَلِّمْ...**»[1].

• عن أبي أسماء الرَّحبيِّ: أن ثوبان مولى رسول الله ﷺ حدثه قال: كنت قائماً عند رسول الله ﷺ، فجاء حَبْرٌ من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد! فَدفعْتُهُ دفعةً كاد يُصرعُ منها. فقال: لِمَ تَدفَعني؟

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢).

فقلت: ألا تقول يا رسول الله! فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله. فقال رسول الله ﷺ: «**إن اسمي محمدٌ الذي سماني به أهلي**». فقال اليهودي جئتُ أسألك. فقال له رسول الله ﷺ: «**أينفعك شيءٌ إن حدثتك؟**»، قال: أسمعُ بأذني. فنكت رسول الله ﷺ بعودٍ معه. فقال: «**سلْ**» فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تُبدَّل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هم في الظُّلمة دون الجسر**» -أي: الصراط- قال: فمن أول الناس إجازةً؟ قال: «**فقراء المهاجرين**».

قال اليهودي: فما تحفَتهُمُ حين يدخلون الجنة؟ قال: «**زيادةُ كبد النون**» قال: فما غذاؤهم على إثرِها؟ قال: «**يُنْحَرُ لهم ثورُ الجنة الذي كان يأكل من أطرافها**» قال: فما شرابهم عليه؟ قال: «**من عينٍ فيها تسمى سلسبيلاً**» قال: صدقت. قال: وجئت أسألك عن شيءٍ لا يعلمه أحدٌ من أهل الأرض إلا نبيٌ أو رجلٌ أو رجلان. قال: «**ينفعك إن حدثتك؟**» قال: أسمع بأذني. قال: جئت أسألك عن الولد؟ قال: «**ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر. فإذا اجتمعا، فعلا منيُّ الرجل منيَّ المرأة، أَذْكرا بإذن الله. وإذا علا منيُّ المرأةَ منيَّ الرجل، آنثَا بإذن الله**» قال اليهودي: لقد صدقت، وإنك لنبيٌّ ثم انصرف فذهب. فقال رسول الله ﷺ: «**لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه. وما لي علمٌ بشيءٍ منه. حتى أتاني الله به**»[1].

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٣١٥).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**نحن الآخِرون، الأوّلون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة، بِيْدَ أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم. فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق، فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه هدانا الله له (قال: يوم الجمعة) فاليوم لنا. وغداً لليهود. وبعد غدٍ للنصارى**»[1].

خامساً: أكثر الأمم يوم القيامة.

• قال ﷺ: «**... وإنّما كان الذي أوتيتُ وحياً أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة**»[2].

• وقال ﷺ: «**عُرضت عليَّ الأمم، فجعل النبي والنبيان يمرّون معهم الرهط، والنبي ليس معه أحدٌ، حتى رُفع لي سوادٌ عظيمٌ قلت: ما هذا؟! أمتي هذه؟ قيل هذا موسى وقومُهُ، قيل: انظر إلى الأفق، فإذا سوادٌ عظيمٌ قد ملأ الأفق، ثم قيل انظر هاهنا وهاهنا في آفاق السماء، فإذا سواد قد ملأ الأفق، قيل هذه أمتك، ويدخل الجنة من هؤلاء سبعون ألفاً بغير حساب...**»[3].

سادساً: أكثر أهل الجنة

• عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «**أما ترضون أن**

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٨٧٦)، ومسلم (٨٥٥) واللفظ لمسلم.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٩٨١)، ومسلم (١٥٢).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠) واللفظ للبخاري.

تكونوا رُبعَ أهل الجنة؟»، قال: فكبَّرنا. ثم قال: «**أما ترضون أن تكونوا ثُلثَ أهل الجنة؟**»، قال: فكبَّرنا ثم قال: «**إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة وسأُخبركم عن ذلك. ما المسلمون في الكفار إلا كشعْرَةٍ بيضاء في ثورٍ أسود. أو كشَعْرَةٍ سوْداءَ في ثورٍ أبيض**»[1].

• وعن بُريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أهل الجنة عِشْرون ومائةُ صفٍّ، ثمانون فيها من هذه الأمة، وأربعون من سائر الأمم**»[2].

هذه هي خصائصه ﷺ التي اختُص بها دون الأنبياء والرسل، أما خصائصه التي اختُص بها دون أمته، هذا الذي سنعرفه في الجمع القادمة -إن شاء الله تعالى- إن كان في العمر بقية.

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٣٤٨)، ومسلم (٢٢١) واللفظ لمسلم.

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٥٤٦)، وابن ماجه (٤٢٨٩)، [«صحيح الجامع الصغير» (٢٥٢٣)].

القسم الثاني

الخصائص التي انفرد بها رسول الله ﷺ عن أمته

النوع الأول: ما أبيح له ﷺ دون غيره.

النوع الثاني: ما حَرُمَ عليه ﷺ دون غيره.

• **عباد الله!** يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح]. ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ [آل عمران: ٦٢].

موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمَرْجان من قصص القرآن، دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**. والتي نتكلم فيها عن قصةِ نبينا وحبيبنا محمدٍ ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله؟!

إنها: **الخصائص التي انفرد بها رسول الله ﷺ عن أمته.**

قلنا في الجمع الماضية: إن الله -تبارك وتعالى- اختُص رسوله ﷺ بخصائص كثيرةٍ.

وقد قسم العلماء هذه الخصائص إلى قسمين:

القسم الأول: ما اختُص به ﷺ دون الأنبياء والرسل، وقد تكلمنا عن هذا القسم في الجمع الماضية.

القسم الثاني: ما اختُص به ﷺ دون أمته.

اختُصَّ رسولُ الله ﷺ بكثيرٍ من الخصائص والأحكام دونَ أمته تكريماً له وتبجيلاً، وقد شاركه في بعضها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقد قسّم العلماء هذه الخصائص إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: ما أُبيح له ﷺ دون غيره.

النوع الثاني: ما حَرم عليه ﷺ دونَ غيره.

النوع الثالث: ما اختُص به ﷺ من الفضائل والكرامات دون غيره.

وكلامنا في هذا اليوم إن شاء الله تعالى سيكون عن النوع الأول والثاني.

النوع الأول: ما أُبيح له ﷺ دون غيره.

أباح الله لرسوله ﷺ أموراً دون غيره من أمته تكريماً وتشريفاً له ومنها:

أولاً: الوِصَالُ في الصوم.

بعث الله -تبارك وتعالى- رسوله محمداً ﷺ رحمةً للعالمين.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء]. وقال تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة].

فجاءت شريعته مبنيةً على التيسير والسهولة، والتخفيف والرحمة ورفع الحرج والآصار والأغلال، ما يُلائمُ اختلاف الأجيال وحاجات العصور وشتى البقاع.

• فعن أنسٍ ﷺ؛ عن النبي ﷺ قال: «**لا تواصلوا**»، قالوا: إنك تُواصلُ. قال: «**وَلستُ كأحدٍ منكم، إني أُطْعَمُ وأُسْقَى**»[1].

• وعن عائشة ﷺ؛ قالت: نهى رسول الله ﷺ عن الوِصال رحمةً لهم. فقالوا: إنك تُواصِلُ، قال: «**إني لست كَهيئَتكُم، إني يُطعِمُني ربي ويَسقينِ**»[2].

• قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: (واستدلَّ بمجموع هذه الأحاديث على أن الوصال من خصائصه ﷺ، وعلى أن غيره ممنوعٌ منه، إلا ما وقع فيه الترخيص من الإذن فيه إلى السحر)[3].

• وقال النووي رحمه الله: قال الخطابي وغيره من أصحابنا: «الوصال من الخصائص التي أُبيحت لرسول الله ﷺ، وحُرِّمتْ على الأمة»[4].

ثانياً: الزواج من غيرِ وليٍّ ولا شُهود:

عنى الإسلام بالأسرة عنايةً كبيرةً، فالأسرة هي أساس المجتمع المسلم؛

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٩٦١)، ومسلم (١١٠٤) واللفظ للبخاري.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٩٦٤)، ومسلم (١١٠٥).

(٣) «فتح الباري» (٤/ ٢٤٠).

(٤) «شرح النووي على صحيح مسلم» (٧/ ٢١٢).

من مجموعها يتكون المجتمع، ويترتب على ذلك أن الأسرة إذا صلَحتْ صَلَحَ المجتمعُ، وإذا فسدتْ فسدَ المجتمع، وحيث أن الزواج هو السبيل المشروع لتكوين الأسرة وبقاءِ الجنس البشري، فقد رغب فيه الإسلام، وحثَّ عليه، وشرع له أحكاماً مُعيَّنَةً تشريفاً وتكريماً لهذه العلاقة، علاقة الزواج.

• ومن هذه الأحكام: موافقة وليِّ المرأة على زواجها، وهو شرطٌ لصحة النكاح.

قال ﷺ: «**لا نكاحَ إلا بوليٍّ**»(١).

• وكما يشترط في صحة النكاح موافقة وليِّ المرأة، كذلك يُشترط حضورُ الشهودِ عند عقد النكاح لكي يُعرفَ العقدُ، ويشيعَ وتُحفظَ حقوقُ المرأةِ، ويؤمَنَ الجحودُ.

• ولهذا قال ﷺ: «**لا نكاحَ إلا بوليٍّ وشاهِدَيْ عدْلٍ**»(٢).

وقد انفرد رسول الله ﷺ عن أمته في هذين الحكمين؛ فأباح الله تعالى له الزواج بغير وليٍّ ولا شهودٍ تشريفاً وتكريماً لعدم الحاجة إلى ذلك في حقه ﷺ.

قال العلماء: «إنما اعتُبرَ الولي في نكاح الأمَةِ للمحافظة على الكفاءَةِ،

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٠٨٥)، والترمذي (١١٠١)، وابن ماجه (١٨٨٠)، وأحمد (٤/ ٣٤٩، ٤١٣، ٤١٨)، [«إرواء الغليل» (٦/ ٢٣٥)].

(٢) **صحيح لغيره**: رواه البيهقي (٧/ ١٢٥)، [«إرواء الغليل» (٦/ ٢٦١)].

وهو ﷺ فوق الأكفاءِ، وإنما اعتبرَ الشهود لأمْنِ الجحودِ، وهو ﷺ لا يجحدُ، وبُرهانُ هذا الحكم في حقه ما جاء في حديث زينب بنت جحشٍ رضي الله عنها أنها كانت تفخرُ على أزواج النبي ﷺ وتقول: «**زوَّجَكُنَّ أهَاليكُنَّ، وزَوَّجني الله تعالى من فوقِ سبعِ سماواتٍ**»(١).

كيف لا: والله -عز وجل- يقول لرسوله ﷺ: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الأحزاب].

ثالثاً: الجمع بين أكثر من أربع نسوةٍ:

شرع الله -تبارك وتعالى- لعباده النكاح لما فيه من الفوائد العظيمة، والحكم الجسيمة، كغضِّ البصر وحفظ الفرج والتحصّن من الشيطان والحصول على الأولاد وغيرها.

• وقد جاءت الأدلة الشرعية تُبيحُ الجمعَ بين أربعِ نسوةٍ، وتحرم الزيادة على ذلك لآحاد المؤمنين.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء:٣].

قال ابن عباس وجمهور العلماء: «إن المقام مَقام امتنانٍ وإباحةٍ، فلو كان يجوز الجمع بين أكثر من أربعٍ لذكره»(٢).

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٧٤٢٠).

(٢) «تفسير ابن كثير» (١/ ٤٦٠).

ولما أسلم غيلان بن سلمة الثقفي أسلم وتحته عشرُ نسوةٍ، فقال له النبي ﷺ: «**اخترْ مِنهُنَّ أربعاً**»[1].

والله -عز وجل- يقول لرسوله ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

- قال الشافعي -رحمه الله-: (دلّت سنة رسول الله ﷺ المبيِّنَةُ عن الله، أنه لا يجوز لأحدٍ غير رسول الله ﷺ أن يجمع بين أكثر من أربع نسوةٍ)، قال الحافظ ابن كثير: وهذا الذي قاله الشافعي مجمعٌ عليه بين العلماء[2].
- فهذا الحكم من خصائصه ﷺ التي انفرد بها دون غيره من الأمةٍ، ولا خلافَ بين العلماء أنه توفيِّ ﷺ عن تِسْعِ نسوةٍ.

والحِكم والغايات والمصالح من زواجه ﷺ كثيرةٌ جداً منها: التعليميةُ، والتشريعيةُ، والاجتماعيةُ، والسياسيةُ، والإنسانيةُ، والتربويةُ. وسنتكلم عنها في موضعها -إن شاء الله-.

رابعاً: بدءُ القتال بالبلد الأمين (مكة شرفها الله)

شرَّف الله -عز وجل- أم القرى، البلد الحرام مكة، وفضلها واختارها

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (١٩١٤)، وابن ماجه (١٩٥٢)، وأحمد (٢/ ١٣)، [«صحيح سنن أبي داود» (١٩٦٠)].

(٢) «تفسير ابن كثير» (١/ ٤٦٠).

وخصَّها بخصائص ومزايا ليست لغيرها من بقاع الدنيا، فمن ذلك أنها بلدٌ حرامٌ حرمها الله يوم خلق السموات والأرض، فالقتال فيها لا يَحِلُّ ولا يجوزُ، وقد أباح الله -تبارك وتعالى- لنبيه ﷺ مكة المكرمة عام الفتح ساعةً من نهار، فدخلها بغير إحرامٍ، وقتل من أهلها يومئذٍ نحو عشرين، فكان ذلك من خصائصه ﷺ، والدليل على ذلك ما ذكره ﷺ في خطبته صبيحة ذلك اليوم حيث قال: «**إن مكة حرَّمها اللهُ، ولم يُحرِّمها الناسُ، فلا يحلُّ لامرئٍ يؤمنُ بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً، ولا يَعْضِدَ** -أي: يقطع- **بها شجرةً. فإن أحدٌ ترخَّصَ بقتال رسول الله ﷺ فيها فقولوا له: إنَّ الله أذن لرسوله، ولم يأذن لكم، وإنما أَذِنَ لي فيها ساعةً من نهارٍ. وقد عادت حُرْمَتُها اليوم كحُرمَتِها بالأمس، وليبلِّغ الشاهدُ الغائبَ**»[1].

النوع الثاني: ما حَرُمَ عليه ﷺ دون غيره:

حرَّمَ الله على رسوله أموراً تكريماً له، منها:

أولاً: الصدقةُ

حَرُمَ على النبي ﷺ أكل الصدقة:

- لقوله ﷺ: «**إنَّ هذه الصدقات إنما هي أوساخُ الناس، وإنها لا تحلُّ لمحمدٍ ولا لآل محمدٍ**»[2].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٠٤)، ومسلم (١٣٥٤).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٠٧٢).

• وأوساخ الناس: بمعنى أنها تطهيرٌ لأموالهم ونفوسهم كما قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة:١٠٣] **فهي كغُسالةِ الأوساخ**(١).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ يَقْبلُ الهديةَ ولا يأكلُ الصدقةَ»(٢).

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه: «أنَّ النبي ﷺ كان إذا أُتِيَ بطعامٍ، سأل عنه فإن قيل: هديةٌ. أكل منها. وإن قيل: صدقةٌ لم يأكل منها»(٣).

• وقال ﷺ: «**إني لأنقلبُ إلى أهلي، فأجدُ التمرةَ ساقِطةً على فراشي. ثم أرفعها لآكلها، ثم أخشى أن تكون صدقةً فأُلقيها**»(٤).

• وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ وجد تمرةً. فقال: «**لولا أن تكون من الصدقة لأَكلْتُها**»(٥).

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن الحسن بن علي أخذ تمرةً من تمر الصدقة. فجعلها في فيه. فقال ﷺ: «**كِخْ كِخْ. ارْمِ بها. أما علِمتَ أنا لا نأكُلُ الصدقةَ؟**»(٦).

---

(١) «شرح النووي على صحيح مسلم» (٧/ ١٧٩).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٥١٢)، [«إرواء الغليل» (٦/ ٤٧)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٥٧٦)، ومسلم (١٠٧٧)، واللفظ لمسلم.

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٤٣٢)، ومسلم (١٠٧٠).

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٠٥٥)، ومسلم (١٠٧١) واللفظ لمسلم.

(٦) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٤٩١)، ومسلم (١٠٦٩)، واللفظ لمسلم.

وتحريم الصدقة من خصائصه ﷺ، والحكمة من ذلك صيانة وتنزيه منصبه الشريف عن أوساخ أموال الناس.

ثانياً: نزعُ لأمةَ الحربِ -أي: أداتُها-

ومما حَرُمَ على رسول الله ﷺ وكذلك إخوانه الأنبياء -عليهم السلام- دون غيره من الأمة- أنه إذا لَبِسَ لأمةِ الحرب، وعَزَمَ على الجهاد في سبيل الله أن ينزعها ويقلعها حتى يلقى العدو ويقاتل.

ودليل ذلك:

- ما روى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما؛ أن رسول الله ﷺ قال يوم أحدٍ: «**رأيت كأني في درعٍ حصينةٍ، ورأيت بقراً مُنْحَرَةً، فأوَّلتُ أن الدِّرعَ الحصينة المدينة، وأن البقر هو والله خيرٌ**»، قال: فقال لأصحابه: «**لو أنَّا أقمنا بالمدينة، فإن دخلوا علينا فيها، قاتلْنَاهم**»، فقالوا: يا رسول الله! والله ما دُخِلَ علينا فيها في الجاهلية، فكيف يُدخلُ علينا فيها في الإسلام؟! فقال: «**شأنكُم إذاً**»، قال: فلبس لأمَتَهُ، قال: فقالت الأنصار: رددنا على رسول الله ﷺ رأيَهُ. فجاءوا، فقالوا: يا نبي الله! شأنك إذاً، فقال: «**إنه ليس لنبيٍّ إذا لبس لأمتَهُ أن يضعها حتى يُقاتِلَ**»[1].
- قال الحافظ: ابن كثير -رحمه الله-: قال عامّةُ أصحابنا: إن ذلك كان واجباً عليه، وأنه يَحْرُمُ عليه أن ينزعها حتى يُقاتل[2].

---

(١) **صحيح**: رواه الإمام أحمد (٣/ ٣٥١)، والدارمي (٢١٦٥)، [«السلسلة الصحيحة» (١١٠٠)].

(٢) «الفصول» (ص٣٣٨).

ثالثاً: تَعلُّمُ الشِّعر:

ومما حَرُمَ على رسول الله ﷺ تَعلُّمُ الشِّعرَ: قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس:٦٩]. وقال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الحاقة].

فلمْ يكُنْ رسول الله ﷺ عالماً بالشِّعْرِ وأصنافهِ وأعارِيضِهِ وقوافيه، ولم يكن موصوفاً بذلك بالاتفاق، وجعل الله سبحانه ذلك عَلَماً من أعلام نبوته ﷺ لئلا تدخل الشُّبْهَةُ، على من أُرْسِلَ إليهم، فيظنوا أنه قَوِيَ على القرآن بما في طبعه من القوة في الشعر.

والأدلة على عدم معرفته بالشِّعْرِ وعدم ميله إليه كثيرةٌ منها: أن قريشاً لما تشاورت فيما يقولون للعرب في رسول الله ﷺ إذا قدموا عليهم المَوْسِمَ. فقال بعضهم: نقول إنه شاعرٌ، فقال أهل الفطنة منهم: والله لتُكَذِّبنكّمُ العربُ، فإنهم يعرفون أصناف الشعر، فوالله ما يُشبِهُ شيئاً منها وما قوله بشعْرٍ.

وأما ما وقع على لسانه صلوات الله وسلامه عليه من الشعر القليل، كقوله يوم حُنَيْنٍ وهو راكبٌ بغْلَتَهُ يُقدِّمُ بها نحور العدو:

أنا النبيُّ لا كذِبْ أنا ابنُ عبدِ المطلبْ[1]

وكقوله لما أصابه حجرٌ وهو يمشي فعثر فدمِيَتْ إصبَعُهُ الشريفة:

هل أنتِ إلا إصبعٌ دَمِيتِ وفي سبيلِ الله ما لَقِيتِ[2]

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٨٦٤)، ومسلم (١٧٧٦).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٨٠٢)، ومسلم (١٧٩٦).

فكلُّ هذا وأمثالُهُ إنما وقع منه اتفاقاً من غير قصدٍ لِوَزنِ الشِّعْرِ، بل جرى على اللسان من غير قصدٍ إليه.

فهذه خصائصه ﷺ التي اختُص بها دون أمته.

أما الفضائل والكرامات التي اختُص بها ﷺ دون أمتهِ، هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة -إن شاء الله- إن كان في العمر بقية.

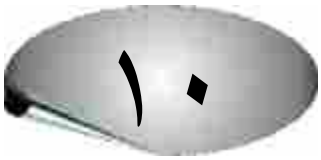

النوع الثالث

ما اختُص به ﷺ من الفضائل والكرامات دون غيره

• **عباد الله!** يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾ [المائدة]. وقال تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة]. وقال تعالى: ﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦﴾ [الأعراف].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمَرْجان من قصص القرآن، دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**. والتي نتكلم فيها عن قصةِ نبينا وحبيبنا محمدٍ ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **ما اختُص به ﷺ من الفضائل والكرامات دون غيره.**

لقد قلنا في الجمعة الماضية: إن الله -تبارك وتعالى- اختُص رسوله ﷺ بخصائص كثيرةٍ دون أمته.

وقد قسم العلماء هذه الخصائص إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: ما أُبيح له ﷺ دون غيره.

النوع الثاني: ما حَرُمَ عليه ﷺ دون غيره، وقد تكلمنا عن هذين النوعين في الجمعة الماضية.

النوع الثالث: ما اختُص به ﷺ من الفضائل والكرامات دون غيره، وهذا الذي سنتكلم عنه في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى-.

اختص الله -تبارك وتعالى- رسوله محمداً ﷺ بكثيرٍ من الفضائل والكرامات دون أمته ومنها:

أولاً: عصمةٌ في الأقوال والأفعال:

كان رسول الله ﷺ معْصوماً في أقواله وأفعاله، لا يجوز عليه الخطأ فيما يتعلق بأداء الرسالة، ولا يُقَرُّ عليه، بل ينزل الوحي بتصحيحه.

قال تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم].

وكان ﷺ معصوماً من القتل:

قال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٦٧﴾ [المائدة].

وسنتكلم عن عصمته ﷺ بالتفصيل في موضعها -إن شاء الله تعالى-.

ثانياً: من استهان به أو سَبَّهُ كَفَرَ

تضافرت الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة موضِّحةً وَمُجَلِّيَةً ما يجب لرسول الله ﷺ من الحقوق، وما يتعين له من برٍّ وتوقير وإكرامٍ وتعظيمٍ، ومن أجْلِ هذا حرَّم الله -تبارك وتعالى- أذاه في كتابه، وأجمعتِ الأمة على قتل منتقصه وسابِّه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾ [الأحزاب]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [التوبة].

فكل من استهان برسول الله ﷺ، أو سَبَّهُ أو عابَهُ أو ألحق به نقصاً في نفسه أو نسبِهِ أو دينِهِ أو خَصْلَةٍ من خصاله، أو عرَّض به أو شبَّههُ بشيءٍ على طريق السَّبِّ له، أو الإزراء عليه أو التصغير لشأنه أو الغض منه والعيب له فإنه يُقتَلُ كفراً.

والأدلة على ذلك:

- عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أنَّ أعمى كانت له أمُّ وَلَدٍ، تشتُمُ النبي ﷺ وتقعُ فيه، فينْهَاها فلا تنتهي، ويزجُرُها فلا تنزَجِرُ.

قال: فلما كانت ذات ليلةٍ، جعلتْ تقعُ في النبي ﷺ وتشتُمُه، فأخذ المِغْوَلَ -أي: سيف قصير- فوضَعَهُ في بطنها، واتكأ عليها فقتلها، فوقع بين رجليها طفلٌ، فلطَخَتْ ما هناكَ بالدمِ، فلما أصبحَ ذُكِرَ ذلك لرسول الله ﷺ، فجمعَ الناسَ فقال: أنشُدُ اللهَ رجلاً فعلَ ما فعلَ، لي عليه حقٌّ إلا قامَ،

فقام الأعمى يتخطَّى الناس، وهو يتزلزلُ حتى قعدَ بين يدي النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! أنا صاحبُها، كانت تَشْتُمكَ، وتقعُ فيك فأنهاها فلا تنتهي، وأزْجُرُها فلا تنزجرُ، ولي منها ابنانِ مثلُ اللؤلؤتين، وكانت بي رفيقَةً، فلما كانت البارِحةَ، جعلتْ تشتمُكَ وتقعُ فيكَ، فأخذتُ المِغْوَلَ، فوضعتُهُ في بطنها، واتكأتُ عليها حتى قتلتُها. فقال النبي ﷺ: «**ألا اشْهَدُوا: أنَّ دَمَها هَدَرٌ**»(١).

• وعن أبي برزة رضي الله عنه؛ قال: «كنت عند أبي بكر فتغيَّظَ على رجلٍ، فاشتدَّ عليه، فقلت: تأذنُ لي يا خليفةَ رسول الله ﷺ أضربُ عُنقه؟ قال: فأذهبتْ كَلِمَتِي غَضبَهُ، فقام فدخل فأرسل إليَّ فقال: ما الذي قلتَ آنفاً؟ قلت: ائذنْ لي أضربْ عُنُقَهُ. قال: أكُنتَ فاعلاً لو أمرتُكَ؟ قلت: نعم. قال: لا واللهِ ما كانتْ لبشرٍ بعد محمدٍ ﷺ»(٢).

وأما الإجماع:

قال أبو بكر بن المنذر -رحمه الله-: «أجمع عوامُّ أهل العلم على أنَّ مَنْ سبَّ النبي ﷺ يُقتلُ»(٣).

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٣٦١)، والنسائي (٤٠٧٠)، [«إرواء الغليل» (٥/ ٩٢)].

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٣٦٣)، والنسائي (٤٠٧٥) واللفظ لأبي داود، [«صحيح سنن أبي داود» (٣٦٦٦)].

(٣) «الشفا» للقاضي عياض (٢/ ٤٧٤).

ثالثاً: الكذبُ عليه ليس كالكذب على غيره:

الكذب رذيلةٌ محضةٌ وخَصْلَةٌ ذميمةٌ، وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب وأقبح الصفات، يقلبُ الموازين، ويمسخُ الحقائق، ويُشَوِّهُ وجه الجمال في كل شيءٍ يداخله، وينبئُ عن تغلغل الفساد في نفس صاحبه، ويجرُّ به إلى الفجور والنفاق.

- قال ﷺ: «... **وإن الكذِبَ يهدي إلى الفُجور، وإنْ الفُجور يهدي إلى النار**»(١).
- وقال ﷺ: «**أربعٌ مَنْ كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومَنْ كانت فيه خَصْلةٌ منهُنَّ كانت فيه خَصْلَةٌ من النفاق حتى يدعَها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدَّث كَذَب، وإذا عاهَدَ غدر، وإذا خاصم فجر**»(٢).

ومن أشد أنواع الكذب وأشنعه، الكذب على الله تعالى، أو الكذب على رسوله ﷺ لأنه افتراءٌ في الدين، وتلاعبٌ بشرائع الله لعباده، وتجرُّؤٌ عظيمٌ على النار.

ولهذا أجمع العلماء على تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ، وأنه من الكبائر، وأنَّ مَنْ كذب عليه مُتَعمِّداً مستجيزاً لذلك فهو كافرٌ.

- قال ﷺ: «**إن كذباً عليَّ ليس ككذبٍ على أحدٍ، فمن كذب عليَّ مُتعَمِّداً فليتبوأ مقعده من النار**»(٣).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٢٩١)، ومسلم (٤).

• وقال ﷺ: «**لا تكذبوا عليَّ، فإنه من كذب علي فليَلِجِ النار**»[1].

• وقال ﷺ «**من حدَّث عني بحديثٍ، يرى أنه كذبٌ، فهو أحدُ الكاذبين**»[2].

فليحذر الذين يكذبون على رسول الله ﷺ، فإن ذلك حرام، ومن كبائر الذنوب، ومن كذب على رسول الله ﷺ فقد كذب على الله، والله - عز وجل - يقول: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾[الزمر:٦٠].

رابعاً: رُؤْيَتَهُ في المنام حقٌ:

اختُصَّ رسول الله ﷺ بأنَّ مَنْ رآه في المنام كان كمن رآه في اليقظة، ومُنِعَ الشيطان أن يُتَصَوَّرَ في خلقته، لئلا يكذب على لسانه في النوم، كما مُنِعَ أن يُتَصَوَّرَ في اليقظة إكراماً له.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتَمثَّلُ بي**»[3].

تنبيهٌ مهمٌ جداً:

وهو أن من رأى النبي ﷺ في المنام (على صفته المعروفة) فقد رآه حقاً،

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٠٦)، ومسلم (١).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم في المقدمة (١/ ٧)، والترمذي (٢٦٦٢)، وابن ماجه (٣٨)، وأحمد (٤/ ٢٢٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٩٥)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٩٩٤)، ومسلم (٢٢٦٦) واللفظ لمسلم.

وأن الشيطان لا يتمثل به، ولكن قد يتمثل الشيطان بصورة رجلٍ ما، ويدّعي أنه النبي ﷺ، فمتى رُؤي بغير صفاته فهو شيطان، وهذا أمر يغفل عنه كثير من الناس.

فائدة:

قال الحافظ ابن كثير: (واتفقوا على أنَّ من نقل عنه حديثاً في المنام أنه لا يُعمل به لعدم الضبط في روايةِ الرائي، فإن المنام محلٌ تضعفُ فيه الروح وضبطُها)[1].

خامساً: أزواجه ﷺ أمهات المؤمنين:

شرَّف الله -تبارك وتعالى- أزواج نبيه ﷺ، وخصَّهُنَّ بخصائص ليست لغيرهن من النساء إكراماً وإجلالاً لعبدهِ ورسوله ﷺ.

ومن ذلك أنْ جعلهنَّ أمهاتِ المؤمنين: فقال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾ [الأحزاب:٦]. كما حَرُمَ نكاحُهنَّ على الرجال: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ٥٣﴾ [الأحزاب].

وعلى هذا انعقد إجماع العلماء قاطبةً: أن من توفي عنها رسول الله ﷺ من أزواجه أنه يحْرُمُ على غيره تزوُّجُها من بعده؛ لأنهنَّ أزواجه في الدنيا والآخرة وأمهات المؤمنين، وذلك من خصائصه ﷺ التي انفرد بها عن أمته.

---

(١) «الفصول في سيرة الرسول» لابن كثير (ص٢٩٨-٢٩٩).

سادساً: رؤيةٌ خاصةٌ، وسمعٌ خاصٌ:

ومن خصائصه ﷺ أنه يرى ما لا تراه أمتُهُ، ويسمع ما لا تسمعهُ.

• عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: (قال رسول الله ﷺ يوماً: «**يا عائِشُ هذا جبريلُ يُقرئُكِ السلام**» فقلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى) [1].

• وعن أبي ذر رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني أرى ما لا تَرَوْنَ، وأسمَعُ ما لا تَسمعون، إنَّ السماء أطَّتْ** -أي: من كثرة الملائكة- **وحُقَّ لها أن تئِطَّ، ما فيها موضعُ أربعِ أصابِعَ إلا وملكٌ واضعٌ جبهتهُ ساجداً لله، والله لو تعلمون ما أعلمُ لضَحِكْتُمْ قليلاً ولبَكَيْتُم كثيراً. وما تلَذَّذتُمْ بالنساء على الفُرُشِ. ولخرجتُمْ إلى الصُّعُداتِ**» -أي: الطرق- «**تجأرون إلى الله**» [2].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: صلى بنا رسول الله ﷺ يوماً. ثم انصرف فقال: «**يا فلانُ ألا تُحْسِنُ صلاتكَ؟ ألا ينْظُرُ المصلي إذا صلَّى كيف يُصَلِّي؟ فإنما يُصَلِّي لنفسه. إني والله لأُبْصِرُ من ورائي كما أُبْصِرُ من بين يديَّ**» [3].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٧٦٨)، ومسلم (٢٤٤٧).

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (٢٣١٢)، وابن ماجه (٤١٩٠)، وأحمد (٥/ ١٧٣)، [«صحيح الترغيب» (٣٣٨٠)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٤٢٣).

• وعنه رضي الله عنه؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**هل ترونَ قِبْلَتِي ههنا؟ فوالله ما يخفى عليَّ رُكوعُكُم ولا سُجُودُكُم. إني لأراكم وراء ظهري**»[1].

• ولما طلب كفارُ مكةَ من رسول الله ﷺ أن ينعت لهم المسجد الأقصى عندما أخبرهم بالإسراء والمعراجِ، قال ﷺ: «**فذهبتُ أنعتُ، فما زلت أنعتُ حتى التبس عليَّ بعضُ النَّعتِ**».

قال: «**فجيءَ بالمسجد، وأنا أنظرُ حتى وضِعَ دون عقالٍ -أو عُقيلٍ- فنعتُّه، وأنا أنظر إليه**»، فقال القوم: أما النَّعْتُ فوالله لقد أصاب[2].

فمن معجزته ﷺ أنه وحده هو الذي رأى المسجد الأقصى دون كل من حوله من الناس، وهذا من خصوصياته ﷺ.

سابعاً: لا يُوَرَّثُ:

الأنبياء عليهم الصلاة والسلام سُفراء الله إلى عباده، وحملةُ وحيهِ، مُهمَّتُهُم إبلاغ رسالات الله إلى عباده، والدعوة إلى الله، وإصلاحُ النفوس وتزكيتها، وتقويم الفكر المنحرف والعقائد الزائفة، وإقامة الحجة وسياسة الأمة، فلم تكن وظيفتهم اختزان الأموال، ولا توريث التراث. وإنما ورثوا علماً وشرعاً وبلاغاً للناس، فذلك ميراثهم وهو خير ميراثٍ.

• قال ﷺ: «**إن العلماءَ ورثةُ الأنبياء، وإن الأنبياءَ لم يُورِّثوا ديناراً ولا دِرْهماً، وإنما ورَّثوا العلم، فمن أخذه أخذَ بحظٍّ وافرٍ**»[3].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤١٨)، ومسلم (٤٢٤).

(٢) **صحيح**: رواه الإمام أحمد (١/ ٣٠٩)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٠٢١)].

(٣) **حسن لغيره**: رواه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وأحمد (٥/ ١٩٦) [«صحيح الترغيب» (٧٠)].

وهذا من خصائصه صلوات الله وسلامه عليه -وكذلك الأنبياء عليهم السلام- دون أمته أنه لا يُورَّثُ، وأن ما تركهُ صدقةٌ.

- قال ﷺ: «**لا نورَّثُ ما تَركنا صدقةٌ**»(١).
- وقال ﷺ: «**إنا معشَرَ الأنبياء لا نُورَّثُ**»(٢).
- وقال ﷺ: «**لا يَقْتَسِمُ ورثتي ديناراً، ما تركتُ بعد نفقةِ نسائي ومؤنةِ عاملي فهو صدقةٌ**»(٣).

قال ابن كثير -رحمه الله-: «وقد أجمع على ذلك أهل الحلِّ والعقد، ولا التفاتَ إلى خُرَافاتِ الشيعة والرافضة، فإن جهْلَهُم قد سارت به الركبانُ»(٤).

قال العلماء -رحمهم الله-: (والحكمة في أن الأنبياء صلوات الله عليهم لا يُورَّثُون، أنه لا يؤمن أن يكون في الورثة من يتمنَّى موته فيهلِكَ بذلك. ولئلا يُظنَّ بهم الرغبة في الدنيا وجمعُها لوارثهم فيهْلِكَ الظَّانُّ، وينفرُ الناسُ عنهم، وأن الأنبياء في حكم الآباء لأممهم، فيكون ميراثهم للجميع).

ثامناً: تنامُ عيناه ولا ينامُ قلبهُ ﷺ

ومن خصوصياته ﷺ دون أمته أن تنام عيناه ولا ينام قلبه.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٠٩٣)، ومسلم (١٧٥٧).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٤٦٣)، والنسائي في «سننه الكبرى» (٦٣٠٩)، [صححه الحافظ ابن حجر والشيخ شعيب الأرناؤوط].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٧٧٦)، ومسلم (١٧٦٠).

(٤) «الفصول» لابن كثير (ص٣٢٥).

• عن أبي سلمة بن عبد الرحمن: «أنه سأل عائشة ﵂: كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ في رمضان؟ قالت: ما كان يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعةً: يُصلِّي أربعَ ركعاتٍ فلا تسأل عن حُسنهِنَّ وطولهنَّ، ثم أربعاً فلا تسألْ عن حُسنهِنَّ وطُولهنَّ، ثم يُصلي ثلاثاً. فقلت: يا رسول الله! أَتنامُ قبل أن توترَ؟، قال: «**تنامُ عيني ولا ينامُ قلبي**»[1].

• وفي رواية أنس ﵁ في حديث الإسراء يقول: «...والنبي نائمةٌ عيناه، ولا ينامُ قلبُهُ، وكذلك الأنبياءُ تنامُ أعينُهُم، ولا تنامُ قلوبُهم»[2].

تاسعاً: يُخَيَّرُ في مرضه بين الدنيا والآخرة:

ومن خصوصياته ﷺ دون أُمتَهِ أنه يخير في مرضه بين الدنيا والآخرة.

• عن عائشة ﵂ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من نبي يمرضُ إلا خُيِّرَ بين الدنيا والآخرة**»، وكان في شكواه الذي قُبض فيه أخذته بُحَّةٌ شديدةٌ، فسمعته يقول: «﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [نساء] **فعلمت أنه خُيِّر**»[3].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٥٦٩)، ومسلم (٧٣٨).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٥٧٠).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٤٥٨٦)، ومسلم (٢٤٤٤) واللفظ للبخاري.

عاشراً: يُدفن في المكان الذي قُبِضَ فيه:

ومن خصوصياته ﷺ دون أمته أنه يدفنُ في المكان الذي مات فيه.

• قال ﷺ: «**لم يُقبر نبيٌّ إلا حيثُ يموت**»[1].

• وقالت عائشة رضي الله عنها: لما قُبِضَ رسول الله ﷺ اختلفوا في دفنه، فقال أبو بكر: سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً ما نسيته قال: «**ما قَبَضَ الله نبياً إلا في الموضع الذي يُحِبُّ أن يُدفنَ فيه**» ادْفِنوهُ في موضع فراشه[2].

هذه خصائصه ﷺ التي اختصه الله بها دون غيره من الأنبياء والرسل.

وهذه خصائصه ﷺ التي اختصه الله بها دون غيره من أمته.

والناس في خصائصه ﷺ طرفان مذمومان، ووسطٌ محمود:

أما الطرف الأول المذموم: فهم الذين غلَوا في خصائصه ﷺ.

وأما الطرف الثاني المذموم: فهم الذين جفَوا في خصائصه ﷺ.

وأما الوسطُ المحمود: فهم أهل السنة والجماعة الذين أثبتوا خصائص النبي ﷺ كما جاءت في الكتاب والسنة، وسلكوا في ذلك منهج الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان.

فما هي خصائص النبي ﷺ عند الطرف الأول المذموم وهم الغلاة؟ هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة -إن شاء الله تعالى- إن كان في العمر بقية.

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٧)، [«صحيح الجامع» (٥٢٠١)].

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (١٠١٨)، [«صحيح الجامع» (٥٦٤٩)].

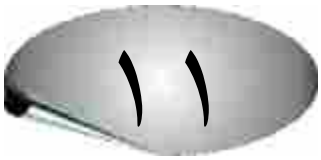

خصائص النبي ﷺ عند الغلاة

القسم الأول: ١- خصائص النبي ﷺ عند الغلاة قبل وجوده

• **عباد الله!** يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ [النساء]. ويقول سبحانه: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمَرْجان من قصص القرآن، دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**. والتي نتكلم فيها عن قصةِ نبينا وحبيبنا محمدٍ ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **خصائص النبي ﷺ عند الغلاة قبل وجوده.**

لقد قلنا في الجمعة الماضية: إن الناس في خصائص النبي طرفان مذمومان ووسطٌ محمود.

الطرف الأول المذموم: هم الغلاة الذين غلوا في خصائصه ﷺ.

الطرف الثاني: هم الجفاة الذين جفوا في خصائصه ﷺ.

والوسط المحمود: هم أهل السنة والجماعة الذين وقفوا مع خصائصه ﷺ التي جاءت في كتاب الله، وفي صحيح سنة رسول الله ﷺ، بدون غُلُوٍّ ولا جفاءٍ، وبدون إفراطٍ ولا تفريطٍ.

وكلامنا عن الطرف الأول المذموم وهم الغلاة سيكون على قسمين:

القسم الأول: خصائص النبي ﷺ عند الغلاة قبل وجوده.

القسم الثاني: خصائص النبي ﷺ عند الغلاة في حياته البرزخية.

وكلامنا في هذه الجمعة والتي تليها -إن شاء الله تعالى- سيكون عن القسم الأول منها.

عباد الله! فالغلوْ في الدين هو مجاوزة الحد، وقد جاء الإسلام يحذر من الغلو في الدين.

- قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة:١٤٣]. أي: وسطاً بين الغلو والجفاء، وبين الإفراط والتفريط، فالأمة الإسلامية لم تغلُ غلُوَّ النصارى، ولم تُقصرْ تقصير اليهود.
- وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة].

• وفي حجة الوداع قال ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «**هَلُمَّ القُطْ لي**» فلقطت له حصياتٍ، هُنَّ من حصى الخَذْفِ، فلما وضَعَهُنَّ في يده، قال: «**نعم، بأمثال هؤلاء، وإياكم والغلوَّ في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلوِّ في الدين**»(١).

• وقال ﷺ: «**هلك المتنطّعون، هلك المتنطّعون، هلك المتنطّعون**»(٢).

قال النووي: (هلك المتنطعون، أي المتعمقون المغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم)(٣).

• قال ﷺ: «**لا تُطْروني كما أَطْرَت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله**»(٤).

أي: لا تتجاوزوا الحدَّ في المدح والكذب فيه، كما فعلت النصارى في عيسى بن مريم، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهاً من دون الله يعبدونه كما يعبدون الله.

فالغلو في الدين حرامٌ، ويجرُ صاحبه إلى الضلال المبين، فتعالوا بنا لننظر إلى الغلاة في خصائص النبي ﷺ قبل وجوده، إلى أي حدٍ من الضلال وصلوا، لنكون من الغلو والغلاة على حذر.

---

(١) **صحيح**: رواه النسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، وأحمد (١/ ٢١٥) واللفظ لأحمد، [«السلسلة الصحيحة» (١٢٨٣)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٧٠).

(٣) «شرح مسلم» (١٦/ ٢٢٠).

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٣٤٤٥).

أولاً: يعتقد أئمة الضلال (الغلاة) أن النبي ﷺ خُلقَ قبلَ الأنبياء، وأنه نبئ منذ ذلك الوقت، وأنه مرسَلٌ إلى جميع الأنبياء وأممهم.

واستدلوا لذلك بالأدلة الآتية:

١- قوله ﷺ: «**كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث**»، وهذا حديثٌ ضعيفٌ لا تقوم به حجةٌ[(١)].

٢- حديث مَيْسَرَةَ الفَجْرِ رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! متى كُتبتَ نبياً؟ قال: «**وآدمُ بين الروحِ والجسدِ**»[(٢)].

• وحديث العِرْباض بن سارِية قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني عند الله**» -وفي رواية **عبد الله**- «**لخاتمُ النبيين، وإنَّ آدمَ عليه السلام لَمُنْجَدِلٌ في طينتِهِ...**»[(٣)].

• وهذان الحديثان صحيحان ولكن لا يدلان على مراد القوم، بل يدلان على الكتابة -أي: أنه ﷺ كُتِبَ نبياً وآدمُ بين الروح والجسد، وقد جاء التصريح بذلك في الحديث الأول: (يا رسول الله! متى كُتبت نبياً؟) وهو موافقٌ لحديث ابن مسعودٍ رضي الله عنه. قال: قال رسول الله ﷺ وهو الصادقُ المصدوق: «**إنَّ أحدكُمْ يُجمعُ خَلْقُهُ في بطن أمه**

(١) **ضعيف**: رواه الطبراني في «مسند الشاميين» (٢٦٦٢)، والأصبهاني في «دلائل النبوة» (ص١١-١٢)، [«السلسلة الضعيفة» (٦٦١)].

(٢) **جيد**: رواه أحمد (٥/ ٥٩)، [«صحيح السيرة النبوية» (٥٤)].

(٣) **صحيح بشواهده**: رواه أحمد (٤/ ١٢٤)، انظر: [تحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط للمسند].

أربعين يوماً، ثم يكون علقةً مثل ذلك، ثم يكونُ مضغةً مثل ذلك، ثم يَبعث الله ملَكاً يؤمر بأربع كلماتٍ، ويقال له: أكتب عمله، ورزقه، وشقيٌّ أو سعيدٌ، ثم يُنفخ فيه الروح»[1].

فقد ثبت في الحديث أن كتابة العمل، والرزق، والسعادة أو الشقاوة تكون قبل نفخ الروح في الجنين.

قال شيخ الإسلام: (فناسب هذا أنه بين خلق آدم عليه السلام ونفخ الروح فيه تكتب أحواله، ومن أعظمها كتابةً سيدُ ولده ﷺ)[2].

وعليه فإنما يدل الحديثان السابقان على أنه ﷺ كُتِبَ نبياً وآدم عليه السلام ما زال بين الروح والجسد. إلا أن القوم أبوا إلا أن يلووا أعناق النصوص ليًّا؛ لكي تتفق مع أهوائهم، فأتوا بأمور حيَّرت عقولهم قبل الآخرين.

• فانظروا عباد الله! إلى الغلو ماذا فعل بالغلاة؟ جعلهم يستدلون على غلوهم بالأحاديث الضعيفة، وبالأحاديث التي لا تدل على ما ذهبوا إليه، وخالفوا بغلوهم الكتاب والسنة، فكونوا من الغلو على حذر!

٣- واستدلوا بحديث «كنتُ نبياً وآدم بين الماء والطين»[3]. وهذا حديثٌ لا أصل له.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (... فهذا مما لا أصل له من نقل ولا

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣)، واللفظ للبخاري.

(٢) «الرد على البكري» (ص٩).

(٣) «الفتوحات المكية» (١/ ١٣٤، ١٣٥).

عقل؛ فإن أحداً من المحدثين لم يذكره، ومعناه باطلٌ: فإن آدم عليه السلام لم يكن بين الماء والطين قط؛ فإن الطين ماءٌ وترابٌ، وإنما كان بين الروح والجسد، ثم هؤلاء الضُّلال يتوهمون أن النبي ﷺ كان حينئذٍ موجوداً، وأنَّ ذاته خلقت قبل الذوات، ويستشهدون على ذلك بأحاديث مفتراة) [1].

ثانياً: يعتقد الغلاة أن النبي ﷺ مخلوقٌ من نور، وأن هذا النور مخلوقٌ من نور الله -جل وعلا-.

واستدل الغلاة على ذلك بالحديث المنسوب إلى جابر رضي الله عنه، وفيه: أن جابراً رضي الله عنه قال: يا رسول الله! بأبي أنت وأمي، أخبرني عن أول شيءٍ خلقه الله قبل الأشياء؟ قال: «يا جابر إن الله خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره...»، وهذا حديث لا أصل له، ولم يذكره أحدٌ من أهل الحديث، بل هو من وضع الغلاة وأئمة الضلال.

والمفاسد العقَدية المترتبة على هذا الحديث كثيرةٌ جداً منها:

المفسدة الأولى: اعتقاد الغلاة أن النبي ﷺ خُلِقَ من نور.

وهذا اعتقادٌ باطلٌ فاسدٌ لأنه يخالف الكتاب والسنة.

ففي كتاب الله:

• يقول الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الكهف:١١٠].

(١) «الرد على البكري» (ص٨، ٩).

• وقال تعالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾ [الإسراء].

وفي سنة نبينا ﷺ:

• يقول ﷺ: «**اللهمَّ إنما محمدٌ بشرٌ، يغضبُ كما يغضبُ البشرُ. وإني قد اتخذت عندك عهداً لن تُخْلِفَنِيهِ، فأيما مؤمنٍ آذيته، أو سببته، أو جلدتُهُ، فاجعلها له كفارةً، وقربةً، تقرِّبُهُ بها إليك يوم القيامة**»[1].

فرسولنا محمدٌ ﷺ بشرٌ بنص القرآن والسنة. والبشر مخلوقون من ترابٍ لا من نور. والدليل على ذلك من كتاب الله: قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾[الروم]. وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا...﴾[فاطر:١١].

والدليل من السنة:

قال ﷺ: «**خُلِقَتْ الملائكةُ من نور، وخُلِقَ الجانُّ من مارجٍ من نار، وخُلِقَ آدمُ مما وُصِفَ لكم**»[2].

فانظروا عباد الله! إلى الغلو، دفع أهله إلى أن كذَّبوا بآيات الله، وبسنة رسول الله ﷺ، فكونوا من الغلو على حذر!

المفسدة العقدَية الثانية: اعتقاد الغلاة أن النبي ﷺ مخلوقٌ من نور الله تعالى.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٠١).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٦٩).

ودليلهم على ذلك ما جاء في الحديث الذي لا أصل له وفيه: «**أن الله تعالى خلق نور نبيه من نوره**».

ويترتب على اعتقاد النبي ﷺ مخلوقٌ من نور الله تعالى: القول بوحدة الوجود والاتحاد بالله تعالى. فالنبي ﷺ عند أئمة الغلاة من الصوفية خُلِقَ من نور الله تعالى، ثم خُلِقَ من نور النبي ﷺ بقية المخلوقات، وهذا الذي ذهبوا إليه من خلق العالم أو صدوره عن ذات الله تعالى، هو الشق الأول الذي يفسرُ لنا ما ذهب إليه هؤلاء الغلاة من القول بوحدة الوجود والاتحاد بالله تعالى.

ولما تأصل عند أئمة الغلاة أنهم مخلوقون من النور المحمدي، وأن النور المحمدي مخلوقٌ من نور الله تعالى، وأنهم بذلك جزءٌ من الذات الإلهية، وكذا جميعُ المخلوقات، نتج عن ذلك نطقهم بعقيدتهم الفاسدة:

وما الكلبُ والخنزيرُ إلا إلهنا ... وما اللهُ إلا راهبٌ في كنيسةٍ

- ويقول إمام من أئمة الغلاة والضلال: (عجبت ممن عرف الله كيف يعبده)؛ لأن العارف في نظر هذا الضال هو الذي تجري فيه صفات الحق تبارك وتعالى في ذلك صفات الألوهية، والربوبية عن طريق الفناء، أو الاتحاد فيصبح هذا العارف جزءاً من الذات الإلهية ؛ لذا ظهر تعجب هذا الضال كيف يعبدُ اللهُ اللهَ؟! تعالى الله عن قوله علواً كبيراً، بل زعم هذا الضال -عن نفسه- أنه هو الله، وذلك: «لَـمَّا دق

عليه رجلٌ الباب قال له هذا الضال: من تطلب؟ قال: فلاناً وذكره اسمه، قال: هذا الضال، مُرْ ويحك! فليس في الدار غير الله».

فلما تحقق هذا الضال أنه هو الله كان البدهي أن يُسبِّح باسم نفسه، حيث يقول : «سُبحاني سُبحاني! ما أعظم شأني!! حسبي من نفسي حسبي» ويقول أيضاً : «سُبحاني سُبحاني أنا ربي الأعلى»[1].

• ويقول إمامٌ آخر من أئمة الغلاة وهو الحلاَّج: «إنَّ الأسماء التسعة والتسعين تصيرُ أوصافاً للعبد»[2].

• ويقول الحلاج أيضاً:

أنا أنت بلا شك فسبحانك سبحاني
وتوحيدك توحيدي وعصيانك عصياني
وإسخاطك إسخاطي وغفرانك غفراني

والنهاية المتوقعة التي وصل إليها الحلاج ما صرح بها في قوله:

كفرتُ بدين الله والكفر واجبٌ عليَّ وعند المسلمين قبيح[3]

وأصرَّ الحلاج على هذا الكفر حتى قتل، وكان يقول: (... فصاحبي وأستاذي إبليس وفرعون، وإبليس هدد بالنار وما رجع عن دعواه،

(١) «النور من كلمات أبي طيفور» (ص٧٩، ٨٤، ١٠١، ١٠٦، ١٠٩).
(٢) «الطواسين» (ص١٢٦) للحلاج.
(٣)« ديوان الحلاج» (ص٨٢، ٣٩).

وفرعون أُغرق في اليم وما رجع عن دعواه. وإن قتلت أو صلبت أو قطعت يداي ورجلاي ما رجعت عن دعواي) [1]. نعوذ بالله من الخذلان.

• ويقول إمامٌ ثالثٌ من أئمتهم وهو ابن عربي:

الربُّ حقٌّ والعبدُ حقٌّ يا ليت شعري من المكلّف
إن قلت عبدٌ فذاك ميت أو قلت ربٌّ أنى يكلّف

فانظروا عباد الله! إلى الغلو ماذا فعل بأصحابه! وإلى أين وصل بهم حتى قال أحدهم: «أنا اللهُ، واللهُ أنا، وما في الجبة إلا الله»

• ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [النور].

• ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ [الكهف].

• ويقول سبحانه: ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [يونس:٦٠].

• وقال -عز وجل-: ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾[يونس].

ويحذرُ سبحانه من القول عليه بغير علم فيقول: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [النحل].

فكونوا يا عباد الله من الغلو على حذر!

المفسدة العقدية الثالثة: اعتقاد الغلاة أن النبي ﷺ خُلِقَ قبل العرشِ

(١) «الطواسين» (ص٥٠-٥٢).

ودليلهم على ذلك ما جاء في الحديث الذي لا أصل له وفيه:

قال جابر: يا رسول الله! بأبي أنت وأمي أخبرني عن أولِ شيءٍ خلقه الله قبل الأشياء؟

فقال: «يا جابر! إن الله خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره»، وهذا حديثٌ لا أصل له ولم يذكره أحدٌ من أهل الحديث في كتب السنة، ولذلك لم يتطرق لهذه المسألة السلف الصالح، وإنما كان النقاش في مسألة أولوية العرش أو القلم.

فقول الجمهور من السلف والخلف: إن العرش خُلِقَ قبل القلم.

قال شيخ الإسلام: ذهب كثير من السلف والخلف إلى أن العرش متقدم على القلم واللوح، مستدلين بحديث عمران بن حُصين، قال: إني عند النبي ﷺ إذ جاءه قوم من بني تميم، فقال: «**اقبلوا البشرى يا بني تميم**»، قالوا: بشَّرتنا فأعطِنا، فدخل ناس من أهل اليمن فقالوا: «**اقْبَلوا البُشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم**»، قالوا: قبلنا، جئناك لنتفقَّه في الدين، ولنسألك عن أوَّل هذا الأمر ما كان، قال: «**كان الله ولم يكن شيءٌ قبلهُ، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السموات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء**»، ثم أتاني رجل فقال: يا عِمران أدرِكْ ناقتك فقد ذهبت، فانطلقت أطلُبها فإذا السَّرابُ ينقطع دونها، وأيم الله لودِدتُ أنها قد ذهبت ولم أقمْ[1].

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٧٤١٨).

وحملوا قوله ﷺ: «**أولَ ما خلقَ اللهُ القلمَ فقال له: اكتب فقال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة**»[(١)].

على هذا الخلق المذكور في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾[هود:٧][(٢)].

ونقل حكايةَ مذهب الجمهور أيضاً ابن كثير في تاريخه[(٣)]. قال: ويدل على ذلك الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه -ثم ذكر السند- إلى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنةٍ، وكان عرشه على الماء**»[(٤)].

قال ابن كثير: «قالوا: فهذا التقدير هو كتابته بقلم المقادير، وقد دل هذا الحديث أن ذلك بعد خلق العرش، فثبت أن تقديم العرش على القلم الذي كتب به المقادير، كما ذهب إلى ذلك الجماهير، ويحمل حديث القلم على أنه أول المخلوقات من هذا العالم»[(٥)].

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٧٠٢)، والترمذي (٢١٥٥)، وأحمد (٥/ ٣١٧)، [«صحيح الترمذي» (٢٦٤٥)].

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢/ ٢٧٥) بتصرف يسير.

(٣) «البداية والنهاية» (١/ ٧).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٥٣).

(٥) «البداية والنهاية» لابن كثير (١/ ٧).

وقال ابن أبي العز الحنفي: «فأخبر ﷺ أن تقدير هذا العالم المخلوق في ستة أيام كان قبل خلقه بخمسين ألف سنة، وأن عرش الرب تعالى كان حينئذٍ على الماء»[1].

فثبت أن أهل العلم لم يتعرضوا لأولية خلق النبي ﷺ، لعدم وجود الدليل الصحيح الذي يدل على ذلك.

هل توقف الغلاة إلى هذا الحد من الضلال؟ أم أن الغلو دفعهم إلى التوسل غير المشروع وإلى الشرك الأكبر؟

هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة -إن شاء الله تعالى- إن كان في العمر بقية.

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» لأبي العز (١/ ١١٣).

خصائص النبي ﷺ عند الغلاة

القسم الأول: ٢- خصائصُ النبي ﷺ عند الغلاة قبل وجوده.

• **عباد الله!** يقول -عز وجل- في كتابه: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ -أي: موافقاً للسنة- ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ -أي: خالصاً لله تعالى- [الكهف]. ويقول سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾[الشورى]. ويقول -عز وجل-: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ [آل عمران:٦٢].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمَرْجان من قصص القرآن، دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**. والتي نتكلم فيها عن قصةِ نبينا وحبيبنا محمدٍ ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله؟!

إنها: **خصائصُ النبي ﷺ عند الغلاةِ قبل وجودهِ**

لقد قلنا في الجمعة الماضية: إن الله -عز وجل- حرَّمَ الغلو في الدين فقال تعالى: ﴿لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة].

ورسولنا ﷺ حذر أمته من الغلو في الدين.

فقال ﷺ: «... **وإياكم والغُلوَّ في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين**»[1]. وقال ﷺ: «**لا تطروني كما أطرتِ النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله**»[2].

ومع ذلك فقد خالف الغلاة أمر الله وأمر رسوله ﷺ وغَلَوَا في خصائصه ﷺ قبل وجوده بما يلي:

أولاً: اعتقد الغلاة أن النبي ﷺ خُلِقَ قبل الأنبياء.

ثانياً: اعتقد الغلاة أن النبي ﷺ مخلوقٌ من نور الله تعالى، وأن الوجود كله مخلوقٌ من نوره ﷺ.

وقد تكلمنا عن ذلك في الجمعة الماضية، وتبين لنا أن الغلاة استدلوا على ذلك بأدلةٍ لا أصل لها، وأنهم بذلك خالفوا الكتاب والسنة.

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع...

ثالثاً: يعتقد الغلاة أن الأنبياء توسلوا بحقِّ وجاهِ وذاتِ المصطفى ﷺ الشريفة قبل أن يُخلق.

---

(١) **صحيح**: رواه النسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، وأحمد (١/ ٢١٥)، [«السلسلة الصحيحة» (١٢٨٣)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٤٤٥).

واستدلوا على ذلك بأحاديث إما موضوعةٍ، وإما ضعيفةٍ لا يحتج بها، وإما صحيحة لكنها لا تدل على ما ذهبوا إليه من الغلوِّ، ومنها:

• عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب! أسألك بحق محمد لَمَّا غفرت لي، فقال الله: يا آدم! وكيف عرفت محمداً ولم أخْلُقْهُ؟ قال: يا رب؛ لأنك لَمَّا خلقتني بيدك، ونفخت فيَّ من روحك، رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرشِ مكتوباً: لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله. فعلمتُ أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحبَّ الخلق إليك. فقال الله: صدقت يا آدم! إنه لأحبُّ الخلق إليَّ، أُدعني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمدٌ ما خلقتك**»[1].

وكلامنا عن هذا الحديث سيكون حول النقاط الآتية:

النقطة الأولى: أقوال أهل العلم في تضعيف الحديث.

النقطة الثانية: مخالفة ألفاظ الحديث لنصوص الكتاب والسنة.

النقطة الثالثة:المفاسد العقدية المترتبة عليه.

النقطة الأولى: أقوال أهل العلم في تضعيف الحديث.

هذا الحديث موضوعٌ لا أصل له.

• قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (ليس له أصلٌ)[2].

(١) **موضوع**: رواه الحاكم في «المستدرك» (٤٢٢٨)، [«السلسلة الضعيفة» (٢٥)].

(٢) «الرد على البكري» (ص٩-١٠).

• وحكم عليه الإمام الذهبي -رحمه الله- بـ«الوضع»[1]، و«البطلان»[2].

• وحكم عليه أيضاً الإمام الألباني -رحمه الله- بالوضع[3]، وعليه يسقط الاحتجاج بالحديث سنداً ومتناً، ويدل على ذلك مخالفته للثابت من نصوص الكتاب والسنة.

النقطة الثانية: مخالفة ألفاظ الحديث لنصوص الكتاب والسنة.

وتتجلى تلك المخالفة في الآتي:

أولاً: لفظ: «يا ربِّ أسألك بحق محمدٍّ لَمَّا غفرت لي»، وهذا اللفظ مخالفٌ لظاهر القرآن:

قال الله تعالى في شأن آدم عليه السلام: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة].

قال ابن جرير -رحمه الله-: (اختلف أهل التأويل في أعيان الكلمات التي تلقاها آدم من ربه). -ثم ذكر سبعة أقوالٍ لم يذكر من بينهم حديث: (يا رب أسألك بحق محمدٍ لما غفرت لي)-.

قال: وهذه الأقوال التي حكيناها عمن حكيناه عنه، وإن كانت مختلفة الألفاظ فإن معانيها متفقةٌ في أن الله جل ثناؤه لقَّى آدم كلماتٍ، فتلقاهن آدم

(١) «تلخيص المستدرك» بهامشه (٢/ ٦٧٢).

(٢) «ميزان الاعتدال» (٢/ ٥٠٤).

(٣) [«السلسلة الضعيفة» (٢٥)].

من ربه فقبلهنَّ وعمل بهنَّ، وتاب بقيله وعمله بهنَّ إلى الله من خطيئته معترفاً بذنبه، متنصلاً إلى ربه من خطيئته... إلى قوله: والذي عليه كتاب الله تعالى، أن الكلمات التي تلقاهُنَّ آدم من ربه هنَّ قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف].

ثم قال -رحمه الله-: (وهذا الذي أخبر الله عن آدم من قيله الذي لقّاه إياه فقاله تائباً إليه من خطيئته، تعريفٌ منه جلَّ ذكره جميع المخاطبين بكتابه بكيفية التوبة إليه من الذنوب)[1].

وقال ابن تيمية -رحمه الله-: (فلو كان آدم قد قال هذا - «يا رب أسألك بحق محمد لمَّا غفرت لي»- لكانت أمة محمدٍ ﷺ أحقُّ به منه، بل لكان الأنبياء من ذريته أحق به منه، وقد علم كل عالمٍ بالآثار أن النبي ﷺ لم يأمر أمته به، ولا نقل عن أحدٍ من الصحابة الأخيار، ولا نقله أحدٌ من العلماء الأبرار، فعُلم أنه من أكاذيب أهل الوضع والاختلاق)[2].

وهذا كتاب ربنا ينطق بالحق:

- فهذا موسى عليه السلام عندما وكز الرجل فقتله ماذا فعل؟ هل قال يا ربِّ أسألك بحق محمدٍ ﷺ أن تغفر لي؟ أو قال يا ربِّ أسألك بحق آدم وإبراهيم أن تغفر لي؟

(١) «جامع البيان» (١/ ٢٨٠-٢٨٣).

(٢) «الرد على البكري» (ص٩-١١).

الجواب: لا. وإنما قال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ [القصص].

• وهذا يونس عليه السلام عندما خرج من بين قومه قبل أن يأذن الله له فالتقمه الحوت ماذا فعل؟ هل قال يا رب أسألك بحق محمدٍ ﷺ أو بحق إبراهيم أو بحق آدم أن تغفر لي؟

الجواب: لا. وإنما قال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء].

• وهذا رسولنا ﷺ، يعلم أمتهُ كيف تتوب من ذنوبها، قال ﷺ في سيد الاستغفار: «**اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوءُ لك بنعمتك عليَّ، وأبوءُ بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**»[1].

ثانياً: لفظ: «أُدعني بحقه فقد غفرتُ لك»:

وهذا اللفظ يخالف الكتاب والسنة... فالله -عز وجل- في كتابه أمرنا بالدعاء ووعدنا بالاستجابة فقال سبحانه: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر:٦٠].

وعلمنا كيف ندعوه بدون واسطةٍ... فقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٣٠٦).

• وها هم أنبياء الله جميعاً يدعون الله مباشرةً وبدون واسطةٍ...

• فهذا نوح عليه السلام يقول في دعائه: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ [نوح].

• وهذا إبراهيم عليه السلام يقول في دعائه: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم].

• وهذا أيوب عليه السلام يقول الله عنه: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ﴾ [الأنبياء:٨٣-٨٤].

• وهذا زكريا عليه السلام يقول الله عنه: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ [الأنبياء:٨٩-٩٠].

• وهذا رسولنا ﷺ يُعلِّمُ أمته الدعاء بدون واسطة فيقول ﷺ: «**ربِّ اغفر لي وتبْ عليَّ إنك أنت التواب الرحيم**»(١).

• وهذا أبو بكر رضي الله عنه جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! علمني دعاءً أدعو به في صلاتي، قال ﷺ: «**قل: اللهمَّ! إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرةً من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم**»(٢).

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (١٥١٦)، والترمذي (٣٤٣٤)، وأحمد (٢/ ٦٧)، [«صحيح سنن الترمذي» (٢٧٣١)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٨٣٤)، ومسلم (٢٧٠٥).

ثالثاً: لفظ: «لولا محمدٌ ما خلقتك»..

وهذا اللفظ مخالفٌ لصريح القرآن، فالله -عز وجل- أخبر في كتابه أنه خلق آدم والخلق جميعاً لعبادته، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات].

النقطة الثالثة: المفاسد العقدية المترتبة على هذا الحديث

المفسدة الأولى: ظهور البدع وتفشيها في أوساط المسلمين، وعبادة الله بغير ما شرع.

التوسل بالحق والجاه والذات أمرٌ محدَثٌ مبتدَعٌ لم يأذن الله تعالى به...

قال شيخ الإسلام: (ومن سأل الله تعالى بالمخلوقين، أو أقسم عليه بالمخلوقين، كان مبتدعاً بدعةً ما أنزل الله بها من سلطان)[1].

فالبدعة من أسوأ أبواب الضلال؛ لأن صاحبها يتقرب بها إلى الله تعالى، ويحسبُ أنه على شيءٍ، حتى إذا جاء يوم القيامة لم يجده شيئاً، وفوجئ بأن أعماله رُدت عليه..

- قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف].

- وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان].

---

(١) «قاعدة جليلة» (ص٢٤٣).

• وقال تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾[الزمر].

• وقال ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ**»(١).

• وقال ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ**»(٢).

• ويُحرم المبتدع من ورود حوض النبي ﷺ، فقال ﷺ: «**أيها الناس! إني لكم فَرَطٌ على الحوض، فإيايَ لا يأتينَّ أحدُكمُ فيُذبُّ عني كما يُذَبُّ البعيرُ الضالُّ فأقول فيم هذا، فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول: سُحْقاً**»(٣).

المفسدة الثانية: الحديث وسيلةٌ وذريعةٌ للشرك الأكبر.

فالمتأمل للأدلة السابقة التي ساقها القوم في التوسل بالحق والجاه والذات، يجد أثر خطوات عدو الله إبليس فيها ظاهرةٌ، حيث يجدهم يقولون بجواز التوسل بحق النبي ﷺ في الخطوة الأولى، ثم توسعوا في التي تليها وقالوا بجوازه بالأنبياء مِنْ قبلُ عليهم السلام، ثم توسعوا في الخطوة التي تليها التي فتحوا فيها الباب على مصراعيه، وقالوا بجواز التوسل بكل عبدٍ مؤمنٍ كما في استدلالهم بحديث: «اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك». قال أحدهم: «فإن فيه التوسل بكل عبدٍ مؤمن»(٤).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٧١٨).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٩٥).

(٤) «الدرر السنية» (ص٧).

ثم في عصور تفشي الجهل لدى المسلمين، ساغ لعدو الله إبليسَ أن يخطو بهم خطوته الأخيرة التي أوقعت الكثير منهم في هُوَّةِ الشرك الأكبر؛ وذلك بأنْ بين لهم: أن المقصود بالتوسل بحق النبي ﷺ والصالحين هو الاستغاثة بهم في قضاء الحاجات، وكشف الضر والكربات، من شفاء الأسقام فيما عجز عن طبه الأنام، وغفران الذنوب والآثام التي هي من خصائص رب العزة والجلال.

ومن الأمثلة على ذلك:

• يقول أحدهم:

يا رسول الله إني ضعيفٌ ... فاشفني أنت مَقْصَدٌ للشفاءِ
يا رسول الله إن لم تغثني ... فإلى مَنْ ترى يكونُ التجائي[1]

• ويقول الآخر:

يا صاحب القبر المنير بيثربٍ ... يا منتهى أملي وغاية مطلبي
يا من به في النائبات توسلي ... وإليه من كل الحوادث مهربي
يا من نُرجيه لكشف عظيمةٍ ... ولحل عقدٍ ملتوٍ متصعب[2]

فانظروا يا عباد الله! ماذا فعل الغلو بأهله، جعلهم ينقلون النبي ﷺ من منزلة العبودية إلى منزل الألوهية، فيدعونه من دون الله. وهذا الذي

(١) «شواهد الحق» للنبهاني (ص٣٥٢).

(٢) «ديوان البرعي مع شرحه» (ص٦٣).

حذر الله منه فقال: ﴿لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ [النساء:١٧١] وحذر منه النبي ﷺ فقال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم**»(١).

إذا كانت أدلةُ التوسل بحقٍّ وجاه الرسول ﷺ ضعيفةً لا يعني أن ليس له جاهٌ عند ربه -عز وجل-، ولا ينفي التوسل المشروع الذي جاء به الشرع الحنيف. فجاهه ﷺ أعظم الجاه، بل لا يبلغ أحدٌ من الخلق ما بلغه ﷺ من الجاه عند ربه -جل وعلا-.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (وجاهه عند الله تعالى أعظم من جاه جميع الأنبياء والمرسلين، وقد أخبر سبحانه وتعالى عن موسى وعيسى -عليهما السلام- أنهما وجيهان عند الله تعالى. فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾ [الأحزاب].

وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [آل عمران].

فإذا كان موسى وعيسى وجيهين عند الله -عز وجل- فكيف بسيد ولد آدم، صاحب المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون، وصاحب الكوثر والحوض المورود...، وهو صاحب الشفاعة يوم القيامة حيث يتأخرُ عنها آدمُ وأولو العزم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهو إمام الأنبياء إذا اجتمعوا وخطيبهم إذا وفدوا ذو الجاه العظيم ﷺ)(٢).

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٤٤٥).

(٢) «قاعدة جليلة» (ص٢٥٢-٢٥٤).

التوسل المشروع:

يكون التوسل المشروع بأمور منها: الإيمان بالله ورسله، ومحبة الله ورسله، وفي هذا يقول شيخ الإسلام: (وإذا تكلمنا فيما يستحقه الله تبارك وتعالى من التوحيد، بينا أن الأنبياء -عليهم السلام- وغيرهم من المخلوقين لا يستحقون ما يستحق الله تبارك وتعالى من الخصائص فلا يُشرَك بهم، ولا يُتوكل عليهم، ولا يُستغاث بهم كما يستغاث بالله، ولا يُقسَم على الله بهم، ولا يُتوسل بذواتهم، وإنما يُتوسل بالإيمان بهم، وبمحبتهم، وطاعتهم، وموالاتهم، وتعزيرهم، وتوقيرهم، ومعاداة من عاداهم، وطاعتهم فيما أمروا، وتصديقهم فيما أخبروا، وتحليل ما حلَّلوه، وتحريم ما حرَّموه.

والتوسل بذلك على أمرين:

أحدهما: أن يُتوسل بذلك إلى إجابة الدعاء، وإعطاء السؤال كحديث الثلاثة الذين آووا إلى الغار، فإنهم توسلوا إلى الله تعالى بأعمالهم؛ ليجيب دُعاءَهم، ويُفرج كربتهم.

والثاني: التوسل بذلك؛ لحصول ثواب الله تعالى، وجنته، ورضوانه؛ فإن الأعمال الصالحة التي أمر بها الرسول ﷺ هي الوسيلة إلى سعادة الدنيا والآخرة.

وكذلك التوسل بدعاء النبي ﷺ وشفاعته فإنه يكون على وجهين:

الوجه الأول: أن يُطلب منه الدعاء، والشفاعة. فيدعو، ويشفع كما كان يُطلب منه في حياته، وكما يُطلب منه يوم القيامة، فيطلبون منه الشفاعة.

الوجه الثاني: (أن يكون التوسل مع ذلك بأن يُسأل الله تعالى بشفاعته ودعائه، كما في حديث الأعمى فإنه طلب منه ﷺ الدعاء والشفاعة. فدعا له الرسول ﷺ، وشفع فيه، وأمره ﷺ أن يدعو الله أن يقبل شفاعته ﷺ)[1].

هذه هي خصائص النبي ﷺ عند الغلاة قبل وجوده، فما هي خصائصُ النبي ﷺ عند الغلاة في حياته البرزخية؟ هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة -إن شاء الله تعالى- إن كان في العمر بقية.

(١) «قاعدة جليلية» (ص: ٢٤٠-٢٤١).

خصائص النبي ﷺ عند الغلاة

القسم الثاني: ١- خصائصُ النبي ﷺ عند الغلاة في حياته البرزخية

• **عباد الله!** يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة]، ويقول سبحانه: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور]، ويقول سبحانه: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمَرْجان من قصص القرآن، دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ.**

والتي نتكلم فيها عن قصةِ نبينا وحبيبنا محمدٍ ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: خصائصُ النبي ﷺ عند الغلاة في حياته البرزخية.

لقد تكلمنا في الجمع الماضية عن خصائصه ﷺ عند الغلاة قبل وجوده، وتبين لنا أن القوم استدلوا بأدلةٍ لا أصل لها في غلوهم في رسول الله ﷺ، فخالفوا الكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم فضَلّوا وأضلّوا.

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- وفي الجمعة القادمة مع القسم الثاني من خصائصِ النبي ﷺ عند الغلاة ألا وهو: خصائصُ النبي ﷺ عند الغلاة في حياته البرزخية لتكونوا من الغلو في الدين والغلاة على حذر، ومنها:

أولاً: يعتقد الغلاة أن من زار قبر النبي ﷺ وجبت له شفاعته.

واستدل الغلاة على ذلك بحديثٍ: «**من زار قبري وجبت له شفاعتي**»[1].

وكلامنا عن هذا الحديث سيكون حول النقاط الآتية:

النقطة الأولى: أقوال أهل العلم في تضعيف الحديث.

النقطة الثانية: كيفية الحصول على شفاعة الرسول ﷺ.

النقطة الثالثة: حكم زيارة القبور، وحكم شد الرحال إليها.

النقطة الأولى: أقوال أهل العلم في تضعيف الحديث

قال الإمام النووي -رحمه الله-: (إسناد الحديث ضعيفٌ)[2]. وقال ابن عبد الهادي -رحمه الله-: (حديثٌ منكرٌ عند أئمة هذا الشأن، ضعيف الإسناد عندهم، لا يقوم بمثله حجةٌ، ولا يعتمد على مثله في الاحتجاج)[3]. وقال الإمام الألباني -رحمه الله-: (هذا حديثٌ موضوع)[4].

(١) رواه الدارقطني (٢/ ٢٧٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤١٥٩).

(٢) «المجموع شرح المهذب» (٨/ ٢٧٢).

(٣) «الصارم المنكي في الرد على السبكي» لابن عبد الهادي (ص٣٠).

(٤) «السلسلة الضعيفة» (١/ ٦٤).

النقطة الثانية: كيفية الحصول على شفاعة الرسول ﷺ

وبالنظر إلى متن الحديث نجد: حصول الشفاعة بل وجوبها لمن زار قبره ﷺ، وهذا لم يثبت ولم يصح؛ لأن حصول الثواب على عبادةٍ ما، أمرٌ توقيفيٌ، لا يؤخذ إلا من كتاب الله أو الصحيح من سنة رسول الله ﷺ على فهم السلف الصالح، وقد بين أهل العلم بالحديث أن مثل تلك الروايات لا، يعتمد عليها في أخذ الأحكام الشرعية، وقد أغنانا الله من فضله عن تلك الروايات الضعيفة بما صح عن رسوله الكريم ﷺ مما يبين ويوضح لنا كيفية الحصول على شفاعة الرسول ﷺ ومن ذلك:

١ - التوحيد الخالص لله -عز وجل- في جميع العبادات:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قيل يا رسول الله! من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال ﷺ: «**أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه**»(١).

٢ - الابتعاد عن كل مظاهر الشرك:

قال ﷺ: «لكل نبيٍّ دعوةٌ مستجابةٌ فتعجَّلَ كلُّ نبيٍّ دعوته، وإني اختبأتُ دعوتي شفاعةً لأُمتي يوم القيامة، فهي نائلةٌ إن شاء الله من مات مِنْ أمتي لا يُشركُ بالله شيئاً»(٢).

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٩٩).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٩).

٣- الدعاء للنبي ﷺ بالوسيلة عَقِبَ كل أذان:

قال ﷺ: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول. ثم صلوا عليَّ، فإنه من صلَّى عليَّ صلاةً صلى الله عليه بها عشراً، ثم سَلُوا الله لي الوسيلةَ، فإنها منزلةٌ في الجنة لا تنبغي إلا لعبدٍ من عباد الله، وأرجوا أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلَّت له الشفاعة**»(١).

٤- الموت بالمدينة:

- قال ﷺ: «**من استطاع أن يموت بالمدينة فَلْيَمُتْ بها؛ فإني أشفع لمن يموت بها**»(٢).
- فانظروا عباد الله إلى الغلاة كيف تركوا الأدلة الصحيحة في كيفية الحصول على شفاعة الرسول ﷺ، وتمسكوا بالأدلة الضعيفة الموضوعة، لأن ذلك يتناسب مع غلوهم وضلالهم.

النقطة الثالثة: حكم زيارة القبور، وحكم شد الرحال إليها.

فالأول جائزٌ ومستحبٌ شرعاً، والثاني منهيٌّ عنه شرعاً، والغلاة في الدين لم يهتدوا إلى التفريق بين الحكمين. يقول ابن عبد الهادي: (والسفر إلى زيارة القبور «وهو شد الرحال» مسألةٌ، وزيارتها من غير سفرٍ مسألةٌ

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٣٨٤).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٣٩١٧)، وابن ماجه (٣١١٢)، وأحمد (٢/ ٧٤، ١٠٤)، [«صحيح سنن الترمذي» (٣٩١٧)].

أخرى، ومن خلط هذه المسألة بهذه المسألة وجعلها مسألةً واحدةً، وحكم عليها بحكمٍ واحدٍ، وأخذ في التشنيع على من فَرَقَ بينهما، وبالغ في التغفير عنه، فقد حُرِمَ التوفيق، وحاد عن سواء الطريق)[1].

• **فالحكم الأول**: وهو مسألة زيارة القبور فهو جائزٌ ومستحبٌ شرعاً إذا لم يقترن بشيءٍ من المخالفات والبدع.

والأدلة على ذلك:

١ - قوله ﷺ «**كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور ألا فَزوروها فإنها تُرِقُّ القلب، وتُدْمِعُ العين، وتُذَكِّرُ الآخرة، ولا تقولوا هُجْراً**»[2].

والهجر: هو الكلام الباطل.

٢ - وقوله ﷺ: «**إني نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، فإنّ فيها عِبْرةً**»[3].

٣- وقوله ﷺ: «**ولا تقولوا ما يُسخطُ الرب**»[4].

٤ - ولما سألت عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله! ماذا أقول إن أنا زرت المقابر؟ فقال رسول الله ﷺ: «**قولي: السلام على**

---

(١) «الصارم المنكي» (ص٢٧).

(٢) **صحيح لغيره**: رواه أحمد (٣/ ٢٣٧)، والحاكم (١٣٤٢)، [«أحكام الجنائز» (ص٢٢٨)].

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٣٨)، والطبراني في «الكبير» (٢٣/ ٢٧٨، رقم ٦٠٢)، والحاكم (١٣٨٦)، والبيهقي في «السنن» (٤/ ٧٧)، [«أحكام الجنائز» (ص٢٢٨)].

(٤) **صحيح**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٧٠١٥)، وفي «الصغير» (٨٧٩)، والبزار كما في «مجمع الزائد» (٣/ ١٨٤).

أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحَمُ الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنَّا إن شاء الله بكم للاحقون»[1].

٥- وزارت عائشة رضي الله عنها المقابر يوماً، فلقيها رجلٌ فقال: (يا أم المؤمنين من أين أقبلت؟ قالت: من قبر عبد الرحمن بن أبي بكرٍ، فقال لها: أليس كان رسول الله ﷺ ينهى عن زيارة القبور؟ قالت: نعم، ثم أمرَ بزيارتها»[2].

وزار الصحابة رضي الله عنهم القبور وزاروا قبر النبي ﷺ؛ فهذا ابن عمر رضي الله عنهما كان إذا رجع من سفر ذهب إلى مسجد النبي ﷺ وصلى فيه ركعتين، ثم يذهب إلى قبر النبي ﷺ وقبر صاحبيه ويقول: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا خليفة رسول الله! السلام عليك يا أبي! ثم ينصرف[3].

فزيارة القبور عامةً ومنها قبر النبي ﷺ مشروعةٌ وجائزةٌ ومستحبةٌ شرعاً إذا لم تقترن بالمخالفات الشرعية.

• **أما الحكم الثاني**: وهو السفر وشد الرحال لزيارة القبور فمنهيٌّ عنه شرعاً. لقوله ﷺ: «**لا تُشدُّ الرحالُ إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى**»[4].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٩٧٤).

(٢) **صحيح**: رواه الحاكم (١٣٩٢)، والبيهقي في «السنن» (٤/ ٧٨) [«إرواء الغليل» (١/ ١٨١)].

(٣) ذكره شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (١/ ٢٣٠) في رسالة «قاعدة جليلة».

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧).

ولم ينقل عن أحدٍ من الصحابة ﷺ أنه شدَّ الرحل، وسافر لزيارة قبرٍ ما، مما يدل على أن ذلك لا يجوز شرعاً.

ثانياً: يعتقد الغلاة أن من حج حجة الإسلام وزار قبره ﷺ، وغزا غزوةً وصلى عليه في بيت المقدس لم يسأله الله تعالى فيما افترض عليه.

واستدلوا على ذلك بحديث: «**من حج حجة الإسلام وزار قبري، وغزا غزوةً، وصلى عليَّ في بيت المقدس لم يسأله الله -عز وجل- فيما افترض عليه**»[1].

وكلامنا عن هذا الحديث سيكون حول النقاط الآتية:

- **النقطة الأولى**: أقوال أهل العلم في تضعيف هذا الحديث.
- **النقطة الثانية**: مخالفة الحديث لنصوص الكتاب والسنة.
- **النقطة الثالثة**: المفاسد العظيمة المترتبة على هذا الحديث.

النقطة الأولى: أقوال أهل العلم في تضعيف هذا الحديث.

قال الإمام الذهبي -رحمه الله-: (إنه خبرٌ باطلٌ).

وقال ابن عبد الهادي: (هذا الحديث موضوعٌ على رسول الله ﷺ بلا شكٍ ولا ريب عند أهل المعرفة بالحديث)[2].

(١) «شفاء السقام» (ص٣٤).

(٢) «الصارم المنكى» (ص٢٢٢).

ومن الأدلة على وضع هذا الحديث مخالفتهُ للكتاب والسنة وهـذا يظهـر لنا في:

النقطة الثانية: مخالفة الحديث لنصوص الكتاب والسنة.

فالحديث فيه: «مـن حـجَّ حجـة الإسـلام وزار قـبره ﷺ وغـزا غـزوةً وصلى عليه في بيت المقدس لم يسأله الله -تعالى- فيما افترض عليه».

وهذا الحديث يخالف الكتاب والسنة؛ فإن سؤال العباد في الآخـرة عـما افتُرض عليهم، ومحاسبتهم على ذلك مـن الأمـور القطعيـة الثابتـة بـصريح القرآن وصحيح السنة.

- قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾[الحجر]. ففي هذه الآية أخـبر الله -عز وجل- بأن السؤال حاصل لجميـع النـاس، وأكـد هـذا الخـبر بثلاثة مؤكِّدات هي: القـسم والـلام والنـون والتوكيديـة، ثـم أكـد الضمير «بأجمعين» ليدل على استيعاب السؤال لجميع المكلفين.
- وقال تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات].
- وقال تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾﴾[الأعراف].

فالله -عز وجل- يسأل الأمم يـوم القيامـة عـما أجـابوا رسـله فـيما أرسلهم به، ويسأل الرسل أيضاً عن إبلاغ رسالاته.

- وقال ﷺ: «**أول ما يحاسَبُ بـه العبـد يـوم القيامـة صـلاته، فـإن كـان**

أتـمَّها، كتبت له تامَّةً، وإن لم يكن أتمها، قال الله لملائكته: انظروا هل تجدون لعبدي من تطوّع فتكْمِلُونَ بها فريضته؟ ثم الزكاة كذلك، ثم تُؤخذُ الأعمال على حسب ذلك»[1].

• وقال ﷺ: «**كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام يُسأل عن رعيته، والرجل يسأل عن أهله، والمرأة تسأل عن بيت زوجها، والعبد يسأل عن مال سيده**»[2].

ابن آدم!

مَثِّلْ وقوفك يوم العرض عُريانا ... مستوحشاً قلق الأحشاء حيرانا
والنار تلهب من غيظٍ ومن حنقٍ ... على العُصاة ورب العرش غضبانا
اقرأ كتابك يا عبدي على مهلٍ ... فهل ترى فيه حرفاً غير ما كانا
لما قرأت ولم تنكر قراءته ... إقرار من عرف الأشياء عرفانا
نادى الجليل خذوه يا ملائكتي ... وامضوا بعبد عصى للنار عطشانا
المجرمون غداً في النار يلتهبوا ... والمؤمنون في دار الخلد سكانا

• والحديث يخالف الكتاب والسنة في مناسك الحج:

فمناسكُ الحج كلُّها في مكة: الطواف، والسعي، ومنى، وعرفة، ومزدلفة:

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٨٦٤)، وابن ماجه (١٤٢٦)، وأحمد (٤/ ٦٥، ١٠٣) [«صحيح الجامع» (٢٥٧١)]، واللفظ لأحمد.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩).

• ففي كتاب الله -عز وجل- بدأ ربنا -عز وجل- مناسك الحج بقوله: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾، وختمها بقوله: ﴿۞ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ اتَّقَىٰ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾[البقرة].

• ورسولنا ﷺ في حجة الوداع يقول للناس: «**لتأخذوا مناسِكَكُم**»[1] فبدأ ﷺ حجهُ بلبس ملابس الإحرام والنية من الميقات، وختم حجهُ بالمبيت في منى في أيام التشريق، يرمي الجمرات كل يومٍ بعد الزوال، ثم أنهى حجهُ بطواف الوداع.

وقال ﷺ: «**لا ينْفِرَنَّ أحدٌ حتى يكون آخرُ عهده بالبيت**»[2].

فلا علاقة للمسجد النبوي والمسجد الأقصى وقبر النبي ﷺ بمناسك الحج.

ولكن يجوز للحاج وغيره أن يشدَّ الرحال إلى المسجد النبوي، وإلى المسجد الأقصى للصلاة فيهما لمضاعفة الأجر فيهما. وإذا وصل الحاج أو مرَّ بالمدينة النبوية وصلى في المسجد النبوي، فيُشرعُ له زيارة قبر النبي ﷺ وصاحبيه، ويشرع له أيضاً زيارة البقيع وشهداء أُحد. وأما حديث: «من حج ولم يزرني فقد جفاني»[3]، فهو حديث موضوع.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٨٦).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٣٢٧).

(٣) **موضوع**: «كشف الخفاء» (٢/ ٣٣٨)، [«السلسلة الضعيفة» (٤٥)].

النقطة الثالثة: المفاسد العظيمة المترتبة على هذا الحديث.

• هل تأمل الغلاة متن هذا الحديث جيداً، وعرفوا ما يلزم منه من لوازم تنقض عُرى الإسلام عُروةً عروة، أم غلبَ عليهم الهوى حتى أصمهم وأعمى أبصارهم وبصيرتهم عن تدبر ما يلزم من ذلك الحديث؟

• هل يعتقد الغلاة: أن من حج حجة الإسلام، وزار قبره ﷺ، وغزا غزوةً، وصلى في بيت المقدسِ جاز له أن يعبدَ غير الله -تعالى-؟! وأنه إذا عبد غير الله لا يسأله الله عما افترض عليه من التوحيد محتجاً بهذا الحديث.

والله سبحانه هو القائل لنبيه ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر].

ويقول الله -عز وجل- أيضاً: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر] -أي: واعبد ربك حتى يأتيك الموت-.

• هل يعتقد الغلاة: أن من أتى بتلك الأعمال جاز له ترك الصلاة والزكاة؟! وهما مما افتُرض على العبد، وقد جاء في شأن الصلاة، قوله ﷺ: «**إن العهدَ الذي بيننا وبينهم الصلاةُ فمنْ تركها فقد كفر**»[1].

• هل يعتقد الغلاة: أن من أتى بتلك الأعمال حلَّ له شرب الخمر ونكاح الأمهات والأخوات والبنات؟! لأنه يزعم أن الله لا يسأله عما افترض

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٦٢١)، والنسائي (٤٦٣)، وابن ماجه (١٠٧٩)، وأحمد (٥/ ٣٤٦)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٥٦٤)].

عليه من اجتناب محارمه مما هو معلوم من الدين بالضرورة وغير ذلك من اللوازم الفاسدة التي من اعتقدها خرج عن دائرة الإسلام والمسلمين. نعوذ بالله من الخذلان.

ثالثاً: خصَّ الغلاة الرسول ﷺ بأن إليه الملاذُ والمهربُ في الشدائد وكشف الضر والكربات

يقول الله -عز وجل-: ﴿لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾[النساء:١٧١].

ورسول الله ﷺ يقول: «**لا تُطروني كما أطرت النصارى ابن مريم**».

ومع ذلك فإن الغلاة غلوا في رسول الله ﷺ حتى أنهم نقلوه من منزلة العبودية إلى منزلة الألوهية فيلتجؤونَ إليه في الشدائد والكرب.

يقول أحدهم مستغيثاً برسول الله ﷺ:

يا ملاذي يا منجدي يا منائي يا مُعاذي يا مقصدي يا رجائي[1]

ويقول آخر:

بذلِّي بإفلاسي بفقري بفاقتي إليك رسول الله أصبحت أهرب[2]

ويقول أحد الغلاة:

يا رسول الإله إني ضعيف فاشفني أنت مقصد للشفاء[3]

(١) «شواهد الحق» (ص٣٥٥).

(٢) «شواهد الحق» (ص٣٦١).

(٣)« شواهد الحق» (ص٣٥٢).

والله -عز وجل- يأمر رسوله ﷺ أن يقول للناس: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الكهف:١١٠]. ويقول له أيضاً: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الأنعام:٥٠].

ويقول الله -عز وجل- لرسوله ﷺ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس].

والله -عز وجل- يقول لعباده: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [النحل].

ويقول سبحانه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل].

ويخبرنا الله -عز وجل- في كتابه عن حال المشركين الأوائل، أنهم كانوا إذا أصابهم الضر والكرب والشدة دعوا الله منيبين إليه مخلصين له.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾﴾ [الزمر].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت].

وأما الغلاة إذا أصابهم الضرُ والشدةُ والكربُ دعوا غير الله تعالى، نعوذ بالله من الخذلان.

هل وقف الغلاة عند هذا الحد من الغلو في خصائص النبي ﷺ، أم أنهم اعتقدوا أن النبي ﷺ يمحو الذنوب، ويعلمُ ما في اللوح المحفوظ والقلوب؟ هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة -إن شاء الله تعالى- إن كان في العمر بقية.

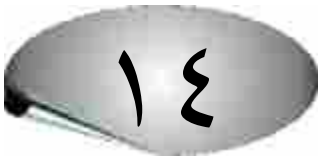

خصائص النبي ﷺ عند الغلاة

القسم الثاني: ٢- خصائص النبي ﷺ عند الغلاة في حياته البرزخية

• **عباد الله!** يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾ [النساء:١٧١]. ويقول سبحانه: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾[الكهف]. ويقول -عز وجل- ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ﴾ [آل عمران:٦٢].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمَرْجان من قصص القرآن: دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**. والتي نتكلم فيها عن قصةِ نبينا وحبيبنا محمدٍ ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **خصائص النبي ﷺ عند الغلاة في حياته البرزخية**.

لقد قلنا في الجمع الماضية: إن الله -عز وجل- حرَّم الغلو في الدين فقال تعالى: ﴿لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾ [المائدة:٧٧].

ورسولنا ﷺ حذر أمتهُ من الغلو في الدين عامةً، ومن الغلو في مدحه ﷺ خاصةً. فقال ﷺ: «... **وإياكم والغلوَّ في الدين، فإنما هلك من كان**

قبلكم بالغلو في الدين»[1]. وقال ﷺ: «**لا تُطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله**»[2].

• ومع ذلك فقد خالف الغلاة أمر الله وأمر رسوله ﷺ، وغلو في خصائص النبي ﷺ في حياته البرزخية بما يلي:

أولاً: يعتقد الغلاة أن من زار قبر النبي ﷺ وجبت له شفاعته.

ثانياً: يعتقدُ الغلاة أن من حجَّ حجة الإسلام، وزار قبره ﷺ، وغزا غزوةً، وصلى عليه في بيت المقدس لم يسأله الله -تعالى- فيما افترض عليه.

ثالثاً: خص الغلاةُ الرسول ﷺ بأن إليه الملاذَ والمهربَ في الشدائد، وكشف الضر في الكربات.

وقد تكلمنا عن ذلك في الجمعة الماضية.

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع:

رابعاً: خصَّ الغلاةُ رسولَ الله ﷺ بأنه يمحو الذنوبَ ويعلم ما في اللوح المحفوظ والقلوب.

• يقول شاعرهم:

يا صاحب القبر المنير بيثربٍ أنا من ذنوبي في أشدٍّ وثاقي

---

(١) **صحيح**: رواه النسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، وأحمد (١/ ٢١٥)، [«السلسلة الصحيحة» (١٢٨٣)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٤٤٥).

نـــاداك مـــن بُـــرعٍ أســـيرُ ذنوبـــه أفـــلا تمُـــنُّ عليـــه بـــالإطلاق[1]

• ويقول الثاني:

فـإن مـن جـودك الـدنيا وضرَّتهـا ومـــن عُلُومِـــكَ علـــم اللـــوح والقلـــــــــــــــــــــــم[2]

• ويقول الثالث:

ســـيدي أبـــا البتـــول أغثنـــي أنـت أدرى بـما حـواه الـضمير[3]

وهذا كلامٌ باطلٌ، وعقيدةٌ فاسدةٌ، وغلوٌ في الدين، ومخالفةٌ صريحةٌ للكتاب والسنة وذلك:

١ - لأنه لا يغفر الذنب، ولا يقبل التوبة إلا الله عز وجل:

قال تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣﴾ [غافر]. وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ٢٥﴾ [الشورى]. وقال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرًا ١٧﴾ [الإسراء].

وأخبرنا الله في كتابه أنه وحده هو الذي يغفر الذنوب جميعاً:

قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزمر]. وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:١٣٥].

---

(١) «ديوان البرعي» (ص٧٨).

(٢) «بردة المديح» للبوصيري (ص٣٥).

(٣) «شواهد الحق» (ص٣٦٣).

• يقول ابن كثير -رحمه الله-: «أي: لا يغفرها أحدٌ سواه»[1]. بل إن الله تعالى أمر نبيه محمداً ﷺ أن يستغفر من ذنبه:

قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد]. وقال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾﴾ [غافر].

وقد غفر الله تعالى لنبينا ﷺ ما تقدم من ذنبه وما تأخر: قال تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح:٢].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ، يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقلت له: لِمَ تصنعُ هذا؟ يا رسول الله! وقد غُفرَ لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «**أفلا أكونُ عبداً شكوراً**»[2].

• فالذي يغفرُ الذنوب هو الله وحده.

• فهذا موسى عليه السلام عندما قتل الرجل، طلب المغفرة من الله وحده. قال تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ [القصص].

• وهذا آدم عليه السلام عندما أكل من الشجرة وعصى ربه، طلب المغفرة من الله وحده. قال تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف].

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٤١٦).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩).

• وهذا رسولنا ﷺ يطلب المغفرة من الله وحده.

يقول ابن عمر رضي الله عنهما: كنا نعُدُّ لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرةٍ: «**رب اغفر لي وتب عليَّ إنك أنت التواب الرحيم**»(١).

• فالذي يغفر الذنوب هو الله وحده لا شريك له.

كيف لا؟ والله -عز وجل- يقول: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء].

٢- وخص الغلاةُ رسولَ الله ﷺ بعلم الغيب، وعلم ما في الضمير واللوح المحفوظ.

وهذا أيضاً كلامٌ باطلٌ، وعقيدةٌ فاسدةٌ، وغلوٌّ في الدين، ومخالفةٌ صريحةٌ للكتاب والسنة.

• فالله -عز وجل- يقول في كتابه: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل:٦٥].

• وقال تعالى: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام:٥٩].

• وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود:١٢٣].

• بل إن الله -تبارك وتعالى- أمر نبينا ﷺ أن ينفي الغيب عن نفسه:

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (١٥١٦)، والترمذي (٣٤٣٤)، [«صحيح سنن الترمذي» (٢٧٣١)].

• قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ٥٠﴾ [الأنعام].

• وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾ [الأعراف].

• وأخبر -عز وجل- أنه العليم بذات الصدور:

• قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٣٨﴾ [فاطر].

• وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ٧٨﴾ [التوبة].

• فالرسل لا يعلمون الغيب إلا ما أعلمهم الله منه بطريق الوحي:

• قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ [الجن:٢٦-٢٧].

• وها هو رسول الله ﷺ يخبرنا أنه لا يعلم الغيب إلا الله:

• قال ﷺ: «**مفاتح الغيب خمسٌ لا يعلمهن إلا الله**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ٣٤﴾ [لقمان]»[1].

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤٦٩٧).

• ولما سأل جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ عن الساعة: قال ﷺ: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**»[1].

• ولما مات عثمان بن مظعون رضي الله عنه قالت أم العلاء الأنصارية رضي الله عنها: رحمة الله عليك أبا السائب! فشهادتي عليك لقد أكرمك الله.

فقال لها النبي ﷺ: «**أما عثمان فقد جاءه -والله- اليقين، وإني لأرجو له الخيرَ، والله ما أدري -وأنا رسول الله- ما يُفعلُ به**»، قالت: فوالله لا أُزكّي أحداً بعدُه أبداً[2].

أدلةٌ من كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأدلةٌ صحيحةٌ صريحةٌ من سنة رسول الله ﷺ تدل على أنه لا يغفر الذنوب إلا الله، ولا يعلم الغيب إلا الله، فلماذا ترك الغلاة هذه الأدلة وقالوا: إن الرسول ﷺ يغفر الذنوب ويعلم الغيب؟

الجواب: هو الغلو في الدين، والتقليد الأعمى لمشايخهم وساداتهم، والله -عز وجل- يقول: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٢٦٨٧).

خامساً: خصَّ الغلاة رسول الله ﷺ بأنه يُجيبُ الدعاء، وتُرفع إليه أكف الضراعة.

• فهذا شاعرهم يقول:

أَبُنَـيَّ طـالَ بـك الـسِّقامُ فليتنـي ... أفْـديكَ لـو ولـدٌ بوالـدِهِ فُـدي
أَبُنَـيَّ مـا بيـدي لمثلـك حيلـةٌ ... لكـنْ أمـدُّ إلى ابـنِ آمنـةٍ يـدي[1]

• ويقول أيضاً:

ولـيس معـي زادٌ ولا لي وسـيلةٌ ... سـوى هاشـميٍّ بالبهـاء متـوجُ
ألـوذ بـه ذاك الجنـاب فـأحتمي ... بمن هو عند الكرب للكرب مفرجُ
وأدعوه في الدنيا فتقـضى حـوائجي ... وإني إليـه في القيامـة أحـوج[2]

والدعاء عبادةٌ لا تكون إلا لله:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر].

وقد أمر الله عباده بالإخلاص في الدعاء لهُ وحدهُ:

• قـال تعـالى: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر].

• وقال تعالى: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [غافر].

---

(١) «ديوان البرعي» (ص١٧٦).

(٢) «ديوان البرعي» (ص١٩٠).

• وقال تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف].

• وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ [الإسراء].

وقد عاب الله على الذين يدعون غيره ووبخهم:

• فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ [الحج].

• وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾[الأعراف].

• وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر].

فالدعاء عبادةٌ؛ فمن صرفها لغير الله فهو مشركٌ ظالمٌ:

• قال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس].

فكونوا يا عباد الله! من الغلو والغلاة على حذرٍ!

سادساً: يعتقد الغلاة أن النبي ﷺ أخرج يده الشريفة من القبر لمصافحة أحد شيوخهم.

سابعاً: يعتقد الغلاة أنهم يرون النبي ﷺ بعد موته في الحياة الدنيا يقظةً لا مناماً.

ثامناً: يعتقد الغلاة أن النبي ﷺ يلقن مشايخهم الأوراد، ويحضر حِلَقِ ذِكرهم بعد موته يقظةً لا مناماً.

انظروا إلى الغلو ماذا يفعل بأهله يخطو بهم خطوةً خطوةً نحو الضلال. فبعد أن كان يُدعى ﷺ ويُسأل قضاء الحاجات وهو في قبره، بدأ الغلاة مرحلةً أخرى من مراحل الغلو في النبي ﷺ، وهي: خروج يده الشريفة ليقبلَها أحد شيوخهم، ثم انتقلوا إلى مرحلةٍ ثالثة: وهي خروجه ﷺ من قبره، ورؤية مشايخ القوم له يقظةً لا مناماً في الحياة الدنيا والتلقي منه، ثم انتقلوا إلى المرحلة الرابعة: وهي خروجه ﷺ من قبره ليحضر حِلَقَ ذكرهم ويسألونه ويجيبهم، وهذا كلامٌ باطلٌ، وعقيدةٌ فاسدةٌ، وغلوٌ في الدين، ومخالفةٌ صريحةٌ للكتاب والسنة وذلك لما يلي:

أولاً: رسولنا ﷺ بشرٌ، وقد مات كما يموت البشر:

- قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾[الزمر].
- وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾[الأنبياء:٣٤-٣٥].
- ولما دخل أبو بكرٍ رضي الله عنه على رسول الله ﷺ بعد موته كشف عن

وجهه وقبَّله وقال: بأبي أنت وأمي، طبت حياً وميتاً ... ثم خرج إلى الناس، فخطب فيهم فقال: من كان يعبدُ محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ثم تلا الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران] [(١)].

• وهذا جبريل عليه السلام يقول لرسولنا ﷺ: «يا محمد! عش ما شئت فإنك ميت»[(٢)]. فالله -عز وجل- يقول لرسوله ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾، وجبريل عليه السلام يقول لرسول الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾، وأبو بكرٍ رضي الله عنه يقول: «من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات» ثم يأتي الغلاة ويقولون: إن رسول الله ﷺ لم يمت. فهذا أحد الغلاة يقول: (رأيت رسول الله ﷺ فقال ليَ عن نفسه: لستُ بميتٍ، وإنما موتي تستري عمن لا يفقه عن الله. فها أنا أراه ويراني)[(٣)].

ثانياً: ورسولنا ﷺ دُفن بعد موته في قبره، وأُهيلَ عليه التراب، ولن يخرج من قبره إلا يوم القيامة.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦٦٧).

(٢) **حسن**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٤٤٢٩)، والحاكم (٧٩٢١)، عن سهل بن سعد، ورواه الطيالسي (١٧٥٥)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٥٤٠) عن جابر، [«السلسلة الصحيحة» (٨٣١)].

(٣) «الطبقات الكبرى» للشعراني (٢/ ٦٩).

والدليل على ذلك من كتاب الله، ومن سنة رسول الله ﷺ:

• قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون].

والشاهد قوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾، أي: أن بين البعث وهذه الدنيا؛ البرزخ الذي يستقر فيه الموتى، وهي المقابر، فلا هم في الدنيا ولا في الآخرة، وإنما هم مقيمون في هذه القبور إلى يوم يبعثون[1]. فقولهم أن النبي ﷺ يخرجُ بجسده وروحه قبل وقت البعث، ويجلس معهم ويصافحهم مخالفٌ لنص الآية:

• وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [المؤمنون]. فأخبر سبحانه في هذه الآية أن بعث الأموات يكون يوم القيامة لا في الدنيا، ومن قال خلاف ذلك فهو كاذبٌ على الله وعلى رسوله ﷺ وعلى الناس وعلى نفسه.

• وعن جابرٍ رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يا جابر! أما علمت أن الله -عز وجل- أحيا أباك، فقال له: تمنَّ عليَّ، فقال: أُردُّ إلى الدنيا فأقتل مرةً أخرى! فقال: إني قضيت الحكم: أنهم إليها لا يُرجعون**»[2]. وهذا دليل على عدم الرجعة إلى الدنيا بعد الموت.

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٨٢).

(٢) **حسن**: رواه أحمد (٣/ ٣٦١)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٢٩٠)].

والقول بحضور النبي ﷺ ومقابلته يقظة كما يرده الشرع، فإنه يرده العقل؛ فإن كل أحد يرى الميت بعد موته يدفن، ويهال عليه التراب، وقد وقع ذلك للنبي ﷺ عند موته، فقد دفنه الصحابة رضي الله عنهم في حجرة عائشة رضي الله عنها، وهذا خاص بالأنبياء حيث، يدفنون حيث يموتون[1]، ولا يشاركهم في هذه الخصيصة أحد من الخلق.

وعن أنس قال: «لما ثَقُلَ النبي ﷺ جعل يتغشاه الكرب، فقالت فاطمة رضي الله عنها: واكربَ أباهُ، فقال لها: «**ليس على أبيك كربٌ بعد اليوم**» فلما مات قالت: يا أبتاه! أجاب رباً دعاهُ، يا أبتاه! مَنْ جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه! إلى جبريل ننعاه، فلما دفن قالت فاطمة -عليها السلام-: يا أنسُ! أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب؟»[2].

وشاهد الصحابة النبي ﷺ حين مات، وشاركوا في دفنه، وصار الخليفة بعده أبو بكر رضي الله عنه، ولو كان يأتيهم يقظة لما جعلوا خليفة من بعده يُرجع إليه، ويفوضونه الأمر في تنظيم شئونهم الدينية والدنيوية.

وقول الغلاة هذا، يخالف إجماع الأمة سلفاً وخلفاً: على أن محمداً ﷺ وجميع أصحابه لا يُرجعون إلى الدنيا إلا حين يُبعثون مع جميع الناس.

---

(١) لأنه ورد في حديث: «ما مات نبيٌّ إلى دُفن حيث يُقبض» رواه ابن ماجه (١٦٢٨)، وهو حديث صحيح، [«صحيح الجامع» (٥٦٧٠)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٤٤٦٢).

ويلزم من قول الغلاة هذا لوازم منها:

• أنه ﷺ يُرى في أكثر من مكان في وقت واحد.

• ومن اللوازم أيضاً: عدم انقطاع التشريع، وأن الناس لا يزالون يتلقون الأحكام منه ﷺ، فتبطل النصوص الدالة على أن الله قد أكمل لنا الدين كقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة:٣].

• ويلزمهم أيضاً أن من رآه ﷺ يكون صحابياً.

بهذا نكون قد انتهينا من الكلام عن خصائص النبي ﷺ عند الغلاة لتكونوا من الغلو والغلاة على حذر.

فما هي خصائصُ النبي ﷺ عند الجفاة؟ هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة -إن شاء الله تعالى- إن كان في العمر بقية.

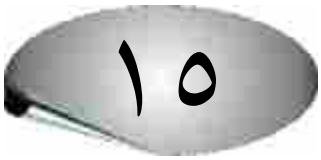

خصائص النبي ﷺ عند الجُفاة

القسم الأول: ردهم خاصية ختم النبوة بالنبي ﷺ

• **عباد الله!** يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٤٨﴾﴾ [الأحزاب]. ويقول سبحانه: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب]. ويقول -عز وجل-: ﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾[الأعراف:١٧٦].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمَرْجان من قصص القرآن: دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**. والتي نتكلم فيها عن قصةِ نبينا وحبيبنا محمدٍ ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **خصائصُ النبي ﷺ عند الجفاة**.

لقد قلنا في الجمع الماضية: إن من ثمرات دراسة السيرة النبوية التعرف على خصائص النبي ﷺ الثابتة بالوحيين: الكتاب والسنة. وقلنا أيضاً: إن الناس مع خصائص النبي ﷺ طرفان مذمومان ووسطٌ محمود.

الطرف الأول المذموم: هم الغلاة الذين غلوا في خصائص النبي ﷺ.

الطرف الثاني المذموم: هم الجفاة الذين جفوا في خصائص النبي ﷺ.

والوسط المحمود: هم أهل السنة والجماعة الذين وقفوا مع خصائص النبي ﷺ التي جاءت في كتاب الله، وفي صحيح سنة رسول الله ﷺ بدون غلوٍ ولا جفاءٍ، وبدون إفراطٍ ولا تفريط.

وقد تكلمنا عن خصائص النبي ﷺ التي ثبتت بالوحيين، الكتاب والسنة.

وتكلمنا أيضاً عن الطرف الأول المذموم وهم الغلاة، وتبين لنا أن الغلو في الدين حرامٌ، ويأخذ صاحبه إلى الضلال المبين.

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع الطرف الثاني المذموم وهم الجفاة الذين جفوا في خصائص النبي ﷺ.

عباد الله! الجفاء نقيض الصلة[1]. والمقصود بالجفاء هنا رد ما ثبت للنبي ﷺ من الخصائص والفضائل أو ردُّ بعضها.

وفي هذا معنى الجفاء الذي يقطع الصلة المتولدة في القلب من المحبة والتعظيم نتيجة اعتقاد عدم ثبوت تلك الخِصِّيصةِ للنبي ﷺ، أو جعل تلك الخصيصة لعامة الناس.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص١٧٠٠).

وأيضاً يدخل في معنى الجفاء ما جعله الأتباع لمشايخهم وأئمتهم من الفضائل والمناقب ما لم يكن له ﷺ، فهذا من الجفاء، إذ إن النبي ﷺ فاق في فضله جميع الأنبياء والمرسلين، بل هو سيدهم وإمامهم، فلا شك أن تقديم غيره عليه ﷺ في الفضائل من أعظم الجفاء؛ لأن بذلك التقديم والتعظيم للغير، تنشأ المحبة التي تفوق محبة النبي ﷺ التي لا يبقى منها إلا الادعاءات التي يُعبّرون عنها بالموالد والاحتفالات. ويدخل في الجفاء أيضاً ترك التأسي به ﷺ في هديه والتأسي بغيره. والجفاء في كل ذلك تختلف درجته. فمنه ما يكون كفراً، والعياذ بالله ومنه ما هو دون ذلك[1].

• وكلامنا عن الجفاة سيكون على قسمين:

القسم الأول: ردُّ الجفاة خاصية ختم النبوة بالنبي ﷺ.

القسم الثاني: تقديم الجفاة أولياءهم على النبي ﷺ في الخصائص.

أما القسم الأول وهو: ردُّ الجفاة خاصية ختم النبوة بالنبي ﷺ

وهو الذي سنتكلم عنه في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى-

عقيدة أهل السنة والجماعة: أن رسول الله ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، فلا نبيَّ بعده ولا رسول. وهذه الخاصية له ﷺ لم يشاركه فيها أحدٌ. وهي ثابتةٌ له ﷺ بالوحيين: الكتاب والسنة. ومع ذلك فقد جاء

(١) «خصائص المصطفى ﷺ بين الغلو والجفاء» (ص٢٢).

الجفاة، وخالفوا المسلمين سلفاً وخلفاً، وردوا هذه الخاصية للنبي ﷺ ومن هؤلاء الجفاة:

- الفلاسفة المنتسبون إلى الإسلام.
- جهلة الصوفية.
- القاديانية وهي فرقة ضالةٌ وتسمي نفسها بالأحمدية.

• أما الفلاسفة المنتسبون إلى الإسلام

قالوا: (النبوة مكتسبةٌ، وتعتمد على قوة التخيل التي تُكتسب بالمجاهدات والرياضات ونحوها. وإذا وجد شخصٌ لديه قوة تخيل سيكون نبيّاً. فوجود الأنبياء مستمرٌ إلى قيام الساعة). وهذا ردٌّ واضحٌ لعقيدة ختم النبوة بنبينا محمدٍ ﷺ بجانب اعتقادهم عدم اصطفاء الله تعالى لأنبيائه ورسله -عليهم الصلاة والسلام-.

والله -عز وجل- يقول: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾[الحج]. ويقول سبحانه: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [القصص]. ويقول -عز وجل- ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:١٢٤].

ومما يدل على بطلان قول الفلاسفة من أن النُّبُوَّةَ مُكتسبةٌ، وأنها تعتمد على قوة التخيل التي تُكتسب بالمجاهدات ونحوها؛ واقعُ الأنبياء وحياتهم، فعلى سبيل المثال، نبي الله عيسى عليه السلام، جعله الله نبياً وهو ما زال في المهد صبياً.

قال تعالى في شأنه عليه السلام: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَىٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾ [مريم].

فهل اكتسب عيسى عليه السلام النبوة بقوة مخيلته، وعن طريق الرياضة والمجاهدات؟!!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (الفلاسفة ما قَدَروا النبوة حق قدرها)[1].

• **أما جَهَلة الصوفية:**

فيقولون: (إن الأولياء أفضل من الأنبياء والرسل... وإن الرسل إنما يأخذون علمهم عن طريق الوحي، وأما أنبياء الأولياء فيأخذون علمهم من الله تعالى مباشرةً بدون واسطة). وقالوا أيضاً: (أنبياء الأولياء في هذه الأمة مثل الأنبياء في بني إسرائيل) وقالوا: (وهؤلاء الأنبياء من الأولياء يحفظون الشريعة الصحيحة التي لا شك فيها على أنفسهم وعلى هذه الأمة، ممن اتبعهم فهم أعلم الناس بالشرع، غير أن الفقهاء لا يُسلِّمون لهم ذلك.وهؤلاء الأولياء لا يلزمهم إقامة الدليل على صدقهم. بل يجب عليهم

(١) «كتاب النبوات» (ص ٢٨٠).

الكتمُ لمقامهم. ولا يردون على علماء الرسوم فيما ثبت عندهم...) [1].

فهؤلاء الجهلة من الصوفية زعموا وجود أنبياء بعد نبينا محمد ﷺ سموهم أنبياء الأولياء. وهذا كلامٌ باطلٌ، وعقيدةٌ فاسدةٌ، ومخالفةٌ صريحة للكتاب والسنة .

• **أما القاديانية:**

• فهي فرقةٌ ضالةٌ ظهرت في أوائل القرن الرابع عشر الهجري في قريةٍ من قرى الهند تُسمى قاديان، بعد استقرار الحكم الإنجليزي فيها. وهي مؤامرة سياسية خطط لها الإنجليز لضرب الإسلام من الداخل، بزعزعة اعتقاد المسلمين في ختم النبوة بسيد المرسلين محمد ﷺ، ولإبطال شرائع الدين؛ وإحداث الفرقة بين المسلمين.

• ويُسمي القاديانيون أنفسهم بالأحمدية تدليساً على المسلمين حتى يفهموا أنهم ينتسبون إلى نبي الإسلام أحمد ﷺ، فيحصل لهم الغرَر بذلك، وإنما هم في الحقيقة يعنون بذلك الانتساب إلى متنبئهم أحمد القادياني.

• يقول إحسان إلهي ظهير رحمه الله: «إن القاديانية في إفريقيا وغيرها من البلاد يسمون أنفسهم (أحمدية) تزويراً وتمويهاً على المسلمين، والحقيقة: لا علاقة لهم برسول الله ﷺ الذي اسمه أحمد، وأما اسم

(١) «الفتوحات المكية» (١/ ٣٥٦-٣٦٠).

متنبئهم فغلام أحمد القادياني، وبهذه النسبة يُعرفون في باكستان والهند أي القاديانية»[1].

• ولد أحمد القادياني في قرية قاديان، إحدى مقاطعات البنجاب بالهند في أسرةٍ مجهولةِ الأصل والنسب، تدين بالولاء لأعداء الإسلام ضد المسلمين.

ولم ينل القادياني نصيباً وافراً من أي نوع من أنواع العلوم، كما يصرح بذلك حيث يقول: (ولما ترعرعت، ووضعت قدمي في الشباب، قرأت قليلاً من الفارسية، ونبذة من رسائل الصرف والنحو وعدةً من العلوم،وشيئاً من كتب الطب، وكان أبي عرافاً حاذقاً، وكانت له يد طولى في هذا الفن، فعلمني بعض كتب هذه الصناعة، وأطال القول في الترغيب لكسب الكمال فيها... وكذلك لم يتفق لي التوغل في علم الحديث والأصول والفقه إلا كطل الوابل)[2].

• وادعى أحمد القادياني النبوة ونزول الوحي إليه.

وهذه نماذج من وحي القادياني المزعوم نقلاً من كتبهم:

• **النموذج الأول**: (إنا أنزلناه قريباً من القاديان، وَبالحق أنزلناه وبالحق نزل، صدق الله ورسوله وكان أمر الله مفعولاً)[3].

(١) «القاديانية دراسة وتحليل» لإحسان إلهي ظهير (ص١).

(٢) «التبليغ إلى مشايخ الهند» للغلام القادياني (ص٥٩).

(٣) «براهين أحمدية» لغلام أحمد (ص٤٩٨-٤٩٩).

• **النموذج الثاني**: «يا أحمد! بارك الله فيك... أول نائبٍ عن الله بأمر الله في هذا الزمان، قل جاء الحق وزهق الباطل، قل إن افتريته فعليَّ إجرامي، هو الذي أرسل رسوله بالهدى، يا أحمد! فاضت الرحمة على شفتيك، إنك بأعيننا، يرفع الله ذكرك، يا أيها المدثر قم فأنذر، وربك فكبر، إني رافعك إليَّ، وألقيت عليك محبةً مني»[1].

• ولم يكتف أحمد القادياني بذلك بل ادعى أنه خاتم الأنبياء فقال: (وقد ذكرتُ مراراً أنني أنا ذلك النبي الخاتم بروزاً بموجب الآية: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ [الجمعة:٣])[2].

• ولم يرض القادياني بمرتبة خاتم الأنبياء بما فيها من خصائص بل زعم أنه أفضلُ من محمدٍ ﷺ فقال: (إن النبي ﷺ له ثلاثةُ آلاف معجزة، ولكن معجزاتي زادت على المليون)[3].

بل قال القادياني: (إنه أفضلُ من جميع الأنبياء والرسل)[4].

• وتدرج أحمد القادياني في دعواه بأنه نبيٌّ يوحى إليه، وادعى بأنه المسيح الموعود الذي سيكون في آخر الزمان.

---

(١) «براهين أحمدية» (ص٢٣٣).

(٢) إيك غلطي كازاله (ص٥)، نقلاً عن المحكمة الشرعية (ص٨٩).

(٣)« القاديانية» لإحسان إلهي طهير (ص٧٢).

(٤) «القاديانية» لإحسان إلهي طهير (ص٧١).

• القاديانية التي تسمي نفسها بالأحمدية فرقةٌ ضالةٌ تُكفِّرُ المسلمين.

• يقول أحدهم: (إن جميع المسلمين الذين لم يشتركوا في مبايعة المسيح الموعود كافرون، خارجون عن دائرة الإسلام ولو كانوا لم يسمعوا باسم المسيح الموعود)[1].

• ويقول أيضاً: (كل رجلٍ لا يؤمن بموسى ولا يؤمن بعيسى، أو يؤمن بعيسى ولا يؤمن بمحمد، أو يؤمن بمحمد ولا يؤمن بالمسيح الموعود. فما هو بكافرٍ فحسب، بل هو راسخٌ في الكفر، وخارجٌ عن دائرة الإسلام)[2].

• ويقول أيضاً: (من الواجب علينا ألا نعتقد بإسلام غير الأحمديين، وألا نصلِّي خلفهم، إذ إنهم عندنا كافرون بنبي من أنبياء الله)[3].

فالقاديانية يا عباد الله! تكفرُ المسلمين وتخالفهم في كل شيء:

يقول أحمد القادياني نفسه: (إن إسلامهم -غير الأحمديين- غير إسلامنا، وإلههم غيرُ إلهنا، وحجهم غير حجنا، وهكذا نخالفهم في كل شيء)[4]، وقد صدق وهو كذوب.

---

(١) «المسألة القاديانية» لأبي الأعلى المودودي (ص٥٦).

(٢) «المسألة القاديانية» لأبي الأعلى المودودي (ص٥٦-٥٧).

(٣) «المسألة القاديانية» لأبي الأعلى المودودي (ص٥٩-٦٠).

(٤)« المسألة القاديانية» لأبي الأعلى المودودي (ص٥٧).

• وكلام الجفاة من الفلاسفة وجهلة الصوفية والقاديانية في رد خاصية ختم النبوة بالنبي ﷺ كلامٌ باطلٌ، وعقيدةٌ فاسدةٌ، وضلالٌ مبين، ومخالفةٌ صريحةٌ للكتاب والسنة.

• فالله -عز وجل- في كتابه يخبرنا أن محمداً ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين فيقول سبحانه: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب].

• ورسولنا ﷺ في سنته الصحيحة الصريحة يخبرنا أنه خاتم الأنبياء والمرسلين.

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن مثلي ومَثَلَ الأنبياء مِن قبلي كمثل رجلٍ بنى بيتاً فأحسنَهُ، وأجمَلَهُ إلا موضِعُ لبنةٍ من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلاَّ وُضعتْ هذه اللبنة؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين**»[1]. وزاد مسلمٌ في حديثه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**فأنا موضِعُ اللبنةَ، جئت فختمتُ الأنبياء**»[2].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه في قصة العَرضِ على الله -تبارك وتعالى- يوم القيامة، وفزع الناس إلى الأنبياء -عليهم السلام- قال ﷺ: «**أنا سيِّدُ ولد آدم... فيقولُ عيسى... اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمدٍ**

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٥٣٥)، ومسلم (٢٢٨٦).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٨٧).

ﷺ، **فيأتون محمداً** ﷺ **فيقولون: يا محمد! أنت رسول الله وخاتم الأنبياء...**»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**فُضِّلتُ على الأنبياء بستٍ**» وذكر منها: «**وأرسلتُ إلى الخلق كافةً، وخُتم بي النبيون**»[(٢)].

- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الرسالة والنبوة قد انقطعت، فلا رسول بعدي ولا نبيَّ**»[(٣)].
- وقال ﷺ: «**لو كان بعدي نبيٌّ لكان عمر بن الخطاب**»[(٤)].
- أدلةٌ من كتاب ربنا ومن سنة نبينا ﷺ تنص على ختم النبوة بنبينا محمد ﷺ. فمن ادعاها بعد ذلك فهو مكذبٌ لله تعالى ولرسوله ﷺ كافرٌ خارجٌ عن ملة الإسلام.

والله -عز وجل- يتوعده في كتابه بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة فيقول سبحانه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٥٢٣).

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٢٧٢)، وأحمد (٣/ ٢٦٧)، [«صحيح الجامع» (١٦٢٧)].

(٤) **حسن**: رواه الترمذي (٣٦٨٦)، وأحمد (٤/ ١٥٤)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٢٧)].

ويقول سبحانه: ﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [آل عمران].

ويقول -عز وجل- ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الزمر].

• فهذا القادياني الذي ادعى النبوة بعد نبينا محمدٍ ﷺ، وكذب على الله، وكذب على رسوله، وكذب على الناس كان مستنقعاً من الأمراض الخطيرة، التي جاءت في مؤلفاته ومؤلفات أتباعه، فمن ذلك:

١- **الهستريا والصداع ودوار الرأس**: تقول زوجة غلام أحمد القادياني: «إن حضرة المسيح الموعود أصيب بالصداع ودوار الرأس، والهستريا أول مرة حين ولادة البشير الأول... ثم توالت نوبات هذه الأمراض الخطيرة مرة بعد أخرى»[(١)].

٢- **سلس البول**: يقول القادياني نفسه: يلازمني مرضان خطيران: مرض في النصف الأعلى فهو دوار الرأس، وأما الذي في النصف الأسفل فهو سلس البول، وهذا المرضان يلازمانني منذ نشرت ادعائي بكوني مأموراً من الله»[(٢)].

٣- **ضعف الذاكرة**: يقول القادياني: «ذاكرتي سيئة جداً، إلى حد أني مهما قابلت أحداً من الناس مراراً أنساه»[(٣)].

---

(١) «ما هي القاديانية» للمودودي (ص١٦).

(٢) «ما هي القاديانية» للمودودي (ص١٨).

(٣) «ما هي القاديانية» للمودودي (ص١٩).

٤ - **مرض الكوليرا**: وهو المرض الذي هلك بسببه...

يقول إحسان إلهي: «هذا وقد نشرت الجرائد الهندية آنذاك: أن غلام أحمد المتنبي القادياني، لما ابتلي بالكوليرا كانت النجاسة تخرج من فمه قبل الموت، ومات وكان جالساً في بيت الخلاء لقضاء الحاجة»[(١)].

• وقد شهد القادياني الذي ادعى النبوة بعد نبينا ﷺ على نفسه بالكفر والخُبث، فيقول: (إن من يدعي النبوة بعد محمد هو أخو مسيلمة الكذاب وكافرٌ وخبيث)[(٢)].

ويقول: (نحن نلعن من يدعي النبوة بعد محمد ﷺ)[(٣)].

• هكذا يفعل الله بالكذابين الذين يكذبون على الله وعلى رسوله، فكونوا من الجفاة الذين يردون خاصية ختم النبوة بالنبي محمدٍ ﷺ على حذر.

أما الجفاة الذين يقدِّمون أولياءهم وأئمتهم على النبي ﷺ في الخصائص فهؤلاء سنتكلم عنهم في الجمعة القادمة -إن شاء الله تعالى- إن كان في العمر بقية.

---

(١) «ما هي القاديانية» للمودودي (ص١٥٨).

(٢) «ما هي القاديانية» للمودودي (ص١٣٩).

(٣) نقلاً عن المرجع السابق.

خصائص النبي ﷺ عند الجفاة

القسم الثاني: تقديم الجفاة أولياءهم على النبي ﷺ في الخصائص

• **عباد الله!** يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢﴾ [الحجرات]. ويقول سبحانه: ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣﴾ [النور]. ويقول -عز وجل- ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ [آل عمران:٦٢].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمَرْجان من قصص القرآن: دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**. والتي نتكلم فيها عن قصةِ نبينا وحبيبنا محمدٍ ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **خصائص النبي ﷺ عند الجفاة.**

لقد تكلمنا في الجمعة الماضية عن القسم الأول من الجفاة، وهم الذين يردون خاصية ختم النبوة بالنبي محمدٍ ﷺ، وتبين لنا أنهم بذلك خالفوا الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع القسم الثاني من الجفاة، وهم الذين يقدمون أولياءهم على رسول الله ﷺ في الخصائص.

• أهل السنة والجماعة يحبون رسول الله ﷺ أكثر من أنفسهم وأموالهم وأولادهم والناس أجمعين.

• أهل السنة والجماعة لا يُقدمون أحداً مهما كان على رسول الله ﷺ في الفضائل والخصائص.

• أهل السنة والجماعة لا يُقدمون قول أحدٍ مهما كان على قول رسول الله ﷺ.

• أهل السنة والجماعة يهتدون فقط بهديه ﷺ ويستنون بسنته، لأن هديه ﷺ خيرَ الهدي، وسنته أكمل السنن.

• أهل السنة والجماعة في دينهم: وسطٌ بين الغلوِّ والجفاء،

• فالغلاة كما تبين لنا غَلَوْا في رسول الله ﷺ حتى رفعوه من منزلة العبودية والنبوة والرسالة إلى منزلة الألوهية، وهذا غلوٌّ في الدين وضلالٌ مبين.

• وأما الجفاة فقد جَفوا عن حق رسول الله ﷺ حتى أنهم قدموا أولياءَهم على رسول الله ﷺ في خصائصه ويظهر ذلك من الخطوات التالية:

الخطوة الأولى: زعم الجفاة أن أولياءهم يُشاركون الأنبياء عامةً، ورسول الله ﷺ خاصةً في الخصائص.

وهـذه صـورٌ مِـن زعْـم الجفـاة أن أوليـاءهم يُـشاركون الأنبيـاء في خصائصهم.

أولاً: دعوى الجفاة أن الوحي ينـزل إلى أوليـائهم بغفـران ذنـوبهم وهـم أحياء.

قال أحدهم: (رأيت شاباً عند الكعبة يُكثرُ الركوع والسجود، فقلت له فيه، فقال: أَنتظر الإذن مـن ربي بالانـصراف، فـسقطت عليـه رُقعـةٌ -أي: رسالة- فيها: من العزيز الغفور إلى عبدي الصادق: انصرف مغفوراً لك)[1].

فقد شارك هؤلاء الجفاة النبي ﷺ في هذه الخصيـصة، بـل زادوا عليـه طريقاً آخر من طُرق الوحي، وهو نزولُ الرقع من السماء من الله تعالى. والله -عـز وجـل- يقـول: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾[الشورى].

ثانياً: زعم الجفاة أن موائد من الطعام تنزل من السماء على أوليائهم.

يقول الجفاة الذين يزعمون ذلك: (نحن نقول: اللهم أنت ربنـا، ورب كل شيءٍ، نسألك ببركات سيدنا (فلان) إلا أنزلت علينا مائدةً من الـسماء، فتنزل علينا المائدة من السماء ببركة اسمه...)[2].

---

(١) «جامع كرامات الأولياء» للنبهاني (١/ ٦٢٥).

(٢) «جامع كرامات الأولياء» (١/ ٣١٨).

وقد شاركوا في هذه الخصيصة عيسى عليه السلام قال تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ ۖ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [المائدة].

ثالثاً: زعم الجفاة أن أولياءهم يَعلمون منطق الطير، وسائر لغات الوحوش.

يقول الشعراني في ترجمة إبراهيم الدسوقي: (كان رضي الله عنه يتكلم بالعَجمي والسرياني والعبراني والزنجي وسائر لغات الطيور والوحوش)[1].

وقالوا: (إن الإمام يعلم منطق الطير، ومنطق كلِّ ذي روحٍ خلقه الله، وما يخفى على الإمام شيء)[2].

وقد شاركوا في هذه الخصيصة نبيَّ الله سليمان عليه السلام قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ۖ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ [النمل].

رابعاً: دعوى الجفاة أنَّ أولياءهم يحيون الموتى.

قالوا: (إن الأولياء يحيون الأموات، ويُبرئون الأكمه والأبرص، ويطوون الأرض كلها بقدم واحد)[3].

---

(١) «جامع كرامات الأولياء» (١/ ١٤٥).

(٢) «بحار الأنوار» للمجلسي (٤٨/ ٤٧١).

(٣) «الحكايات الرضوية» (ص٤٤).

وقالوا عن أحدِ أئمتهم: (أحضروا له فراخاً مشوية، فقال لها: طيري فطارت)[1].

فقد شارك أولياء الجفاة عيسى عليه السلام في هذه الخصيصة بل وزادوا عليه أن لهم القدرة على إحياء الأموات من قبل أنفسهم وطي الأرض كلها بقدم واحدة.

قال تعالى في شأن عيسى عليه السلام: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [آل عمران].

خامساً: زعم الجفاة والغلاة من الشيعة مساواة علي رضي الله عنه للنبي ﷺ في الفضل.

يقول أحدهم: (جرى من الفضل لعلي عليه السلام مثل ما جرى لمحمد ﷺ، ... كان أمير المؤمنين عليه السلام، بابَ الله الذي لا يُؤتى إلا منه، وسبيله الذي من سلك غيره هلك، وكذلك جرى لأئمة الهدى واحداً بعد واحد، جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بأهلها، وحجته البالغة على من فوق الأرض ومن تحت الثرى، وكان أمير المؤمنين صلوات الله عليه كثيراً ما يقول: لقد أقرت لي جميع الأنبياء والروح والرسل بمثل ما أقروا به لمحمد ﷺ، ولقد حُمِّلْتُ -أي: كلفني ربي- مثل حمولته...)[2].

---

(١) «الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية» للمناوي (٢/ ١٠٦).

(٢) «الأصول من الكافي» للكليني (١/ ١٩٦-١٩٧).

وقال أحد الجفاة: (لو كان علي عليه السلام ظهر قبل رسول الله ﷺ لأظهر الشريعة كما أظهرها النبي ﷺ، ولكان نبياً مرسلاً، وذلك لاتحادهما في الروحانية، والمقامات المعنوية والظاهرية) [1].

الخطوة الثانية: جعل الجفاة لأوليائهم من الخصائص ما فاقت خصائص النبي ﷺ

زعم الجفاة أن أولياءهم شاركوا الأنبياء في خصائصهم، ولم يكتفوا بذلك بل جعلوا لأوليائهم من الخصائص ما تفوق خصائص النبي ﷺ.

ومن الأمثلة على ذلك يتبين لكم يا عباد الله! إلى أي حدٍ من الجفاء والضلال وصل هؤلاء الجفاة.

أولاً: زعم الجفاة أن أئمتهم يُصلون في مكة وهم في بلدانهم.

يقول أحد الجفاة في ترجمة أحدهم: (كان ربما أنكر عليه بعض الفقهاء ترك الجمعة، فَوجوده يُصلي الجمعة بمكة المشرفة) [2].

ويقولون: (إياكم أن تنكروا على أحدٍ من الأولياء كونه لم يصل معكم في جماعة، فإن لله تعالى رجالاً يصلون كلَّ صلاة من الخمس في مكانٍ غير بلدهم، فبعضهم لا يصلي الجمعة دائماً إلا بمكة أو عند رسول الله ﷺ)[3].

---

(١) «مصباح الهداية» للخميني (ص١٥٣).

(٢) «جامع كرامات الأولياء» (١/ ٣٣٦).

(٣) «جامع كرامات الأولياء» (١/ ٤٠٨).

ثانياً: دعواهم أن الكعبة تطوفُ بهم وتعانقهم.

يقول أحدهم: (إن من الرجال من يطوف بالكعبة -شرفها الله تعالى- وهو جالس في مكانه، ومنهم من تطوف به الكعبة تشريفاً وتكريماً....).

ويقول آخر: (إن الكعبة طافت بالشيخ إبراهيم المتبولي حجراً حجراً ثم رجع كل حجرٍ إلى مكانه) [1].

ويقول آخر: (لما دخلت الحرم وشرعت في الطواف، رأيت الكعبة المعظمة تعانقني وتقبلني باشتياق تام...، فلما فرغت من طواف الزيارة، جاء ملك بكتاب قبول الحج من رب العالمين!!! ثم دخلت المدينة المنورة، فلما وقفت تلقاء الوجه الأوجه، رأيت النبي ﷺ قد خرج من الحجرة المطهرة وعانقني...) [2].

فهذا رسول الله ﷺ وهو أحرص خلق الله على الأجر والثواب لم ينقل عنه ولا مرة واحدة أنه صلى وقتاً واحداً بالمسجد الحرام وهو بالمدينة، وهو أحب الخلق إلى الله تعالى وتحبه حتى الجمادات، وتحن إليه الأشجار، ما رؤي ولا مرة واحدة أن الكعبة طافت به أو عانقته ﷺ، وإنما أضر الجوع بعقول هؤلاء، واستحوذت عليهم الشياطين حتى رأوا مثل تلك الخيالات.

---

(١) «جامع كرامات الأولياء» (١/ ٤٠٨).

(٢) «جامع كرامات الأولياء» (١/ ٣٣٤).

ثالثاً: زعم هؤلاء أن أئمتهم يمشون على الماء ويطيرون في الهواء.

يقولون عن أحدهم: (كان يطير في الهواء ويحمل زير الماء، ويمشي على الماء جهاراً حتى يغيب)[1].

وقالوا عنه أيضاً: (كان عليَّ الهمة، كثير الطيران من بلد إلى آخر، وكان يغلب عليه الحال ليلاً فيتكلم بألسنة غير عربية من عجم وهند ونوبة وغيرها، وربما يقول: قاق قاق طول الليل، ويزعق، ويخاطب قوماً يَرَوْنَه، وإذا قال شيئاً في غلبة الحال نفذ)[2].

لقد حفظ لنا كتَّاب السيرة النبوية ومؤرخو الإسلام أخباره ﷺ بكل دقة في حركاته وسكناته ﷺ، فأخبرونا أنه كان ﷺ يمشي على الأرض، ويركب ناقته القصواء. فلم يبلغنا أنه ﷺ طار في الهواء أو مشى على الماء، بل حتى في ليلة الإسراء كان راكباً على البُراق -صلوات ربي وسلامه عليه- أما هؤلاء المجانين فكانت تتلاعب بهم الشياطين كما يتلاعب الصبية بالكرة، ويظنون أن هذا من هدي الصالحين. سبحانك هذا بهتان عظيم!!

رابعاً: زعم الجفاة أن الوحوش سُخرت لأوليائهم.

قالوا عن أحدهم: (إنه إذا نادى على الوحوش جاءت صاغرة حتى تسد الأفق)[3].

---

(١) «جامع كرامات الأولياء» (١/ ٢٩٩).

(٢) «جامع كرامات الأولياء» (١/ ٢٩٩).

(٣) «الكواكب الدرية» (٢/ ٩٤).

وقالوا عن آخر: (كان ينام في الغيط، ويأتي البلد وهو راكب الذئب أو الضبع)[1].

وقالوا في ترجمة محمد بن أحمد الفرغل: (خطف التمساح بنت مخيمر النقيب، فجاء وهو يبكي إلى الشيخ، فقال له: اذهب إلى الموضع الذي خطفها منه، وناد بأعلى صوتك: تمساح! تعال كلم الفرغل، فخرج التمساح من البحر، وطلع كالمركب، والخلق بين يديه جارية يميناً وشمالاً، إلى أن وقف على باب الدار، فأمر الشيخ رضي الله عنه الحداد بقلع جميع أسنانه، وأمره بلفظها من بطنه، فلفظ البنت حية مدهوشة، وأخذ على التمساح العهد أن لا يعود يخطف أحداً من بلده مادام يعيش، ورجع التمساح ودموعه تسيل حتى نزل البحر)[2].

خامساً: زعم الجفاة أن أولياءهم يقولون للشيء: [كن] فيكون.

قال أحدهم: (تركت قولي للشيء: (كن) فيكون منذ عشرين سنة أدباً مع الله -عز وجل-)[3].

وقالوا في ترجمة أحدهم: (وقد أعطاه الله الدرجة الكونية وهي لغة كن فيكون)[4].

---

(١) «جامع كرامات الأولياء» (٢/ ١٢٦).

(٢) «جامع كرامات الأولياء» (٢/ ٩٥).

(٣) «جامع كرامات الأولياء» (١/ ٨٨).

(٤) «طبقات ابن ضيف الله» (ص٢٧٣).

• وقولهم للشيء: (كن) فيكون، يتمثل في مظاهر متعددةٍ منها:

١ - تنقلب لهم الأعيان:

قالوا في ترجمة أحدهم: (كان يرى الخنافس زبيباً، والحية قثاءاً، ونحو ذلك، وكان من أكابر الصالحين ممن تنقلب لهم الأعيان)[١].

وقالوا في ترجمة أحدهم أيضاً: (وكان ﷺ إذا قدَّموا له لحم الضاني واشتهى لحم حمام ينقلب في الحال حماماً)[٢]. وقالوا في ترجمة آخر: (كانت له أشجار يخرج من بطونها الدنانير)[٣]. وقالوا في ترجمة أحدهم: (وكان ﷺ يقول للعصا التي كانت معه: كوني إنساناً ويرسلها تقضي الحوائج ثم تعود كما كانت)[٤].

٢ - يتصرفون في الكون في حياتهم، وبعد مماتهم.

قالوا في ترجمة أحدهم: (هو أحد من أظهره الله تعالى إلى الوجود وصرَّفه في الكون، ومكَّنه من الأحوال، وأنطقه بالمغَيَّبات، وخرق له العوائد وقلب له الأعيان...)[٥].

---

(١) «جامع كرامات الأولياء» (١/ ٢٦٠).

(٢) «كرامات الأولياء» (١٣٠).

(٣) «جامع كرامات الأولياء» (٢/ ٧٤).

(٤) «الطبقات الكبرى» للشعراني (٢/ ١٢٣).

(٥) «الطبقات الكبرى» للشعراني (٢/ ٨١).

وقال أحدهم: (أنا من المتصرفين في قبورهم، فمن كانت له حاجة فليأت إلى قبالة وجهي ويذكرها لي أقضيها له) [1].

وقالوا في ترجمة محمد الحنفي: (قال في مرض موته: من كان له حاجة فليأت إلى قبري ويطلب حاجته أقضيها له، فإن ما بيني وبينكم غير ذراع من تراب، وكل رجل يحجبه عن أصحابه ذراع من تراب فليس برجل)[2].

هل هذه كرامات أم افتراءاتٌ وضلالات؟

الجواب: إنها والله افتراءاتٌ وضلالات. وبمثل هذه الافتراءات في مناقب أوليائهم تبين لنا سر تعلق العامة والبسطاء بأولياء الجفاة الأحياء منهم والأموات، وهو اعتقاد أنهم يتصرفون في الكون ويقضون لهم الحاجات.

أولياء الله وصفهم الله لنا في كتابه:

فقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس].

فكل مؤمنٍ تقي فهو لله ولي، والله -عز وجل- يكرم من شاء من أوليائه بكرامات، وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة.

• وخوارق العادات التي تحدث للعباد، وتجرى على أيديهم: منها كراماتٌ

(١) «جامع كرامات الأولياء» (١/ ٢٧٤).

(٢) انظر: «الطبقات» للشعراني (١/ ٣٢٢).

رحمانيةٌ ومنها خوارق شيطانيةٌ، وضابط الكرامة هو تقوى الله والاستقامة على هدي رسول الله ﷺ فإذا رأينا رجلاً يطير في الهواء أو يمشي على الماء لا نصدقه حتى نعرض عمله على الكتاب والسنة، فإن كان من أهل التقوى والاستقامة فهي كرامةٌ له من الله، وإن كانت الأخرى -أي: لا تقوى ولا استقامة- فهي مهانةٌ من الشيطان، وهو من أولياء الشيطان.

الخطوة الثالثة: جعل الجفاة لأوليائهم خصائص تخالف هدي النبي ﷺ الذي هو أكمل الهدي.

زعم الجفاة أن أولياءهم يشاركون الأنبياء في خصائصهم، ولم يكتفوا بذلك بل جعلوا لأوليائهم خصائص تفوق خصائص النبي ﷺ ولم يرضوا بذلك بل جعلوا لأوليائهم خصائص تخالف هدي النبي ﷺ.

ومن الأمثلة على ذلك:

أولاً: خصائص أئمةِ الجفاة في الصيام

قالوا عن أحدهم: (كان يمكث الأربعين يوماً وأكثر لا يأكل ولا يشرب ولا ينام)[1].

وقالوا عن آخر: (أنه مكث نحو أربعين سنة يأكل كل يوم زبيبةً واحدةً حتى لصق بطنه على ظهره)[2].

---

(١) «الطبقات الكبرى» للشعراني (١/ ١٦٠).

(٢) «الكواكب الدرية» (٢/ ١٣٣).

لو أمسكنا عقولنا عن التفكير، وغضضنا الطرف عن كذب تلك الدعاوى، وسلمنا جدَلاً أن إنساناً يستطيع الصبر عن الأكل والشرب خمس سنين أو أكثر، فأقل ما يقال إن مثل هذا النوع من الصيام لا يسمى صياماً شرعياً، لأنَّ الصيام الشرعي هو: (الإمساك عن جميع المفطرات من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس بنية العبادة) وهذا التعريف يشملُ صوم الفرض والنفل، وأما الوصال في الصوم فكان خاصاً بالنبي ﷺ وقد نهى أمته عنه.

- عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: نهى رسول الله ﷺ عن الوصال رحمةً لهم. فقالوا: إنك تواصلُ. قال: «**إني لستُ كهيئتِكُمْ، إني يُطعمني ربي ويَسقيني**»[1].

- يقول عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أُخبر رسول الله ﷺ أني أقول: والله لأصومنّ النهار، ولأقومنَّ الليل ما عشت. فقال ﷺ: «**فإنك لا تستطيع ذلك، فصُمْ وأفطِرْ، وقُمْ ونَمْ، وصُم من الشهر ثلاثة أيام، فإن الحسنة بعشر أمثالها، وذلك مثل صيام الدهر**». قلت: إني أطيق أفضل من ذلك. قال: «فصُم يوماً وأفطر يومين». قلت إني أطيق أفضل من ذلك. قال: «**فصم يوماً وأفطر يوماً، فذلك صيام داود عليه السلام وهو أفضل الصيام**»، فقلت: إني أطيق أفضل من ذلك، فقال

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٩٦٤)، ومسلم (١١٠٥).

النبي ﷺ: «**لا أفضلَ من ذلك**»[1].

ثانياً: خصائصهم في القيام.

قالوا عن أحدهم: (أقام شهراً لا ينام)[2].

وقالوا عن آخر: (كان رضي الله عنه كثير المجاهدة والرياضة، أخبرني رضي الله عنه أنه ربما يمكث الخمسة شهور أو أكثر لا يضع جنبه على الأرض لا ليلاً ولا نهاراً)[3].

- وفعلهم هذا مخالفٌ لهدي رسول الله ﷺ.
- عن أنس رضي الله عنه يقول: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا بها كأنهم تقالّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا أصلي الليل أبداً، وقال الآخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله ﷺ فقال: «**أنتم قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقُدُ، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[4].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٩٧٦)، ومسلم (١١٥٩).

(٢) «الكواكب الدرية» (٢/ ٣٧).

(٣) «طبقات الشعراني» (٢/ ١٦٣).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) واللفظ للبخاري.

• وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: «بينما النبي ﷺ يخطب إذا هو برجلٍ قائم، فسأل عنه فقالوا: أبو إسرائيل، نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم»، فقال النبي ﷺ: «**مره فليتكلم، وليستظِلَّ وليقعدْ وليتمَّ صومه**»[1].

• وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «... وما رأيت رسول الله ﷺ قام ليلةً حتى الصباح، وما صام شهراً متتابعاً إلا رمضان»[2].

• من الذي دفع الغلاة إلى الغلو في الدين، ودفع الجفاة إلى التفريط في الدين؟ وكيف يقي المسلم نفسه من الغلو والجفاء؟

هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة -إن شاء الله تعالى- إن كان في العمر بقية.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٧٠٤).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٧٤٦).

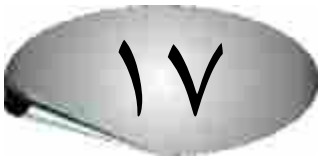

كيف يحفظ الإنسان نفسه من الغلو والجفاء في الدين؟

• **عباد الله!** يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة]. ويقول سبحانه: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة]. وقال -عز وجل- ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمَرْجان من قصص القرآن: دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**. والتي نتكلم فيها عن قصةِ نبينا وحبيبنا محمدٍ ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **كيف يحفظ الإنسان نفسه من الغلوِّ والجفاء في الدين؟**

إن الغلو والجفاء في الدين حرامٌ وضلالٌ مبين، والمسلم يحفظ نفسه من الغلوِّ والجفاء في الدين بما يلي:

أولاً: أن يعرف عدوه المبين الذي أوقعه في الغلو والجفاء في الدين

إن العدو المبين الذي دفع الغلاة إلى الغلو في الدين، والذي دفع الجفاة

إلى التفريط في الدين هو الشيطان.

• فما أَمر الله ... تعالى بأمرٍ إلا للشيطان فيه نزغتان:

إما إلى تفريطٍ (جفاءٌ)، وإما إلى إفراطٍ (غلوٌّ)، ودين الله وسطٌ بين الجافي عنه والغالي فيه، كالوادي بين جبلين، والهدى بين ضلالتين، والوسط بين طرفين ذميمين. فكما أن الجافي عن الأمر مُضيِّعٌ له، فالغالي فيه: مُضيِّعٌ له، هذا بتقصيره عن الحد، وهذا بتجاوزه الحد»[1].

ومن كيد الشيطان العجيب: أنه يَشُمُّ النفس، حتى يعلم أي القوتين تغلب عليها: قوة الإقدام والشجاعة، أم قوة الانكفاف والإحجام والمهانة؟

فإن رأى الغالب على النفس المهانةِ والإحجام، أخذ في تثبيطه وإضعاف همته وإرادته عن المأمور به، وثَقَّلَهُ عليه، فهوَّنَ عليه تركهُ، حتى يتركهُ جملةً، أو يقصر فيه ويتهاون به.

وإن رأى الغالب عليه قوة الإقدام، وعلو الهمة، أخذ يقلل عنده المأمور به، ويوهمه أنه لا يكفيه، وأنه يحتاج معه إلى مبالغةٍ وزيادةٍ، فَيَقْصُرُ بالأول ويتجاوز بالثاني، ولا يبالي الشيطان بأيهما ظفر[2].

• فالشيطان دفع الغلاة في رسول الله ﷺ حتى جعلهم يدعونه من دون

(١) «مدارج السالكين» لابن القيم (٢/ ٥١٧).

(٢) «إغاثة اللهفان» (١/ ١١٥).

الله، ودفع الجفاة في حق رسول الله ﷺ حتى جعلهم يُقَدِّمون أولياءهم على رسول الله ﷺ.

• فالشيطان هو عدوك المبين يا ابن آدم.

والله -عز وجل- أخبرنا عن عداوته في القرآن، ورسوله ﷺ في سنته:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾ [البقرة]. وقال تعالى: ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾ [يس]. وقال ﷺ: «**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم**»(١).

وعداوة الشيطان بدأت منذ خلق الله آدم.

لما خلق اللهُ آدمَ بيده، ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة أن يسجدوا تكريماً له، وكان إبليس مع الملائكة في هذه اللحظة، وهو ليس منهم. فسجد الملائكة كلهم أجمعون؛ استجابة لأمر الله إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين.

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [ص].

فقال الله له: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [ص]. فقال إبليس: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾ [ص]. وقال أيضاً: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾ [الإسراء].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٠٣٨)، ومسلم (٢١٧٤).

فمنعه الكبر والحسد من السجود، فطرده الله من رحمته ومن الجنة ولعنه: قال تعالى له: ﴿فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ١٣﴾ [الأعراف].

وقال تعالى له أيضاً: ﴿فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٧٧ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٧٨﴾ [ص].

لما عرف إبليس أنه قد طُرِدَ من رحمة الله ومن جنته؛ طلب من الله أن يُنظرهُ إلى يوم القيامة: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٣٦﴾[الحجر].

ولحكمة يعلمها الله أنظره حياً إلى يوم القيامة لا يموت: ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ٨٠ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ٨١﴾ [ص]. وكان طلبه -عليه لعنة الله- ذلك: لا ليبتوب: من ذنبه، ولكن لينتقم من آدم وذريته، ولذلك قال: ﴿أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ٦٢﴾[الإسراء].

• وفي الوقت الذي طرد الله فيه إبليس من الجنة ومن رحمته، أسكن آدم الجنة.

قال تعالى: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩﴾ [الأعراف].

وحذر الله آدم وزوجهُ من إبليس، فقال تعالى: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ١١٧﴾ [طه].

• إبليس -عليه لعنة الله- أخذ يفكر كيف ينتقم من آدم، فوسوس له من بعيد في صورة الناصح الأمين.

فقال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴿١٢٠﴾﴾ [طه]. وقال تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ [الأعراف]. فأكل آدم من الشجرة وعصى ربه، وتاب إلى الله، وتاب الله عليه، قال تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٢١﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٢٢﴾﴾ [طه].

• ولحكمةٍ يريدها الله -عز وجل- أنزل آدم وحواء وإبليس إلى هذه الأرض. قال تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٢٤﴾﴾[الأعراف].

• فنزلوا جميعاً إلى هذه الأرض وهي ساحة المعركة، وإبليس -عليه لعنة الله- يقود المعركة بنفسه، ويُعلنُ عداوتهُ ويتوعد.

قال تعالى عنه: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف].

وقال ﷺ: «**إن الشيطان قال: وعزَّتِك يا رب! لا أبرحُ أُغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم، قال الربّ: وعزتي وجلالي! لا أزال أغفر لهم ما استغفروني**»[1].

ويخبرنا النبي ﷺ أن إبليس يقودُ المعركة بنفسه فيقول ﷺ «**إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلةً أعظمهم فتنةً،**

(١) **حسن**: رواه أحمد (٣/ ٢٩) [«السلسلة الصحيحة» (١٠٤)].

يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا فيقول: ما صنعتَ شيئاً، قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرَّقت بينه وبين امرأته قال: فيدنيه منه ويقول: نِعْمَ أنت»[1].

والله -عز وجل- رحمةً بعباده؛ حذرهم من عداوة الشيطان وكيده:

فقال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ﴾ [الأعراف:٢٧]. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ۝٥ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾ [فاطر]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ۝١٦٨﴾ [البقرة].

والشيطان في معركته مع بني آدم يستخدم أساليب متنوعة كثيرةً منها:

الأسلوب الأول: الإغواءُ

قال إبليس عندما طُرِدَ من الجنة: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ۝٨٣﴾[ص].

وقال ﷺ: «**إن الشيطان قال: وعزَّتِك وجلالك! لا أبرحُ أُغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم**»[2].

وإبليس يأتي بالإغواء على مراتب:

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨١٣).

(٢) **حسن**: رواه أحمد (٣/ ٢٩)، [«السلسلة الصحيحة» (١٠٤)].

المرتبة الأولى: يدعوك إلى الكفر والشرك بالله:

قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحشر].

المرتبة الثانية: الابتداع في الدين: إما بالغلو وإما بالجفاء:

فالبدعة أحب إلى إبليس من المعصية، فالمبتدع لا يتوب من بدعته أبداً.

المرتبة الثالثة: يدعوك إلى كبائر الذنوب:

فالشيطان يدفع إلى الزنا، والربا، والخمر، وعقوق الوالدين.

المرتبة الرابعة: يدعوك إلى صغائر الذنوب:

فكثيرٌ من الناس يستهين بصغائر الذنوب، فيقع فيها فتجتمع عليه فتهلكه.

المرتبة الخامسة: يدعوك إلى المباحات:

التي لا ثواب فيها ولا عقاب، ليضيع عليك الوقت، فتَلْقى الله بدون عملٍ صالحٍ فتندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

الأسلوب الثاني: التزيين في الأرض:

قال إبليسُ عندما طُرد من الجنة: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ [الحجر].

ومن تزيين الشيطان لبني آدم في الأرض:

١ - أنه سمى الأشياء المحرَّمة بأسماء محبَّبةٍ:

ومن الأمثلة على ذلك:

• سمى الشيطان الشجرة التي حرَّمها الله على آدم في الجنة: بشجرة الخلد.

• وسمى الرِّشوةَ التي لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي: بالهدية والإكرامية.

• وسمى الربا الذي حرمه اللهُ وأعلن الحرب على آكله: بالفائدة.

• وسمى الخمر التي هي أم الخبائث: بالمشروبات الروحية. والنبي ﷺ يقول: «**لَيشربنَّ ناسٌ من أمتي الخمر يسمُّونها بغير اسمها**»[1].

• وسمى التبرج الذي لعن اللهُ فاعلَه: بالحضارة والتقدم والحرية الشخصية.

• وسمى التفجير والقتل والإرهاب: جهاداً في سبيل الله.

• وسمى الميسِر -وهو القمار-: باليانصيب الخيري.

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٦٨٨)، وابن ماجه (٤٠٢٠)، وأحمد (٥/ ٣٤٢)، [«الصحيحة» (٩٠)].

٢- أنه يسمي الطاعات بأسماءَ منفرةٍ:

• فيسمي الحجاب: رجعيةً.

• ويسمي إطلاق اللحية والثوب القصير: بالتخلف.

• وسمى الجهادَ الشرعي في سبيل الله لإعلاء كلمة الله: تطرفاً وإرهاباً.

الأسلوب الثالث: الصدُّ عن سبيل الله:

قال إبليس لما طُرد من الجنة: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾ [الأعراف].

وقال ﷺ: «**إن الشيطان قعد لابن آدم بأَطْرُقِهِ، فقعد له بطريق الإسلام فقال: تُسلِمُ وتذرُ دينك ودين آبائك وآباء أبيك؟! فعصاه فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال: تهاجرُ وتدعُ أرضك وسماءك، وإنما مَثَلُ المهاجر كمثل الفرس في الطِّولِ! فعصاه فهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال: تجاهدُ فهو جهد النفس والمال، فتقاتل فتُقتل، فتنكح المرأة ويُقْسَمُ المال؟ فعصاه فجاهد**»، فقال رسول الله ﷺ: «**فمن فعل ذلك كان حقاً على الله -عز وجل- أن يدخله الجنة، ومن قُتل كان حقاً على الله -عز وجل- أن يدخله الجنة، وإن غرق كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، أو وقصته دابته كان حقاً على الله أن يدخله الجنة**»[1].

الأسلوب الرابع: الإضلال:

قال تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ

(١) **صحيح**: رواه النسائي (٣١٣٤)، وأحمد (٣/ ٤٨٣)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٩٧٩)].

﴿ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ [النساء].

وإضلالُ الشيطان لابن آدم يكون خطوةً خطوةً، ولذلك حذرنا الله من خطُوات الشيطان. فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [النور:٢١].

فهذا هو عدوك يا ابن آدم! الذي قعد لك بكل طرق الخير ليصدك عنها، أو يدفعك للغُلُوِّ والإفراط فيها، أو إلى الجفاء والتفريط فيها فاحذره.

ثانياً: يحفظ المسلم نفسه من الغلو والجفاء في الدين، بأن يدعو الله أن يُسلِّمهُ ويحفظهُ من انحراف الغلاة والجفاة.

شرع الله لنا أن ندعوه في كل صلاةٍ، بل في كل ركعةٍ فنقول: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة].

ولما أمرنا سبحانه أن نسأله في كل صلاة أن يهدينا الصراط المستقيم، صراطَ الذين أنعم عليهم... كان ذلك مما يتبين أن العبد يُخاف عليه أن ينحرف إلى هذين الطريقين[1].

فالمغضوب عليهم وهم اليهود فرَّطوا وقصروا، والضالون وهم النصارى غلَوا وأفرطوا وتشددوا حتى ابتدعوا، والذين أنعم الله عليهم اتبعوا الصراط المستقيم بدون إفراطٍ ولا تفريط، وبدون غلوٍّ ولا تقصير، مستجيبين لأمر الله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣].

---

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (١/ ٦٥).

ثالثاً: يحفظ المسلم نفسه من الغلوِّ والجفاء في الدين، بالاستقامة على الأمر، وعدم التعدي لحدود الله، والوسطية في كل شيء.

إن الله -عز وجل- يأمر في كتابه بالاستقامة على الأمر:

قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْٓاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ [هود]. وقال تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾ [الشورى:١٥].

• وحذَّر الله عباده من تعدي حدود الله، فقال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾ [البقرة].

• وجعل الله الأمة الإسلامية وسطاً بين الأمم، وأمر سبحانه عباده بالوسطية في كل شيءٍ، وحذرهم من الغلو فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة:١٤٣].

وقال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى في وصف عباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان]. وقال تعالى: ﴿لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ﴾ [النساء:١٧١].

• ورسول الله ﷺ يأمر أمته بالوسطية ويحذرهم من الغلو.

• عن بُريدة الأسلمي قال: خرجت ذات يوم لحاجةٍ، فإذا أنا بالنبي ﷺ يمشي بين يديَّ، فأخذ بيدي، فانطلقنا نمشي جميعاً، فإذا نحن بين أيدينا

برجلٍ يصلي يُكثِرُ الركوع والسجود. فقال النبي ﷺ: «**أتراه يُرائي؟**» فقلت: الله ورسولهُ أعلمُ، فترك يدي من يده، ثم جمع بين يديه، فجعل يُصَوِّبُهما ويرفَعُهما ويقول: «**عليكم هَدياً قاصِداً، عليكم هدياً قاصداً، عليكم هدياً قاصداً، فإنه من يُشادَّ هذا الدين يغلِبْهُ**»(١).

- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أُخبروا كأنهم تقَالُّوها فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال الآخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: «**أنتم الذين قُلْتُمْ كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكُمْ لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقدُ، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**)(٢).
- وقال ﷺ: «**إياكُمْ والغلوَّ في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكُمْ الغُلوُّ في الدين**»(٣).

فيا عبد الله! إذا أردت أن تنجو من الغلو والجفاء في الدين، فعليك بما جاء في كتاب الله، وفي سنة رسول الله ﷺ، وما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم.

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٣٥٠)، وابن خزيمة (١١٧٩)، [«صحيح ابن خزيمة» (١١٧٩)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) واللفظ للبخاري.

(٣) **صحيح**: رواه النسائي (٣٠٠٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، وأحمد (١/ ٣٤٧)، [«السلسلة الصحيحة» (١٢٨٣)].

فالله -عز وجل- يقول: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْ﴾ [المائدة:٩٢]. وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾[الحشر:٧].

وتوضأ ﷺ وقال: «**من توضأ نحو وضوئي هذا**»(١).

وصلى ﷺ وقال: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»(٢).

وحج ﷺ وقال: «**لتأخذوا مناسككم**»(٣).

وهكذا في كل الدين، بدون إفراطٍ ولا تفريط، وبدون غلوٍّ ولا جفاءٍ، وهذا هو الإسلام الذي ارتضاه الله للبشرية، وأرسل به رسله، وختمهم برسولنا محمدٍ ﷺ.

قال الإمام الطحاوي في عقيدته: (ودين الله في الأرض والسماء واحد، وهو دين الإسلام، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]. وقال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾[المائدة:٣]. وهو بين الغلوِّ والتقصير، وبين التشبيه والتعطيل، وبين الجبر والقدر، وبين الأمن والإياس)(٤).

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٥٩)، ومسلم (٢٢٦).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٣١)، ومسلم (٦٧٤).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١٢٩٧).

(٤) «العقيدة الطحاوية» (٦٠، ٦١).

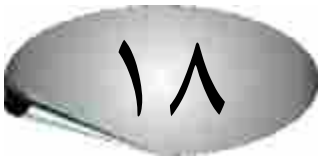

الثمرة الثالثة لدراسة السيرة النبوية العطرة:

التمسكُ بالسنة، ورفض البدعة

• **عباد الله!** يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٤٨﴾﴾ [الأحزاب]. ويقول سبحانه: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران]. وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْ﴾ [المائدة:٩٢]. وقال تعالى: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمَرْجان من قصص القرآن: دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**. والتي نتكلم فيها عن قصةِ نبينا وحبيبنا محمدٍ ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **الثمرة الثالثة التي نقطفها -إن شاء الله تعالى- من دراسة السيرة النبوية العطرة. ألا وهي: التمسك بالسنة، ورفضُ البدعة.**

تبين لنا من الجمع الماضية: أن الغلاة والجفاة ضلوا ضلالاً مبيناً؛ لأنهم سلكوا سُبُلَ الضلال، وابتدعوا في دين الله، وتركوا سبيل المؤمنين.

والله -عز وجل- يقول: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾[النساء].

والدارس للسيرة النبوية يسلك سبيل المؤمنين، ويزداد تمسكاً بسنة سيد الأولين والآخرين محمدٍ ﷺ، ويرفض الابتداع في الدين.

السنة في اللغة: هي الطريقة، سواءٌ كانت حسنةً أو سيئةً.

والسنة في الشرع: ما ثبت عن النبي ﷺ من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ.

وهذا كله يُعرف من سيرته ﷺ.

• والسنة الثابتة من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ وحيٌ من الله إلى رسوله ﷺ، وهي من الذكر الذي تكفل الله بحفظه في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحجر]. والدليل على ذلك:

• قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤﴾ [النجم].

• وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ١١٣﴾ [النساء].

• وقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ٣٤﴾[الأحزاب].

• وقال ﷺ: «**ألا إني أوتيت الكتاب ومِثْلَهُ معه**»[1].

• وقال ﷺ: «**يوشك أحدكم أن يُكذبني وهو متكئٌ على أريكته، يُحَدَّثُ بحديثي فيقول: بيننا وبينكم كتابُ الله، فما وجدنا فيه من حلالٍ**

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٦٠٤)، وأحمد (٤/ ١٣٠)، [«صحيح الجامع» (٢٦٤٣)].

استحللناه، وما وجدنا فيه من حرامٍ حرمناه، ألا وإن ما حرَّمَ رسول الله ﷺ مِثْلُ ما حرَّمَ الله»[1].

والله -عز وجل- بعث رسوله ليبين للناس الذكر الذي أنزله عليه. فقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل].

فالسنة الثابتة عن رسول الله ﷺ وحيٌ من الله -عز وجل- يجب على المسلم أن يأخذ ما جاء فيها، ويتمسك بها حتى لا يضل كما ضلَّ الغلاةُ والجفاةُ، وذلك لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[الحشر:٧].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾[النور]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال:٢٤].

- وقال ﷺ: «**تركت فيكم شيئين، لن تضلوا بعدهما: كتاب الله، وسُنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض**»[2].
- وقال ﷺ في وصيته البليغة: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإنْ عبداً حبشيّاً، فإنّهُ مَنْ يعِشْ منكُم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها، وعضُّوا**

(١) **حسن**: رواه أحمد (٤/ ١٣٢)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٨٧٠)].

(٢) **حسن**: رواه الدارقطني (٤/ ٢٤٥)، والحاكم (٣١٩)، [«الحديث حُجّة بنفسه» (٣٢)].

عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثاتِ الأمور، فإن كل محدثةٍ بدعة، وإن كل بدعةٍ ضلالة»[1].

• عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «لعن الله الواشمات والمستوشمات، والنامصات والمتنمصات، والمتفلِّجات للحسن، والمغيرات خلق الله»، قال: بلغ ذلك امرأةً من بني أسد يقال لها: «أم يعقوب»، وكانت تقرأ القرآن، فأتته، فقالت: «ما حديثٌ بلغني عنك؟! أنك لعنت الواشمات والمستوشمات، والمتنمصات والمتفلجات للحُسن المغيرات خلق الله»، فقال عبد الله: «ومالي لا ألعن من لعن رسولُ الله ﷺ وهو في كتاب الله؟»، فقالت المرأة: لقد قرأت ما بين لوحي المصحف، فما وجدته!! فقال: «لئن كنتِ قرأتيه لقد وجدتيه»، قال الله -عز وجل- ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[الحشر:٧][2].

فمن تمسك بالسنة نجا، ومن تركها هلك.

• قال الزهري -رحمه الله-: (الاعتصام بالسُنّة نجاةٌ)[3]، لأن السنة -كما قال الإمام مالك-: (مِثل سفينةِ نوحٍ من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك)[4].

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٧٣٥)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٨٨٦)، ومسلم (٢١٢٥) واللفظ لمسلم.

(٣) رواه الدارمي (٩٦) بسند صحيح.

(٤) ذكره شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٤/ ١٣٧).

• وقال الحسن البصري -رحمه الله-: (السنة -والذي لا إله إلا هو- بين الغالي والجافي، فاصبروا عليها رحمكم الله! فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى، وهم أقل الناس فيما بقي، هم الذين لم يذهبوا مع أهل الترف في إترافهم، ولا مع أهل البدع في بدعهم، وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم، فلذلك إن شاء الله فكونوا)[1].

• ويقول ابن مسعودٍ ﷺ: (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم)[2].

• ويقول أيضاً: (ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم)[3].

كيف لا؟ والله -عز وجل- يقول: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾[النور:٥٤].

ويقول سبحانه: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب].

وها هم الصحابة ﷺ يضربون لنا أروع الأمثلة في التمسك بسنة رسول الله ﷺ:

١ - فهذا أبو بكر الصديق ﷺ يقول: (لست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، وإني لأخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ)[4].

---

(١) رواه الدارمي في «سننه» (٢١٦).

(٢) رواه وكيع في «الزهد» (٣٠٩)، والمروزي في «السنة» (٧٨)، والدارمي (٢٠٥)، والطبراني في «الكبير» (٨٦٨٢).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٦٥٤).

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٣٠٩٣).

٢- وهذا الفاروق عمر ﷺ: يُقَبل الحجر الأسود ويقول: (والله إني لأعلم أنك حجرٌ لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يُقبلُك ما قبلتُك)[١].

٣- وهذا ابن عباس ﷺ عندما أفتى بجواز التمتع بالعمرة إلى الحج قالوا: لكن أبا بكر وعمر يقولان خلاف قولك؟ فغضب ابن عباس وقال: يوشك أن تُرجَموا بحجارة من السماء! أقول: قال رسول الله؟ وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟[٢].

٤- وهذا عبد الله بن مغفل ﷺ كان جالساً إلى جنبه ابنُ أخٍ له، فخذف فنهاه، وقال: إن رسول الله نهى عنها. وقال: «**إنها لا تصيد صيداً ولا تَنكَأ عدواً، وإنها تكسِرُ السِّنَّ، وتفقأ العين**» قال: فعاد ابن أخيه يخذف. فقال: «أخبرتك أن رسول الله ﷺ نهى عنها ثم تخذف؟ لا أكلمك أبداً»[٣].

٥- ويقول ابن مسعود ﷺ: (من كان مستناً فليستنَّ بمن قد مات؛ فإن الحيَّ لا تُؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمدٍ ﷺ كانوا والله! أفضل هذه الأمة؛ أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً. قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٥٩٧)، ومسلم (١٢٧٠).

(٢) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١٩٦).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٤٧٩)، ومسلم (١٩٥٤).

في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم)[1].

• هؤلاء هم أصحاب محمدٍ ﷺ الذين اختارهم الله لصحبة نبيه، والذين نزل القرآن على رسولِ الله ﷺ وهو بين أظهرهم، وعاشوا سيرته ﷺ منذ بُعث إلى أن لقي ربه، ولذلك أمرنا الله في كتابه أن نسلك سبيلهم. فقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟﴾ [التوبة:١٠٠].

• المؤمن الصادق في محبته للنبي ﷺ يتمسك بسنته ويتبعُ هديهُ. وذلك لأن المحبة هي الاتباع:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى﴾[آل عمران:٣١]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ [آل عمران:٦٨]. وقال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ [إبراهيم:٣٦].

• والمؤمن المتمسك بسنة رسول الله ﷺ يرفض البدعة بكل صورها. وذلك:

أولاً: لأن البدعة شرٌ من المعصية:

وهي محببةٌ إلى إبليس من المعصية، فالمعصية يُتابُ منها، والبدعة لا يُتاب

(١) «تفسير البغوي» (١/ ٢١٤).

منها. واستدل شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- على ذلك بحديثين.

الأول: حديث الرجل الذي يُدعى حماراً، وكان يشرب الخمر (وهذه معصية).

• عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً كان على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله، وكان يُلقَّبُ حِماراً، وكان يُضحِكُ رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جَلَدَهُ في الشراب، فأُتِيَ به يوماً فأمرَ به فجُلِدَ فقال رجلٌ من القوم: اللهم العَنْهُ! ما أكثر ما يُؤتى به، فقال النبي ﷺ: «**لا تلعنوه، فوالله ما علمتُ أنه يُحبَّ الله ورسوله**»[1].

الثاني: حديث الرجل الذي اعترض على قسمة النبي ﷺ (وهذه بدعةٌ).

• كان النبي ﷺ يُقسِّمُ فجاء رجلٌ كثُّ اللحيةِ، مُشرِفُ الوجنتين، غائرُ العينين، ناتئُ الجبين، محلوقُ الرأس، فقال: اتقِ اللهَ يا محمد! قال: فقال رسول الله ﷺ: «**فمن يُطع الله إن عصيته! أيأمَنُني على أهل الأرض ولا تأمَنُوني؟**» قال: ثم أدبر الرجل. فاستأذن رجلٌ من القوم في قتله (يُرَونَ أنه خالدُ بن الوليد) فقال رسول الله ﷺ: «**إن من ضِئضئِ هذا قوماً يقرؤون القرآن، لا يجاوِزُ حناجِرَهُم. يقتلون أهل الإسلام. ويدَعون أهل الأوثان. يمرقون من الإسلام كما يمرُقُ السَّهْمُ من الرَّميَّة. لئن أدركتُهُم لأقتُلنَّهُم قتل عادٍ**»[2].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٧٨٠).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤) واللفظ لمسلم.

فالأول عاصٍ لله بشربه للخمر، والثاني مبتدعٌ بخروجه على رسول الله ﷺ، فالثاني أشرُّ من الأول، فالبدعة شرٌ من المعصية، ولذلك جاء التحذير من مصاحبة المبتدعة ومجالستهم..

١- يقول سعيد بن جبير -رحمه الله-: (لأن يصحب ابني فاسقاً سارقاً سُنياً، أحبُّ إليَّ من أن يصحب عابداً مبتدعاً)[١].

٢- وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (لا تجالس أهل الأهواء -وهم المبتدعة- فإن مجالستهم مُمرضةٌ للقلوب)[٢].

٣- وقال الفضيل بن عياض: (إذا رأيت مبتدعاً في طريق فخذ في طريقٍ آخر)[٣]. وقال: (ومن أعان صاحب بدعةٍ فقد أعان على هدم الإسلام)[٤]، فالذين يقدمون المبتدعة عبر القنوات الفضائية، يسيئون إلى الإسلام، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، فاحذروهم يا عباد الله!

٤- وقال أبو إدريس الخَولاني: (لأن أرى في المسجد ناراً لا أستطيع إطفاءها، أحب إليَّ من أن أرى فيه بدعةً لا أستطيع تغييرها)[٥].

---

(١) «الإبانة الصغرى» (١٣٢).

(٢) رواه الآجري في «الشريعة» (٦١)، وابن بطة في «الشرح والإبانة عن أصول الديانة» (٨٧).

(٣) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٠٣) عن الفضيل، وهو مروي عن يحيى بن أبي كثير كذلك.

(٤) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٠٣).

(٥) رواه المروزي في «السنة» (٩٩).

ثانياً: لأن البدعة حرامٌ بالكتاب والسنة:

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام]. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران:١٠٦].

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: (فأما الذين ابيضت وجوههم فأهل السنة والجماعة وأولو العلم، وأما الذين اسودت وجوههم فأهل البدعة والضلالة)[١].

- وقال ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[٢].
- وقال ﷺ: «**وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة**»[٣].
- وقال ﷺ: «**فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[٤].
- ولذلك أنكر الصحابة والأئمة على المبتدعة.
- فهذا ابن عمر رضي الله عنهما يقول: (كل بدعةٍ ضلالة، وإن رآها الناس حسنة)[٥].

---

(١) رواه اللالكائي في «شرح أصول أهل السنة» (٧٤) بهذا اللفظ، ولكن للأثر ألفاظ أخرى كثيرة.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٦٠٧)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٧٣٥)].

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

(٥) رواه اللالكائي في «شرح أصول أهل السنة» (١٢٦).

وسمع ابن عمر رجلاً عطس فقال: الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله. فقال له: (ما هكذا علمنا رسول الله ﷺ، بل قال: «**إذا عطس أحدكم، فليحمد الله**» ولم يقل: وليصل على رسول الله)[1].

- وهذا الإمام مالك -رحمه الله- يقول: (من ابتدع في الإسلام بدعةً يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة، لأن الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣]، فما لم يكن يومئذٍ ديناً، فلا يكون اليوم ديناً)[2].
- وجاء رجلٌ إلى الإمام مالك فقال له: من أين أُحرم؟ قال له: (من ذي الحُليفة، من حيث أحرم رسول الله ﷺ)، فقال الرجل: إني أريد أن أحرم من المسجد -أي: النبوي- من عند القبر، قال له: (لا تفعل، فإني أخشى عليك الفتنة). فقال الرجل: أي فتنة هذه؟ إنما هي أميال أزيدها. فقال له: (وأي فتنة أعظمُ من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلةٍ قصَّر عنها رسول الله ﷺ؟). إني سمعت الله -عز وجل- يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور][3].
- وهذا سعيد بن المسيِّب -رحمه الله- من التابعين -رأى رجلاً يصلي بعد طلوع الفجر أكثر من ركعتين، يكثر فيها الركوع والسجود، فنهاه عن ذلك- لأن الإنسان إذا طلع الفجر وصلى ركعتي السنة، لا يجوز له أن

---

(١) رواه الترمذي (٢٧٣٨) وحسَّنه الشيخ الألباني.

(٢) رواه ابن حزم في «الإحكام» (٦/ ٢٢٥) بسنده، وذكره الشاطبي في «الاعتصام» (١/ ٤٩).

(٣) رواه بهذا اللفظ ابن العربي المالكي بسنده في «أحكام القرآن» (٣/ ٣٦٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٢٦).

يتنفل بعد ذلك حتى يصلي الفريضة، فهذا الرجل قام يتنفل بعد أن صلى ركعتي سنة الفجر، فنهاه سعيد بن المسيب عن ذلك، فقال الرجل: يا أبا محمد! يُعذبني الله على الصلاة؟ قال له: لا، ولكن يعذبك على مخالفة السنة[1].

ثالثاً: لأن المبتدع محرومٌ من التوبة ما دام مصراً على بدعته.

قال ﷺ: «**إن الله حجب التوبة عن كلِّ صاحب بدعةٍ حتى يدع بدعته**»[2].

رابعاً: لأن المبتدع ملعونٌ من الله والملائكة والناس أجمعين.

قال ﷺ: «**المدينةُ حَرَمٌ، فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى مُحدِثاً، فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبلُ منه يوم القيامة عدلٌ ولا صرفٌ**»[3].

خامساً: لأن المبتدع لا يزداد ببدعته من الله إلا بعداً.

قال ﷺ في شأن الخوارج: «**... تحقرون صلاتَكُم مع صلاتِهم، وصيامكُم مع صيامِهِم، يمرقون من الدين كما يمرق السَّهمُ من الرَّمِيَّةِ**»[4].

---

(١) انظر: «البدعة وأثرها السيئ» (ص٥٧).

(٢) **صحيح**: بهذا اللفظ المذكور رواه الطبراني في «الأوسط»، كما في [«صحيح الترغيب والترهيب» (٥٤)]، وقد رواه الطبراني في «الأوسط» (٤٢٠٢)، وإسحاق بن راهويه في «مسنده» (٣٩٨)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٣٠)، والبيهقي في «الشعب» (٧٢٣٨)، بلفظ: «**إن الله حجب التوبة عن صاحب كل بدعة**».

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٨٧٠)، ومسلم (١٣٧٠).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٠٥٨)، ومسلم (١٠٦٤).

وقال أحد الصالحين: (ما ازداد صاحب بدعةٍ اجتهاداً إلا ازداد من الله بعداً)[1].

سادساً: لأن المبتدع عليه إثمه وإثم من عمل ببدعته إلى يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل:٢٥].

وقال ﷺ: «**... ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها، ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**»[2].

سابعاً: لأن المبتدع لا يرد حوض النبي ﷺ يوم القيامة.

قال ﷺ: «**أنا فرَطكم على الحوض، لَيُرْفَعَنَّ إلى رجال منكم حتى إذا أهويت لأناولهم أُختُلِجوا دوني، فأقول: أي رب! أصحابي. فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك**»[3]. وفي رواية: «**إنك لا تدري ما بدلوا بعدك فأقول: سُحقاً سُحقاً لمن بدل بعدي**»[4].

ما هي الثمرة الرابعة التي نقطفها من السيرة النبوية؟

هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة -إن شاء الله-

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٩).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٠١٧).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٥٨٤)، ومسلم (٢٢٩١).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٠٤٩)، ومسلم (٢٢٩٧) واللفظ للبخاري.

الثمرة الرابعة لدراسة السيرة النبوية العطرة

معرفة حقوق النبي ﷺ من غير غلوٍ ولا جفاء

• **عباد الله!** يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة]. ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾ [الأحزاب]. ويقول سبحانه: ﴿لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾ [الفتح].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمَرْجان من قصص القرآن: دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**. والتي نتكلم فيها عن قصةِ نبينا وحبيبنا محمدٍ ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **الثمرة الرابعة التي سنقطفها -إن شاء الله تعالى- من دراستنا للسيرة النبوية العطرة ألا وهي: معرفة حقوق النبي ﷺ من غير غلوٍ ولا جفاء.**

كان الناس قبل بعثة محمدٍ ﷺ في ضلالٍ مبين كما أخبر رب العزة:

فقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة].

فبعث الله رسوله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق والنور، فأخرج البشرية بإذن ربه من الظلمات إلى النور؛ من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ومن ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، ومن ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومن ظلمات البدع والخرافات إلى نور السنة.

قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة].

فبلَّغ ﷺ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، وجاهد في سبيل دينه حتى أتاه اليقين، وترك أمته على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك أو ضال، ولذلك امتن الله على المؤمنين ببعثة محمدٍ ﷺ، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران].

والله -تعالى- أوجب علينا طاعته وطاعة رسوله ﷺ، وجعل له -سبحانه- حقوقاً على عباده، لا يُشاركهُ فيها أحدٌ من خلقه، لا نبيٌّ مرسلٌ ولا ملكٌ مقرَّبٌ، وجعل لنبيه ﷺ حقوقاً على أمته لا يُساويه فيها أحدٌ من الخلق:

قال ابن القيم -رحمه الله-:

لله حقٌّ ليس لعبده ... ولعبده حقٌّ هما حقانِ
لا تجعلوا الحقين حقاً واحداً ... من غير تمييزٍ ولا فرقان

• وحقُّ الله على عباده: أن يعبدوه وحدهُ ولا يشركوا به شيئاً، فلا يجوز لأحدٍ أن يصرف حقاً من حقوق الله عبادةً لأحدٍ من الخلق مهما كان.

قال ﷺ محذِّراً: «**لا تُطروني كما أَطْرَتِ النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبدهُ، فقولوا: عبدُ الله ورسوله**»(١).

• ولنبينا محمدٍ ﷺ حقوقٌ علينا نؤديها له من غير غلوٍ ولا جفاءٍ، فكما أن الغلو مردودٌ بكل صوره وأشكاله فكذلك الجفاء مرفوضٌ بكل صوره وأشكاله.

• وحقوق النبي ﷺ التي جاءت في الكتاب والسنة من غير غلوٍ ولا جفاءٍ

الحق الأول: محبته ﷺ أكثر من النفس والأهل والمال والناس أجمعين.

• قال ﷺ: «**فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده**»(٢).

• وقال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده، وولده والناس أجمعين**»(٣).

• ولـمَّا قال عمر رضي الله عنه لرسول الله ﷺ: (يا رسول الله! لأنت أحبُّ إليَّ من كل شيءً إلا من نفسي). فقال النبي ﷺ: «**لا، والذي نفسي بيده!**

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٤٤٥).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (١٤).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).

حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك». فقال له عمر: (فإنه الآن والله! لأنت أحبُّ إليَّ من نفسي). فقال النبي ﷺ: «**الآن يا عمر!**»[1].

• وهدد الله -تعالى- بالعقاب من كان أحد من الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة، أو شيء من الأموال والتجارة والمساكن، أحب إليه من الله تعالى ورسوله ﷺ، وجهاد في سبيله -عز وجل- قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة].

ويقول الحافظ ابن كثير -رحمه الله- في تفسير الآية: (أي إن كانت هذه الأشياء ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟﴾. أي: فانتظروا ماذا يحل بكم من عقابه ونكاله بكم)[2].

وقال مجاهد والحسن -رحمهما الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ (بعقوبة آجلة أو عاجلة)[3].

• تعالوا بنا لنتعلم الحبَّ الشرعي لرسول الله ﷺ من غير غلوٍ ولا جفاءٍ من الصحابة رضي الله عنهم

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٦٣٢).

(٢) «مختصر ابن كثير» للرفاعي (٢/ ٣٢٤).

(٣) نقلاً من «تفسير القرطبي» (٨/ ٩٥-٩٦).

١ - أبو بكر الصديق رضي الله عنه عندما سمع النبي ﷺ يودع أمته على المنبر ويقول لهم: «**إن عبداً خيَّرهُ اللهُ بين أن يُؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء، وبين ما عندَهُ فاختارَ ما عندَهُ**»، فبكى أبو بكر وقال: (فديناك بآبائنا وأمهاتنا)[١].

٢ - لما حاول عروةُ بن مسعود ممثل الكفار في صلح الحديبية أن يلمس لحية رسول الله ﷺ وهو يتكلم معه؛ ضرب الصحابي الجليل المغيرة بن شعبة رضي الله عنه يده بنصل السيف وقال له: أخِّرْ يدك عن لحية رسول الله ﷺ وإلا لا ترجع إليك.

ولما رجع عروة بن مسعودٍ إلى كفار مكة قال لهم: أي قوم والله! لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله ما رأيت مُليكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمدٍ ﷺ محمداً، والله إن تنخم نخامةً إلا وقعت في كف رجلٍ منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحدون إليه النظر تعظيماً له[٢].

٣- وهذا صحابيٌّ آخر أخذه الكفار في مكة، وعذّبوه عذاباً شديداً،

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٩٠٤)، ومسلم (٢٣٨٢).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢).

وقالوا له وهو تحت التعذيب: أتحب أن محمداً مكانك، وأنت سليم معافىً في أهلك ومالك؟ فصاح فيهم وقال: والله ما أحبُّ أني في أهلي وولدي ومالي معي عافية الدنيا ونعيمها، ويصاب رسول الله ﷺ بشوكةٍ[1]. الله أكبر .... الله أكبر... ما هذا الحبُّ؟

وفيه قال القائل:

أسرت قريشٌ مسلماً ... فمضى بلا وجل إلى السِّياف
سألوه هل يرضيك أنك سالمٌ ... ولك النبي فدىً من الإتلاف؟
فأجاب: كلا. لا سلمت من الرَّدى ... ويصاب أنف محمدٍ برُعافِ

ولذلك قال أبو سفيان عندما سمع ذلك: والله ما رأيت أحداً يحبُ أحداً كما يحبُ أصحاب محمدٍ محمداً.

الحق الثاني: طاعته ﷺ في كُلِّ ما أمر به، وفي كل ما نهى عنه

• قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ٢٠﴾ [الأنفال].

• وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْ﴾ [المائدة:٩٢].

• وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر:٧].

فمن حقه ﷺ علينا أن نطيعهُ في كل ما أمر به، وأن ننتهي عن كلِّ ما نهى عنه.

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٥٢٨٤).

أولاً: لأن في طاعته ﷺ الهدى إلى كل خير، وفي معصيته ومخالفته الضلال والهلاك والدمار والفتن.

• قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور:٥٤].

• وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب].

• وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (ولو أنكم تركتم سنة نبيكم لضللتم)[1].

• وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور].

ثانياً: ولأن في طاعته ﷺ الجنة، وفي معصيته النار.

قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء].

• وقال ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**» قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**»[2].

وهاهم أهل النار يندمون في وقت لا ينفع فيه الندم على عدم طاعتهم لرسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴿٦٦﴾﴾ [الأحزاب].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٦٥٤).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٧٢٨٠).

ثالثاً: لأن في طاعته ﷺ الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة:

• قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور].

• وها هم الصحابة رضي الله عنهم يضربون لنا أروع الأمثلة في طاعته ﷺ في كل ما أمر به، وفي كلِّ ما نهى عنه.

• عن البراء رضي الله عنه قال: (لما قدِمَ رسول الله ﷺ المدينة صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً، وكان يحبُّ أن يُوَجَّه إلى الكعبة، فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ﴾ [البقرة:١٤٤]. فَوُجِّهَ نحو الكعبة، وصلى معه رجلٌ العصر، ثم خرج فمرَّ على قوم من الأنصار فقال: (هو يشهد أنه صلى مع النبي ﷺ وأنه قد وُجِّهَ إلى الكعبة). فانحرفوا وهم ركوعٌ في صلاة العصر)[1].

• وعن أنس رضي الله عنه قال: «كنت ساقيَ القوم في منزل أبي طلحة، وكان خَمْرهُم يومئذٍ الفضيخَ، فأمر رسول الله ﷺ منادياً ينادي: «ألا إن الخمرَ قد حُرِّمت». قال: فقال لي أبو طلحة: «اخْرُجْ فأَهرِقها». فخرجت فَهَرَقْتُها. فجرت في سكك المدينة»[2].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٧٢٥٢).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٤٦٤)، ومسلم (١٩٨٠) والفضيخ شراب يتخذ من البسر.

• وعن أبي أسيد الأنصاري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ وهو خارج من المسجد، فاختلط رجال مع النساء في الطريق، فقال رسول الله ﷺ: «**استأخِرنَ فإنه ليس لكنَّ أن تحْقُقْنَ الطريق، عليكنَّ بحافات الطريق**» فكانت المرأة تلتصقُ بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلَّقُ بالجدار من لُصُوقِها به»[1].

• وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما؛ أن رسول الله ﷺ رأى خاتماً من ذهبٍ في يد رجلٍ. فنزعه فطرحه وقال: «**يعمدُ أحدُكُم إلى جمرةٍ من نارٍ فيجعلُها في يده**» فقيل للرجل، بعدما ذهب رسول الله ﷺ خُذْ خاتمك انتفع به، قال: لا، والله! لا آخذُهُ أبداً. وقد طرحه رسول الله ﷺ[2].

الحقُ الثالث: التأدب معه ﷺ في حياته وبعد موته.

الأدب الأول: ألا نقدم قولاً على قوله ﷺ:

• قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١﴾ [الحجرات].

• ويقول ابن عباسٍ رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: أي: لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة[3]، فإن القول المخالف للكتاب والسنة تقديمٌ بين يدي الله ورسوله، وقولٌ على الله بغير علم.

---

(١) **حسن**: رواه أبو داود (٥٢٧٤)، [«السلسلة الصحيحة» (٨٥٦)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٠٩٠).

(٣) «تفسير الطبري» (٢١/ ٣٣٥).

• والقول على الله بغير علم من عمل الشيطان:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ١٦٩﴾ [البقرة].

• والقول على الله بغير علم حرامٌ:

قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣﴾ [الأعراف].

ولقد تأدب أصحاب رسول الله ﷺ بهذا الأدب مع الله ورسوله، فما عاد مقترِح يقترح على الله ورسوله، وما عاد مفتٍ يفتي في مسألة حتى يرجع الى قول الله ورسوله، بل إنهم من شدة تأدبهم بهذا الأدب أمسكوا عن الإجابة عما يعلمون، خشية أن يكون في الإجابة تقديم بين يدي الله ورسوله.

حدث أن النبي ﷺ خطب الناس في حجة الوداع، فكان من بين خطبته أن سألهم: «**أي يوم هذا؟**» وهم يعلمون أي يوم هم فيه، ومع ذلك قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**أليس يوم النحر؟**» قالوا: بلى. قال: «**أي شهر هذا؟**» وهم يعلمون أنه ذو الحجة، ومع ذلك أمسكوا عن الإجابة، خشية أن يقدموا بين يدي الله ورسوله حتى قال: «**أليس ذا الحجة؟**» قالوا: بلى. قال: «**أي بلدٍ هذا؟**» وهم يعلمون علم اليقين أنهم في مكة، ومع هذا قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**أليس البلدة الحرام؟**» قالوا: بلى، فقال ﷺ:

«**فإن دماءكُم وأموالكُم وأعراضَكُم عليكم حرامٌ، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا**»[1].

• ولقد اشتد نكيرُ الصحابة رضي الله عنهم والسلف على كل من يُقدِّمُ بين يدي الله ورسوله، وعلى كل من يقول قولاً يخالف قول الله ورسوله ﷺ.

• فعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «**إذا استأذنت أحدَكم امرأتُهُ إلى المسجد فلا يمْنَعْها**»، فقال بلالُ بن عبد الله: والله! لنَمْنَعُهُنَّ. قال: فأقبل عليه عبد الله فسبَّهُ سبًّا سَيئاً. ما سَمِعْتُهُ سبَّهُ مِثْلَهُ قطُّ. وقال: أخبرك عن رسول الله ﷺ، وتقول: والله! لَنَمْنَعُهُنَّ![2].

• ولما أفتى ابن عباس رضي الله عنهما بجواز التمتع بالعمرة إلى الحج، قالوا: لكن أبا بكر وعمر يقولان خلاف قولك؟ فغضب ابن عباس وقال: يوشك أن تُرجموا بحجارة من السماء، أقول: قال رسول الله؟ وتقولون قال: أبو بكر وعمر؟![3].

• وذات يوم سُئل الإمام الشافعي: قال رسول الله ﷺ كذا، فقال السائل: وما تقول أنت؟ فغضب الشافعي وقال: أتراني في كنيسة! أتراني في بيعة! أترى في وسطي زناراً! أقول: قال رسول الله ﷺ، وتقول: ما تقول أنت؟![4].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٧٤١)، ومسلم (١٦٧٩).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٤٤٢).

(٣) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١٩٦).

(٤) «العقيدة الطحاوية» (٣٩٩).

كيف لا؟ والله -عز وجل- يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾[الحجرات:١] أي: خافوا من الله، واحذروا غضبه وعقابه، إن أنتم قدَّمتم قولاً مهما كان قائله على قول الله ورسوله ﷺ، خافوا من الله واحذروا أن يحل بكم غضبه وعقابه، إن لم تتأدبوا بهذا الأدب مع الله ورسوله.

الأدب الثاني: عدم رفع الصوت بحضرته في حياته، وعند قبره وفي مسجده بعد مماته ﷺ

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢﴾ [الحجرات].

- ولقد تأدب أصحاب رسول الله ﷺ بهذا الأدب مع رسول الله ﷺ.
- فهذا ثابتُ بن قيس رضي الله عنه كان من أمره أنه كان رجلاً جهير الصوت، فلما نزلت الآية اعتزل في بيته يبكي؛ خوفاً من أن يكون حبط عمله، حتى افتقده رسول الله ﷺ فقال رجل: يا رسول الله! أنا أعلم لك علمه، فأتاه فوجده جالساً في بيته منكساً رأسه فقال له: ما شأنك؟ فقال: شرٌّ، كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ فَقَدْ حبط عمله، وهو من أهل النار. فأتى الرجل النبي ﷺ، فأخبره أنه قال كذا وكذا، فقال النبي ﷺ: «**اذهب إليه فقل له: إنك لست من أهل النار، ولكنك من أهل الجنة**»[1].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦١٣)، مسلم (١١٩).

• وعن السائب بن يزيد قال: كنت قائماً في المسجد فحصَبَني رجلٌ، فنظرتُ فإذا عمر بن الخطاب فقال: اذهب فأتني بهذين، فجئته بهما. قال: مَن أنتما -أو مِن أين أنتما-؟ قالا: من أهل الطائف. قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجَعتُكُما، ترفعان أصواتكُما في مسجد رسول الله ﷺ![1].

الأدب الثالث: نداؤه ﷺ بوصف النبوة والرسالة ولا ينادى عليه باسمه

قال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور:٦٣] أي: لا تقولوا: يا محمد! يا أحمد! فإن الله -عز وجل- لم يخاطب رسوله إلا بلفظ «يا أيها النبي» و«يا أيها الرسول» وأنتم أولى وأحق بهذا الأدب مع رسول الله ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ [الحجرات:٢] فإن هذا سوء أدب يؤدي إلى ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢﴾ [الحجرات] وتلك الطامة الكبرى.

الحق الرابع: أن نكثر من الصلاة والسلام عليه ﷺ

• استجابةً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب].

• ولقوله ﷺ: «**من صلى عليَّ صلاةً صلَّى الله عليه بها عشراً**»[2].

• ولقوله ﷺ: «**أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاةً**»[3].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤٧٠).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٣٨٤).

(٣) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٤٨٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٦٨)].

• ولقوله ﷺ: «**البخيل مَن ذُكرتُ عنده فلم يُصلِّ عليَّ**»(١).

الحق الخامس: الرضا بحكمه ﷺ

• استجابة لقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء].

• ولقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦].

• ولقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور].

• ولقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء:٥٩].

ما هي الثمرةُ الخامسة التي سنقطفها من دراستنا للسيرة النبوية العطرة؟

هذا الذي سنعرفهُ -إن شاء الله تعالى- في الجمعة القادمة إن كان في العمر بقية.

---

(١) **صحيح**: رواه النسائي في «الكبرى» (٨١٠٠)، وأحمد (١/ ٢٠١)، [«إرواء الغليل» (١/ ٣٥)].

الثمرة الخامسة لدراسة السيرة النبوية العطرة

فهمُ الإسلام فهماً صحيحاً

أولاً: فهم القرآن الكريم فهماً صحيحاً بالسيرة النبوية

• **عباد الله!** يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [النحل]. ويقول -عز وجل-: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمَرْجان من قصص القرآن: دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**. والتي نتكلم فيها عن قصةِ نبينا وحبيبنا محمدٍ ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **الثمرة الخامسة التي سنقطفها -إن شاء الله تعالى- من دراستنا للسيرة النبوية العطرة ألا وهي: فهمُ الإسلام فهماً صحيحاً**

الإسلام هو الدين عند الله:

• قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩].

• والإسلامُ دينٌ كاملٌ، ونعمةٌ تامةٌ. قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

• والإسلام هو الدين المقبول عند الله يوم القيامة. قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران].

• والإسلام يؤخذُ من الكتاب والسنة:

• الكتاب: لأنه كلام الله ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت٤٢].

• والسنة: لأنها كلامُ رسول الله ﷺ الذي قال الله فيه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم].

• والكتاب والسنة وحيٌ من الله -تعالى-

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[النساء:١١٣]. وقال تعالى لنساء النبي ﷺ: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب:٣٤].

وكلُّ حكمةٍ قُرنت بالقرآن الكريم في كتاب الله فالمراد بها السنةَ:

وقال رسول الله ﷺ: «**ألا إني أوتيتُ الكتاب ومثلَهُ معهُ**»[1]. وقال

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٦٠٤)، وأحمد (٤/ ١٣٠)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٨٧٠)].

ﷺ: «**ألا وإنَّ ما حرَّم رسول الله ﷺ مِثلُ ما حرَّمَ الله**»[1]. وقال ﷺ: «**تركتُ فيكم شيئين، لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسُنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض**»[2].

• فالإسلام يؤخذ من الكتاب والسنة، ولا سبيل إلى فهم القرآن والسنة فهماً صحيحاً إلا بالسيرة النبوية العطرة.

• وكلامنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- سيكونُ فقط عن:

أولاً: أهمية السيرة النبوية العطرة في فهم القرآن الكريم.

تعلمون جميعاً أن الله تبارك وتعالى اصطفى محمداً ﷺ بنبوته، واختصه برسالته، وبعثه بالحق بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وشهدَ له في كتابه بالرسالة وأنه رسول الله حقاً:

فقال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح:٢٨-٢٩]. وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ [الرعد].

• وأنزل الله -عز وجل- القرآن على رسوله ﷺ تِبياناً لكل شيء: قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل:٨٩].

• وأمر الله -عز وجل- رسوله أن يبينه للناس: فقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤].

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (١٢)، وأحمد (٤/ ١٣٢)، [«صحيح الجامع» (٨١٨٦)].

(٢) **حسن**: رواه الدارقطني (٤/ ٢٤٥)، والحاكم (٣١٩)، [«الحديث حجة بنفسه» (٣٢)].

وهذا البيان المذكورُ في الآية الكريمة يشتمل على نوعين من البيان:

الأول: بيان اللفظ ونظمه، وهو تبليغ القرآن، وعدم كتمانه، وأداؤه إلى الأمة كما أنزله الله تبارك وتعالى على قلبه ﷺ، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة:٦٧].

وقالت عائشة رضي الله عنها: «من حدثك أن محمداً ﷺ كتم شيئاً مما أُنزل عليه فقد كذَب، والله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة:٦٧]»[(١)].

وقالت رضي الله عنها: «لو كان محمدٌ ﷺ كاتماً من القرآن شيئاً لكتم هذه الآية: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب:٣٧]»[(٢)].

والآخر: بيان معنى اللفظ أو الجملة أو الآية الذي تحتاج الأمة إلى بيانه، وأكثر ما يكون ذلك في الآيات المجملة، أو العامة، أو المطلقة، فتأتي السنةُ، فتوضح المجمل، وتخصص العام، وتقيد المطلق. وذلك يكون بقوله ﷺ، كما يكون بفعله وإقراره[(٣)].

فالقرآن الكريم لا يُستغنى به عن السنة أبداً، ويظهرُ ذلك من سيرته ﷺ العطرة.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤٦١٢).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٤٢٠)، ومسلم (١٧٧).

(٣) «منزلة السنة في الإسلام» لشيخنا العلامة محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله- (ص٦، ٧).

ومن الأمثلة على ذلك:

أولاً: آياتٌ في كتاب الله لا يمكن فهمها فهماً صحيحاً على مراد الله تعالى إلا من طريق السنة -أي: من السيرة النبوية العطرة-

١ - قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام].

فقد فهم أصحاب النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿بِظُلۡمٍ﴾ على عمومه الذي يشمل كل ظلم، ولو كان صغيراً، ولذلك استشكلوا الآية فقالوا: يا رسول الله! أيُّنا لم يلبِس إيمانه بظلم؟ فقال ﷺ: «**ليس بذلك، إنما هو الشرك، ألا تسمعون إلى قول لقمان:** ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لقمان:١٣]»[(١)].

في هذا المثال فهم الصحابة رضي الله عنهم (الظلم) المذكور في الآية على ظاهره، ومع أنهم كانوا رضي الله عنهم كما قال ابن مسعود: «كانوا والله أفضلَ هذه الأمة؛ أبرَّها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً» فإنهم مع ذلك قد جانبوا الصواب في ذلك الفهم، فلولا أن النبي ﷺ ردهم عن هذا الفهم، وأرشدهم إلى أن الصواب في (الظلم) المذكور إنما هو الشرك لاتبعناهم على فهمهم، ولكن الله -تبارك وتعالى- صاننا عن ذلك بفضل إرشاده ﷺ وسنته.

٢ - قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ [النساء:١٠١].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٩١٨)، ومسلم (١٢٤).

فظاهر هذه الآية يقتضي أن قَصْر الصلاة في السفر مشروط لـه الخـوف، ولذلك سأل بعض الصحابة رسـول الله ﷺ فقـال: «مـا بالنـا نقـصر وقـد أَمِنَّا؟ قال: «**صدقةٌ تصدق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته**»[1].

ثانياً: أحكامٌ في كتاب الله تعالى مطلقةٌ قيدتها السنة

١ - السرقة:

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة:٣٨]. ففي الآيـة أطلـق الله السارقَ واليد، فلإقامة هذا الحد الذي أُمرنا بإقامتـه، نحتـاج إلى معرفـة أمرين اثنين:

الأمر الأول: ما هو المقدار الذي إذا أخذه السارقُ تُقطعُ يده؟

فبينت السنة القولية ذلك، وقيدته بالسارقِ الذي يسرقُ ربع دينارٍ. قال ﷺ: «**تُقْطَعُ اليَدُ في رُبعِ دينارٍ فصاعِداً**»[2].

الأمر الثاني: ما حدُّ اليد هنا؟ هل هي من المنكب؟ هل هي مـن المِرفـق؟ أو هي من مفصل الكف؟

فبينت السنة الفعليـة ذلـك، فقطـع رسـول الله ﷺ، وقطـع الـصحابة رضي الله عنهم، وأقرهم ﷺ على ذلك، وكانوا يقطعون يد السارق من عند المفصل -أي: يقطعون الكف فقط-

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٦٨٦).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٧٨٩)، ومسلم (١٦٨٤).

٢- التيمم:

قال تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ [المائدة:٦]. ففي الآية أطلق الله اليد، فجاءت السنة فقيدت اليد بالكف.

قال ﷺ: «**التيمُّمُ ضربةٌ للوجهِ والكفين**»(١).

٣- الوصية في المواريث:

قال تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ [النساء:١١]. ففي الآية أطلق الله مقدار الوصية، فجاءت السنة فقيدته بالثلث.

قال ﷺ: لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «**الثلثُ والثلثُ كثير**»(٢).

ثالثاً: أحكامٌ في كتاب الله تعالى عامةٌ خصصتها السنة.

قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ﴾ [المائدة:٣]. ففي الآية حكم الميتة عامٌ في كل ميتةٍ، فيكون حكمها التحريم، فجاءت السنةُ فخصصت هذا الحكم واستثنت مْيتة البحر والجراد.

فقال ﷺ: «**أحلت لنا ميتتان ودمان، فأما الميتتان: فالحوت والجراد، وأما الدمان: فالكبد والطحال**»(٣).

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٢٧)، والترمذي (١٤٤)، وأحمد (٤/ ٢٦٣)، [«إرواء الغليل» (١/ ١٨٥)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٧٤٢)، ومسلم (١٦٢٨).

(٣) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٣٣١٤)، وأحمد (٢/ ٩٧)، [«السلسلة الصحيحة» (١١١٨)].

وقوله ﷺ عن البحر: «**هو الطَهُورُ ماؤُهُ، الحِلُّ مَيتَتُهُ**»(١).

فانظروا عباد الله! لولا السنةُ التي تُعرف من سيرته ﷺ العطرة، لحرمنا طيباتٍ أُحلت لنا: الجراد، والسمك، والكبد، والطحال.

رابعاً: أحكامٌ في كتاب الله جاءت السنةُ بأحكامٍ زائدةٍ عليها.

ومن الأمثلة على ذلك:

١ - قوله تعالى: ﴿وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء:٢٣]. ففي الآية نهى الله -تبارك وتعالى- أن ينكح الرجل أختين معاً في وقت واحد، أما أن ينكح إحداهما بعد الأخرى فلا حرج، لكن لا يجمع الرجل بين الأختين في وقت واحد، فزاد رسول الله ﷺ على ذلك أن يُجمع بين المرأة وعمتها، وبين المرأة وخالتها.

فقال ﷺ: «**لا يُجمع بين المرأة وعمتها، ولا بين المرأة وخالتها**»(٢).

٢ - قوله تعالى: ﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [الأنعام:١٤٥].

ثم جاءت السنة فحرمت أشياء لم تُذكرْ في الآية:

• كقوله ﷺ: «**كل ذي نابٍ من السِّباع، فأكله حرامٌ**»(٣).

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٨٣)، والترمذي (٦٩)، والنسائي (٥٩)، وابن ماجه (٣٨٦)، [«السلسلة الصحيحة» (٤٨٠)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥١٠٩)، ومسلم (١٤٠٨).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٣٣).

• «ونهى ﷺ عن كل ذي نابٍ من السباع، وعن كل ذي مِخْلَبٍ من الطير»[1].

• «وحرَّم ﷺ لُحوم الحُمُرِ الأهلية»[2].

٣- قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف:٣٢].

فبينت السنة أيضاً أن من الزينة ما هو محرم كالحرير والذهب للرجال.

• عن عليّ رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ أخذ حريراً، فجعله في يمينه، وذهباً فجعله في شماله، ثم قال: «إنَّ هذَيْنِ حرامٌ على ذُكُور أمتي»[3].

• وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «حُرِّم لِباسُ الحرير والذهب على ذُكور أمتي، وأُحِلَّ لإناثهم»[4].

خامساً: آياتٌ في كتاب الله مجملةٌ بينتها السنة.

أمثلة على ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة]. وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران:٩٧].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٣٤).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٣٦).

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٠٥٧)، والنسائي (٥١٤٤)، وابن ماجه (٣٥٩٥)، وأحمد (١/ ٩٦، ٩٣٥)، [«غاية المرام» (٧٧)].

(٤) **صحيح**: رواه الترمذي (١٧٢٠)، وأحمد (٤/ ٣٩٤)، [«إرواء الغليل» (١/ ٣٠٥)].

كم تصلي؟ وكيف تصلي؟ ومتى تُسِرُّ؟ ومتى تجهر؟ هل بيَّن الله ذلك في القرآن؟ لا، إنما بينته السُّنة.

وأنصبة الزكاة والمقادير الواجب إخراجها، هل بينها الله في القرآن؟ لا، إنما بينتها السنة.

الحج لمن استطاع إليه سبيلاً، ما هي الاستطاعة؟ ومتى يجب الحج؟ وما هي المناسك؟ هل بيَّن الله ذلك في القرآن؟ لا، إنما بينته السنة.

من الأمثلة السابقة يتبينُ لنا ما يلي:

أولاً: لا سبيل إلى فهم القرآن الكريم فهماً صحيحاً إلا بالسنة.

- فلولا السُّنةُ لبقينا لم نُقصر الصلاة في السفر في حال الأمن، ولكن عندما سأل الصحابة رضي الله عنهم رسول الله ﷺ فقالوا: ما بالُنا نُقصِرُ وقد أمِنَّا؟ قال رسول الله ﷺ: «**صدقةٌ تصدَّق اللهُ بها عليكم فأقبلوا صدقته**»[1]. فَعُلِمَ من السنةِ أن القصر عزيمةٌ في السفر في حال الأمنِ والخوف.
- ولولا السنةُ لحَرَّمنا طيباتٍ أُحلت لنا، مثل الجرادِ والسمكِ والكبدِ والطحالِ.
- ولولا السنةُ لاستحللنا ما حَرَّمَ الله علينا على لسان نبيه ﷺ من السِّباع وذوي المِخْلَبِ من الطير.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٦٨٦).

• ولولا السنةُ لاستحللنا ما حرَّمَ الله علينا على لسان نبيه ﷺ من الذهب والحرير.

• ولولا السنة لاستحللنا ما حرَّم الله علينا على لسان نبيه ﷺ من الجمعِ بين المرأة وعمتها، والمرأة وخالتها.

ثانياً: لا يُستغنى بالقرآن الكريم عن السنة.

ظهرت في الأمةِ الإسلامية طائفةٌ ضالةٌ تُسمى بـ (القرءانيين) يقولون: علينا بالقرآن وحده دون السنةِ، لأن القرآن كما زعموا محفوظٌ، وأما السنة فقد دخل فيها ما ليس منها، ولو عَقلَ هؤلاءِ ما قالوا، لعلموا أن القرآن يُوجبُ العمل بالسنةِ، ولا عجبَ من ذلك فقد أخبرنا رسول الله ﷺ عن هؤلاء الضُّلَّال.

فقال ﷺ: «**يوشك أحدُكم أن يُكذِّبني، وهو مُتكئٌ على أريكته، يُحَدَّثُ بحديثي، فيقولُ: بيننا وبينكُم كتابُ الله، فما وجدْنا فيه من حلالٍ استحللناه، وما وجدْنا فيه منْ حرامٍ حرَّمناه، ألا وإنَّ ما حرَّم رسول الله ﷺ مِثْلُ ما حَرَّمَ الله**»[1].

• وفي رواية أخرى يقول ﷺ: «**ألا إني أوتيتُ الكتاب ومِثلَهُ معه**»[2].

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (١٢)، وأحمد (٤/ ١٣٢)، [«صحيح ابن ماجه» (١٢)] واللفظ لأحمد.

(٢) **صحيح**: أبو داود (٤٦٠٤)، وأحمد (٤/ ١٣٠)، [«صحيح سنن أبي داود» (٣٨٤٨)].

فهذا الحديث الصحيح يدل دلالةً قاطعةً على أن الشريعة الإسلامية ليست قرآناً فقط، وإنما هي قرآنٌ وسنةٌ، فمن تمسك بأحدهما دون الآخر، لم يتمسك بأحدهما، لأن كل واحدٍ منهما يأمر بالتمسك بالآخر كما قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾ [النساء]. وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ٣٦﴾ [الأحزاب]. وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «لعن اللهُ الواشمات والمستوشمات، والنامصات والمتنمصات، والمتفلجات للحسن، والمغيرات خلق الله»، قال: بلغ ذلك امرأةً من بني أسد يقال لها: «أم يعقوب»، وكانت تقرأ القرآن، فأتته، فقالت: «ما حديثٌ بلغني عنك؟! أنك لعنت الواشمات والمستوشمات، والمتنمصات والمتفلجات للحُسن المغيرات خلق الله»، فقال عبد الله: «ومالي لا ألعن من لعن رسولُ الله ﷺ وهو في كتاب الله؟»، فقالت المرأة: لقد قرأت ما بين لوحي المصحف، فما وجدته!! فقال: «لئن كنتِ قرأتيه فقد وجدتيه»، قال الله -عز وجل- ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧][1].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٨٨٦)، ومسلم (٢١٢٥) واللفظ لمسلم.

فالإسلامُ قرآنٌ وسنةٌ، ونقول لهؤلاء الضُلاَّل الذين يقولون نأخذ بالقرآن دون السنة:

إن الله -تعالى- أمر في القرآن بالصلاة... كيف تصلون؟ وأمر الله -تعالى- في القرآن بالزكاة... كيف تزكون؟ وأمر في كتابه بالصيام... كيف تصومون؟ وأمر في كتابه بالحج... كيف تحجون؟ فلا يجدون جواباً على هذه الأسئلة إلا في السنة النبوية.

ثالثاً: لا يفسَّر القرآن الكريم إلا بالسنة النبوية.

لأن الله -عز وجل- أنزل القرآن على رسوله ﷺ، وأمره أن يبينه للناس:

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل]. وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ [النساء]. وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [النحل].

هل السيرة النبوية العطرة تُعينُ أيضاً على فهم السنة؟ هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة -إن شاء الله تعالى-

الثمرة الخامسة لدراسة السيرة النبوية العطرة

ثانياً: فهم السنة فهماً صحيحاً بالسيرة النبوية العطرة

• **عباد الله!** يقول الله -عز وجل- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٤٨﴾﴾ [الأحزاب]. ويقول سبحانه: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور]. وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النور].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمَرْجان من قصص القرآن: دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**. والتي نتكلم فيها عن قصةِ نبينا وحبيبنا محمدٍ ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها أيضاً: **الثمرة الخامسة التي سنقطفها -إن شاء الله تعالى- من دراستنا للسيرة النبوية العطرة، ألا وهي فهم الإسلام فهماً صحيحاً.**

لقد قلنا في الجمعة الماضية: إن الإسلام ليس قرآناً فقط، وإنما هو قرآنٌ وسنةٌ، والقرآن والسنة وحيٌ من الله إلى رسوله ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء:١١٣]. وقال ﷺ: «**ألا إني أوتيتُ الكتاب ومثلَهُ معَهُ**»(١). وقال ﷺ: «**ألا وإنَّ ما حرَّم رسولُ الله ﷺ مِثلُ ما حرَّم الله**»(٢).

وقلنا: إنه لا سبيل لفهم الكتاب والسنة إلا بالسيرة النبوية العطرة. وتكلمنا في الجمعة الماضية عن أهمية السيرة النبوية في فهم القرآن الكريم فهماً صحيحاً.

وكلامنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- سيكون عن:

أهمية السيرة النبوية العطرة في فهم السنة فهماً صحيحاً

دراسة السيرة النبوية العطرة تُفيدُنا في معرفة حقيقة الأوامر والنواهي في السنة النبوية، فقد يردُ الأمرُ أو النهيُ في السنة النبوية، ولا نعلمُ هل هذا الأمر على الوجوب أو الاستحباب أو هو منسوخٌ! ولا نعلم النهي أيضاً هل على التحريم أو التنزيه. أو هو منسوخ! فتأتي السيرة النبوية العطرة لتبين لنا الحكم الدقيق في المسألة.

• أمثلةٌ في الأوامر:

المثالُ الأولُ: الوضوء مما مسته النار (المَطبُوخُ على النار)

• يقول ﷺ: «**توضأوا ممَّا مَسَّتِ النار**»(٣). فالظاهر هنا من قوله ﷺ:

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٦٠٤)، وأحمد (٤/ ١٣٠)، [«صحيح سنن أبي داود» (٣٨٤٨)].

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه (١٢)، وأحمد (٤/ ١٣٢)، [«صحيح ابن ماجه» (١٢)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٣٥٢-٣٥٣).

«**توضأوا**» أن الوضوء مما مستهُ النارُ واجبٌ، ولكن ما ورد في السيرة النبوية العطرة من فعله ﷺ يُبينُ حقيقةَ هذا الأمر، وأنه منسوخٌ على وجهٍ، ومحمولٌ على الاستحباب، لا على الوجوب على وجهٍ آخر، يدل على ذلك ما يلي:

١- عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ أكل كَتِفَ شاةٍ ثم صلى ولم يتوضأ»[(١)].

٢- وعن عمرو بن أمية الضَّمْريِّ رضي الله عنه، قال: «رأيت النبي ﷺ يَحْتَزُّ من كتِفِ شاةٍ، فأكل منها، فدُعِيَ إلى الصلاة، فقام وطرح السكين وصلى، ولم يتوضأ»[(٢)].

٣- عن جابر رضي الله عنه قال: «كان آخر الأمرَين من رسول الله ﷺ: ترك الوضوء مما غيَّرتِ النار»[(٣)].

ففي هذه الروايات ما يدل على أن الأمر في قوله ﷺ: «**توضأوا مما مست النار**» محمول على الاستحباب، لا على الوجوب، وهذا قول بعض العلماء الذين ذهبوا إلى الجمع بين الروايات. أما الجمهور من العلماء فعلى أن أحاديث الوضوء مما مست النار منسوخةٌ. فتأملوا كيف كانت أهمية

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٠٧)، ومسلم (٣٥٤).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٤٢٢)، ومسلم (٣٥٥).

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (١٩٢)، [«صحيح سنن أبي داود» (١٧٧)].

السيرة العطرة في فهم حقيقة الأمر الوارد في السنة النبوية، وأنه ليس مراداً، إذ هو محمول على الاستحباب على وجه الجمع بين الروايات -على رأي بعض العلماء- ومنسوخٌ على رأي الجمهور.

المثال الثاني: الوضوء من حمل الميت، والغُسلُ من تغسيله

قال ﷺ: «**من غسَّل ميتاً فليغتسل، ومن حمله فليتوضأ**»[1].

فظاهر الأمر في الحديث يُفيد الوجوب، وبالنظر في السيرة النبوية العطرة نجدُ أن الأمر يفيد الاستحباب لأثرين:

الأول: قول ابن عباس رضي الله عنهما: «ليس عليكم في غَسل ميتكم غُسلٌ إذا غسلتموه، فإن ميتكم ليس بنجس، فحسبكم أن تغسلوا أيديكم»[2].

الثاني: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (كنا نُغَسِّلُ الميت فمنا من يغتسل ومنا من لا يغتسل)[3].

المثال الثالث: الوضوء من مس الذكر.

قال ﷺ: «**من مسَّ ذَكَرَهُ فليتوضأ**»[4]. وقال ﷺ: «**إذا أفضى أحدكم بيده إلى فرجه وليس بينهما سترٌ ولا حجابٌ فليتوضأ**»[5].

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٣١٦١)، وأحمد (٢/ ٤٥٤)، [«إرواء الغليل» (١/ ١٧٣)].

(٢) **صحيح**: رواه الدارقطني (١/ ١٩٣)، والبيهقي (١/ ٣٠٦)، وصحح وقفه البيهقي وابن حجر والألباني، [«السلسلة الصحيحة» (٦٣٠٤)].

(٣) **صحيح**: رواه الدارقطني (٢/ ٧٢)، والخطيب في «تاريخه» (٥/ ٤٢٤)، [«أحكام الجنائز» (٥٤)].

(٤) **صحيح**: رواه أبو داود (١٨١)، وأحمد (٦/ ٤٠٦)، [«إرواء الغليل» (١/ ١٥٠)].

(٥) **حسن**: رواه ابن حبان (١١١٨)، والطبراني في «الأوسط» (١٨٥٠)، [«السلسلة الصحيحة» (١٢٣٥)].

فظاهرُ الأمر في الحديثين يفيد الوجوب -أي: يجبُ على من مسَّ ذكره بدون حائل أن يتوضأ بشهوةٍ وبدون شهوةٍ- وبدراسة السيرة النبوية العطرة، نجدُ دليلاً يفيد أن من مسَّ ذكرهُ لا يتوضأ.

• عن طلْق بن عليٍّ رضي الله عنه قال: قال رجلٌ مسستُ ذكري أو قال: الرجل يَمَسُّ ذكرهُ في الصلاة، أعليه الوضوء؟ فقال النبي ﷺ: «**لا، إنما هو بَضْعَةٌ منك**»[1]. قوله: «**إنما هو بضْعَةٌ منك**» يعني: قطعةٌ من الإنسان كسائر الأعضاء.

• وجمع العلماء بين الحديثين فقالوا: إذا مسَّ الإنسان ذكرهُ بشهوةٍ، وجب عليه الوضوء عملاً بحديث «**من مسَّ ذكرهُ فليتوضأ**»، وإذا مس ذكرهُ بدون شهوةٍ فلا يجب عليه الوضوء، عملاً بحديث «**إنما هو بضْعَةٌ منك**» وقالوا: إذا مسَّ الإنسانُ ذكرهُ بدون شهوةٍ فلا فرق بينهُ وبين أي عضوٍ آخر، أما إذا مسَّهُ بشهوةٍ اختلف في هذه الحالةِ عن أي عضوٍ آخر.

المثال الرابع: متابعةُ المؤذنِ فيما يقول

يقول ﷺ: «**إذا سمعتم المؤذِّن فقولوا مثلَ ما يقول...**»[2].

وقال ﷺ: «**إذا سمعتم النداءَ، فقولوا مثل ما يقول المؤذن**»[3]. فظاهرُ الأمر في قوله ﷺ: «**فقولوا**» الوجوب -أي: يجبُ على السامع أن يقول كما يقول المؤذن.

---

(١) **صحيح**: رواه النسائي (١٦٥)، وأحمد (٤/ ٢٢)، [«صحيح سنن النسائي» (١٥٩)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٣٨٤).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦١١)، ومسلم (٣٨٣).

وبدراسة السيرة النبوية العطرة نجدُ أدلةً صرفتْ هذا الوجوب إلى الاستحباب ومنها:

١ - عن أنسٍ رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان يُغيرُ إذا طلع الفجرُ. وكان يستمعُ الأذان. فإن سَمِعَ أذاناً أمْسَكَ. وإلا أغارَ. فسمعَ رجلاً يقولُ: الله أكبر الله أكبر. فقال ﷺ: «**على الفِطْرَةِ**». فلما قال المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله. قال رسول الله ﷺ: «**خرَجْتَ من النار**»[(١)]. فهذا الحديث يدل على عدم وجوب متابعة المؤذن لأن النبي ﷺ لم يتابع المؤذن فيما يقول.

٢ - قال النبي ﷺ لمالك بن الحويرث رضي الله عنه ومن معه: «**إذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدُكُم**»[(٢)]. ولم يقل: وليتابعه الآخر، ولو كان ذلك واجباً لم يؤخِّر بيانه عن وقت الحاجة؛ لأن المقام مقام تعليم، والحاجةُ داعيةٌ إلى بيان وجوب المتابعة لو كانت واجبة، وهذا هو الصحيح: أن متابعة المؤذن ليست بواجبةٍ، لكنها سنة لا ينبغي للإنسان تركها[(٣)].

المثالُ الخامس: نيةُ الصيامِ

قال ﷺ: «**من لم يُبَيِّتْ الصيام من الليل فلا صيام له**»[(٤)]. فظاهر الحديث

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٣٨٢).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٢٨)، ومسلم (٦٧٤).

(٣) «شرح بلوغ المرام» للشيخ: محمد صالح العثيمين رحمه الله (٢/ ١٣٤-١٣٥).

(٤) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٤٥٤)، والترمذي (٧٣٠)، والنسائي (٢٣٣١)، [«إرواء الغليل» (٤/ ٢٥)]، واللفظ للنسائي.

يدل على وجوب تبييت نية الصيام من الليل في صيام الفرض والنفْل، ولكن بدراسة السيرة النبوية العطرة نجدُ أن ذلك في صيام الفرض فقط.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ النبي ﷺ ذاتَ يومٍ فقال: «**هل عندكم شيءٌ؟**» فقلنا: لا. قال: «**فإني إذن صائمٌ**» ثم أتانا يوماً آخر فقلنا: يا رسول الله! أُهدِيَ لنا حَيْسٌ. فقال: «**أرينيه. فلقد أصبحتُ صائماً فأكل**»(١).

أمثلة في النواهي:

المثال الأول: النهي عن الشرب قائماً

- عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**أنه نهى أن يَشْرَبَ الرجلُ قائماً**». قال قتادة: فقلنا: فالأكلُ؟ فقال: «**ذاك أشَرُّ أو أخبثُ**»(٢).
- وعنه أيضاً: «**أن النبي ﷺ زجر عن الشرب قائماً**»(٣).
- وقال ﷺ: «**لا يَشْرَبَنَّ أحدٌ منكم قائماً. فمن نَسِيَ فَلْيَسْتَقِيء**»(٤).
- وقال ﷺ: «**لو يعلمُ الذي يشرَبُ وهو قائمٌ ما في بطْنِهِ، لاسْتَقَاءَهُ**»(٥).
- وظاهر النهي في هذه الأحاديث يُفيدُ تحريمَ الشُربِ قائماً، وبدراسةِ السيرةِ النبوية العطرةِ نجدُ أن النبي ﷺ شَرِبَ قائماً.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١١٥٤).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٠٢٤).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٠٢٤).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٠٢٦).

(٥) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٢٨٣)، [«السلسلة الصحيحة» (١٧٥)].

• عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «سَقَيْتُ رسول الله ﷺ مِنْ زمزم. فشرِبَ وهو قائمٌ»[1].

• وعن كبشةَ الأنصارية رضي الله عنها: (أن رسول الله ﷺ دخل عليها، وعندها قِربةٌ معلقة. فشرب منها وهو قائم)[2].

• والجمع بين الأدلةِ أولى وأحسن، لأن فيه إعمالاً لكل الأدلة ويمكن الجمع بين هذه الأدلةِ بطريقةٍ مُثلى وهي: أن أحاديث النهي على ظاهرها تُفيدُ التحريم، وبخاصةٍ إذا نظرنا إلى القرائن لوجدنا أنه لا محيصَ عن القول بالتحريم:

• النهي عن الشرب في حالة القيام.

• تأكيدُ النهي بلفظ الزجر، وهو أشدُّ من النهي كما لا يخفى.

• بيان أن الشيطان يشربُ مع القائم.

• أمر من شرب قائماً بالاستقاءة.

وأما أحاديث الجواز فكلها من فعله ﷺ، والقول مقدمٌ على الفعل.

• وحملُ الجواز على العذر كضيق المكان أو كون القربةُ معلقةً أولى .

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٦٣٧)، ومسلم (٢٠٢٧).

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٣٤٢٣)، وأحمد (٦/ ٣٧٦)، [«صحيح سنن ابن ماجه» (٢٧٦٣)].

المثال الثاني: النهي عن زيارة القبور للنساء

• عن أبي هريرة رضي الله عنه: (أن النبي ﷺ لعن زوَّارات القبور)[1].

• وفي لفظٍ: «لعن الله زوَّارات القبور»[2]. فظاهر الحديث يدل على منع النساء من زيارة القبور. وبدراسة السيرة النبوية العطرة نجدُ أدلةً كثيرةً تبيح للنساء زيارة القبور كالرجال، ومنها:

١- قوله ﷺ: «**كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها، فإنها تُرِقُّ القلب، وتُدْمِعُ العينَ، وتُذَكِّرُ الآخرة، ولا تقولوا هُجراً**»[3]. فزيارة القبور مستحبةٌ للرجال وللنساء لعموم قوله ﷺ: «**ألا فزوروها**» ولمشاركة النساء للرجال في العلة التي من أجلها شُرعت زيارة القبور: «فإنها ترق القلب، وتدمع العين، وتذكرُ الآخرة».

٢- رخصَّ النبي ﷺ للنساء في زيارة القبور:

• عن عبد الله بن أبي مُليكة: «أن عائشة أقبلتْ ذات يومٍ من المقابر، فقلت لها: يا أم المؤمنين! من أين أقبلتِ؟ قالت: من قبر عبدالرحمن بن أبي بكر، فقلت لها: أليس كان رسول الله ﷺ نهى عن زيارة القبور؟ قالت: نعم: ثم أمر بزيارتها». وفي روايةٍ عنها: «أن رسول الله ﷺ رخص في زيارة القبور»[4].

---

(١) **حسن**: رواه الترمذي (١٠٥٦)، وأحمد (٢/ ٣٣٧)، [«إرواء الغليل» (٣/ ٢٣٣)].

(٢) رواه الطيالسي (٢٣٥٨)، وأبو يعلى (٥٩٠٨)، والبيهقي (٤/ ٧٨)، [«أحكام الجنائز» (ص٢٣٥)].

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٢٣٧)، [«أحكام الجنائز» (ص٢٢٨)].

(٤) **صحيح**: رواه ابن ماجه (١٥٧٠)، [«أحكام الجنائز» (ص٢٣٠)].

• وقالت عائشة ﵂: يا رسول الله! ماذا أقول إن أنا زرتُ المقابر؟

فقال ﷺ: «**قولي: السلامُ على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحمُ الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون**»(١).

٣- إقرار النبي ﷺ المرأة التي رآها عند القبر في حديث أنس ﵁: «مرَّ رسول الله ﷺ بامرأةٍ عند قبرٍ وهي تبكي، فقال لها: اتقي الله واصبري...»(٢).

قال الحافظ في «الفتح»: «وموضع الدلالة منه أنه ﷺ لم ينكر على المرأة قعودها عند القبر، وتقريره حُجَّة» ويُجمعُ بين هذه الأدلة بأن نقول: يجوز للنساء أن يزرنَ المقابر، ولكن لا يجوز لهنَّ الإكثار من زيارتها، عملاً بقوله ﷺ: «**لعن الله زوَّارات القبور**» -أي: اللاتي يكثرنَ الزيارة-.

الله -سبحانه وتعالى- اختار نبيه محمداً ﷺ لرسالته، وأنزل عليه كتابَهُ، وأمرهُ أن يبينه للناس، واختارَ الله -سبحانه وتعالى- الصحابةَ لصحبةِ نبيه، وإقامةِ دينه.

كما قال ابن مسعود ﵁: (إن الله نظر في قلوب العبادِ، فوجد قلب محمدٍ ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، وابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمدٍ ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٩٧٤).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٢٥٢)، ومسلم (٩٢٦) واللفظ للبخاري.

فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون عن دينه)[1] فمن أراد أن يفهم الإسلام فهماً صحيحاً، فعليه أن يفهَم القرآن، ومن فهم الإسلام بعيداً عن السيرة النبوية العطرة، ضل ضلالاً مبيناً كما فعل الغلاة والجفاة.

ما هي الثمرة السادسة التي سنقطفها -إن شاء الله تعالى- من السيرة النبوية العطرة؟ هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة -إن شاء الله تعالى- إن كان في العمر بقية.

(١) **حسن**: رواه أحمد (١/ ٣٧٩)، [«السلسلة الضعيفة» (٥٣٣)].

الثمرة السادسة لدراسة السيرة النبوية العطرة

الاهتمام بالأبناء(*)

• **عباد الله!** يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء]. ويقول -عز وجل-: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب:٦]. ويقول -عز وجل-: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمَرْجان من قصص القرآن: دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**. والتي نتكلم فيها عن قصةِ نبينا وحبيبنا محمدٍ ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **الثمرة السادسة التي سنقطفها -إن شاء الله تعالى- من دراستنا للسيرة النبوية العطرة ألا وهي: الاهتمام بأبنائنا.**

الأبناء نعمةٌ عظيمةٌ من نعم الله علينا التي لا تعدُ ولا تحصى:

قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل:٥٣]. وقال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل:١٨].

(*) هذه الخطبة ألقيت في ظروفٍ انتشرت فيها المخدرات في المنطقة شُرباً وترويجاً.

وهذه النعمة يا معشر الآباء تدوم وتبقى بالشكر، وتذهب بالمعاصي.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم].

وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [النحل].

ابن آدم!

إذا كنتَ في نعمةٍ فارْعَها ... فإن المعاصي تزيلُ النِّعم
وحافظ عليها بشكر الإله ... فإن الإله شديدُ النِّقم

والله سائلكم يا معشر الآباء! يوم القيامة عن نعمة الأبناء:

قال تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الصافات]. وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ [التكاثر].

وقال ﷺ: «**كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته، فالرجلُ في بيته راعٍ ومسئولٌ عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعيةٌ ومسئولةٌ عن رعيتها**»[1].

• **معشر الآباء!** أبناؤنا زينةٌ لنا في الحياة الدنيا، وقرَّةُ عينٍ لنا إن كانوا صالحين، وينفعوننا بعد موتنا.

• قال تعالى: ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [الكهف:٤٦].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩).

• وقال تعالى في وصف عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان].

• وقال ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ يُنتفع به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له**»(١).

• **معشر الآباء!** اهتم الإسلام بالأبناء، وبتربيتهم على الدين والأخلاق الحسنة اهتماماً بالغاً، يظهرُ ذلك من قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ [النساء:١١]. ومن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم﴾[الأنعام:١٥١].

ويظهر كذلك من السيرة النبوية العطرة:

• فرسولنا ﷺ في سيرته العطرة يهتمُّ بالأبناءِ: صغاراً في سنِ الطفولةِ، وكباراً في سنِّ الشبابِ.

ففي سن الطفولة:

١ - يُربي النبي ﷺ الأطفال على الدين، والعقيدة الصحيحة، يقول ﷺ يوماً لابن عباس رضي الله عنهما: «**يا غلام! إني أعلمُك كلماتٍ: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجدْهُ تُجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ، لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيءٍ، لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجَفت الصحف**»(٢).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٨٢).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (١/ ٢٩٣)، [«رياض الصالحين» (٦٣)].

٢- يأمر ﷺ بتربية الأبناء على المحافظة على الصلاة، قال ﷺ: «**مُروا أولادكم بالصلاة وهم أبناءُ سبعِ سنين، واضربوهم عليها وهم أبناءُ عشرٍ، وفرقوا بينهم في المضاجع**»(١).

٣- يأمرُ ﷺ بتربية الأبناء على الأخلاق الحسنة، والآداب الإسلامية.

فعلينا أن نربي أولادنا على الصدق وعدم الكذب:

قال ﷺ: «**عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البرِّ، وإن البرَّ يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدقُ، ويتحرى الصدق، حتى يُكتَبَ عند الله صَدِّيقاً. وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذبُ، ويتحرى الكذب، حتى يُكتب عند الله كذَّاباً**»(٢).

وعلينا أن نربي أولادنا على الأمانة وعدم الخيانة:

قال ﷺ: «**أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك**»(٣).

وعلينا أن نربي أولادنا على الرجولة، وعدم التشبه بالنساء:

قال ﷺ: «**لعن الله الرجل يلبَس لِبسةَ المرأةِ، والمرأةَ تلبَسُ لِبسةَ الرجل**»(٤).

---

(١) **حسن**: رواه أبو داود (٤٩٥)، [«إرواء الغليل» (١/ ٢٦٦)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٠٧).

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٥٣٤)، والترمذي (١٢٦٤)، وأحمد (٣/ ٤١٤)، [«صحيح الجامع» (٢٤٠)].

(٤) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٠٩٨)، وأحمد (٢/ ٣٢٥)، [«صحيح الجامع» (٥٠٩٥)].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «لعن النبي ﷺ المخنثين من الرجال، والمترجِّلات من النساء»[1].

وهكذا يا عباد الله! علينا أن نربي أبناءنا على الأخلاق الإسلامية الحسنة.

• وكذلك نربي أبناءنا على الآداب الإسلامية الحسنة، كما فعل رسول الله ﷺ في سيرته العطرة.

• عن عمر بن أبي سلمة قال: كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيشُ في الصحفة: فقال لي رسول الله ﷺ: «**يا غلام! سمِّ الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك، فما زالت تلك طُعمتي بعدُ**»[2].

• أما في سن الشباب

فرسولنا ﷺ في سيرته العطرة، كان يهتمُّ بالشباب، ويحافظُ عليهم من الانحراف:

١ - يأمرهم بالزواج حِفاظاً عليهم من الوقوع في فاحشة الزنا:

قال ﷺ: «**يا معشر الشباب! من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغضُّ للبصر، وأحصنُ للفرج. ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وِجاء**»[3].

ولما أتى شابٌّ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! ائذن لي بالزنى، فأقبل

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٥٥٤٧).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٥٣٧٦).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٠٦٥)، ومسلم (١٤٠٠).

القوم عليه، فزجروه، وقالوا: مَهْ مَهْ، فقال: «**ادْنُهْ**» فدنا منه قريباً، قال: فجلس، قال: «**أَتُحِبُّه لأُمك؟**» قال: لا والله، جعلني الله فداءَك. قال: «**ولا الناس يحبونه لأمهاتهم**» قال: «**أفتُحِبُّه لابنتك؟**» قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك، قال: «**ولا الناسُ يحبُّونه لبناتهم**» قال: «**أفتحبه لأختك؟**» قال: لا والله، جعلني الله فِداءَك. قال: «**ولا الناس يحبونه لأخواتهم**» قال: «**أفتحبه لعمتك؟**» قال: لا والله، جعلني الله فِداءَك. قال: «**ولا الناس يحبونه لعماتهم**» قال: «**أفتحبه لخالتك؟**» قال: لا والله، جعلني الله فِداءَك. قال: «**ولا الناس يحبونه لخالاتهم**» قال: فوضع يده عليه، وقال: «**اللهمَّ اغْفِر ذنبه، وطهِّرْ قلبهَ، وحصِّنْ فرجه**». قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء»[1].

٢- يأمر ﷺ الشباب بمجالسة الصالحين حفاظاً عليهم من الانحراف:

قال ﷺ: «**إنما مَثل الجليسِ الصالحِ والجليسِ السوءِ، كحامل المِسك ونافخ الكير. فحامِلُ المسكِ، إما أن يُحذيَك. وإما أن تبتاعَ منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبةً. ونافخُ الكير، إما أن يُحرقَ ثيابَك، وإما أن تجِدَ ريحاً خبيثةً**»[2].

ولذلك قال لقمان لابنه وهو يعظه: (يا بني! تخير المجالس على عينك، فإن وجدت قوماً يذكرون الله، أي: يعبدون الله، فاجلس معهم فإن كنت

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٢٥٦)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٧٠)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢١٠١)، ومسلم (٢٦٢٨).

عالماً نفعك علمك، وإن كنت جاهلاً علَّموك، ولعل الله أن يطلع عليهم برحمةٍ فتصيبك معهم، وإن وجدت قوماً لا يذكرون الله فلا تجلس معهم، فإن كنت عالماً لم ينفعك علمك، وإن كنت جاهلاً زادوك غيّاً، ولعل الله أن يطلعَ عليهم بنقمةٍ فتصيبك معهم).

٣- يأمرُ ﷺ الشباب بمصاحبة الصالحين حفاظاً عليهم من الانحراف:

قال ﷺ: «**لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي**»[(١)]. وقال ﷺ: «**المرءُ على دين خليله، فلينظرْ أحدكم مَن يخالل**»[(٢)].

ولذلك قال القائل:

عن المرءِ لا تَسَلْ وسَلْ عن قرينهِ
فكلُّ قرينٍ بالمقارَنِ يقتَدي

فالصاحب يا عباد الله! ساحبٌ؛ فمن صَحِبَ الصالحين سحبوهُ إلى سعادة الدنيا والآخرة، ومن صَحِبَ الطالحين سحبوه إلى شقاوة الدنيا والآخرة.

- فكم من فتاةٍ عفيفةٍ شريفةٍ أصبحت من البغايا، بسبب مصاحبة الطالحات من النساء.

---

(١) **حسن**: رواه أبو داود (٤٨٣٢)، والترمذي (٢٣٩٥)، وأحمد (٣/ ٣٨)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٠٣٦)].

(٢) **حسن**: رواه أبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨)، وأحمد (٢/ ٣٠٣، ٣٣٤)، [«صحيح الجامع» (٥٨٥٨)].

- وكم من شابٍّ شريفٍ عفيفٍ أصيل أصبح مدمناً للمخدرات، مُروِّجاً لها بسبب مصاحبة الطالحين.

عباد الله! وانطلاقاً من قوله ﷺ: «**الدين النصيحة**»[1]، أقول ناصحاً أميناً: يا معشر الآباء عامةً، ويا معشر الشباب خاصةً، اعلموا:

أولاً: أنَّ المخدرات بجميع أنواعها حرامٌ في شريعة الإسلام:

• قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- مجيباً لمن سأله عن حكم تناول الحشيش: «هذه الحشيشة الصلبة حرامٌ: سواءٌ سكر منها، أو لم يسكر، والسكرُ منها حرامٌ باتفاق المسلمين، ومن استحل ذلك وزعم أنه حلال، فإنه يُستتابُ، فإن تاب وإلا قتل مرتداً، لا يُصلى عليه، ولا يُدفن في مقابر المسلمين»[2].

وقال في موضع آخر: «وهي بالتحريم أولى من الخمر؛ لأن ضرر أكل الحشيشة على نفسه أشدُ من ضرر الخمر»[3].

• وقال ابن القيم -رحمه الله-: في «زاد المعاد» ما خلاصته: «إن الخمر يدخل فيها كلُّ مُسكرٍ، مائعاً كان أو جامداً، عصيراً أو مطبوخاً، فيدخل فيه لقمة الفسق والفجور -ويعني بها الحشيش- لأن هذا كله

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٥٥).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣٤/ ٢١٠).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٣٤/ ٢٢٤).

خمرٌ بنص قول رسول الله ﷺ الصريح الصحيح الذي لا مطعن في سنده، إذ صحَّ عنه قوله: «**كل مسكرٍ خمر**» وصح عن أصحابه الذين هم أعلم الأمة بخطابه ومراده، أن الخمر ما خامر العقل، على أنه لو لم يتناول لفظه ﷺ: «**كل مسكر**» لكان القياس الصريح الذي استوى فيه الأصل والفرع من كل وجه، حاكماً بالتسوية بين أنواع، المُسكر، فالتفريق بين نوع ونوع، تفريق بين متماثلين من جميع الوجوه»[1].

• وقال الصنعاني -رحمه الله- في «سبل السلام»: (إنه يَحرُم ما أَسكَرَ من أي شيءٍ، وإن لم يكن مشروباً كالحشيشة»[2].

فالمخدِّراتُ كالخمر حيث إنَّ كليهما يخامرُ العقل ويحجبه، وأركان القياس على المخدِّرات تتماثل مع ما ينطبق على الخمر، فالمخدِّراتُ كالخمر في الإسكار وحجب العقل والذهاب به، تلك هي علةُ تحريم الخمر، لذلك ينسحبُ حكمُ الخمر: وهو التحريم، على المخدِّرات لاشتراكها في علة الحكم.

كذلك فإن في المخدِّرات من المفاسد والأضرار مثل ما في الخمر، من حيث إضاعة المال، وإثارة العداوة والبغضاء بين الناس، والصَّدِّ عن ذكر الله وعن الصلاة... فمتعاطي الخمر أو المخدِّرات، كلاهما يفقد وعيه، ويتصرف تصرفاتٍ طائشةً، تثير الشقاق والخلاف والعداوة والبغضاء،

(١) «زاد المعاد في هدي خير العباد» (٥/ ٧٤٧).

(٢) «سبل السلام» (٤/ ٦٩).

وكلاهما يكون في غفلة عن الصلاة وسائر التكاليف أثناء فقده الوعي: وفي ضوء ذلك فإن علة الحكم في الخمر وهي الإسكار، تكون قد توفرت في المخدِّرات، لأنها تفعل فعل الخمر في حجب العقل وإذهابه، ويكون حكم الخمر وهو التحريم، هو حكم المخدِّرات أيضاً؛ فتكون المخدِّراتُ بجميع أنواعها حراماً، لذلك، فالنصوص التي تحرِّم كلِّ مسكرٍ ومُفَتِّرٍ تنطبقُ على المخدرات مثلما تنطبق على أحكام المسكرات[1].

وهذه هي الأدلة على تحريم المخدرات:

الدليل الأول: قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾[الأعراف:١٥٧].

فكل طيبٍ مباحٌ، وكل خبيثٍ محرمٌ، والمخدرات بمختلف أنواعها خبيثةٌ، من أخبث الخبائث وأعظمها ضرراً، فيكون تحريمها منصوصاً عليه في هذه الآية.

الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة].

وقد تقدم أن متعاطي الخمر أو المخدرات، كلاهما يفقد وعيه،

(١) «المخدرات بين الطب والفقه» (ص٤٧).

ويتصرف تصرفات طائشة، تثير الشقاق والخلاف والعداوة والبغضاء، وكلاهما في غفلة عن الصلاة، وسائر التكاليف أثناء فقده الوعي، فيكون هذا دليلاً على تحريم المخدرات.

قال الحافظ الذهبي في معرض حديثه عن الحشيشة: «وبكل حال فهي داخلة فيما حرم الله ورسوله من الخمر المسكر لفظاً ومعنى»[1].

الدليل الثالث: قال ﷺ: «**كل مُسكرٍ خمرٌ، وكل مسكرٍ حرام**»[2].

وقال ﷺ: «**ما أسكر كثيرهُ فقليله حرامٌ**»[3].

وقال ﷺ: «**كل مسكر حرامٌ، وما أسكر منه الفَرْقُ، فملء الكف منه حرام**»[4].

وقال ﷺ: «**كل شراب أسكر فهو حرام**»[5].

فقد حرَّمَ رسول الله ﷺ في هذه الأحاديث كلَّ مسكرٍ، قليلاً كان أو كثيراً، وهذه الأدلة بعمومها تتناولُ المخدِّراتِ؛ لأنها مسكرةٌ.

---

(١) «الكبائر» (ص٩٧).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٠٠٣).

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٦٨١)، والترمذي (١٨٦٥)، والنسائي (٥٦٠٧)، وابن ماجه (٣٣٩٢)، [«صحيح الجامع» (٥٥٣٠)].

(٤) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٦٨٩)، والترمذي (١٨٦٦)، وأحمد (٦/ ٧١)، [«صحيح سنن أبي داود» (٣١٣٤)].

(٥) **صحيح**: رواه البخاري (٢٤٢)، ومسلم (٢٠٠١).

قال ابن تيمية -رحمه الله-: (ومذهب جمهور المسلمين من الصحابة، والتابعين لهم بإحسان، وسائر العلماء: أن كلَّ مسكر خمرٌ وكل خمرٍ حرام، وما أسكر كثيره فقليله حرام)[1].

وقال ﷺ: «**لَيكونَنَّ من أمتي أقوامٌ يستحلون الحِرَ**» -أي: الزنا- «**والحرير، والخمر، والمعازف**»[2].

وقال ﷺ: «**يشربُ ناسٌ من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها**»[3].

الدليل الرابع: شُربُ المخدرات إسرافٌ وتبذيرٌ، وبيعها كسبٌ حرام، والتجارة فيها إضرارٌ بالنفس والأهل والمالِ والمجتمع، وإفسادٌ في الأرض.

والله -عز وجل- يقول: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأعراف]. ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ [الإسراء].

وقال ﷺ: «**إن الله حرَّم عليكم عقوق الأمهات، ووأدَ البنات، ومنعَ وهات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**»[4]. وقال ﷺ:

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٣٤/ ١٨٦).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٥٥٩٠).

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٦٨٨)، والنسائي (٥٦٥٨)، وابن ماجه (٣٣٨٤)، [«صحيح الجامع» (٨٠٩٢)].

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٤٠٨)، ومسلم (٥٩٣).

«**لا ضرر ولا ضِرار**»[1]، «**مَن ضارَّ ضارَّهُ الله، ومن شاق شقَّ الله عليه**»[2].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾ [المائدة].

ثانياً: اعلموا يا معشر الآباء عامةً! ويا معشر الشباب خاصةً! أن الله عاقبَ الذي يشرب المخدرات، ويتاجر فيها عقاباً أليماً في الدنيا والآخرة، ومن هذا العقاب:

- **اللعنة**: قال ﷺ: «**لعن الله الخمرَ، وشاربَها، وساقيها، وبائعها، ومبتاعها، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه، وآكل ثمنها**»[3].
- **لا تقبل صلاته أربعين يوماً**: قال ﷺ: «**الخمر أم الخبائث، فمن شربها لم تقبل صلاته أربعين يوماً، فإن مات وهي في بطنه مات ميتةً جاهلية**»[4].

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٢٣٤١)، [«السلسة الصحيحة» (٢٥٠)].

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (١٩٤٠)، وأبو داود (٣٦٣٥)، وابن ماجه (٢٣٤٢)، وأحمد (٣/ ٤٥٣)، [«الجامع الصحيح» (٦٣٧٢)].

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٦٧٤)، والترمذي (١٢٩٥)، وابن ماجه (٣٣٨٠)، وأحمد (٢/ ٢٥) [«صحيح الجامع» (٥٠٩١)].

(٤) **حسن**: رواه الطبراني في «الكبير» (٢٠/ ١٥٠، رقم ١٥٤٤)، وفي «الأوسط» (٣٦٦٧)، والدارقطني (٤/ ٢٤٧)، [«صحيح الجامع» (٣٣٤٤)].

• **محرومٌ من الجنة:** قال ﷺ: «**ثلاثةٌ لا يدخلون الجنة أبداً: الدَّيوثُ، والرَّجِلةُ من النساء، ومُدمن خمر**»(١).

• **يدخل النار ليشرب من طينة الخبال:** قال ﷺ: «**إن على الله عهداً لمن يشربُ المسكر، أن يَسقيه من طينة الخبال**» قالوا: يا رسول الله! وما طينة الخبال؟ قال: «**عَرَقُ أهل النار، أو عصارةُ أهل النار**»(٢).

• **يذهب عنه نور الإيمان:** قال ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشربُ الخمر حين يشرب وهو مؤمن**»(٣).

ثالثاً: اعلموا يا من تشربون المخدرات، ويا من تروجونها في البلاد، أنكم راجعون إلى الله، وموقوفون بين يديه للحساب والجزاء

قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾ [البقرة]. وقال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٧﴾ [غافر]. وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ٢١ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢ وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ٢٣ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤﴾ [الفجر]. وقال تعالى: ﴿وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ٢٤﴾ [الصافات].

---

(١) **صحيح لغيره:** رواه الطبراني كما في «مجمع الزوائد» (٤/ ٥٩٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٨٠٠)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٠٧١)].

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (٢٠٠٢).

(٣) **متفق عليه:** رواه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧).

وقال ﷺ: «**ما منكم من أحدٍ إلا سيكلمه الله، ليس بينه وبينه تُرجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة، ولو بكلمةٍ طيبةٍ**»(١).

وقال ﷺ: «**لا تزول قدما عبدٍ حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيمَ أفناه، وعن علمه ما فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه**»(٢).

- فماذا تقول لربك يا شارب المخدِّرات يوم القيامة إذا سألك عن مالك: فيمَ أنفقته؟
- وماذا تقول يا مروج المخدِّرات لربك يوم القيامة إذا سألك عن مالك: من أين اكتسبته؟
- وماذا تقول لربك يا بائع المخدرات يوم القيامة إذا سألك عن الأنفس التي قُتلت بسبب المخدرات، وعن الأُسر التي دُمِّرت بسبب المخدرات، وعن الأولاد الذين يُتِّموا بسبب المخدرات، وعن الأمن الذي غابَ في كثيرٍ من البلاد بسبب المخدرات، وعن الشباب الذين زُجوا في داخل السجون بسبب المخدرات، وعن الأعراض التي انتُهكت بسبب المخدرات.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٥١٢)، ومسلم (١٠١٦).

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (٢٤١٧)، [«صحيح الترغيب» (١٢٦)].

رابعاً: اعلموا يا من تشربون المخدرات، وتروجونها في البلاد: أن باب التوبة مفتوحٌ على مصراعيه لمن أراد أن يتوب إلى الله -عز وجل-:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ [التحريم:٨]. وقال تعالى: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ٥٠﴾ [الحجر]. وقال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزمر].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ٦٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٧٠ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ٧١﴾ [الفرقان].

وقال ﷺ: «**إن الله -عز وجل- يقبل توبة العبد ما لم يُغرغِر**»(١). وقال ﷺ: «**إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**»(٢).

ما هي الثمرة السابعة التي سنقطفها -إن شاء الله تعالى- من دراستنا للسيرة النبوية العطرة؟

هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة -إن شاء الله تعالى- إن كان في العمر بقية.

---

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٣٥٣٧)، وابن ماجه (٤٢٥٣)، وأحمد (٢/ ١٣٢)، [«صحيح الجامع» (١٩٠٣)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٥٩).

الثمرة السابعة لدراسة السيرة النبوية العطرة

عداوةُ اليهود وبغضُهم

• **عباد الله!** يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [المائدة]. ويقول سبحانه: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة]. ويقول -عز وجل- ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [المائدة].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمَرْجان من قصص القرآن: دروسٌ وعظاتٌ وعِبرٌ**. والتي نتكلم فيها عن قصةِ نبينا وحبيبنا محمدٍ ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **الثمرة السابعة التي سنقطفها -إن شاء الله تعالى- من دراستنا للسيرة النبوية العطرة ألا وهي: عداوة اليهودِ وبغضُهم**

• اليهودُ هم الشياطين. قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة]. قال جمهور المفسرين: إن شياطينهم هم اليهود.

• اليهود هم المفسدون في الأرض: قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [المائدة].

• اليهود قَتَلة الأنبياء. قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [النساء:١٥٥].

• اليهود أساتذة الغدر والخيانة. قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ [المائدة:١٣].

• اليهود أساتذة الربا، وأَكَلة السحت قال تعالى: ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [المائدة].

• اليهود -عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة- هم الذين وصفوا الله -عز وجل- بالبخل والفقر، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، وكبرت كلمةً تخرج من أفواههم، إن يقولون إلا كذباً.

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ -أي: بخيلةٌ- ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة:٦٤]. وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ

فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ [آل عمران].

• فاليهود شعبٌ مجرمٌ خبيثٌ مفسدٌ، تجتمع فيه كل خصال الشرِّ، ولذلك لعنهم الله، وغضب عليهم، وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت.

قال تعالى في وصفهم: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ [المائدة].

• فعداوة اليهود وبغضُهم من ديننا:

أولاً: لأنهم أشدُّ الأعداء للمؤمنين عامةً، ولرسول الله ﷺ خاصةً

• قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ﴾ [المائدة: ٨٢].

• وعن أمِّ المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها أنها قالت: كنتُ أَحَبَّ ولدِ أبي إليه، وإلى عمي أبي ياسر؛ لم ألقهُما قطُّ مع ولدٍ لهما إلا أخذاني دونه.

قالت: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، ونزل قباء في بني عمرو بن عوف، غدا عليه أبي، حيي بن أخطب، وعمي أبو ياسر بن أخطب مُغَلِّسين -أي: وقت صلاة الفجر-

قالت: فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس.

قالت: فأتيا كالِّين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى.

قالت: فهششت إليهما كما كنتُ أصنعُ. فوالله! ما التفت إليَّ واحدٌ منهما، مع ما بهما من الغمِّ.

قالت: وسمعتُ عمي أبا ياسر، وهو يقول لأبي، حيي بن أخطب: أهو هو؟ -أي: أهو الرسول الذي نعرفه في التوراة؟

قال: نعم والله! قال: أتعرفه وتُثبته؟ قال: نعم. قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوتُهُ والله! ما بقيت[1].

ثانياً: لأنهم حاولوا قتل النبي ﷺ أكثر من مرةٍ.

المرةُ الأولى: محاولةُ بني النضير قتل الرسول ﷺ بعد غزوة بدرٍ الكبرى.

وقد سجلت لهم المصادر محاولتين: **الأولى**، بعد كتابة قريشٍ إليهم وتهديدها لهم بالحرب إن لم يقاتلوا الرسول ﷺ، فاستجاب بنو النضير لهم وعزموا على الغدر، وأرسلوا إلى النبي أن يخرج إليهم في ثلاثين رجلاً من أصحابه، ووعدوا أن يخرجوا بمثلهم من أحبارهم، إلى موضعٍ وسطٍ ليستمعوا منه، فإن صدَّقُوهُ آمنت يهود، فلما اقتربوا اقترح اليهود أن يجتمع النبيُّ، ومعه ثلاثةٌ من أصحابه بثلاثةٍ من أحبارهم، فإن أقنعهم آمنت بنو النضير، وقد حمل الثلاثة خناجرهم، لكن امرأةً منهم أفشت خبرهم لأخٍ لها

(١) «سيرة ابن هشام» (١/ ٥١٨-٥١٩).

مسلمٍ، فأخبر النبي ﷺ فرجع ولم يقابلهم، ثم حاصرهم بالكتائب وقاتلهم، فنزلوا على الجلاء، وعلى أن لهم ما حملت الإبل إلا السلاح، فاحتملوا حتى أبواب بيوتهم[1].

أما المحاولة الثانية: تتلخص بأن النبي ﷺ ذهب إلى بني النضير ليستعين بهم على دفع دية رجلين معاهَدين، قتلهما خطأ عمرو بن أمية الضَّمْري في أعقاب حادثة بئر معونة، فجلس النبي إلى جدارٍ لبني النضير، فهموا بإلقاء حجر عليه وقتله، فأخبره الوحي بذلك، فانصرف عنهم مسرعاً إلى المدينة، ثم أمر بحصارهم، فنزلوا على الصلح بعد حصار ست ليال، على أنَّ لهم ما حملت الإبل[2].

المرة الثانية: بعد فتح خيبر

يقول أبو هريرة رضي الله عنه: «لما فُتحتْ خيبر أُهديتْ لرسول الله ﷺ شاةٌ فيها سُم، فعرف النبي ﷺ، ثم قال ﷺ: «**اجمعوا إليَّ من كان هاهنا من يهود**» فجُمعُوا له: فقال لهم رسول الله ﷺ: «**إني سائلكم عن شيءٍ، فهل أنتم صادقيَّ عنه؟**» فقالوا: نعم يا أبا القاسم! فقال لهم رسول الله ﷺ: «**مَن أبوكم؟**» قالوا: أبونا فلان. فقال رسول الله ﷺ: «**كذبتم، بل أبوكم فلان -لتعلموا أن اليهود أهل الكذب-**» فقالوا: صدقت وبررت. فقال لهم

(١) انظر: «السيرة النبوية الصحيحة» (ص٣٠٦) أكرم ضياء العمري.

(٢) المصدر السابق (ص٣٠٧).

رسول الله ﷺ: «**من أهل النار؟**» فقالوا: نكون فيها يسيراً ثم تخلُفوننا فيها. فقال رسول الله ﷺ: «**اخسئوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبداً**» ثم قال لهم: «**هل أنتم صادقيَّ عن شيء إن سألتكم عنه؟**»، قالوا: نعم، فقال ﷺ: «**هل جعلتم في هذه الشاة سُمّاً؟**»، قالوا: نعم. فقال ﷺ: «**ما حملكم على ذلك؟**» قالوا: أردنا إن كنت كاذباً نستريح منك، وإن كنت نبياً لم يضرَّك»[1].

ثالثاً: نعادي اليهود ونبغضهم لأنهم يحسدوننا، ولا يحبون الخير لنا، ويعملون بالليل والنهار ليصدونا عن ديننا.

• قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾[البقرة:١٠٩].

• وقال تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾[البقرة].

• وقال تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [آل عمران].

• وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾[البقرة:٢١٧].

رابعاً: نُعادي اليهود ونبغضهم لأنهم يعتدون على المسجد الأقصى[*]

• المسجد الأقصى من ديننا، والذي يعتدي عليه نُعاديه ونبغضه ونقاتله، والذي يستطيع الدفاع عن المسجد الأقصى ويُقَصِّرُ فهو آثمٌ، والله سائله

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣١٦٩).

(*) هذه الخطبة ألقيت في وقتٍ اعتدى فيه اليهود على المسجد الأقصى.

يوم القيامة، وذلك:

١ - لأنَّ المسجد الأقصى هو ثاني مسجدٍ وُضِعَ في الأرض لعبادة الله وحدهُ.

سُئِلَ ﷺ: أيُّ بيتٍ وُضِعَ في الأرضِ أول؟ فقال ﷺ: «**المسجدُ الحرام**»، قيل: ثم أي؟ قال: «**المسجد الأقصى**»، قيل: كم كان بينهما؟ قال: «**أربعون سنة**»[(١)].

وأول من رفع بناءهُ وجددهُ هو سليمان بن داود -عليهما السلام- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أن سليمان بن داود -عليهما السلام- لما فرغ من بناءِ مسجد بيت المقدس «وهو المسجد الأقصى» سأل الله -عز وجل- خلالاً ثلاثة: سأل الله -عز وجل- حُكماً يصادف حكمَه فأوتيه، وسأل الله -عز وجل- ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده فأوتيه، وسأل الله -عز وجل- حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحدٌ لا ينهزه -أي: يدفعه- إلا الصلاة فيه، أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه.

وفي روايةٍ: فقال النبي ﷺ: «**أما اثنتانِ فقد أُعطيهما، وأرجو أن يكون قد أُعطي الثالثة**»[(٢)].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٣٦٦)، ومسلم (٥٢٠).

(٢) **صحيح**: رواه النسائي (٦٩٣)، وابن ماجه (١٤٠٨)، وأحمد (٢/ ١٧٦)، [«صحيح سنن النسائي» (٦٦٩)].

٢- لأن المسجد الأقصى هو قبلةُ المسلمين الأولى.

عن البراء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ صلَّى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً...» الحديث[١].

٣- لأن المسجد الأقصى هو مسرى رسول الله ﷺ، ومنهُ عُرِجَ به إلى السموات العُلى.

قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء:١].

وقال ﷺ: «... **فربطته بالحلقة التي تربط به الأنبياء، ثم دخلت المسجد فصليتُ تحية المسجد ركعتين، ثم خرجت، فجاءني جبريل -عليه السلام- بإناءٍ فيه خمرٌ، وإناء فيه لبنٌ فاخترت اللبن، فقال جبريل ﷺ: اخترتَ الفطرة، ثم عُرج بنا إلى السماء...**» الحديث[٢].

٤- لأن المسجد الأقصى من المساجد الثلاثة التي تُشدُّ لها الرحال.

قال ﷺ: «**لا تُشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثةِ مساجدٍ: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي**»[٣]. وشدُّ الرحال تكون للصلاة في هذه المساجد أو الاعتكاف فيها، لأن الصلاة في المسجد الحرام بمئة ألف صلاة، وفي المسجد

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٠)، ومسلم (٥٢٥).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٦٢).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧).

النبوي بألف صلاة، وفي المسجد الأقصى بمئتين وخمسين صلاة.

• قال ﷺ: «**صلاةٌ في مسجدي أفضلُ من ألف صلاةٍ فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاةٌ في المسجد الحرام أفضلُ من مائةِ ألف صلاةٍ فيما سواه**»(١).

• وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: تذاكرنا ونحن عند رسول الله ﷺ: أيهما أفضلُ، أمسجد رسول الله ﷺ أم بيت المقدس؟ فقال رسول الله ﷺ: «**صلاةٌ في مسجدي أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلى هو...**» الحديث(٢).

فاتقوا الله يا معشر المسلمين! حكاماً ومحكومين في المسجد الأقصى، فالله سائلكم عنه يوم القيامة.

اليهود شعبٌ مجرمٌ خبيثٌ، لعنهم الله وغَضِبَ عليهم، وجعل منهم القردة والخنازير وعَبَدَ الطاغوت؛ لأنهم تجرأوا على خالقهم فوصفوه بالبخل والفقر، وتجرأوا على أنبياء الله فقتلوهم، وتجرأوا على رسولنا ﷺ فحاولوا قتله أكثر من مرة، وتجرأوا على قتل المسلمين، وتجرأوا على الاعتداء على المسجد الأقصى، ولذلك فعداوتهم وبغضُهُم من ديننا.

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (١٤٠٦)، وأحمد (٣/ ٣٤٣)، [«ارواء الغليل» (٤/ ٣٤١)].

(٢) **صحيح**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٨٢٣٠)، والبيهقي في «الشعب» (٤١٤٥)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٩٠٢)].

وعداوتنا لليهود وبغضُهم تتحقق فيما يلي:

١- أن نرجع إلى ديننا، بأن نعبدَ الله وحدهُ، ونبتعدَ عن كل مظاهر الشرك؛ لأننا إذا فعلنا ذلك نصرنا الله في أنفسنا وفي بيوتنا وفي مجتمعنا، وإذا نَصرنا الله نُصرنا على أعدائنا:

قال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾ [محمد].

وقال تعالى: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١٦٠﴾ [آل عمران].

٢- أن نترك المعاصي والذنوب، فما تجرأ اليهود على المسلمين وعلى المسجد الأقصى إلا بسبب معاصينا لله -عز وجل-:

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ۝٣٠﴾ [الشورى].

ولما قال المسلمون بعد هزيمتهم في غزوة أحد بسبب مخالفتهم لأمر رسول الله ﷺ: أنى هذا؟ -أي: ما هذا الذي أصابنا-:

قال تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝١٦٥﴾ [آل عمران].

وقال ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً، لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**»[1].

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٤٦٢)، [«السلسلة الصحيحة» (١١)].

٣- أن لا نتخذهم أولياء:

قال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ٥٢﴾ [المائدة].

٤- أن لا نتخذ منهم بطانةً:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ١١٨ هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١١٩ إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ١٢٠﴾ [آل عمران].

ما هي الثمرة الثامنة التي سنقطفها -إن شاء الله تعالى- من السيرة النبوية العطرة؟

هذا الذي سنعرفه -إن شاء الله تعالى- في الجمعة القادمة إن كان في العمر بقية.

الثمرة الثامنة لدراسة السيرة النبوية العطرة

الإيمان بعصمة النبي ﷺ

أولاً: عصمته ﷺ في تبليغ الوحي

• **عباد الله!** يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة]، ويقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ [الأحزاب].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمَرْجان من قصص القرآن: دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**. والتي نتكلم فيها عن قصةِ نبينا وحبيبنا محمدٍ ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **الثمرة الثامنة لدراسة السيرة النبوية العطرة ألا وهي: الإيمان بعصمة النبي ﷺ**.

العصمة في اللغة معناها: المنعُ، يُقال عصمتهُ عن الطعام أي: منعته عن تناوله، وعصمتُهُ عن الكذب أي منعته منه.

ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ ﴿٤٣﴾﴾ [هود:٤٣]. -أي: يمنعني من الغرق-.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَ﴾[يوسف:٣٢] -أي: امتنع امتناعاً شديداً-.

وقوله ﷺ: «**أُمرتُ أن أُقاتِلَ الناس حتى يشهدوا أن لا إلـه إلا الله، وأن محمداً رسول الله..، فإذا فعلوا ذلك عَصَمُوا مني دماءَهُم وأموالهم، إلا بحقِّ الإسلام، وحسابُهُم على الله تعالى**»[1] -أي: مَنَعُوا مني دماءَهم وأموالهُم-.

والعصمة في الشرع هي: حفظ الله لأنبيائه ورسله عن الوقوع في الكفر والشرك وكبائر الذنوب، وارتكاب المنكرات والمحرمات. فهم محفوظون ظاهراً من الزنا وشرب الخمر والكذب، والسرقة، وغير ذلك من المنهيات المستقبحات في الخارج، ومحفوظون في الباطن من الحسد، والكبر، والرياء، وغير ذلك من منهيات الباطن.

وأما صغائر الذنوب فربما تقع منهم أو من بعضهم، وإذا وقعت منهم فإنهم لا يُقَرُّون عليها، بل ينبههم الله -تبارك وتعالى- عليها فيبادرون بالتوبة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (إن القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام، وجميع

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢١).

الطوائف... وهو أيضاً قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء، بل لم يُنقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول)[1].

والعصمة ثابتةٌ للأنبياء والرسل فقط، وهي من صفاتهم التي أكرمهم الله -تعالى- بها، وميزهم على سائر البشر، فلم تكن لأحدٍ إلا للأنبياء والرسل حيث وهبهم الله هذه النعمة العُظمى.

وكلامنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- سيكون عن:

أولاً: عصمته ﷺ في تبليغ الوحي

- أجمع المسلمون قاطبةً على أن الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- ولاسيما محمدٌ ﷺ معصومون من الخطأ فيما يبلغونه عن الله -عز وجل-، فنبينا محمدٌ ﷺ معصومٌ في كلِّ ما يُبَلِّغُ عن الله: قولاً وعملاً وتقريراً، وهذا لا نزاع فيه بين أهل العلم.
- وقد اتفقت الأمة على أن الرسل معصومون في تحمل الرسالة، فلا ينسون شيئاً مما أوحاه الله إليهم إلا شيئاً قد نُسِخْ، وقد تكفل الله -جل وعلا- لرسوله ﷺ أن يقرئَه فلا ينسى إلا شيئاً أراد الله أن ينسيه إياه، وتكفل له بأن يجمع له القرآن في صدره.

قال تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعلى:٦-٧]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨﴾ [القيامة].

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٣١٩).

ولقد جاءت الأدلة في الكتاب والسنة تدل على عصمته ﷺ في تبليغ رسالة ربه، وشريعته ودينه، وأجمعت الأمة على ذلك.

أولاً: الأدلةُ من كتاب الله على عصمته ﷺ في تبليغ الوحي.

١ - قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم]. في هذا دليلٌ واضحٌ على عصمته ﷺ في كل أمر بلَّغَهُ عن ربه من كتاب وسنة، فهو لا ينطق إلا بما يوحى إليه من ربه، ولا يقول إلا ما أُمر به، فبلَّغهُ إلى الناس كاملاً من غير زيادة ولا نقصان، وهذه شهادةٌ وتزكيةٌ من الله -عز وجل- لنبيه ورسوله ﷺ في كل ما بلَّغه للناس من شرعه تعالى.

٢ - وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۝٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ۝٤٧﴾ [الحاقة]. فالآيات نصت على أن الله سبحانه وتعالى لا يؤيد من يكذبُ عليه، بل لا بد أن يُظهر كذبه وأن ينتقم منه.

ولو كان محمد ﷺ في هذا الجنس كما يزعم الكافرون فيما حكاه الله عنهم ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الشورى:٢٤]. وحاشاه ﷺ من ذلك -لأنزل الله به من العقوبة ما ذكره في هذه الآيات، وحيث إن الرسول ﷺ لم يقع له شيء من ذلك فلم يهلكه الله ولم يعذبه، فهو على هذا لم يتقول على الله ما لم يقله، ولم يفتر شيئاً من عند نفسه، وبهذا تثبت عصمته في كل ما بلغه عن ربه -عز وجل-.

قال ابن كثير بعد أن فسر هذه الآيات: (والمعنى في هذا، بل هو صادق راشد لأن الله -عز وجل- مقرر له ما يبلغه عنه، ومؤيد له بالمعجزات الباهرات والدلالات القاطعات)[1].

٣- وقال تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [الإسراء].

- فهذه الآيات من جملة الآيات المادحة للمصطفى ﷺ، والشهادة بعصمته في كل ما يُبلِّغُ عن ربه -عز وجل-.
- وسياق الآيات بينٌ واضحٌ في أن رسول الله ﷺ لم يركن إليهم أبداً، وإلا لأنزل الله به من العقوبة ما ذكره في هذه الآيات، وحيث إن رسول الله لم يقع له شيء من ذلك، فلم يعذبه ضعف عذاب الحياة، وضعف عذاب الممات، ولم يتَخَلَّ عنه طرفة عين، كما تشهد بذلك سيرته العطرة، دل ذلك على أنه ﷺ لم يتقول على ربه ما لم يقله، ولم يفتر شيئاً من عند نفسه، وبهذا تثبت عصمته في كل ما بلَّغ عن ربه من وحي الله تعالى قرآناً وسنة.

٤- وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [التكوير]. ففي هذه الآية الكريمة يزكي ربُّ العزة نبيه، ويشهدُ له بالعصمة في إبلاغ الوحي.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٥٥).

قال قتادة: (كان القرآن غيباً، فأنزله الله تعالى على محمدٍ ﷺ، فما ضنَّ به على الناس، بل نشره وبلغه، وبذله لكل من أراده)[1].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: (وما هو على ما أوحاه الله إليه بشحيح، يكتم بعضه، بل هو ﷺ أمينُ أهل السماء، وأهل الأرض، الذي بلغ رسالات ربه، البلاغ المبين، فلم يشحَّ بشيء منه).

٥- وقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾﴾ [النساء].

- قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي -رحمه الله-: (أي: كل من أطاع رسول الله في أوامره ونواهيه، ﴿فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ تعالى؛ لكونه لا يأمر ولا ينهى إلا بأمر الله وشرعه ووحيه وتنزيله، وفي هذا عصمةُ الرسول ﷺ؛ لأن الله أمر بطاعته مطلقاً؛ فلولا أنه معصومٌ في كل ما يبلغ عن الله؛ لم يأمر بطاعته مطلقاً ويمدَحْ على ذلك.
- وقال القسطلاني -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: (يعني: من أطاع الرسول لكونه رسولاً مبلغاً إلى الخلق أحكام الله، فهو في الحقيقة ما أطاع إلا الله... وهذه الآية من أقوى الأدلة على أن الرسول

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٦٤٣).

ﷺ معصومٌ في جميع الأوامر والنواهي، وفي كل ما يبلغه عن الله، لأنه لو أخطأ في شيء منها لم تكن طاعته طاعةً لله)[1].

٦- ومن أكبر الأدلة على عصمته ﷺ في تبليغ وحي ربه: أنّه ﷺ بلَّغ الآيات التي يعاتبه فيها ربُّه؛ كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١﴾ [التحريم]، وكقوله تعالى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب:٣٧]، وقوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢﴾ [عبس].

• فآيات العتاب في القرآن الكريم ما كان ليتفوه النبي ﷺ بها لولا كمال عصمته في البلاغ وكمال أمانته فيه، لأن كتمان ذلك في نظر العقول البشرية ستر على النفس الشريفة، واستيفاء لحرمة آرائه، ولكنه الوحي لا يستطيع كتمانه، ولذلك قال أنس بن مالك رضي الله عنه: «لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً، لكتم هذه الآية: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب:٣٧][2].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «من حدثك أن محمداً كتم شيئاً مما أُنزل إليه فقد كذب، والله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة:٦٧][3].

---

(١) «المواهب اللدنية وشرحها» للزرقاني (٨/ ٥٠٥، ٥٠٦).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٤٢٠)، ومسلم (١٧٧).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٤٦١٢).

ولقد صدق أنس، وصدقت عائشة رضي الله عنهما، وبرَّا، فما أدق استنباطهما في الدلالة على عصمة رسول الله ﷺ في بلاغه وحي الله إلى الناس!

٧- وقوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الذاريات].

فهذه شهادةٌ من رب العزة لنبيه ﷺ بالبلاغ المبين وعصمته فيه، حيث أباح لنبيه الإعراض عن المشركين، وأخبر أنه غيرُ ملومٍ في إعراضه عنهم، وما ذاك إلا لأنه أدى لهم الرسالة، وبذل معهم غاية الجهد، بحيث إنهم اعترفوا بذلك في قولهم كما حكاه رب العزة عنهم: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ [الفرقان: ٤١-٤٢].

فهذه شهادات من الله -عز وجل- لرسوله ﷺ بعصمته في أداء واجب البلاغ على أكمل وجه ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾ [الفتح] ولم يكتف -عز وجل- لحبيبه محمدٍ ﷺ بهذه الشهادات، بل لقد أضاف إليها شهادةً أخرى بأسلوب آخر، حيث قال جل شأنه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فإن كمال الدين لا يكون إلا بالتبليغ لجميع أحكامه، وما أوحى الله إليه من كتاب وسنة، وعصمته في هذا البلاغ.

ومع ما شهد الله له بالعصمة في بلاغ الوحي، فإنه عليه الصلاة والسلام أحبَّ أن يشهد له أمته بذلك، فاستنطقها بذلك في أعظم المحافل، وذلك في يوم عرفة في حجة الوداع، حيث قال لهم في خطبته العظيمة ذلك

اليوم: «**وأنتم تُسألون عني، فما أنتم قائلون؟**» قالوا: نشهد أنك قد بلغت، وأديت، ونصحت، فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: «**اللهم اشهد، اللهم اشهد، ثلاث مراتٍ**»[1]. فشهد له خيرُ قرون هذه الأمة، وهم صحابته -رضوان الله عليهم-.

ثانياً: الأدلة من السنة المطهرة والسيرة العطرةِ على عصمته ﷺ في تبليغ الوحي.

الأدلة على صدق رسول الله ﷺ في كل ما يخبر به عن الله -تعالى- من الوحي، وعصمتهُ فيه من خلال السنة والسيرة كثيرةٌ، منها:

١- حاله ﷺ قبل النبوة، فصدقه -عليه الصلاة والسلام- مع الناس دليلٌ على صدقه فيما يخبر به عن ربه؛ إذ لا يتركُ إنسانٌ الكذب على الناس، ثم يكذب على الله تعالى.

وهذا القياس العقلي قد استخدمه هرقل، وهو يسأل أبا سفيان بن حرب أثناء رحلةٍ تجارية بالشام، عن أحوال النبي ﷺ وصفاته فكان مما سأل عنه: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال أبو سفيان: قلت: لا.

فاستخلص هرقل نتيجةً صحيحةً لهذا وهي: أن محمداً ﷺ صادق في

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٢١٨).

دعواه الرسالة، وفي كل ما يخبر به عن الله -تعالى- قائلاً: إنه لم يكن ليذر الكذب على الناس، ويكذب على الله[1].

وقد اعترف أهل مكة جميعاً له بالصدق عندما قال لهم ﷺ: «**أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تُغير عليكم، أكنتم مُصَدِّقِيَّ؟**» قالوا: نعم! ما جربنا عليك إلا صدقاً!! وفي رواية: «**ما جربنا عليك كذباً**»!![2].

٢- ومما يشهد بعصمته ﷺ في بلاغ الوحي، وأنه لا يقول إلا حقاً، سواء في الرضى والغضب، والصحة والمرض: «فترة الوحي في قصة الإفك» لقد كانت تنزل برسول الله ﷺ نوازل من شأنها أن تحفزه إلى القول: وكانت حاجته القصوى تلح عليه أن يتكلم بحيث لو كان الأمر إليه، لوجد له مقالاً ومجالاً، ولكنه كانت تمضي الليالي والأيام تتبعها الليالي والأيام، ولا يجد في شأنها وحياً من قرآن، أو سنة يقرؤه على الناس.

ألم يُرجف المنافقون بحديث الإفك عن زوجه عائشة رضي الله عنها، وأبطأ الوحي، وطال الأمر والناس يخوضون، حتى بلغت القلوب الحناجر، وهو لا يستطيع إلا أن يقول بكل تحفظ واحتراس: «إني لا أعلم عنها إلا خيراً» ثم إنه بعد أن بذل جهده في التحري والسؤال، واستشارة الأصحاب،

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٧).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٩٧١)، ومسلم (٢٠٨).

ومضى شهرٌ بأكمله، والكل يقولون: ما علمنا عليها من سوء، لم يزد على أن قال آخر الأمر: «يا عائشة! أما إنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله»[1].

هذا كلامه ﷺ بوحي ضميره، وهو -كما ترى- كلام البشر الذي لا يعلم الغيب إلا بوحي ربه، وكلام الصِّدِّيق المتثبت الذي لا يتبع الظن، ولا يقول ما ليس له به علم.

على أنه ﷺ لم يغادر مكانه بعد أن قال هذه الكلمات حتى نزل صدر سورة النور معلناً براءتها، ومصْدِراً الحكم المبرم بشرفها وطهارتها. فماذا كان يمنعه، لو أنَّ أمْرَ الوحي إليه، أن يتقول هذه الكلمة الحاسمة من قبل، ليحمي بها عرضه، ويذب بها عن عرينه، وينسبها إلى الوحي الإلهي لتنقطع ألسنة المتخرصين؟ ولكنه ما كان ليذر الكذب على الناس، ويكذب على الله.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحاقة][2].

٣- ومن الأدلة على عصمته ﷺ في بلاغ وحي الله -عز وجل-: أقواله ﷺ ومنها:

• حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، وجاء فيه قوله ﷺ: «**إذا حَدَّثتكم**

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠).

(٢) انظر: كتاب «رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ» (ص٣٠٩) للدكتور: عماد السيد الشربيني.

عن الله شيئاً، فخذوا به، فإني لن أكذِبَ على الله عز وجل»[1].

• وحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: كنتُ أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش، وقالوا: أتكتب كل شيء تسمعه؟ ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضى؟! قال: فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأومأ بأصبعه إلى فيه، فقال: «**أكتب! فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا الحق**»[2].

• وحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إني لا أقول إلا حقاً**» قال بعض أصحابه: فإنك تداعبنا يا رسول الله! قال: «**إني لا أقول إلا حقاً**»[3].

ثالثاً: ومن الأدلة على عصمته ﷺ في تبليغ الوحي: إجماعُ الأمة.

أجمع أهل الملل والشرائع كلها على عصمة الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- من أي شيء يُخل بالتبليغ، فلا يجوز عليهم التحريف، ولا الكذب قليله وكثيره، سهوه وعمده، فكل هذا مما ينزه عنه منصب النبوة، وإلا لم يبق الاعتماد على شيء من الشرائع، وَلَما تميز لنا الغلط والسهو من

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣٦١).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (١٥٣٢)، [«السلسلة الصحيحة» (١٥٣٢)].

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (١٩٩٠)، وأحمد (٢/ ٣٤٠)، [«السلسلة الصحيحة» (١٧٢٦)].

غيره، واختلط الحق بالباطل، واستدلوا لذلك بأنه لو جاز عليهم التقول والافتراء في ذلك عقلاً، لأدى إلى إبطال المعجزة القاطعة بصدقهم؛ وإبطال المعجزة محال، فالكذب في التبليغ وعدم العصمة فيه، محال أيضاً[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «إن الأنبياء -صلوات الله عليهم- معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه، وفي تبليغ رسالاته باتفاق الأمة، ولهذا وجب الإيمان بكل ما أوتوه... والعصمة فيما يبلغونه عن الله ثابتة، فلا يستقر في ذلك خطأ باتفاق المسلمين».

قال الله لرسوله ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة:٦٧]، فبلغ ﷺ رسالة ربه قولاً وفعلاً وتقريراً، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، وجاهد في سبيل الله حتى أتاه اليقين، يقول عمر بن أخطب الأنصاري رضي الله عنه: «صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر. وصعِدَ المنبرَ فخطبَنا حتى حضرتِ الظهرُ. فنزل فصلى. ثم صَعِدَ المِنبَرَ. فخطبنا حتى حضرتِ العصرُ. ثم نزل فصلى. ثم صَعِدَ المنبرَ. فخطبنا حتى غربتِ الشمسُ. فأخبرنا بما كان وبما هو كائنٌ. فأعلمُنا أحْفَظُنا»[2]. ولم يكتف ﷺ بذلك بل كلف كلَّ من يسمع عنه شيئاً أن يبلغه إلى من وراءه ليعم بلاغه الأمة في كل زمان ومكان، ليعملوا بما بلغهم من سنته في كل ما كُلف به بنو الإنسان من

(١) انظر: كتاب «رد شبهات حول عصمة النبي» عماد الشربيني (ص٣١١).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٩٢).

أمور الدين والدنيا. فقال عليه الصلاة والسلام: «**بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**»[1].

ورغَّبهم عليه الصلاة والسلام في ذلك وشجعهم عليه بقوله: «**نضَّر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه، فربَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، وربَّ حامل فقه ليس بفقيه**»[2].

أما عصمته ﷺ من الكفر والشرك وكبائر الذنوب قبل البعثة وبعدها، هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة -إن شاء الله تعالى- إن كان في العمر بقية.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٤٦١).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٦٦٠)، والترمذي (٢٦٥٦)، وأحمد (٥/ ١٨٣)، [«صحيح الجامع» (٦٧٦٤)].

الثمرة الثامنة لدراسة السيرة النبوية العطرة

الإيمان بعصمة النبي ﷺ

ثانياً: عصمته ﷺ من الكفر والشرك وكبائر الذنوب قبل البعثةِ وبعدها

• **عباد الله!** يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف].

ويقول سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم]. ويقول -عز وجل-: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾﴾ [النجم].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمَرْجان من قصص القرآن: دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**. والتي نتكلم فيها عن قصةِ نبينا وحبيبنا محمدٍ ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها أيضاً:**الثمرة الثامنة التي سنقطفها -إن شاء الله تعالى- من دراستنا للسيرة النبوية العطرة ألا وهي: الإيمان بعصمة النبي ﷺ**

لقد تكلمنا في الجمعة الماضية عن عصمته ﷺ في تبليغ الوحي، وتبين لنا أن النبي ﷺ معصوم في تبليغ الوحي، وأنه قد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، وجاهد في سبيل دينه حتى أتاه اليقين.

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع:

ثانياً: عصمته ﷺ من الكفر والشرك وكبائر الذنوب قبل البعثة وبعدها.

اعلموا أن رسول الله ﷺ معصومٌ من كيدِ الشيطان، فلا سبيل له إليه ﷺ.

والدليل على ذلك من كتاب ربنا:

- قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ [الإسراء].
- وقد اعترف إبليسُ نفسهُ بذلك، فقال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾[ص].

ورسولنا ﷺ في مقدمة عباد الله المخلَصين بلا شكٍّ ولا ريب.

والدليل من السنة:

- عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل -وهو يلعب مع

الغِلْمان-، فأخذه، فصرعه، فشقَّ قلبَهُ، فاستخرج منه عَلَقَةً، فقال: هذا حظُّ الشيطان منك، ثم غسله في طَسْتٍ منْ ذهبٍ بماءِ زمزمَ، ثم لأَمَهُ، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغِلمانُ يسْعونَ إلى أمِّه -يعني: ظِئرَهُ[1]-، فقالوا: إن محمداً قد قُتِلَ! فاستقبلوه مُنْتَقِعُ اللون. قال أنس: قد كنت أرى أثر ذلك المِخيَطِ في صدره ﷺ[2].

• وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما منكم من أحدٍ إلا وقد وُكِّلَ به قرينُهُ مِنَ الجنِّ**» قالوا: وإياك؟ يا رسول الله! قال: «**وإيايَ. إلا أن الله أعانَنِي عليه فأسلَمُ. فلا يأمرني إلا بخيرٍ**»[3]. وقوله: «**فأسلم**» برفع الميم وفتحها، روايتان مشهورتان، فمن رفع قال: معناه: أسْلَم أنا من شره وفتنته. ومن فتح قال: إن القرين أسلم من الإسلام، وصار مؤمناً لا يأمرني إلا بخير.

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن عِفْريتاً[4] من الجِنِّ جعل يفْتِكُ[5] عليَّ البارحةَ. ليقطع عليَّ الصلاة. وإن الله أمكنني منهُ فذَعَتُّهُ[6]. فلقد هممتُ أن أربطه إلى جنب ساريةٍ من سواري**

(١) ظِئره: أي مرضعته.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٦٢).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨١٤).

(٤) (إن عفريتاً) العفريت الماتي المارد من الجن.

(٥) (يفتك) الفتك هو الأخذ في غفلة وخديعة.

(٦) (فذعته) أي خنقته.

المسجد. حتى تُصْبِحُوا تنظُرون إليه أجمعون (أو كُلُّكُم) ثم ذكرت قول أخي سليمان: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾[ص:٣٥] **فرَدَّهُ الله خاسئاً»**(١).

• وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ فسمعناه يقول: «**أعوذ بالله منك**» ثم قال: «**ألعَنُكَ بِلَعْنَةِ الله**» ثلاثاً. وبَسَطَ يدهُ كأنه يتناوَلُ شيئاً. فلما فرغ من الصلاة قلنا: يا رسول الله! قد سَمِعْناك تقولُ في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك. ورأيناك بسَطْتَ يدكَ. قال: «**إن عدوَّ الله، إبليس، جاء بشهابٍ من نارٍ ليجعلهُ في وجهي، فقلت: أعوذ بالله منك. ثلاث مراتٍ. ثم قلتُ: ألعنك بلعنةِ الله التامة. فلم يستأخر. ثلاث مراتٍ. ثم أردت أخذه. والله! لولا دعوةُ أخينا سليمان لأصبح موثقاً يلعبُ به وِلْدانُ أهل المدينة**»(٢).

فلا سبيل للشيطان إلى رسول الله ﷺ، ولا حظ ولا نصيب له فيه.

ولما كان الشيطان هو الذي يأمر بالكفر والشرك كما قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ﴾ [الحشر:١٦].

والشيطان هو الذي يأمرُ بالفحشاء والمنكر كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[النور:٢١].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٤٢٣)، ومسلم (٥٤١) واللفظ لمسلم.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٥٤٢).

والشيطان هو الذي يدعو بني آدم إلى ارتكاب الكبائر من الذنوب والمعاصي. كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [إبراهيم].

فالشيطان يا عباد الله! هو الذي يأمر بالكفر والشرك والفحشاء والمنكرِ وكبائرِ الذنوبِ، ورسول الله ﷺ محفوظٌ من كيد الشيطان ولذلك فهو ﷺ معصومٌ من الكفر والشرك وكبائر الذنوب قبل البعثةِ وبعدها.

ومن مظاهر عصمته ﷺ قبل البعثة:

أولاً: عصمته ﷺ من الكفر والشرك وعبادة الأصنام واستلامها.

- قال ﷺ لخديجة رضي الله عنها «**أي خديجة، والله لا أعبدُ اللات، والله لا أعبُدُ العُزَّى أبداً**»[1].

- وعن زيد بن حارثة رضي الله عنه قال: كان صنمٌ من نحاسٍ -يقال له: (إسافٌ) أو (نائلةٌ). يتمسح به المشركون إذا طافوا، فطاف رسول الله ﷺ وطفت معه، فلما مررت مسحتُ به، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تمسَّه**». قال زيد: فطفنا، فقلت في نفسي: لأمسنَّه حتى أنظر ما يكون فمسحته، فقال رسول الله ﷺ: «**ألم تُنْهَ؟!**». قال زيد: فوالذي أكرمه وأنزل عليه

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٣٦٢)، [وصححه الشيخ شعيب الأرناؤوط].

الكتاب، ما استلم صنماً قطُّ حتى أكرمه الله -تعالى- بالذي أكرمه وأنزل عليه»[1].

• كيف لا؟ والله -عز وجل- يقول عنه ﷺ: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ [النجم].

ثانياً: عصمته ﷺ من أكل ما ذُبح على النُّصب -أي: التي تُذبح لغير الله-

كان ﷺ لا يأكل ما ذُبح على النصب، ووافقه في ذلك زيد بن عمرو ابن نفيل.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لقي زيد بن عمرو ابن نفيل بأسفل (بلدح) -وادٍ قبل مكة أو جبل بطريق جده- قبل أن ينزل على النبي ﷺ الوحيُ، فقُدِّمت إلى النبي ﷺ سُفْرةٌ، فأبى أن يأكل منها. ثم قال زيدٌ: إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلا ما ذُكِرَ اسم الله عليه. وأن زيد بن عمرو كان يعيبُ على قُريش ذبائحهم ويقول: الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض، ثم تذبحونها على غير اسم الله، إنكاراً لذلك وإعظاماً له[2].

ثالثاً: عصمتهُ ﷺ من التعري

حَفِظَ الله رسوله ﷺ من أن تبدو عورته أو يظهر عُرياناً.

---

(١) **إسناده حسن**: رواه النسائي في «سننه الكبرى» (٨١٨٨)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ٣١٦)، [«صحيح السيرة النبوية» (ص٣٢)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٨٢٦).

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما «أن رسول الله ﷺ كان ينقُلُ معهُمُ الحجارة للكعبة. وعليه إزارُهُ. فقال له العباس، عمُّهُ: يا ابن أخي! لو حللتَ إزارك، فجعلتهُ على منكبكَ، دون الحجارة. قال فحلَّهُ. فجعله على منكبه. فسقط مغشيًّا عليه. قال فما رُؤيَ بعد ذلك اليوم عُرياناً»[1].

رابعاً: عصمته ﷺ من كبائر الذنوب وفي مقدمتها الكذب.

حفظ الله رسوله ﷺ من كبائر الذنوب وفي مقدمتها الكذب، فلم يكذب ﷺ قبل البعثة ولا بعدها، وقد شهد له بذلك أعداؤه وأصحابه.

شهادات الأعداء له ﷺ بالصدق وعدم الكذب

١ - شهادة أبي سفيان بن حربٍ قبل أن يسلم لرسول الله ﷺ بالصدق وعدم الكذب.

لما سأل هرقل ملكُ الروم أبا سفيان ومن معه عن رسول الله ﷺ فقال: «هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال أبو سفيان: لا. فقال له هرقل: فقد عرفت أنه لم يكن ليدع الكذِبَ على الناس، ثم يذهب فيكذب على الله»[2].

٢ - شهادة أهل مكة له بالصدق وعدم الكذب.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٣٤٠).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٩٤١)، ومسلم (١٧٧٣).

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء]. خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا، فهتف: يا صباحاه! فقالوا: من هذا؟ فاجتمعوا إليه، فقال: «**أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تُغير عليكم، أكنتم مصدقيَّ؟**». قالوا: نعم ما جربنا عليك إلا صدقاً!!.

وفي رواية: «قالوا ما جربنا عليك كذباً»[1].

٣- شهادة أمية بن خلفٍ عندما قال له سعد بن معاذٍ: إني سمعت محمداً ﷺ يزعم أنه قاتِلُكَ. قال: إيَّايَ؟. قال: نعم. قال أمية: والله ما يكذب محمدٌ إذا حدَّث. فرجع إلى امرأته فقال: أما تعلمين ما قال لي أخي اليثربيُّ؟ قالت: وما قال؟ قال: زعم أنه سمع محمداً يزعم أنه قاتلي. قالت: فوالله ما يكذبُ محمدٌ ﷺ»[2]. وقد تحقق من ذلك يوم بدرٍ حيث اشترك في الغزوة ورآه المسلمون فقتلوه شر قِتلَة.

شهد الأعداء لرسولنا ﷺ بالصدق وعدم الكذب، ومع ذلك منعهم الكفر والعنادُ والكِبرُ من الإيمان به ﷺ كما قال تعالى عنهم: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٤].

وقال -عز وجل-: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨)، والرواية من لفظ مسلم.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦٣٢).

شهادات الصحابة -رضي الله عنهم- بصدقه ﷺ.

١ - شهادة خديجة رضي الله عنها وهي الخبيرة به وبأخلاقه.

في قصة بدء الوحي عندما رجع النبي ﷺ إلى خديجة رضي الله عنها وقال لها: «**لقد خشيت على نفسي**» فقالت خديجة: كلا. أبشر، فوالله لا يخزيكَ الله أبداً، فوالله إنك لتصلُ الرحم، وتصدقُ الحديث، وتحملُ الكلَّ. وتكسِبُ المعدُومَ، وتقري الضيف، وتعينُ على نوائب الحق[1].

٢ - شهادة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو الصاحب في الهجرة والغار.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما أُسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى؛ أصبح يتحدث الناس بذلك، فارتد ناس ممن كانوا آمنوا به وصدقوه؟ وسعوا بذلك إلى أبي بكر رضي الله عنه فقالوا: هل لك إلى صاحبك، يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس؟ قال: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم. قال: لئن كان قال ذلك؛ لقد صدق. قالوا: أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟! قال: نعم؛ إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غَدوة أو روحة؛ فلذلك سُمي أبو بكر الصديق»[2].

وقال ﷺ في أبي بكر: «**إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت، وقال أبوبكر:**

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠).

(٢) **صحيح**: رواه الحاكم (٤٤٠٧)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٠٦)].

صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟ مرتين....»[1].

٣- شهادة الصحابة رضي الله عنهم

- يقول ابن مسعود رضي الله عنه: «حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «**إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً...**» الحديث[2].
- ويقول أبو هريرة رضي الله عنه سمعت أبا القاسم الصادق المصدوق ﷺ صاحب هذه الحجرة يقول: «**لا تُنزعُ الرحمةُ إلا من شقي**»[3].
- ورسولنا ﷺ معصومٌ من الكفر والشرك وكبائر الذنوب قبل البعثة، فلم يسجد لصنمٍ، ولم يحلف بغير الله، ولم يكذب، وكان يُعرف بين الناس بالصادق الأمين. ولذلك عندما رآه عبد الله بن سلام -وهو حبرٌ من أحبار اليهود- عندما قدم ﷺ المدينة قال: إن وجهه ليس بوجه كذاب، وكان أول شيءٍ تكلم به أن قال: «**أيها الناس: أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**»[4].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦٦١).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

(٣) **حسن**: رواه أبو داود (٤٩٤٢)، والترمذي (١٩٢٣)، وأحمد (٢/ ٤٤٢)، [«صحيح سنن أبي داود» (٤٩٤٢)].

(٤) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٤٨٥)، وابن ماجه (٣٢٥١)، وأحمد (٥/ ٤٥١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٦١٦)].

عباد الله! أما بعد البعثة فرسولنا ﷺ منذ بعثه الله إلى الناس إلى أن لقِيَ ربه وهو يدعو إلى الإيمان والتوحيد وعبادة الله وحده، ويحذر من الشرك والكفر وجميع الذنوب.

ولقد كان ﷺ المثل الأعلى في دعوته، يقول الله له: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام].

ومن المعلوم من خلال سيرته ﷺ أنه كان حرباً على الكفر والشرك على اختلاف صوره وألوانه، فلم يدع طريقاً أو سبيلاً لهدم الشرك والكفر إلا وقد سلكه، مستخدماً في ذلك لسانه وسنانه، وهذا كله يؤكد عصمته ﷺ من الكفر والشرك، وهذا أمر مشتهر، وأعظم من أن يحتاج إلى دليل يؤكده.

ورسولنا ﷺ متصفٌ بكل خُلقٍ فاضلٍ: من صدقٍ وأمانةٍ وبرٍّ وصلة رحم، وإحسانٍ وجودٍ، وشجاعةٍ، إلى غير ذلك من محاسن الأخلاق التي جبله الله عليها منذ نشأته، وحريٌّ به ﷺ أن يكون كذلك، فقد اختاره الله لحمل الأمانة العُظمى التي هي أداءُ الرسالة وتبليغها إلى الناس كافةً، فكان لا بدَّ من إعداده لهذه المهمة، ولذا فقد فطره الله على كل خلقٍ فاضلٍ كريمٍ، وقد جمع الله له خصال الخير كلها، فلم يكن يدعى إلا بالأمين.

كيف لا؟ والله -عز وجل- يقول في وصفه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم]. ويقول سبحانه: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾﴾ [النجم].

ويقول ﷺ: «**إنما بُعثت لأتمِّمَ صالح الأخلاق**»[1].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٣٨١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٨٠)، [«السلسلة الصحيحة» (٤٥)].

فرسولنا ﷺ معصومٌ من الكفر والشرك وكبائر الذنوب والقبائح قبل البعثة وبعدها، وقد أجمعت الأمةُ سلفاً وخلفاً على ذلك.

أما عصمته ﷺ في عقله وبدنه فهذا الذي سنتكلم عنه في الجمعة القادمة -إن شاء الله تعالى- إن كان في العمر بقية.

الثمرة الثامنة لدراسة السيرة النبوية العطرة

الإيمان بعصمة النبي ﷺ

ثالثاً: عصمتهُ ﷺ في عقله وبدنه

• **عباد الله!** يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المائدة]، ويقول سبحانه: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ ﴾ [النجم].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمَرْجان من قصص القرآن: دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**. والتي نتكلم فيها عن قصةِ نبينا وحبيبنا محمدٍ ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها أيضاً: **الإيمان بعصمة النبي ﷺ**

فالإيمان بعصمة النبي ﷺ أصلٌ من أصول الإيمان والإسلام، وهي عقيدةٌ لا تنفكُّ عن شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله»، والطعن في

هذه العصمة طعنٌ في هذه الشهادة، ولمَ لا؟ وهي دليلنا على حُجِّيـة الـوحي الإلهي (قرآناً وسنةً)، وهي دليلنا على الاقتداءِ والتأسي برسول الله ﷺ.

وقد تكلمنا في الجمع الماضية عن عصمته ﷺ في تبليغ الـوحي، وعـن عصمته ﷺ من الكفر والشرك وكبائر الذنوب قبل البعثة وبعدها.

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع:

عصمته ﷺ في عقله وبدنه.

عَصَمَ الله رسولنا ﷺ في عقله، فهو ﷺ أعقلُ النـاس وأذكـاهم قبـل البعثة وبعدها.

والدليل على ذلك من كتاب ربنا:

- قال تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ [النجم].
- وقال تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝٢٢﴾ [التكوير].
- وقال تعـالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۝٣٩ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝٤١ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٤٢﴾ [الحاقة].

ومن عاش مع سيرته ﷺ العطرة تبين له أنه ﷺ أعقل الناس وأذكاهم.

ومن الأمثلة على كمال عقله ﷺ وفطنته وذكائه من سيرته العطرة:

١- سرعة حلّهِ للمشاكلِ المستعصيةِ التي تحارُ في حلها العقـول الكبـيرة الشهيرة.

كحلهِ لمشكلة قريشٍ في وضع الحجر الأسود الذي تنافست فيه قبائلها، وأرادت كل قبيلةٍ أن تحوز شرف وضعه، وتستأثر به على غيرها، حتى وصل بها الحالُ إلى شفا الحرب، فقالوا: اجعلوا بينكم حَكَماً، قالوا: أولُ رجلٍ يطْلَعُ من الفجِّ. فجاء النبي ﷺ فقالوا: أتاكم الأمين. فقالوا له: فوضعهُ في ثوبٍ، ثم دعا بُطونهم، فأخذوا بنواحيه معهُ، فوضعه هو ﷺ[1].

٢- سرعة إقامة الحجة على الآخرين.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ من بني فزارة إلى النبي ﷺ فقال: إن امرأتي ولدتْ غلاماً أسود. فقال النبي ﷺ: «**هل لك من إبلٍ؟**» قال: نعم. قال: «**فما ألوانها**» قال: حُمْرٌ. قال: «**هل فيها مِنْ أورَقَ؟**»[2]. قال: إن فيها لَوُرْقاً. قال: «**فأنى أتاها ذلك؟** » قال: عسى أن يكونَ نزَعَهُ عِرْقٌ[3] قال: «**وهذا عسى أن يكون نزعهُ عِرْقٌ**»[4].

٣- براهينه ﷺ الساطعة القاطعة التي كان يقيمُها على مجادليه ومناظريه من مشركين، وأهل كتابٍ وغيرهم. ومنها:

مجادلته ﷺ لكفار قريش، وهو ما كان من ابن الزبعري الذي سمع

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٤٢٥)، [«صحيح السيرة النبوية» (٤٥).

(٢) (أورق) هو الذي فيه سواد ليس بصاف.

(٣) (عرق) المراد بالعرق هنا الأصل من النسب.

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٨٤٧)، ومسلم (١٥٠٠).

بقول الله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأنبياء].

فقال: أما والله لو وجدت محمداً لخصمته، فسلوا محمداً! أكل ما يعبد من دون الله في جهنم مع من عبده؟ فنحن نعبد الملائكة! واليهود تعبد عزيراً! والنصارى تعبد عيسى ابن مريم! فعجب الحاضرون مما قاله ابن الزبعري، ورأوا أنه قد خصم رسول الله ﷺ وغلبه، فقال النبي ﷺ: «**إن كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عَبَده، إنهم إنما يعبدون الشياطين ومن أمرتهم بعبادته**».

فأنزل الله تعالى تصديقاً لنبيه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء].

فانظر إلى هذا الجواب المفحم الذي لم يترك للمجادل مجالاً للتمادي بالباطل، حيث أعلمه أن من ذكر: لم يأمروهم بعبادتهم، وأنهم إنما يعبدون الشياطين، وأنهم لو أمروهم بذلك، أو حبذوا ذلك منهم لكان الحكم عاماً فيهم[1].

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٤٥١، ٤٥٢، [«صحيح السيرة النبوية» للألباني -رحمه الله- (ص١٩٧-١٩٨)].

أما عصمته ﷺ في بدنه فالمرادُ بها عصمته ﷺ من القتل والأسر.

والدليل على ذلك من كتاب الله:

١ - قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ [البقرة].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾﴾ [آل عمران].

فتأمل قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ﴾. وقوله سبحانه: ﴿قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾.

إن الخطاب في هاتين الآيتين موجه من رسول الله ﷺ كما أمره ربه -عز وجل- إلى قتلة الأنبياء والمرسلين من بني إسرائيل، وتحدى لهم بأوضح بيان، بأنهم وإن وقع منهم قتلُ الأنبياء من قبل رسول الله ﷺ بإذن الله تعالى، فهم مع رسول الله ﷺ مهما حاولوا قتله، فلم ولن يفلحوا، لأن الله -عز وجل- عصم بدنه الشريف من القتل، كما عصم قلبه وعقله وخُلُقَه من كل ما يمسهم بسوء، وخصوصية عصمة بدنه الشريف من القتل مستفادة من الآيتين السابقتين في تكرار قوله: «من قبل» و«من قبلي» فتأمل[1].

٢ - وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة:٦٧].

(١) انظر: كتاب «رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ» د. عماد السيد الشربيني (ص١١٤).

٣- وقوله تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [الحجر].

٤- وقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور:٤٨].

٥- وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال].

٦- وقوله سبحانه: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [الزمر:٣٦].

والأدلة من السنة على عصمته ﷺ في بدنه من القتل:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو جهلٍ: هل يُعَفِّرُ محمدٌ وجهه[١] بين أظهركُمْ؟ قال فقيل: نعم. فقال: واللات والعُزَّى! لئن رأيتُهُ يفعل ذلك لأطأنَّ على رقبتِهِ. أو لأعفِّرَنَّ وجهَهُ في التراب. قال: فأتى رسولَ الله ﷺ وهو يُصَلِّي. زعم ليطأ على رقبته. قال: فما فَجِئَهُمْ[٢] منه إلا وهو ينكِصُ على عقبيه[٣] ويتقي بيديه. قال: فقيل له: مالك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقاً من نارٍ وهوْلاً وأجنحةً. فقال رسول الله ﷺ: «**لو دنا منِّي لاختطفته الملائكة عُضواً عُضواً**»[٤].

---

(١) (هل يعفر محمد وجهه) أي: يسجد ويلصق وجهه بالعفر، وهو التراب.

(٢) (فجئهم) أي: بغتهم.

(٣) (ينكص على عقبيه) أي: رجع يمشي إلى ورائه.

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٩٧).

٢- وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد:١]، جاءت امرأة أبي لهبٍ ورسول الله ﷺ جالسٌ، ومعه أبو بكر، فقال له أبو بكر: لو تنحَّيت لا تُؤذيك بشيء. فقال رسول الله ﷺ: «**إنه سَيُحال بيني وبينها**» فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر فقالت: يا أبا بكر، هجانا صاحبُك؟ فقال أبو بكر: لا، ورب هذه البِنْيَة ما ينطق بالشعر ولا يتفوه به. فقالت: إنك لمصدَّقٌ. فلما ولّت قال أبو بكر: ما رأتك؟ قال ﷺ: «**لا، ما زال ملكٌ يسترني حتى ولَّت**»[1].

٣- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إن الملأ من قريشٍ اجتمعوا في الحِجْر، فتعاقدوا باللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى ونائلة وإساف؛ لو قد رأينا محمداً لقد قمنا إليه قيام رجلٍ واحدٍ، فلم نفارقه حتى نقتله، فأقبلت ابنته فاطمة رضي الله عنها تبكي حتى دخلت على رسول الله ﷺ فقالت: هؤلاء الملأ من قريش قد تعاقدوا عليك لو قد رأوك، لقد قاموا إليك فقتلوك فليس منهم رجل إلا قد عرف نصيبه من دمك.

فقال: يا بنية أريني وَضوءاً، فتوضأ ثم دخل عليهم المسجد، فلما رأوه قالوا: ها هو ذا، وخفضوا أبصارهم وسقطت أذقانهم في صدورهم، وعَقِروا في مجالسهم، فلم يرفعوا إليه بصراً، ولم يقم إليه منهم رجل!

فأقبل رسول الله ﷺ حتى قام على رؤوسهم، فأخذ قبضة من التراب

---

(١) **حسن**: رواه البزار (١٥)، وحسّنه ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٧٣٨).

فقال: «شاهت الوجوه» ثم حصبهم بها، فما أصاب رجلاً منهم من ذلك الحصى حصاةٌ إلا قتل يوم بدرٍ كافراً»[1].

٤- عن أنس رضي الله عنه أن امرأةً يهوديةً أتتْ رسول الله ﷺ بشاةٍ مسْمُومةٍ. فأكل منها. فجيءَ بها إلى رسول الله ﷺ فسألها عن ذلك؟ فقالت: أردتُ لأقْتُلَكَ. قال: «**ما كان الله ليُسَلِّطَكِ على ذاك**» أو قال ﷺ: «**عليَّ**» قالوا: ألا نقْتُلها؟ قال: «**لا**»[2].

٥- عن جابر رضي الله عنه أنه غزا مع رسول الله ﷺ قِبَلَ نجْدٍ، فلما قفل -أي: رجع رسول الله ﷺ قَفَلَ معهم، فأدْرَكتْهُم القائِلَةُ في وادٍ كثير العضاه، فنزل رسول الله ﷺ، وتفرَّقَ الناسُ يستظِلُّون بالشجر، ونزل رسول الله ﷺ تحت سَمُرَةَ فَعَلَّقَ بها سَيْفَهُ ونِمنَا نَومَةً، فإذا رسول الله ﷺ يدْعونا وإذا عنده أعرابيٌّ، فقال: «**إنَّ هذا اخترَطَ عليّ سيفي، وأنا نائمٌ فاستيقظتُ وهو في يدِه صَلْتاً، قال: من يمنعك منِّي؟ قلت: الله -ثلاثاً-** » ولم يعاقِبْهُ وجلس»[3].

٦- ولما أجمعت قُريشٌ على قتل رسول الله ﷺ أوحى الله إلى نبيه بالإذن بالهجرةِ، فخرج ﷺ هو وصاحبُهُ وأقاما في الغار، وجاءت قُريشٌ في

---

(١) **حسن**: رواه أحمد (١/ ٣٠٣)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٨٢٤)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢١٩٠).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٩١٠)، ومسلم (٨٤٣).

طلبهم، حتى انتهوا إلى الغار، فحال الله بينهم وبين دخوله، وأبو بكر يسمعُ حديثهم، فيقول من شدة خوفهِ على رسول الله ﷺ: يا رسول الله! لو أن أحدَهُم نظرَ تحت قدميه لأبصرنا، فقال: «**ما ظنُّكَ يا أبا بكر باثنين الله ثالثُهما، لا تحزن إن الله معنا**»[1]. فصرف الله المشركين فرجعوا خائبين، وخرج رسول الله ﷺ قاصداً المدينة. وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة].

٧- وتمتد عناية الله -عز وجل- وعصمته لنبيه ﷺ من محاولة سُراقة بن مالك النيل من رسول الله ﷺ، بالقتل أو الأسر للحصول على الدية التي رصدها كفار قريش مائة ناقة لمن يأتي برسول الله ﷺ قتيلاً أو أسيراً، وكما جاء على لسان سراقة بعد أن تتبع أثرهم قال: «حتى دَنَوْتُ منهم، فعَثَرَتْ بي فرسي، فخَرَرْتُ عنها، فقُمْتُ فأهوَيْتُ يدي إلى كِنَانَتِي، فاستخرجْتُ منها الأزلامَ، فاستقسمتُ بها: أضُرُّهُمْ أم لا، فخرج الذي أكرَهُ، فرَكِبتُ فرسي، وعصيتُ الأزلام تُقَرِّبُ بي، حتى إذا سمعتُ قراءة رسول الله ﷺ وهو لا

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦١٥)، ومسلم (٢٠٠٩).

يلتفتُ، وأبو بكر يُكثِرُ الالتفاتَ، ساخَتْ يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الرُّكبتين، فخررْتُ عنها، ثم زجرتها فنَهَضَتْ، فلم تكَدْ تُخرِجُ يَدَيْها، فلما استوتْ قائمةً إذا لأثرِ يَدَيْها عُثَانٌ -أي: دخان من غير نار- ساطعٌ في السماء مثل الدخان، فاستقسمتُ بالأزلام، فخرج الذي أكره، فنادَيْتُهُم بالأمانِ، فوقفوا فرَكِبتُ فرسي حتى جِئْتُهُم، ووقَعَ في نفسي حين لقيتُ ما لقِيتُ من الحبْسِ عنهم أن سيظهرُ أمرُ رسول الله ﷺ، فقلتُ له: إن قومك قد جعلوا فيك الدِّيَةَ، وأخبرْتُهُم أخبارَ ما يُريدُ الناسُ بهم، وعرَضْتُ عليهم الزَّادَ والمتاعَ، فلم يرْزآني ولم يسألاني، إلا أن قال: «أخفِ عَنَّا»، فسألتُهُ أن يكتُبَ لي كِتابَ أَمْنٍ، فأمرَ عامِرَ بن فُهَيْرَةَ فكتبَ في رُقْعَةٍ مِنْ أديمٍ، ثم مضى رسول الله ﷺ»[1].

رسولنا ﷺ معصومٌ في بدنه من القتل والأسر فقط، أما غيرُ ذلك من الأمراض والجوع والعطش والأذى والجروحِ والفقرِ فهو غيرُ معصومٍ منها.

والدليل على ذلك:

١- عن سعيد بن أبي وقاص قال: قلت: يا رسول الله! أي الناس أشدُّ بلاءً؟ قال: «**الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثلُ، يُبتلى العبدُ على حسب دينِهِ، فإن كان في دينه صُلْباً اشتَدَّ بلاؤه. وإن كان في دينه رقَّةٌ ابْتُلِيَ**

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٩٠٦).

على حَسَبِ دينه. فما يبرح البلاء بالعبد حتى يترُكَهُ يمشي على الأرض، وما عليه من خطيئةٍ»[1].

٢- وعن أبي سعيد الخدري؛ قال: دخلت على النبي ﷺ، وهو يُوعَكُ. فوضعت يدي عليه. فوجدتُ حَرَّة بين يدي فوق اللحاف، فقلت: يا رسول الله! ما أشدها عليك! قال: «**إنا كذلك. يُضَعَّفُ لنا البلاء ويُضَعَّفُ لنا الأجر**»، قلت: يا رسول الله! أي الناس أشد بلاء؟ قال: «**الأنبياء**». قلت: يا رسول الله! ثم من؟ قال: «**ثم الصالحون. إن كان أحدهم لَيُبتَلَى بالفقر. حتى ما يجد أحدُهُم إلا العَبَاءةَ يُحَوِّيها. وإن كان أحدهُم لِيَفْرَحُ بالبلاء كما يفرَحُ أحدُكم بالرخاء**»[2].

٣- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: دخلت على النبي ﷺ وهو يُوعَكُ فقلت: يا رسول الله! إنك تُوعَكُ وعكاً شديداً، قال: «**أجل إني أُوعكُ كما يُوعَكُ رجُلانِ منكم**». قلت: ذلك أن لك أجرين؟ قال: «**أجلْ ذلك كذلك، ما من مسلم يُصيبُهُ أذىً، شوكَةٌ فما فوقها إلا كفَّرَ الله بها سيئاتِه، وحُطَّتْ عنهُ ذُنُوبُهُ كما تحُطُّ الشجرةُ ورقها**»[3].

٤- عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما رأيت أحداً أشدَّ عليه الوجعُ من رسول الله ﷺ»[4].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٣٩٨)، وابن ماجه (٤٠٢٣)، وأحمد (١/ ١٨٥)، [«السلسلة الصحيحة» (١٤٣)].

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٤٠٢٤)، وأحمد (٣/ ٩٤)، [«السلسلة الصحيحة» (١٤٤)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٦٤٨)، ومسلم (٢٥٧١).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٦٤٦)، ومسلم (٢٥٧٠).

٥- وعن أنسٍ ﷺ قال: لَمَّا ثَقُلَ النبي ﷺ جعل يتغشَّاهُ الكربُ -أي: تنزل به الشدة من سكرات الموت- فقالت فاطمة ﷺ: واكربَ أبتاهُ. قال: «**ليس على أبيكِ كربٌ بعد اليوم**»[(١)].

٦- وعن ابن مسعود ﷺ قال: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، ضَرَبَهُ قومُهُ فأدْمَوْهُ، وهو يَمْسَحُ الدم عن وجهه وهو يقول: «**اللهم اغفرْ لقومي فإنهم لا يعلمون**»[(٢)].

٧- وقال ﷺ: «**قال الله -تعالى-: إنما بَعَثْتُكَ لأبْتَلِيَكَ وأبتلِيَ بك**»[(٣)]. فرسولنا ﷺ بشرٌ يصيبه ما يُصيبُ البشر، أما القتلُ والأسرُ فقد عصمه الله منهما.

أما عصمته ﷺ في اجتهاده فهذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة -إن شاء الله تعالى- إن كان في العمر بقية.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤٤٦٢).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٤٧٧)، ومسلم (١٧٩٢).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٦٥).

الثمرة الثامنة لدراسة السيرة النبوية العطرة

الإيمان بعصمة النبي ﷺ

رابعاً: عصمته ﷺ في اجتهاده

• **عباد الله!** يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة]. ويقول سبحانه: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمَرْجان من قصص القرآن: دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**. والتي نتكلم فيها عن قصةِ نبينا وحبيبنا محمدٍ ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها أيضاً: **الإيمان بعصمة النبي ﷺ**

لقد تكلمنا في الجمع الماضية عن عصمته ﷺ في تبليغ الوحي، وتبين لنا أن رسول الله ﷺ بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف

الغمة، وجاهد في سبيل دينه حتى أتاه اليقين، وترك أمتهُ على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالكٌ أو ضال.

وتكلمنا أيضاً عن عصمته ﷺ من الكفر والشرك، وكبائر الذنوب قبل البعثة وبعدها.

وتكلمنا في الجمعة الماضية عن عصمته ﷺ في عقله وبدنه، وتبين لنا أن رسول الله ﷺ معصومٌ في عقله، ومعصومٌ في بدنه من القتلِ والأسرِ فقط، أما المرضُ والجوعُ والعطشُ والجروحُ وغيرُ ذلك فليس معصوماً منها، بل يُصيبه ﷺ ما يُصيبُ البشر.

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع

عصمته ﷺ في اجتهاده.

اجتهد رسول الله ﷺ في أمورٍ، فإن وافق قوله أو فعله مرادَ الله تعالى فالأمرُ كما أخبر به رسول الله ﷺ، وإن كان الأمر يحتاج إلى تصحيح أو توضيح أوحى الله -تعالى- إلى نبيه بذلك، فالرسول ﷺ معصومٌ بالوحي في اجتهاده قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الكهف:١١٠].

وهذا أهم ما يفرق به بين اجتهاد النبي ﷺ، واجتهاد علماء أمته: أن اجتهاده ﷺ محروسٌ بوحي الله -تعالى-، فلا يُقَرُّ على خطأٍ، ومن هنا فهو حجةٌ في الدين ويحرمُ مخالفته، وليس كذلك اجتهادُ علماءِ أمتهِ. اللهم إذا كان اجتهاد علماء الأمة في عصرٍ من العصور وأجمعوا عليه فيحرمُ مخالفته[1].

(١) انظر: كتاب «رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ» (ص٤٢٨).

والأدلة على عصمة رسول الله ﷺ في اجتهاده كثيرةٌ، يشهد بها كتاب الله -عز وجل- وسنة رسول الله ﷺ وإجماع الأمة.

أولاً: الأدلة من القرآن الكريم على عصمته ﷺ في اجتهاده.

١ - قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء].

ووجهُ الاستدلال بهذه الآية الكريمة في موضعين:

الأول: أن الله تعالى أمر فيها بطاعته سبحانه وطاعة رسوله ﷺ، وطاعة الله -تعالى- إنما تكونُ بامتثال جميع ما نزل به وحيه على الرسول ﷺ.

وطاعة الرسول ﷺ إنما تكون بامتثال كلِّ حكمٍ يخْبرُ به، سواءٌ كان عن وحيٍ أو عن اجتهادٍ، وإلا لم يكن لتخصيص طاعةِ الرسول ﷺ بعد طاعة الله فائدة في الذكر. وبالتالي فالأمرُ بطاعته ﷺ دليلٌ على عصمته في اجتهاده.

الثاني: أن الله تعالى أمر في هذه الآية الكريمة المتنازعين في شيءٍ بالرد إلى الله وإلى الرسول، والرد إلى الله ردٌّ إلى وحيه المنزَّل على الرسول ﷺ سواءٌ أكان متلوّاً وهو القرآن، أم غير متلوٍ وهو السنة.

والرد إلى الرسول ﷺ يقتضي أن يكون الأمر المردود إليه غير داخلٍ في الوحي وإلا لزم التكرارُ، والذي لا يدخل في الوحي وتجبُ طاعةُ الرسول فيه هو ما أمر به باجتهاده بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾ [النساء:٨٣].

ووجه الاستدلال به أن الله تعالى قد سوى بين الرسول ﷺ وبين أولي الأمر -وهم العلماء- في الاستنباط. فلو لم يكن الاجتهاد جائزاً للرسول ﷺ وتجبُ طاعتهُ فيه لعصمته؛ لما كان للأمر بالرد أي فائدةٍ!!.

٢- وقوله تعالى: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ [المائدة:٤٢].

ووجه الاستدلال بالآية من ناحيتين:

الأولى: أن الله تعالى جعل الرسول ﷺ بالخيار في الحكم بينهم -أي: اليهود-، فإن شاء حكم، وإن شاء أعرض ولم يحكم، أي أن الأمر مفوضٌ إليه ﷺ، فإن رأى -باجتهاده- مصلحةً وحسن قبولٍ منهم لحكمه حكمَ بينهم وإلا أعرض عنهم، ولا ضرر عليه منهم.

الثانية: أن تقييد أمره بالحكم بينهم

﴿بِٱلۡقِسۡطِ﴾ يُشعرُ بزيادة تنبيهه ﷺ على تحري الصواب فيما يحكم به، وهو دليلٌ على أن الله تعالى أذن له ﷺ أن يحكم بينهم باجتهاده، لأنه لو كان الحكمُ بالوحي لم يكن لهذا القيد فائدة بالنسبة للرسول ﷺ؛ لأنه لا يحكم إلا بالقسط، فدل ذلك على عصمته ﷺ في اجتهاده فيما يحكمُ فيه.

٣- وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾ [النساء].

ووجه الاستدلال بالآية: أمَرَ ربُّ العزةِ عبادَهُ بتحكيم رسول الله ﷺ في كلِّ شأنٍ من شؤون حياتهم، وأن ينقادوا لحكمه انقياداً مطلقاً لا معارضةَ فيه، وإلا فلا يستحقوا وصف الإيمان.

- وإذا كان حكم رسول الله ﷺ على ما سبق -من الآيات السابقة- يكون بوحيٍ وباجتهادِهِ؛ دل ذلك على عصمته في اجتهاده، وإلا لما وجب التسليم لحكمه ﷺ تسليماً مطلقاً.
- فالآية دليلٌ على عصمته ﷺ في اجتهادِهِ، لأنه إذا اجتهد ﷺ في أمرٍ وأصاب الحق فيه أقره الوحي، وإن لم يصب الحق نزل الوحي فصوَّبهُ، فرسولنا ﷺ معصومٌ في اجتهادِهِ بالوحي.

٤- وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ [النساء].

فهذه الآية الكريمة احتج بها العلماء على حكم رسول الله ﷺ باجتهاده، وأن هذا الحكم معصومٌ فيه، بدلالة قوله تعالى: ﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ فإذا أقره ربُّ العزة على اجتهاده في حكمه فهو حكم الله في النهاية.

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: جاء رجلان من الأنصار يختصمان إلى رسول الله ﷺ في مواريث بينهما قد دَرَسَت، ليس بينهما بيّنة، فقال رسول الله ﷺ: «**إنكم تختصمون إليَّ، وإنما أنا بشرٌ، ولعلَّ بعضكُم ألحَنُ بحُجَّتِهِ** -أو قد قال: لِحُجَّتِه- **مِنْ بعضٍ، فإنما أقضي بينكم على نحو ما أسمع، فمن**

قضيتُ له من حقِّ أخيه شيئاً، فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعةً من النار»[1].

٥ - وقولـه تعـالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور].

وأفرد الضمير في قوله: ﴿لِيَحْكُمَ﴾ لإفادة أن حكم الله ورسوله واحدٌ، وهذا دليلٌ على أن رسول الله ﷺ معصومٌ في اجتهاده بالوحي.

٦ - وقولـه سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ [آل عمران].

إن هذه الآية تتحدث عن أمر رسول الله ﷺ للرماة يوم أحد الوارد في قوله ﷺ: «**اُحْمُوا ظهورنا، فإن رأيتمونا نُقْتلُ، فلا تنصُرونا، وإن رأيتمونا قد غنِمْنا فلا تشرَكُونا**»[2].

إن هذا الأمر النبوي للرماة يوم أحد أمرٌ اجتهادي منه ﷺ تقتضيه طبيعة المعركة يومها، وهو اجتهاد عُصم فيه رسول الله ﷺ، ووافق مراد الله تعالى بدليل عتاب المولى عز وجل للرماة في الآية السابقة، ووصفهم بالعصاة في قوله -عز وجل- ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [آل عمران].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٦٨٠)، ومسلم (١٧١٣).

(٢) **حسن**: رواه أحمد (١/ ٢٨٧)، [حسّنه الأرناؤوط في تحقيقه للمسند].

وتأمل: ﴿وَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم﴾ إنه تقرير لعصمة رسول الله ﷺ في أمره الاجتهادي للرماة يوم أحد، ووصف المخالفين له ﷺ يومئذٍ بالعصيان، ولكن عفا الله عنهم: ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٥٢﴾[1].

أدلةٌ من كتاب الله تفيدُ أن النبي ﷺ كان يجتهدُ في بعض الأمور، فإن وافق فيها حُكمَ الله نزل الوحي يؤيده ويُقره كما وقع في غزوة بدرٍ، فإن النبي ﷺ قال لأصحابه: «**هذه عيرُ قريشٍ فيها أموالُهم، فاخرجوا إليها لعل الله تعالى أن ينفلكموها**». وأن العير لما نجت وشاور النبي ﷺ أصحابه في الاشتباك بالقتال مع جيش قريشٍ الذي جاء للدفاع عن العير، وشجعه زعماء الأنصار على الإقدام، استبشر ﷺ وسُرَّ وقال: «**سيروا على بركة الله؛ وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين: العيرُ أو قريش. والله! لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم**» ثم نزلت سورة الأنفال بعد انتهاء المعركة فيها تأييدٌ لاجتهاده ﷺ كما قال تعالى: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ٦ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ٧ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ٨﴾ [الأنفال].

وإن كان اجتهاده ﷺ خلاف مراد الله عباد الله! نزل الوحي يصوبه ويرشده وينبهه مع شيءٍ من العتاب اللطيف من الله -عز وجل- ومن الأمثلة على ذلك:

---

(١) انظر: كتاب «رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ» (ص٤٣٣-٤٣٨).

١ - أخذه الفداء من أسرى بدر.

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٧ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٦٨ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٦٩﴾ [الأنفال].

٢ - استغفاره ﷺ والمؤمنون لبعض أقاربهم من موتى المشركين.

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١١٣﴾ [التوبة].

٣- تحريمه ﷺ على نفسه بعض ما أحلَّهُ الله له.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٢﴾ [التحريم].

ولسنا نرى مساساً بالعصمة النبوية من هذه الناحية، ولا من ناحية تلك الاجتهادات التي عوتب عليها في القرآن. فالاجتهادات التي عوتب عليها ليست ذنوباً يمكن أن يكون صدورها من النبي مناقضاً للعصمة التي يجب الإيمان بها فيه. وإنما هي خلاف لما هو الأولى في علم الله المغيَّب عنه فيما لا وحي فيه. والعصمة الواجب الإيمان بها ليست هي التي تجعل النبي يمتنع عليه أن يصدرَ منه أي فعل أو قول أو اجتهاد في مختلف شؤون الحياة والناس، قد يكون فيه الخطأ والصواب وخلاف الأولى الذي في علم الله، والذي لا ينكشف له إلا بوحي مما لا يمكن أن ينتفي عن الطبيعة البشرية

النبوية المقررة في القرآن، ولكنها التي تجعله يمتنع عن أي إثم أو جريمة أو فاحشة أو مخالفة للقرآن قولاً وفعلاً... وعن كتم أي شيء أوحي به إليه، أو تحريفه وتبديله نتيجة لما وصل إليه بنعمة الله وفضله من كمال الخلق والروح والعقل والإيمان، والاستغراق في الله الذي جعله أهلاً للاصطفاء الرباني[1].

ثانياً: الأدلة من السنة النبوية على عصمته ﷺ في اجتهاده.

١ - عن أبي قتادة رضي الله عنه أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! أرأيت إن قُتلتُ في سبيل الله تُكَفَّرُ عني خطاياي؟ فقال له رسول الله ﷺ: «**نعم. إن قُتِلْتَ في سبيل الله، وأنت صابرٌ محتَسِبٌ مُقْبِلٌ غيرُ مُدبرٍ**» ثم قال رسول الله ﷺ: «**كيف قُلتَ؟**». قال: أرأيت إن قُتِلْتُ في سبيل الله أتُكَفَّرُ عني خطاياي؟ فقال رسول الله ﷺ: «**نعم. وأنت صابرٌ محتسبٌ، مُقبِلٌ غير مدبرٍ إلا الدَّيْنَ. فإن جبريل، عليه السلام قال لي ذلك**»[2]. فتأمل! كيف اجتهد رسول الله ﷺ في الجواب عن سؤال في الإسلام! وكيف أقره وحي الله؛ مع الاستدراك في الجواب زيادة «**الدين**» على ما أجاب به رسول الله ﷺ!، وفي ذلك دلالةٌ على جواز الاجتهاد لرسول الله ﷺ في الإسلام وعصمته فيه.

---

(١) انظر: كتاب «سيرة الرسول ﷺ» (١/ ١٠١) محمد عزة دروزة.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٨٥).

٢- وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأةً جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن أمي نَذَرَتْ أن تَحُجَّ فماتَتْ قبلَ أن تَحُجَّ أفأحُجُّ عنها؟ قال: «**نعم حُجّي عنها، أرأيتِ لو كان على أُمِّكِ دَيْنٌ أكنتِ قاضيَتَه؟**» قالت: نعم. قال: «**فاقضوا الذي له، فإن الله أحقُّ بالوفاء**»[(١)].

ووجه الاستدلال بالحديث أنه ﷺ اجتهد في إجابة السائلة، واعتبر دين الله بدين العباد، وذلك بيان بطريق القياس، ولم يأت ما يخالف ذلك مما يدل على أن اجتهاده ﷺ وافق مراد الله -عز وجل- فصار إقراراً.

وبهذا الإقرار صار اجتهاده ﷺ حجة على العباد لعصمة الله له فيه، وبحكمه ﷺ (قضاء الدين عن الميت) قالت الأمة، وأجمعت عليه [(٢)].

٣- وعن عمر رضي الله عنه قال: «هششت فقبَّلت وأنا صائم، فجئت رسول الله ﷺ فقلت: إني صنعتُ اليوم أمراً عظيماً، قبلت وأنا صائم. قال: «**أرأيت لو مضمضت من الماء؟**» قلت: إذاً لا يضر. قال: «**ففيم!**»[(٣)]. أي: ففيم تسأل[(٤)]. قال الخطابي: «فإذا كان أحد الأمرين منهما غير مُفَطر للصائم فالآخر بمثابته[(٥)].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٣١٥)، ومسلم (١١٤٨).

(٢) ينظر: «المنهاج» شرح مسلم (٤/ ٢٨٢) رقم (١١٤٨)، و«فتح الباري» (٤/ ٢٢٨) رقم (١٨٥٢).

(٣) **صحيح بهذا اللفظ**: رواه ابن حبان (٣٥٤٤)، والدارمي (١٧٢٤)، وعبد بن حميد (٢١)، وأصله في أبي داود (٢٣٨٥)، [«صحيح سنن أبي داود» (٢٠٨٩)].

(٤) «الفتح الرباني» للساعاتي (١٠/ ٥٣).

(٥) «معالم السنن» (٣/ ٢٦٤).

ووجه الاستدلال بالحديث اجتهاده ﷺ في قياس القُبلة على المضمضة في عدم الأثر على الصوم، ولم يأت ما يخالف ذلك، فصار إقراراً من الوحي بعصمته فيما اجتهد فيه.

٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ في بعثٍ فقال: «**إن وجدْتم فلاناً وفلاناً فأحرقوهما بالنار**» ثم قال رسول الله ﷺ حين أردْنا الخروج: «**إني أمَرتُكم أن تحرقوا فلاناً وفلاناً، وإن النار لا يُعذِّبُ بها إلا الله، فإن وجدتموهما فاقتلوهما**»[(١)]. إن قوله: «**إن وجدتم فلاناً وفلاناً فاحرقوهما**» كان هذا الأمر منه أولاً اجتهاداً، ثم عدل عنه باجتهاد آخر؛ وعلله ﷺ بقوله: «**النار لا يعذِّب بها إلا الله**».

فهذه نماذج من الأحاديث التي تدل على اجتهاده ﷺ في الشريعة الإسلامية، وعصمة الله تعالى له فيها؛ إما بالإقرار إذا وافق اجتهاده مراده -عز وجل-، وإما بالتصويب والإرشاد إذا خالف اجتهاده مراده تعالى.

وفي كلا الأمرين (الإقرار والتصويب) هو بمنزلة الوحي الإلهي، يصير حجة على العباد إلى يوم الدين، ويحرم مخالفته[(٢)].

ثالثاً: وقد أجمعت الأمة على عصمة رسول الله ﷺ في اجتهاده في أمور الشرع وذلك لأنه ﷺ محروسٌ بالوحي.

كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الكهف:١١٠].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٠١٦).

(٢) انظر: كتاب «رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ» (ص٤٤٧).

أدلةٌ من القرآن والسنة على أن رسول الله ﷺ اجتهد في أمورٍ، فإذا أصاب مراد الله في اجتهاده أقَرَّهُ الوحيُ، وإذا لم يصب مرادَ الله نزل الوحي يُصوِّبهُ، فرسولنا ﷺ معصومٌ في اجتهاده بالوحي.

سؤالٌ: ما هي الحكمة من اجتهاد رسول الله ﷺ؟

والجواب: أن الله -عز وجل- حكماً في أن يترك الرسل يجتهدون، ثم ينبههم ويعاتبهم إذا أخطأوا؛ أبينُ بعضها بالنسبة لنبينا محمدٍ ﷺ على النحو التالي:

الحكمة الأولى: إقامة الدليل على بشرية الرسول ﷺ وعبوديته، وأنه مع كونه رسولاً، لم يتجاوز أن يكون عبداً يصيب ويخطئ، كما يصيب البشر ويخطئون؛ ولكنه لا يقَر على خطأ. ويدل على هذه الحكمة ويشهد لها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الكهف:١١٠].

وقوله ﷺ: «**إنما أنا بشرٌ، وإنه يأتيني الخصم، فلعلَّ بعضكم أن يكون أبلغَ من بعضٍ، فأحسبُ أنه صدق فأقضي له بذلك، فمن قضيتُ له بحقِّ مسلمٍ فإنما هي قطعةٌ من النار، فليأخذها أو ليتركها**»[1].

فرسولنا ﷺ بشرٌ عبدٌ نبيٌّ يوحى إليه، فلا يجوز أبداً أن نرفعه من منزلة البشرية والعبودية والنبوة والرسالة إلى منزلة الألوهية، كما فعلت النصارى

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧١٨١)، ومسلم (١٧١٣).

بعيسى بن مريم عليه السلام. ولذلك قال ﷺ: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبدٌ فقولوا: عبد الله ورسوله**».

الحكمة الثانية: البرهنة على أمانةِ الرسولِ ﷺ في إبلاغ الرسالة وعدم كتمانه شيئاً مما أُنزل عليه من ربه، إذ لو كتم شيئاً لكتم آيات العتاب ما خالف فيه الأولى.

يدل على ذلك:

عن أنس رضي الله عنه قال: (لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً لكتم هذه الآية: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ [الأحزاب:٣٧]).

الحكمة الثالثة: تشجيع الأمة على الاجتهاد، وإعمال الفكر فيما يعرض لها من قضايا وأحداث لا يجدون فيها نصوصاً، فإن الأحداث تتجدد، ولا تنتهي عند حد، فكيف يواجهها المسلمون ولا نصوص فيها؛ إذا لم يجتهد وليتعرفوا على أحكامها؟

الإيمان بعصمة رسول الله ﷺ من ديننا من عقيدتنا، وقد تبين لكم من الجُمع الماضية: أن رسول الله ﷺ معصومٌ في تبليغ الوحي، ومعصوم من الكفر والشرك وكبائر الذنوبِ قبل البعثة وبعدها، ومعصومٌ من القتل والأسرِ، ومعصومٌ في اجتهاده ﷺ.

أما الثمرة التاسعة التي سنقطفها -إن شاء الله تعالى- من دراستنا للسيرة النبوية العطرة فهذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة -إن شاء الله إن كان في العمر بقية.

الثمرة التاسعة لدراسة السيرة النبوية العطرة
الردُّ على شُبه الطاعنين في الوحي الإلهي

• **عباد الله!** يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۚ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۙ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنعام]، ويقول سبحانه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمَرْجان من قصص القرآن: دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**. والتي نتكلم فيها عن قصةِ نبينا وحبيبنا محمدٍ ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **الثمرة التاسعة التي سنقطفها -إن شاء الله تعالى- من دراستنا للسيرة النبوية العطرة ألا وهي: الرد على شُبه الطاعنين في الوحي الإلهي.**

أعداء الإسلام قديماً وحديثاً يريدون أن ينالوا من الإسلام بإلقاء الشبهات على الوحي الإلهي، وعلى كتاب الله، وعلى رسول الله ﷺ، ليصدوا عن سبيل الله وعن دين الله، وخابوا وخسروا.

فإن الله يقول: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنفال].

ومن شبهات أعداءِ الإسلامِ من المستشرقين حول الوحي الإلهي.

الشبهة الأولى:

- زعم بعض المستشرقين أن الوحي الذي جاء به محمدٌ ﷺ أمرٌ ذاتيٌّ من داخل نفسه.
- وزعم بعض المستشرقين أن محمداً ﷺ كان مصاباً ببعض الأمراض العقلية النفسية كالصرع والهوس والمسِّ التي أثرت عليه تأثيراً بالغاً، ونتج من ذلك ما ادعى أنه وحيٌ من الله. ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ [الكهف].

﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران:١١٨].

والرد على هذه الشبهة بما يلي:

أولاً: محمدٌ ﷺ رسول الله حقاً وصدقاً، شهدَ الله له بالرسالة وأنه رسول الله، وأوحي إليه كما أوحي إلى النبيين من قبله.

قال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح:٢٨-٢٩]. وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ [الرعد].

- وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء:١٦٣].
- وقال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [هود].
- وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [يونس]. وقال تعالى في وصفه ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم].

ثانياً: نقول لهؤلاء المستشرقين: الصرع والهوس والمسُّ يليق بكم أنتم، أما رسول الله ﷺ فقد عصمه الله في عقله، وعصمهُ في بدنه من القتل، ومن الأمراض المنفرة هذه، وسيرته العطرةُ تشهدُ له بذلك.

ونقول له أيضاً: ما جئتم بشيءٍ جديدٍ، وإنما قلتم ما قاله الكفرة؛ أعداءُ الدين من قبلكم في رسول الله ﷺ، والرسل من قبله: ساحرٌ، مجنونٌ، شاعرٌ، كاهنٌ.

- قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الذاريات].

• وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الطور].

وقد تحدى الله الكفار الذين عرفوا رسول الله ﷺ وعايشوه وخبروا حاله أن يثبتوا عليه جنوناً.

فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾ [سبأ].

ثالثاً: نقول لهؤلاء: هذه صور الوحي الذي كان يتلقاه النبي ﷺ من ربه، فهل هذا صرعٌ ومسٌ وهوسٌ أم أنتم لا تعقلون؟

الصورة الأولى للوحي: الرؤيا الصادقة.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: أول ما بُدِئَ به رسول الله ﷺ من الوحي الرُّؤْيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رُؤْيا إلا جاءتْ مِثلَ فَلَقِ الصُّبْح...»[1].

الصورة الثانية: ما كان يُلقيه المَلَكُ في روعه وقلبِهِ من غير أن يراهُ

قال ﷺ: «**إنَّ روح القدس**[2] **نفث في روعي**[3]، **أن نفساً لن تموت حتى تستكمْلَ أجلها، وتستوْعبَ رزقها، فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب، ولا يحملنَّ أحدَكم استبطاءُ الرزقِ أن يطلبَهُ بمعصية الله، فإن الله تعالى لا يُنالُ ما عنده إلا بطاعته**»[4].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠).

(٢) روح القدس: جبريل عليه السلام.

(٣) نفث في روعي: أي: نَفْسي وخَلَدي.

(٤) **صحيح**: رواه البزار (٢٩١٤)، وابن أبي شيبة (٣٤٣٣٢)، والطبراني في «الكبير» (٧٦٩٤)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٨٦٦)].

الصورة الثالثة: أنه ﷺ كان يتمثل له المَلَكُ رجلاً، فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول له، وفي هذه الصورة كان يراه الصحابة أحياناً.

• عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحنُ عند رسول الله ﷺ ذات يومٍ، إذ طلع علينا رجلٌ شديد بياض الثياب، شديد سواد الشَّعْر، لا يُرى عليه أثرُ السَّفَر، ولا يعرفه منا أحدٌ، حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى رُكبتيه، ووضع كفيه على فخذيه. ثم سأله عن الإسلام والإيمان والإحسان، وعن الساعة ثم انطلق. يقول عمر رضي الله عنه: فلبثت مليًّا، ثم قال لي ﷺ: «**يا عمر! أتدري من السائل؟**». قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإنه جبريل أتاكم يُعَلِّمُكُم دينَكُم**»[1].

• وقال ﷺ: «**وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول**»[2].

الصورة الرابعة: أنه كان يأتيه في مثل صلصلة الجرس، وكان أشدَّه عليه، فيتلبس به الملك، حتى إن جبينه ليتفصد[3] عرقاً في اليوم الشديد البرد، وحتى إن راحلته لتبرك به إلى الأرض...».

• سئل ﷺ: كيف يأتيك الوحي؟

فقال: ﷺ: «**أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليَّ، فيفصِمُ عنِّي، وقد وَعَيْتُ عنه ما قال**»[4].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٨).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٢).

(٣) ليتفصدُ عرقاً: أي: يسيل عرقُه.

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٢).

• وتقول عائشة رضي الله عنها: (ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصمُ عنه، وإن جبينه ليتفصَّدُ عرقاً)[1].

الصورة الخامسة: أنه يرى الملكَ في صورته التي خُلِقَ عليها، فيوحي إليه ما شاء الله أن يوحيه، وهذا وقع له مرتين، جاءه جبريل عليه السلام على هيئته التي خُلِقَ بها، فَسَدَّ الأُفقَ من عِظمِ خلقهِ.

• سألت عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ [التكوير]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [النجم]. فقال ﷺ: «**إنما هو جبريل عليه السلام، لم أره على صورته التي خُلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته مُنْهبطاً من السماء، سادّاً عِظَمُ خلقه ما بين السماء إلى الأرض...**»[2].

الصورة السادسة: ما أوحاه الله إليه وهو فوق السموات ليلة المعراج من فرض الصلاة وغيرها.

الصورة السابعة: كلام الله له ﷺ مباشرةً بلا واسطة ملك، كما كَلَّمَ الله موسى ابن عمران عليه السلام، كما في حديث الإسراء والمعراج الذي قال فيه ﷺ: «**ثم عَرَجَ بي حتى ظهرتُ**» -أي: علوت- «**لِمُستَوى**» -أي: صوت- «**أسْمَعُ فيه صريفَ الأقلام**»[3]. وهناك كَلَّمَ رسولُ الله ﷺ ربَّهُ، وكَلَّمَهُ رَبُّهُ.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٢).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٧٧).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣).

هذا هو الوحي ينزلُ على رسولِ الله ﷺ، وهذه صورهُ كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [الشورى].

رابعاً: نقول لهؤلاء المستشرقين: هذا القصص الذي جاء في كتاب الله للأمم السابقة، وللأنبياء مع أقوامهم، وقصةُ خلق آدم عليه السلام، والأمور الغيبية التي أخبر بها ﷺ ووقعت كما أخبر، وهذه المعجزات التي وقعت على يديه ﷺ، كلُّ ذلك كان بسبب الصرع والهوسِ والمسِّ؟!

﴿سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [النور].

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج].

وقد وصف الله لنا هؤلاء المستشرقين وأمثالهم ممن لا عقل لهم. فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان].

الشبهة الثانية:

• زعم بعض المستشرقين أن الوحي الذي جاء به محمدٌ مأخوذٌ من اليهودية والنصرانية.

• وزعم بعض المستشرقين أن محمداً ﷺ تتلمذ على رهبان النصارى كورقة بن نوفل، وصهيب الرومي، وسلمان الفارسي، وعلى أحبار اليهود كعبد الله بن سلام وغيره.

• وزعم بعض المستشرقين أن النبي ﷺ تأثر باليهود وأخذ منهم عندما هاجر إلى المدينة: ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [النور].

﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هود].

والردُّ على هذه الشبهة بما يلي:

أولاً: نقول لهم كما قال رب العزة: ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾ [آل عمران].

ما جئتم به من كذبٍ وبهتان، قاله كفار مكة قبلكم عن رسول الله ﷺ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [النحل].

ثانياً: نقول لهم: كيف أخذ رسول الله ﷺ الوحي الذي جاء به من اليهودية والنصرانية؟ وتتلمذ على أحبارهم ورهبانهم؟ ورسول الله ﷺ والوحي الذي جاء به يعلنان الحرب على اليهود والنصارى، ويبينان ضلالهم وكفرهم.

ومن الأمثلة على ذلك:

- قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾[التوبة].
- وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[التوبة: ٣٤].
- وقال تعالى عن اليهود: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾﴾[المائدة].
- وقال تعالى عن النصارى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢].
- وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ﴾[المائدة: ٧٣].
- وقال ﷺ: «**لعن الله اليهود، إنَّ الله حرَّمَ عليهم الشحوم، فباعوها، وأكلوا ثمنها، وإنَّ الله إذا حرَّمَ على قومٍ أكل شيءٍ حرَّمَ عليهم ثمنَهُ**»(١).
- وقال ﷺ: «**لعن الله اليهودَ والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»(٢).

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٤٨٨)، وأحمد (١/ ٢٤٧)، [«صحيح الجامع» (٤٩٨٣)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٨)، ومسلم (٥٢٩).

فلو كان الأحبار والرهبان معلمين له ﷺ لمدحهم، وجاملهم، وتودد إليهم، وتقرب منهم، ولم يقف منهم هذا الموقف العدائي، حتى لا يفضحوا أمره، ويكشفوا حاله. ثم إن كثيراً من هؤلاء الذين يزعمون أنهم كانوا مصدر الوحي كعبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي، وصهيب الرومي قد أسلموا، وإسلامهم حجة قائمة على صدق نبوة رسول الله ﷺ، وعصمته فيما بلَّغ من الوحي الإلهي، ولو كان هؤلاء أعانوا النبي ﷺ على الوحي، وأنه ليس من عند الله، لكانوا أدرى الناس حينئذٍ بحقيقة الإسلام، وبالتالي كانوا سيكونون أبعد الناس عنه، لأنهم يعرفون أنه دين ليس صحيحاً، ولكن أمّا وقد أسلموا وأخلصوا لله تعالى، لاسيما وأنه كانت هناك منافسة كبيرة بين أصحاب الأديان المختلفة في ذلك الوقت، فإن ذلك كان لاستئصال ألسنة الخرَّاصين، حتى يصابوا بالخرس رحمة بالتاريخ الذي كم لوثوه بألسنتهم هذه. وصدق رب العزة: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ [الرعد].

وقال عز وجل: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [الأحقاف].

ثالثاً: ومن أقوى ما يدل على أن الإسلام لم يكن مقتبساً من اليهودية أو النصرانية، وجود الخلاف في كثير من العقائد والأحكام بين الإسلام وبينهم، بل جعل الشارع الحكيم جنس مخالفتهم أمراً

مقصوداً له، ومن متطلبات الشرع، وهناك كثير من الأحكام جُعلت العلة فيها هي مخالفة اليهود أو النصارى.

من ذلك:

١ - قوله ﷺ: «**إن اليهود والنصارى لا يَصْبُغُون فخالفوهم**»(١).

٢ - وقوله ﷺ: «**خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم**»(٢).

٣- عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم، لم يؤاكلوها، ولم يجامعوهن في البيوت. فسأل أصحابُ النبي ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة].

فقال رسول الله ﷺ: «**اصنعوا كل شيءٍ إلا النكاح**» فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدعَ من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه»(٣).

قال الإمام ابن تيمية -رحمه الله-: (فهذا الحديث يدل على كثرة ما شرعه الله لنبيه من مخالفة اليهود، بل على أنه خالفهم في عامة أمورهم)، حتى قالوا: (ما يريد أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه)(٤).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٤٦٢)، ومسلم (٢١٠٣).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٦٥٢)، [«صحيح سنن أبي داود» (٦٠٧)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٣٠٢).

(٤) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ١٨٧).

فهذا إقرار من اليهود عليهم لعائن الله، بمخالفة النبي ﷺ لما كانوا عليه من شعائر حتى اشتهر ذلك بينهم، ألا يكفي ذلك برهاناً ساطعاً على بطلان قول المستشرقين: أن شعائر الإسلام لَتتفق مع شعائر اليهود؟

أولم يكفهم أنه ﷺ، أخرج اليهود أذلاء حقيرين من المدينة، وأجلاهم عنها لما نقضوا عهودهم معه، وأبى عليهم أن يساكنوه في بلد واحد؟

وإلى هذا أشار الله تعالى بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ [الحشر: ٢].

أَمَا وَقَفَ المستشرقون على الآيات والأحاديث العديدة الذَّامَّة لليهود، الهاتكة لستورهم؟ أفي ذلك أيضاً دلالة على أن النبي ﷺ كان يتقرب منهم ويتزلف لهم لكسبهم وإرضائهم؟!

عباد الله! إن النبي ﷺ، منذ أن بُعث، وحمل رسالة الإسلام، نسخ الأديان السابقة، وأبطل شرعيتها، فلا نجاة لأحد من الخلق: يهودياً كان أو نصرانياً إلا بالتزام شرعه، والسير على نهجه، وهو القائل ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده! لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة: يهودي ولا نصرانيٌّ، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار**»[1].

والحديث هنا بياناً وتأكيداً لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٥٣).

إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف].

فلا بقاء لدين مع دينه ﷺ، ولا شريعة مع شريعته، بل دينه هو الحاكم المهيمن على كل الأديان.

قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة:٤٨].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران].

أما الثمرة العاشرة التي سنقطفها من دراستنا للسيرة النبوية العطرة فهذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة -إن شاء الله تعالى- إن كان في العمر بقية.

الثمرة العاشرة لدراسة السيرة النبوية العطرة

الرد على شُبَهِ الطاعنين في السنة النبوة.

• **عباد الله!** يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة]. ويقول سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل]. ويقول سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الكهف: ١١٠].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمَرْجان من قصص القرآن: دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**. والتي نتكلم فيها عن قصةِ نبينا وحبيبنا محمدٍ ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **الثمرة العاشرة التي سنقطفها -إن شاء الله تعالى- من دراستنا للسيرة النبوية العطرة ألا وهي: الرد على شُبه الطاعنين في السنة النبوية.**

أعداء الإسلام قديماً وحديثاً يريدون أن يطعنوا في عصمة رسول الله ﷺ بإلقاء الشبهات على الوحي الإلهي، وعلى رسول الله ﷺ، وخابوا وخسروا، فإن العلماء وأئمة الهُدى لهم بالمرصاد.

• وأعداء السنة المطهرة قديماً وحديثاً يريدون أيضاً أن يطعنوا في سنة رسول الله ﷺ، وذلك: إما بالكذب على رسول الله ﷺ، وإما برد الأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ.

• وإذا كان من الخطأ والخطر قبول الأحاديث الباطلة والموضوعة، وعَزوها إلى رسول الله ﷺ، فمثله في البطلان رد الأحاديث الصحيحة الثابتة بالهوى، والعجب، والتعالم على الله ورسوله، وسوء الظن بالأمة وعلمائها، وأئمتها في أفضل أجيالها وخير قرونها.

• إن قبول الأحاديث المكذوبة يُدخلُ في الدين ما ليس منه، وفي سيرة رسول الله ﷺ ما ليس منها.

أما ردُّ الأحاديث الصحيحة فيُخرج من الدين ما هو منه، ومن سيرة النبي ﷺ ما هو منها.

ولا ريب أن كليهما مرفوضٌ مذمومٌ: قبول الباطل، وردُّ الحق.

ونحن في موعظة اليوم نردُّ على شُبه الطاعنين في السنة النبوية الصحيحة الثابتة في أصح كتابين بعد كتاب الله ألا وهما البخاري ومسلم.

أولاً: الرد على شُبهَ الطاعنين في حديث «فَتَرَ الوحي».

عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أولُ ما بُدِئَ به رسول الله ﷺ من الوحي الرُّؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رُؤيا إلا جاءت مثل فَلَق

الصُّبح، ثم حُبِّبَ إليه الخلاء[1]، وكان يخلوا بغار حِراءٍ، فيَتَحَنَّثُ فيه -وهو التعبُّدُ الليالي ذوات العدد- قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزوَّدُ لذلك، ثم يرجع إلى خديجة، فيتزوَّدُ لمِثلِها[2]. حتى جاءه (وفي روايةٍ: فَجِئَهُ) [3] الحقُّ وهو في غارِ حراءٍ، فجاءه الملكُ، فقال: اقرأْ، قال: ما أنا بقارئٍ، قال: فأخذني، فغطَّني حتى بلغَ منِّي الجَهْدَ، ثم أرسلني[4]، فقال: اقرأْ،قلتُ: ما أنا بقارئٍ، فأخذني فغطَّني الثانية، حتى بلغ منِّي الجهدَ، ثم أرسلني، فقال: اقرأْ، فقلتْ: ما أنا بقارئٍ، فأخذني فغَطَّني الثالثةَ، ثم أرسلني، فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [القلم].

فرجعَ بها رسولُ الله ﷺ يرجُفُ فؤادُه (وفي رواية: ترجف بوادره)[5] فدخل على خديجة بنت خويلدٍ، فقال: زَمِّلُوني زملُوني، فزمَّلُوهُ حتى ذهب عنهُ الرَّوعُ، فقال لخديجة: «**مالي؟**»، وأخبرها الخبر «**وقال:**» لقد خشيت على نفسي، فقالت (له) خديجة: كلاَّ (أبشر، فـ)والله ما يُخزيكَ الله أبداً، (فوالله) إنك لتصل الرَّحم، (وتصْدُق الحديث) وتحمل الكلَّ[6] وتكسِبُ المعدومَ،

(١) أي: الخلوة.

(٢) أي: الليالي.

(٣) أي: بغته (الحق) أي: الأمر الحق.

(٤) أي: أطلقني.

(٥) أي: أطرافه.

(٦) أي: تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك.

وتَقري الضيفَ، وتُعينُ على نوائبِ الحقِّ، فانطلقت به خديجة حتى أتتْ به وَرَقَةَ بن نوفلِ بن أسدِ بنِ عبد العُزَّى (بن قصي، وهو) ابن عمِّ خديجة (أخي أبيها) وكان امرأً قد تنصَّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العِبرانيَّ، فيكتُبُ من الإنجيل بالعبرانيةِ (وفي روايةٍ: الكتاب العربي، ويكتب من الإنجيل بالعربية) ما شاء الله أن يكتُبَ، وكان شيخاً كبيراً قد عَمِيَ، فقالت له خديجة: يا ابن عمِّ! اسمع مِن ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي! ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقةُ: هذا الناموسُ[1] الذي نزَّل الله على موسى، يا ليتني فيها جَذَعاً، ليْتني أكون حياً إذ يُخرجُكَ قومُك؟ فقال رسول الله ﷺ: أَوَمُخرِجيَّ هم؟ قال: نعم؛ لم يأت رجلٌ قط بمثل ما جئت به إلا عُودِيَ (وفي رواية: أُوذيَ)، وإن يُدركني يومُكَ أنصرْك نصراً مؤزَّراً، ثم لم ينشَبْ ورقةُ أن تُوفِّيَ، وفتر الوحي»[2].

وفي هذا الحديث زيادةٌ ضعيفةٌ في آخره.

عن الزهري بلاغاً قال: «وفتَرَ الوحي فترةً حتى حَزِنَ النبي ﷺ فيما بلغنا[3] حُزناً غدا[4] منهُ مراراً كي يتردَّى من رؤوس شواهق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبلٍ لكي يُلقِي منه نفسَهُ تبَدَّى له جبريل فقال: يا محمدُ! إنك

(١) هو صاحب السر، والمراد هنا: جبريل عليه السلام.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠).

(٣) فيما بلغنا... الخ من كلام الزهري كما في القسطلاني.

(٤) هو الذهاب بسرعة.

رسول الله حقاً، فيسكُنُ لذلك جأشُهُ وتَقِرُّ نفسُهُ، فيرجعُ، فإذا طالت عليه فترةُ الوحي غدا لِمِثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبلٍ تبدَّى له جبريل فقال له مثل ذلك»[1].

بهذه الرواية وزيادتها، طعن أعداء السنة والسيرة العطرة قديماً وحديثاً في المحدِّثين، وفي أصح الكتب بعد كتاب الله، البخاري ومسلم، زاعمين أن في هذه الرواية طعنٌ في نبوة رسول الله ﷺ وعصمته.

فقديماً قالوا: كيف يجوز للنبي أن يرتاب في نبوته حتى يرجع إلى ورقة، ويشكو لخديجة ما يخشاه، وحتى يُوفى بذروةِ جبلٍ ليلقى منها نفسَهُ.

وحديثاً: سلك أعداءُ السنة والسيرة طريق أسلافهم في الطعن في المحدثين وكُتب الحديث:

يقول أحدهم: (تراه -يعني حديث بدء الوحي- نصاً في أن رسول الله ﷺ كان -والعياذ بالله- مرتاباً في نبوته بعد تمامها، وفي المَلَكِ بعد مجيئه إليه، وفي القرآن بعد نزوله عليه، وأنه كان من الخوف على نفسه في حاجة إلى زوجته تشجعه، وإلى ورقة الأعمى الجاهلي).

ويقول الآخر: (كيف يجوز إرسال نبيٍّ يجهل نبوة نفسه، ويحتاج في تحقيقها إلى الاستعانة بامرأة، أو نصراني؟ ألم تكن هي فضلاً عن ذلك

(١) ذكره البخاري بلاغاً عند الحديث (٦٩٨٢) وهو غير ثابت، [«سلسلة الأحاديث الضعيفة» (١٠٥٢)].

النصراني أجدر بمقام النبوة من ذلك الخائف المرعوب الشاك؟ ثم كيف يتناسب ذلك مع كونه أراد أن يلقى نفسه من شواهق الجبال).

ويجاب على شُبهات الطاعنين في هذا الحديث بما يلي:

أولاً: الحديث الذي طعنوا فيه -بدون الزيادة- صحيحٌ سنداً ومتناً، وفي أعلى درجات الصحة، باتفاق البخاري ومسلم وغيرهما.

ثانياً: الزيادة الواردة في سند حديث عائشة ﵂ غيرُ ثابتةٍ عن رسول الله ﷺ، ولم يقل شيئاً منها، ولا فعلها، فهي لا تصحُّ سنداً ولا متناً لما يلي:

أ- فأما الدليل على عدم صحة هذه الرواية سنداً.. قال الشيخ الألباني -رحمه الله- (قلتُ: ونستنتج مما سبق أن لهذه الزيادة علتين:

الأولى: تفرد معمر بها دون يونس وعقيل فهي شاذة.

الثانية: أنها مرسلة معضلة؛ فإن القائل: (فيما بلغنا) إنما هو الزهري كما هو ظاهر من السياق، وبذلك جزم الحافظ في «الفتح» (١٢/ ٣٠٢) وقال: (وهو من بلاغات الزهري وليس موصولاً)[1].

ب- أما الدليل على عدم صحة هذه الزيادة متناً.. قال الشيخ الألباني -رحمه الله-: (وإذا عرفت عدم ثبوت هذه الزيادة، فلنا الحق أن نقول إنها زيادة منكرة من حيث المعنى، لأنه لا يليق بالنبي ﷺ

(١) انظر: كتاب «دفاع عن الحديث النبوي» (ص٧٢) للشيخ الألباني.

المعصوم أن يحاول قتل نفسه بالتردي من الجبل مهما كان الدافع له على ذلك وهو القائل: «**من تردى من جبل فقتل نفسه، فهو في نار جهنم يتردى فيها خالداً مخلَّداً فيها أبداً**[1]»[2].

ثالثاً: أما ما زعمه أعداء السنة المطهرة من أن ظاهر هذه العبارة «لقد خشيت على نفسي» يفيد ارتياب وشك رسول الله ﷺ في نبوته، فهذا من تخرصاتهم، ويرده سياق الحديث الذي وردت فيه هذه العبارة، وقبل بيان ذلك أقول: إن الله عز وجل إذا اصطفى أحداً لنبوته أو رسالته يخلق فيه علماً ضرورياً بنبوته، بحيث لا يبقى له قلق ولا اضطراب، كما يظهر من قصة سيدنا موسى عليه السلام حين توجه إلى جبل الطور بسيناء ليأتي بقبسٍ أو يجد على النار هدى.

ومعلوم أنه لم يكن مراقباً لما يصنع به، ولا منتظراً بما يكلف به، إذ ناداه ربه عز وجل من شاطئ الوادي الأيمن: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾﴾ [طه]. وأمره أن يذهب إلى فرعون إنه طغى، فلما سمعه موسى عليه السلام ألقى عليه في ساعته تلك من اليقين، والإذعان بنبوته، ما هوَّن عليه الدعوة لمثل فرعون الباغي الطاغي، ولم يشك في نبوته كجناح بعوضة، إلا أنه كان بشراً، خلق من ضعف، ولذا خاف من عصاه حين صارت جاناً

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٧٧٨)، ومسلم (١٠٩).

(٢) انظر: كتاب «دفاع عن الحديث النبوي» (ص٧٣) للشيخ الألباني -رحمه الله-.

-حية عظيمة- لما أمره ربه -عز وجل- بإلقائها من يده، قال تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [طه].

وقال سبحانه: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النمل].

وبمقتضى بشريته أيضاً خاف من القتل، كما حكى القرآن الكريم على لسانه: ﴿وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾﴾ [الشعراء].

ومن هنا شكى إلى ربه عن ضعفه، وسأله أن يجعل أخاه رِدءاً يصدقه، ويكون عوناً له فإنه كان أفصح لساناً، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾ [القصص].

ولم يكن هذا الخوف شكاً منه، أو إعراضاً عما أمره الله -عز وجل به- والعياذ بالله -بل إظهاراً لضعف جُبل عليه الإنسان، فإذا لم يشك من كان نبي بدون تمهيد، ولا سابقة خبر، فكيف بمن مُهد له تمهيداً، ومُرن تمريناً في النوم واليقظة؟[1].

(١) انظر: كتاب «رد شبهات حول عصمة النبي» (ص٢٣٩-٢٤٠).

ثانياً: الرد على شبه الطاعنين في حديث «سَحَرَ رسولَ الله ﷺ رجلٌ من بني زُرَيقٍ»

• عن عائشة رضي الله عنها قالت: سَحَرَ رسول الله ﷺ رَجُلٌ من بني زُرَيْقٍ يُقالُ له لَبِيدُ بنُ الأعصم[1]، حتى كان رسول الله ﷺ يُخَيَّلُ إليه أنه كان يفعلُ الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يومٍ أو ذاتَ ليلةٍ وهو عندي لكنه دعا ودعا، ثم قال: «**يا عائشة! أَشَعَرْتِ أنَّ الله أفتاني فيما استَفْتَيْتُهُ فيه؟ أتاني رجلان[2] فقعد أحدُهما عند رأسي، والآخر عند رِجْلَيَّ. فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرَّجُلِ؟ فقال: مطبوبٌ[3] قال: من طبَّه؟ قال: لَبِيدُ بنُ الأعصَم، قال: في أي شيءٍ؟ قال: في مُشْطٍ[4] ومُشاطَةٍ[5]، وجُفٍّ[6] طَلْعِ نخلَةٍ ذَكَرٍ، قال: وأين هو؟ قال في بئر ذروان**» فأتاها رسول الله ﷺ في ناسٍ من أصحابه، فجاءَ فقال: «**يا عائشة! كأنَّ ماءها نُقاعةُ الحِنَّاءِ، وكأنَّ رُؤُوسَ نخلها رُؤُوسُ الشياطين**» قلت: يا رسول الله! أفلا استخرجْتَهُ؟ قال: «**قد عافاني الله، فَكَرِهْتُ أن أُثَوِّرَ على الناس فيه شراً**» فأمَرَ بها فدُفِنَتْ»[7].

---

(١) رجلٌ من المنافقين أسلم نفاقاً، وكان حليفاً لليهود.

(٢) أي: ملكان في صورة رجلين.

(٣) أي: مسحور.

(٤) بضم الميم ويجوز كسرها، هو الآلةُ المعروفة التي يسرح بها شعر الرأس واللحية.

(٥) هي الشعر الذي يسقط من الرأس واللحية عند التسريح بالمشط.

(٦) هو الوعاء الذي يكون فيه ثمرة النخلة أو اللقاح.

(٧) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٧٦٣)، ومسلم (٢١٨٩).

• هذا الحديث ثابتٌ صحيحٌ عند أهل العلم بالحديث، مُتلقًّى بالقبول بينهم، لا يختلفون في صحته.

• ومع ذلك أنكر هذا الحديث بعضُ المبتدعة قديماً. قال الإمام النووي -رحمه الله-: (وقد أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث بسبب أنه يَحطُّ من مقام النبوة وشرفها، ويشكك فيها، وأن تجويزه يمنع الثقة بالشرع)[1].

وتابع المبتدعةَ طعناً في الحديث أذيالُهم من الرافضة، وأعداء الإسلام، وأدعياء العلم.

فيقول بعضهم: (اتهام الرسول بالسحر أو بأن بعضهم سحره، فيه تشكيك في الرسالة، وطعنٌ في الدين، ويفقد المصداقية في أي قول أو فعل يصدر منه، ومنه يدخل باب الشك في الإسلام جملة وتفصيلاً، ويتعارض مع قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾﴾ [الفرقان].

ويقول الآخر: (أحب أن أُكذِّبَ البخاري، من أن أنسبَ إلى رسول الله ﷺ أنهُ سُحِرِ).

ومنهم من يقول: (وأما الحديثُ على فرضِ صحتهِ فهو آحاد، والآحادُ لا يؤخذ بها في باب العقائد).

ومنهم من يقول: (نرجعُ في عقيدتنا إلى الكتاب والعقل فقط). ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ [الكهف].

---

(١) «المنهاج» شرح مسلم (٧/ ٤٣٠).

وبجاب على هذه الشُبهِ بما يلي:

أولاً: الحديث صحيحٌ وثابتٌ بأصح الأسانيد في أصح الكتب بعد كتاب الله -عز وجل- فقد رواه الشيخان في صحيحيهما.

ثانياً: الحديث إذا صح يؤخذ به في العقائد والأحكام، والتفرقة بين العقائد والأحكام في العمل بخبر الواحد، لا تُعرَفُ عن أحدٍ من الصحابة، ولا عن أحدٍ من التابعين، ولا من تابعهم، ولا عن أحدٍ من أئمة الإسلام، وإنما تُعرفُ عن رؤوس أهل البدع ومن تبعهم.

يقول أحدُ الأئمة: (وعلى قبول خبر الواحد: الصحابة والتابعون وفقهاء المسلمين، وجماعة أهل السنة، يؤمنون بخبر الواحد، ويدينون به في الاعتقادات) [1].

ثالثاً: قولهم: (علينا أن نفوض الأمر في الحديث، ولا نُحَكِّمَهُ في عقيدتنا، ونأخذ بنص الكتاب، وبدليل العقل. فهذا كلام خطير جداً، يفتح ثغرة ضد الثابت الصحيح من السنة، كما يفتح مجالاً لقالة السوء في الصدام بين الكتاب والسنة، والأمر ليس كذلك، بينما حدد لنا رسول الله ﷺ في حديثه الصحيح: «**تركتُ فيكم شيئين، لن تضلوا بعدهما: كتاب الله، وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض**» [2].

---

(١) «الابتهاج في أحاديث المعراج» (ص٧٨).

(٢) **حسن**: رواه الحاكم (٣١٩)، [«صحيح الجامع» (٢٩٣٤)].

رابعاً: زعمهم بأن الحديث يحط من منصب النبوة، ويُشككُ فيها، وفي عصمة الأنبياء، وأن تجويزه يمنعُ الثقة بالشرع. هذا الذي ادعاهُ هؤلاء المبتدعة باطلٌ، لأن الدلائل القطعية قد قامت على صدقه وصحته وعصمته فيما يتعلقُ بالتبليغ، والمعجزةُ شاهدةٌ بذلك، وتجويز ما قام الدليل بخلافه باطلٌ[1].

وسِحْر النبي ﷺ يرفعُ من مقام النبوة وشرفها، ولا يحط من شأنها، ولا يتعارض مع عصمته ﷺ، فالرسول ﷺ لم يكن معصوماً من الأمراضِ، فهو بشرٌ يأكل ويشرب ويمرضُ، ويؤذى، ويصيبه ما يصيب البشر.

قال ابن القيم -رحمه الله-: (والسحرُ الذي أصابه ﷺ كان مرضاً من الأمراض عارضاً شفاه الله منه، ولا نقص في ذلك ولا عيبَ بوجهٍ ما، فإن المرض يجوزُ على الأنبياء. وكذلك الإغماء، فقد أُغمي عليه ﷺ في مرضه، ووقع حين انفكَّتْ قدمه، وجُحِشَ شِقُّهُ -أي: انخدش- وهذا من البلاء الذي يزيده الله به رفعةً في درجاته، ونيل كرامته. وأشد الناس بلاءً الأنبياء، فابتلوا من أُممهم بما ابتلوا به من القتل والضرب والشتم والحبس، فليس ببدعٍ أن يبتلى النبي ﷺ من بعض أعدائه بنوع من السحر، كما ابتُلي بالذي رماه فشجَّهُ، وابتلي بالذي ألقى على ظهره سلا الجزور وهو ساجد وغير ذلك، فلا نقص عليهم ولا عار في ذلك، بل هذا من كمالهم، وعلو درجاتهم عند الله.

---

(١) «المنهاج» شرح مسلم (٧/ ٤٢٩).

وقد ثبت في الصحيح عن أبي سعيد الخدري ﷺ: «أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد! اشتكيتَ؟ فقال: «نعم» فقال: «باسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس، أو عين حاسد، الله يشفيك، بسم الله أرقيك»[1].

فعوَّذه جبريل من شر كل نفسٍ وعين حاسدٍ لما اشتكى. فدل على أن هذا التعويذ مزيل لشكايته ﷺ، وإلا فلا يعوذه من شيء وشكايته من غيره[2].

خامساً: قولهم: (بأن الحديث معارض للقرآن الكريم، ويُصَدِّقُ المشركين في قولهم: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾﴾ [الفرقان]. مردود بأن المشركين كانوا يقولون إن محمداً بشر، وأنه فقير، وأنه لا يعلم الغيب، فهل نكذبهم في ذلك؟! ثم إننا نعلم يقيناً، أن الكفار لا يريدون بقولهم هذا، أن يثبتوا لرسول الله ﷺ ما أثبته هذا الحديث، وهو أن فلاناً من اليهود سحره بضعة أيام، فأدركه شيء من التغير، وخيل إليه أنه يفعل بعض الشيء، وهو لا يفعله، ثم أن الله شفاه من ذلك، هم لا يريدون هذا، بل يريدون أن ما يصدر عن رسول الله ﷺ، إنما يصدر عن خيال وجنون، وأنه لم يوح إليه شيء، فإذا آمنا بما دل عليه الحديث لم نكن مصدقين للمشركين في دعواهم،

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢١٨٦).

(٢) «التفسير القيم» (ص٥٦٧).

فمفهوم الحديث شيء، ودعواهم شيء آخر.

سادساً: أما زعمهم أن السحر من عمل الشياطين، وصنع النفوس الشريرة الخبيثة، أما من تحصن بعبادة الله كالأنبياء، فليس للشيطان، ولا للشريرين عليهم من سلطان، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحجر]. هذا الزعم مردود عليهم بما ورد في القرآن الكريم من آيات تثبت تعرض الشيطان للأنبياء بأنواع الإفساد والإغواء، ومع ذلك عصمهم الله -عز وجل- بعدم تمكنه من إغوائهم، أو إلحاق ضرر بهم يضر بالدين، وتأمل قوله تعالى: في حق أيوب عليه السلام ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾ [ص].

وقوله سبحانه في حق آدم وزوجته: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البقرة:٣٦] ومن هنا لا يلزم من وقوع السحر في حق الأنبياء، إضلالهم وإغواؤهم، فإن ذلك ظن فاسد.

فالحديث لا يتعارض مع أي آيةٍ من القرآن الكريم، بل آيات القرآن الكريم تؤيدهُ نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ [الفلق]. فهذه السورة وسورة الناس، واللتين تسميان بالمعوِّذتين، نزلتا في قصة سحره ﷺ.

وهنا قد يرد **سؤالٌ**: إذا كانت عصمةُ الله وعنايته أحاطت رسول الله ﷺ، فلم أَثرَ فيه السحر؟

الجواب: لتعلمَ الأمةُ أن رسول الله ﷺ بشرٌ، يصيبه ما يصيب البشر من الأمراض والأذى والابتلاءات.

ولتعلمَ الأمةُ أيضاً كيف تُعالجُ نفسها من السحر، إذا وقع لواحدٍ من أبنائها شيءٌ من السحر، وهو علاجٌ نبويٌّ وردَ في الحديث ويكون بما يلي:

الأول: الصبر على البلاء

ابتغاء الأجر والمثوبة الواردة في قوله ﷺ: «**ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه، وولده، وماله، حتى يلقى الله وما عليه خطيئة**»(١).

وكذلك الأنبياء يُبتلون ابتغاء أجر البلاء، وهو في حقهم لرِفعة درجاتهم، وإظهاراً لشرفهم، كما قال -عز وجل-: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [محمد].

وفي الحديث عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! أيُّ الناس أشد بلاءاً. قال: «**الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتُلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد، حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة**»(٢).

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٣٩٩)، وأحمد (٢/ ٢٨٧)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٢٨٠)].

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٣٩٨)، وأحمد (١/ ١٧٢)، [«صحيح الجامع» (١٤٣)].

وقال النبي ﷺ: «**إن عِظمَ الجزاءِ مع عِظَمِ البلاءِ، وإن الله -تعالى- إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضِيَ فلَهُ الرِّضا، ومن سَخِطَ فلَهُ السُّخطُ**»(١).

كيف لا؟ وإن الصبر على المرض طريقٌ إلى الجنة.

عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباسٍ رضي الله عنهما: ألا أُريك امرأةً من أهل الجنة؟ فقلت: بلى! قال: هذه المرأة السوداء، أتتِ النبيَّ ﷺ فقالت: إني أُصرَعُ، وإني أتكشَّفُ، فادعُ الله تعالى لي. قال: «**إن شئتِ صبرتِ ولكِ الجنة، وإن شئتِ دعوتُ الله تعالى أن يُعافِيَكَ**» فقالت: أصبرُ، فقالت: إني أتكشَّفُ فادعُ الله أن لا أتكَشَّفَ، فدعا لها»(٢).

ومن هنا صبر رسول الله ﷺ على سحره يحتسب أجر ذلك عند الله تعالى.

الثاني: كثرة الدعاء

ففي الحديث الذي معناه: صبر ﷺ فترةً، ثم دعا، ودعا، ودعا. وفي هذا تعليمٌ للأمة، أنهُ للمُبتلى منها بالسحر أو بأي مرضٍ عليه بكثرة الدعاء: لأن الله -عز وجل- يقول: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

وقال ﷺ: «**لا يردُّ القضاءَ إلا الدعاء**»(٣).

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٣١)، [«صحيح سنن الترمذي» (١٩٥٣، ١٩٥٤)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٦٥٢)، ومسلم (٢٥٧٦).

(٣) **حسن**: رواه الترمذي (٢١٣٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٣٩)].

وقال ﷺ: «**إن الدعاء ينفعُ مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله! بالدعاء**»[1].

وقال ﷺ: «**ليس شيءٌ أكرمَ على الله من الدعاء**»[2].

- فها هو رسولنا الكريم ﷺ دعا ربه في مرضه، فاستجاب الله له، وشفاه من مرضه.

- وها هو نبيُّ الله أيوب عليه السلام دعا ربه في مرضه، فاستجاب الله له، وشفاه من مرضه.

قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ [الأنبياء:٨٣-٨٤].

الثالث: الرُّقية الشرعية.

- قراءة سورة الفاتحة.
- قراءة آية الكرسي.
- قراءة آخر سورة البقرة.
- قراءة المعوذتين: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾﴾ [الفلق]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾﴾

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٥٤٨)، وأحمد (٥/ ٢٣٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٣٤)].

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (٣٣٧٠)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٢٩)].

[الناس] ففي بعض روايات هذا الحديث أنه ﷺ رُقِيَ بهاتين السورتين، وكلما رُقيَ بآيةٍ انحلت عقده، حتى انحلت العُقَدُ كلها، وشُفِيَ بفضل الله تماماً[1].

وبعد، يا عباد الله! فإن حديث سحر رسول الله ﷺ لا يتعارض مع عصمته ﷺ، ولا يشكك في النبوة، كما أنه لا يمثل ثغرة في السنة والسيرة العطرة، وإنما يمثل نقطة مشرقة، إنه سُحر، لكنه لم يخرج عن دائرة الصواب، بل كان في أعلى درجات الاستقامة والهداية، وهذا يدل على أن السحر لم يؤثر في قواه ﷺ العقلية، ولا في درجته الإيمانية، وإنما كان مؤثراً في أداء الجسم، وهذا لا علاقة له بالرسالة والوحي، والعصمة، ومع أنه أمر جسدي، فإن الرعاية الإلهية قد شملته، وتولاه الله بالحفظ، وسلمه سبحانه وشفاه.

أما الثمرة الحادية عشرة التي سنقطفها من السيرة النبوية العطرة فهذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة -إن شاء الله تعالى-

(١) «السلسلة الصحيحة» (٦/ ٦١٧-٦١٩).

الثمرة الحادية عشرة لدراسة السيرة النبوية العطرة

الرد على شُبَه الطاعنين في زواجه ﷺ

• **عباد الله!** يقول -عز وجل- في كتابه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴿٥٨﴾﴾[الأحزاب]، ويقول سبحانه: ﴿وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٦١﴾ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدٗا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡخِزۡيُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾[التوبة].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمَرْجان من قصص القرآن: دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**. والتي نتكلم فيها عن قصةِ نبينا وحبيبنا محمدٍ ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **الثمرة الحادية عشرة التي سنقطفها -إن شاء الله تعالى- من دراستنا للسيرة النبوية العطرة ألا وهي: الردُّ على شُبهِ الطاعنين في زواجه ﷺ**.

أعداءُ الإسلام قديماً وحديثاً يطعنون في رسول الله ﷺ بإلقاء الشبهِ

عليه ليصدوا الناس عن دين الله، وخابوا وخسروا فإن الله -عز وجل- يقول: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة].

• وهذه سنة الله في خلقه. قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام:١١٢].

• ومن شُبه هؤلاء المجرمين الحاقدين الحاسدين أنهم يقولون: «لقد كان محمدٌ رجلاً شهوانياً، يسير وراء شهواته وملذاتهِ، ويمشي مع هواه، لم يكتف بزوجةٍ واحدةٍ أو بأربع كما أوجبَ على أَتباعهِ، بل عدَّدَ الزوجات فتزوج عشر نسوةٍ أو يزيد، سيراً مع الشهوة وميلاً مع الهوى!».

كما يقولون أيضاً: «فرقٌ كبيرٌ وعظيمٌ، بين «عيسى» وبين «محمدٍ»، فرقٌ بين من يغالب هواه، ويجاهد نفسه كعيسى بن مريم، وبين من يسيرُ مع هواه، ويجري وراء شهواته كمحمدٍ» ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ [الكهف].

﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [النور:١٦].

• والمجرمون أعداءُ الرسُلِ قديماً وحديثاً يفترون كذباً على رُسُلِ الله ولذلك قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾ [الأنعام:٣٣].

ويقول له أيضاً: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ [فصلت:٤٣]. ويقول له أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ [الأحزاب].

والردُّ على شُبهِ الطاعنين في شخصِ رسول الله ﷺ وفي زواجه نقول لهم:

أولاً: يا أعداء الإسلام! ﴿مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾ [آل عمران].

ونقول لهم: الزواج في ديننا الإسلامي مشروعٌ.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم].

وقال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ [النور:٣٢].

وقال تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء:٣].

وقال ﷺ: «**يا معشر الشباب! مَن استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغضُّ للبصر، وأحصن للفرجِ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وِجاءٌ**»(١).

ونقول لهم: يا أعداء الإسلام! الزواج من سنن الأنبياء والمرسلين.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد:٣٨].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٠٦٥)، ومسلم (١٤٠٠).

ورسولنا محمدٌ ﷺ كان بشراً نبياً، تزوج كما يتزوج البشر، ليكون قدوةً للبشر في سلوك الطريق السوي، وليس إلهاً -كما يعتقدُ النصارى في عيسى عليه السلام- إنما هو بشرٌ مثلهم، فضَّله الله عليهم بالوحي والرسالة.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠].

فرسولنا ﷺ بشرٌ أباح الله له أن يتزوج النساء كما يتزوج البشر.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

- وقال ﷺ للثلاثةِ رهطٍ الذين سألوا عن عبادته: «**أما والله! إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصومُ وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوَّج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[1].
- وقال ﷺ: «**حُبِّبَ إليَّ من دُنياكم: النساءُ والطيب، وجُعلَتْ قُرةُ عيني في الصلاة**»[2]. فرسولنا ﷺ بشرٌ يحب الطيبَ والنساءَ والطعامَ والشرابَ كما يحبه البشر جميعاً، فما هو العيبُ في ذلك يا أعداء الإسلام؟!

ثانياً: نقول لهم: يا أعداء الإسلام! رسولنا ﷺ لم يكن رجلاً شهوانياً، يسير

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

(٢) **صحيح**: رواه النسائي (٣٩٣٩)، وأحمد (٣/ ٢٨٥)، [«صحيح الجامع» (٣١١٩)].

وراء شهواته وملذاته. والدليل على ذلك:

١- تزوج وهو شابٌّ في الخامسة والعشرين من عمره بخديجة ﵂ وهي في الأربعين من عمرها وكانت ثيباً.

٢- عاش ﷺ مع خديجة ﵂ خمساً وعشرين سنةً، ولم يتزوج عليها حتى ماتت.

٣- لم يعدد ﷺ زوجاته إلا بعد أن جاوز الخمسين من عمره.

٤- جميع زوجاته الطاهرات ثيبات «أرامل» ما عدا عائشة ﵂ فهي البكرُ الوحيدةُ.

فلو كان المراد من الزواج الجريَ وراء الشهوة، أو السير مع الهوى، أو مجرد الاستمتاع بالنساء، لَتزوج في سن (الشباب) لا في سن (الشيخوخة)، ولتزوج (الأبكار الشابات) لا (الأرامل المسنّات)، وهو القائل لجابر بن عبد الله حين جاءه وعلى وجهه أثر التطيب والنعمة: «**هل تزوجت؟**» قال: نعم، قال: «**بكراً أم ثيباً؟**» قال: بل ثيباً، فقال له ﷺ: «**فهلا بكراً تلاعبها وتلاعبك، وتضاحكها وتضاحكك؟**»[1].

فالرسول الكريم أشار عليه بتزوج البكر، وهو عليه الصلاة والسلام يعرف طريق الاستمتاع وسبيل الشهوة، فهل يُعقل أن يتزوج الأرامل

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٣٤٧)، ومسلم (٧١٥).

ويترك الأبكار، ويتزوج في سن الشيخوخة، ويترك سن الصبا، إذا كان غرضه الاستمتاع والشهوة؟!.

إن الصحابة -رضوان الله عليهم- كانوا يَفْدون رسول الله ﷺ بمُهجهم وأرواحهم، ولو أنه طلب الزواج لما تأخر أحد منهم عن تزويجه بمن شاء من الفتيات الأبكار الجميلات، فلماذا لم يعدّد الزوجات في مقتبل العمر، وريعان الشباب؟، ولماذا ترك الزواج بالأبكار، وتزوج الثيبات؟ إن هذا -بلا شكٍ- يدفع كل تقوّلٍ وافتراءٍ، ويدحضُ كلَّ شبهةٍ وبهتان، ويرد على كل أفاكٍ أثيم، يريد أن ينال من الرسول الكريم، أو يشوه سمعتهُ، فما كان زواج الرسول ﷺ بقصد (الهوى)، أو (الشهوة) وإنما كان لِحِكَمٍ جليلةٍ، وغاياتٍ نبيلةٍ، وأهدافٍ ساميةٍ، سوف يُقرَّ الأعداء بنبلها. وجلالها إذا ما تركوا التعصب الأعمى الذي أعمى قلوبهم، وحكَّموا العقل والوجدان، وسوف يجدون في هذا الزواج (المثل الأعلى) في الإنسان الفاضل الكريم، والرسول النبي الرحيم، الذي يضحي براحته في سبيل مصلحةِ غيرِهِ، وفي سبيل مصلحةِ الدعوةِ والإسلام.

ثالثاً: نقول لهم: يا أعداء الإسلام! رسولنا ﷺ لم يكن رجلاً شهوانياً يسير وراء شهواته وملذاته، وإنما كان بشراً نبياً، تزوج لأنه بشرٌ، وعدَّدَ لِحِكمٍ جليلةٍ منها:

أولاً: الحكمة التعليمية:

لقد كانت الغاية الأساسية من تعدد زوجات الرسول ﷺ هي تخريج بضع معلمات للنساء، يعلمهن الأحكام الشرعية، فالنساء نصيف المجتمع، وقد فُرِضَ عليهن من التكاليف ما فُرض على الرجال.

وقد كان الكثيرات منهن يستحيين من سؤال النبي ﷺ عن بعض الأمور الشرعية وخاصة المتعلقة بهن. كأحكام الحيض والنفاس والجنابة والأمور الزوجية وغيرها من الأحكام.

وقد كانت المرأة تُغالبُ حياءها حينما تريدُ أن تسأل الرسول ﷺ عن بعض هذه المسائل، كما كان من خُلِقِ الرسول ﷺ الحياءُ الكاملُ، وكان ﷺ أشدَّ حياءً من العذراء في خدرها، فما كان ﷺ يستطيع أن يجيبَ عن كل سؤالٍ يُعْرَضُ عليه من جهة النساء بالصراحة الكاملة، بل كان يُكنى في بعض الأحيان، ولربما لم تفهم المرأة عن طريق (الكناية) مرادَهُ ﷺ.

- عن عائشة رضي الله عنها: (أن امرأة من الأنصار سألت النبي ﷺ عن غُسلها من الحيض، فأمرها كيف تغتسل ثم قال: «**خذي فِرْصَةً من مِسكٍ فتطهري بها**»، قالت: كيف أتطهر بها. قال: «**سبحان الله تطهري بها**» فاجتذبتُها إليَّ، فقلت: تتبعي بها أثر الدم)[1].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣١٤)، ومسلم (٣٣٢).

فكان ﷺ يستحي من مثل هذا التصريح، وهكذا كان القليل أيضاً من النساء من تستطيع أن تتغلب على نفسها وعلى حيائها فتجاهر النبي ﷺ بالسؤال عما يقعُ لها.

ومن الأمثلة على ذلك:

• عن أم سلمة؛ قالت: جاءت أم سُلَيم إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله! إن الله لا يستحيي من الحق، فهل على المرأة مِنْ غُسْلٍ إذا احتلمَتْ؟ فقال رسول الله ﷺ: «**نعم! إذا رأت الماءَ**»، فقالت أمُّ سلمةَ: يا رسول الله! وتحْتلِمُ المرأةُ؟ فقال: «**تربتْ يداكِ. فَبِم يُشبهُها ولَدُها**»[1].

وهكذا مثلُ هذه الأسئلة المحرجة، كان يتولى الجوابَ عنها فيما بعد زوجاتُه الطاهرات، ولهذا تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: (رحم الله نساء الأنصار، ما منعهن الحياءُ أن يتفقهن في الدين). وكانت المرأة منهن تأتي إلى السيدة عائشة في الظلام لتسألها عن بعض أمور الدين، وعن أحكام الحيض والنفاس والجنابة وغيرها من الأحكام، فكان نساءُ الرسول ﷺ خيرَ معلماتٍ وموجهاتٍ لهن، وعن طريقهن تفقه النساء في دين الله.

ثم إنه من المعلوم أن السنة المطهرة ليست قاصرة على قول النبي ﷺ فحسب، بل هي تشمل قوله، وفعله، وتقريره، وكل هذا من التشريع الذي

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٣٠)، ومسلم (٣١٣).

يجب على الأمة إتباعه، فمن ينقل لنا أخبارَه وأفعاله عليه السلام في المنزل غير هؤلاء النسوة اللواتي أكرمهن الله، فكنَّ أمهات للمؤمنين، وزوجاتٍ لرسوله الكريم في الدنيا والآخرة؟!

ومن الأمثلة على ذلك:

- عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناءٍ بيني وبينه واحدٍ (تختلف أيدينا فيه)، فيبادرني حتى أقول: دعْ لي، دعْ لي)[1].
- وعن عائشة أيضاً قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن (يأكل أو) ينام وهو جنبٌ غسل فرجه، وتوضأ وضوءه للصلاة»[2].
- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ إذا أجنب فأراد أن ينام توضأ، أو تيمم)[3].
- وعن عبد الله بن قيس قال: (سألت عائشة قلت: كيف كان ﷺ يصنع في الجنابة؟ أكان يغتسل قبل أن ينام، أم ينام قبل أن يغتسل؟، قالت: كل ذلك قد كان يفعل، ربما اغتسل فنام، وربما توضأ فنام. قلت: الحمد الله الذي جعل في الأمر سعة)[4].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٦١) ومسلم (٣٢١) واللفظ لمسلم وما بين ( ) من البخاري.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٨٨)، ومسلم (٣٠٥) وما بين ( ) زيادة من النسائي (٢٥٥).

(٣) رواه أحمد (٦/ ٨٥)، [«آداب الزفاف»].

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٣٠٧).

• وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يأمر إحدانا إذا كانت حائضاً أن تتَّزر، ثم يضاجعها زوجها، وقالت مرة: يباشرها»[1].

لا شك أن لزوجاته الطاهرات -رضوان الله عليهن- أكبر الفضل في نقل جميع أحواله وأطواره، وأفعاله المنزلية عليه -أفضل الصلاة والتسليم- ولقد أصبح من هؤلاء الزوجات معلمات ومحدثات نقلن هديه عليه السلام واشتهرنَّ بقوة الحفظ والنبوغ والذكاء.

ثانياً: الحكمة التشريعية:

من حِكم تعدُّد زوجاته ﷺ: إبطال بعض العادات الجاهلية المستنكرة كبدعة (التبني) التي كان يفعلها العربُ قبل الإسلام، فقد كانت ديناً متوارثاً عندهم، يتبنَّى أحدهم ولداً ليس من صُلبه، ويجعلهُ في حكم الولد الذي من صلبه، ويتخذه ابناً حقيقياً، لهُ حكمُ الأبناء من النسب في جميع الأحوال: في الميراث، والطلاق، والزواج، ومحرمات المصاهرة، ومحرمات النكاح، إلى غير ما هنالك مما تعارفوا عليه، وكان ديناً تقليدياً متبعاً في الجاهلية.

وتبنى النبي ﷺ قبل البعثة زيد بن حارثة على عادة العرب قبل الإسلام، وأصبح الناسُ يدعونه بعد ذلك (زيد بن محمد).

• عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «إن زيد بن حارثة مولى رسول الله

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٦٨)، [«آداب الزفاف» (ص١٢٤)].

ﷺ ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد، حتى نـزل القـرآن: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب:٥]، فقال النبي ﷺ: «**أنت زيدُ بن حارثة**»(١).

• وقد زوجه عليه السلام بابنةِ عمته (زينب بنت جحش) وقـد عاشـت معـه مـدةً من الزمن، ولكنها لم تَطُل، فقد ساءت العلاقات بينهما، فكانـت تُغلـظ له القول، وترى أنها أشرفُ منه، لأنه كـان عبـداً مملوكـاً قبـل أن يتبنـاه الرسول ﷺ وهي ذاتُ حسب ونسب.

ولحكمةٍ يريدها الله -عز وجل- طلّق زيدٌ زينبَ، فأمر الله رسولَهُ أن يتزوجها، ليبطل (بدعة التبني) ويقيم أسس الإسلام، ويأتي على الجاهلية من قواعدها، ولكنه عليه السلام كان يخشى من ألسنة المنافقين والفجار، أن يتكلموا فيه ويقولوا: تزوج محمد امرأة ابنه، فكان يتباطأ حتى نزل العتاب الشديد لرسول الله ﷺ، في قوله -جلَّ وعلا-: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الأحزاب].

وهكذا انتهى حكم التبني، وبطلت تلك العادات التي كانـت متبَعـة في الجاهلية، وكانت ديناً تقليدياً لا محيد عنـه، ونـزل قولـه تعـالى مؤكـداً هـذا التشريع الإلهـي الجديـد: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٧٨٢)، ومسلم (٢٤٢٥) ولم أجد لفظة «أنت زيد بن حارثة».

وقد كان هذا الزواج بأمرٍ من الله تعالى، ولم يكن بدافع الهوى والشهوة كما يقول بعض الأفاكين المرجفين من أعداء الله، وكان لغرض نبيل، وغاية شريفة هي: إبطال عادات الجاهلية، وقد صرح الله -عز وجل- بغرض هذا الزواج بقوله: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ...﴾ [الأحزاب:٣٧].

وقد تولى الله -عز وجل- تزويج نبيه الكريم بزينب، امرأة ولده من التبني، ولهذا كانت تفخر على نساء النبي بهذا الزواج الذي قضى به رب العزة من فوق سبع سماواته.

روى البخاري بسنده أن (زينب) رضي الله عنها كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ وتقول: زوجَكُنَّ أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سموات[1].

وهكذا كان هذا الزواج للتشريع، وكان بأمر الحكيم العليم، فسبحان من دقَّت حكمته أن تحيط بها العقول والأفهام. وصدق الله ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء].

ثالثاً: الحكمة الاجتماعية:

وهذه الحكمة تظهرُ بوضوحٍ في تزوج النبي ﷺ بابنة الصديق (أبي بكر) رضي الله عنه وزيره الأول، وصاحبه في الغار، ثم بابنة وزيره الثاني (الفاروق عمر) رضي الله عنه، ثم باتصاله عليه السلام بقريشٍ اتصال مصاهرةٍ ونسب، وتزوجه العديد منهن، مما ربط بين هذه البطون والقبائل برباطٍ وثيقٍ، وجعل القلوب تلتفُّ حولهُ، وتلتقي حول دعوتَهِ في إيمان، وإكبار، وإجلال.

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٧٤٢٠).

لقد تزوج النبي -صلوات الله عليه- بالسيدة (عائشة)، بنت أحب الناس إليه، وأعظمهم قدراً لديه، ألا وهو أبو بكر الصديق، الذي كان أسبق الناس إلى الإسلام، وقدّم نفسه وروحه وماله، في سبيل نصرة دين الله، والذود عن رسوله، وتحمّل ضروب الأذى في سبيل الإسلام، حتى قال ﷺ مُشيداً بفضل أبي بكر: «**ما لأحدٍ عندنا يدٌ إلا وقد كافيناه بها، ما خلا أبا بكر، فإن له عندنا يداً يكافئه الله تعالى بها يوم القيامة، وما نفعني مال أحدٍ قطُّ ما نفعني مالُ أبي بكر، ولو كنتُ متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن صاحبكم خليل الله**»[1]. فلم يجد الرسول ﷺ مكافأة لأبي بكر في الدنيا، أعظم من أن يُقر عينه بهذا الزواج بابنته. ويصبح بينهما مصاهرة وقرابة، تزيد في صداقتهما، وترابطهما الوثيق.

كما تزوج ﷺ بالسيدة (حفصة بنت عمر) فكان ذلك قرة عين لأبيها عمر على إسلامه، وصدقه، وإخلاصه، وتفانيه في سبيل هذا الدين، وعمر هو بطل الإسلام، الذي أعزَّ الله به الإسلام والمسلمين، ورفع به منار الدين، فكان اتصاله ﷺ به عن طريق المصاهرة، خيرَ مكافأة له على ما قدم في سبيل الإسلام، وقد ساوى ﷺ بينه وبين وزيره الأول أبي بكر في تشريفه بهذه المصاهرة، فكان زواجه بابنتيهما أعظم شرف لهما، بل أعظم مكافأة ومنة، ولم يكن بالإمكان أن يكافئهما في هذه الحياة بشرفٍ أعلى من هذا الشرف، فما أجلَّ سياسته؟ وما أعظم وفاءه للأوفياء المخلصين!!

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٦٦١)، [«صحيح الجامع» (٥٦٦١)].

كما يقابل ذلك إكرامه لعثمان وعلي رضي الله عنهما بتزويجهما ببناته، وهؤلاء الأربعة هم أعظم أصحابه، وخلفاؤه من بعده في نشر ملته وإقامة دعوته، فما أجلّها من حكمة، وما أكرمها من نظرة؟

رابعاً: الحكمة السياسية:

لقد تزوج النبي ﷺ ببعض النسوة، من أجل تأليف القلوب عليه، وجمع القبائل حوله، فمن المعلوم أن الإنسان إذا تزوج من قبيلة، أو عشيرة، يصبح بينه وبينهم قرابة ومصاهرة وذلك بطبيعته يدعوهم إلى نصرته وحمايته، ولْنضرب بعض الأمثلة على ذلك لتتضح لنا الحكمة التي هدف إليها الرسول الكريم ﷺ من وراء هذا الزواج.

أولاً: تزوج ﷺ بالسيدة (جويرية بنت الحارث) سيد بني المصطلق، وكانت قد أُسِرت مع قومها وعشيرتها، ثم بعد أن وقعت تحت الأسر أرادت أن تفتدي نفسها، فجاءت إلى رسول الله ﷺ تستعينه بشيء من المال، فعرض عليها الرسول الكريم أن يدفع عنها الفداء، وأن يتزوج بها، فقبلت ذلك فتزوجها، فقال المسلمون: أصهار رسول الله ﷺ تحت أيدينا؟ (أي أنهم في الأسر) فاعتقوا جميع الأسرى الذين كانوا تحت أيديهم، فلما رأى بنو المصطلق هذا النبل والسمو، وهذه الشهامة والمروءة أسلموا جميعاً، ودخلوا في دين الله، وأصبحوا من المؤمنين.

فكان زواجه ﷺ بها بركة عليها وعلى قومها وعشيرتها، لأنه كان سبباً لإسلامهم وعتقهم، وكانت «جويرية» أيمن امرأة على قومها.

عن عائشة ﵂ قالت: لَمَّا قَسَمَ رسولُ الله ﷺ سبايا بني المُصطلقِ، وقعتْ جويريةُ بنت الحارث في السَّهم لثابت بن قيس بن الشَّمَّاس -أو لابن عمٍّ له- وكاتَبَتْهُ على نفسِها، وكانت امرأة حُلوةً مُلاحَةً لا يراها أحدٌ إلا أخذتْ بنفسِهِ، فأتتْ رسول الله ﷺ تستعِينُه في كتابتها، قالت: فوالله ما هو إلا أن رَأيتُها على باب حُجرتي فكَرِهْتُها، وعرفتُ أنه سَيَرَى منها ما رأيتُ، فَدَخَلتْ عليه، فقالت: يا رسول الله! أنا جويرية بنت الحارث ابن أبي ضرار سَيِّدِ قومِهِ، وقد أصابني من البلاء ما لم يخفَ عليك، فوقعتُ في السَّهم لثابت بن قيس بن الشَّمَّاس -أو لابن عمٍّ له- فكاتَبْتُه على نفسي، فجِئتُكَ أستعينُك على كتابتي. قال: «**فهل لك في خيرٍ من ذلك؟**». قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: «**أقضي كِتابَتَكِ وأتزوَّجُكِ**»، قالت: نعم يا رسول الله! قال: «**قد فعلتُ**». قالت: وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ تزوَّجَ جُويرية بنت الحارث. فقال الناس: أصهار رسول الله ﷺ! فأرسَلُوا ما بأيديهم، قالت: فلقد أُعْتِقَ بتزويجه إياها مئةُ أهلِ بيتٍ من بني المُصطلق، فما أعلم امرأةً كانت أعظم بركةً على قومها منها»[1].

ثانياً: وكذلك تزوجه ﷺ بالسيدة (صفية بنت حييّ بن أخطب) التي أُسرت بعد قتل زوجها في (غزوة خيبر).

عرض عليها رسول الله ﷺ الإسلام فأسلمت، فأعتقها، وتزوجها،

(١) **حسن**: رواه أبو داود (٣٩٣١)، وأحمد (٦/ ٢٧٧)، [«ارواء الغليل» (٥/ ٣٨)].

وأصبحت إحدى أمهات المؤمنين.

عن أنس رضي الله عنه قال: (تزوج النبي ﷺ صفية، وجعل عتقها صداقها، وجعل الوليمة ثلاثة أيامٍ)[1].

ثالثاً: وكذلك تزوجه ﷺ بالسيدة أم حبيبة (رملة بنت أبي سفيان) الذي كان في ذلك الحين حامل لواء الشرك، وألدَّ الأعداء لرسول الله ﷺ وقد أسلمت ابنته في مكةَ، ثم هاجرت مع زوجها إلى الحبشة فراراً بدينها، وهناك مات زوجها فبقيت وحيدة فريدةً، لا معين لها ولا أنيس، فلما علم الرسول الكريم ﷺ بأمرها أرسل إلى (النجاشي) ملك الحبشة ليزوجه إياها. فأبلغها النجاشي ذلك، فسُرَّت سروراً لا يعرف مقداره إلا الله سبحانه، لأنها لو رجعت إلى أبيها أو أهلها لأجبروها على الكفر والردَّة، أو عذبوها عذاباً شديداً، وقد أصدقها عنه أربعمائة دينار مع هدايا نفيسة، ولما عادت إلى المدينة المنورة تزوجها النبي ﷺ.

ومن هنا تظهر لنا الحكمة الجليلة في تزوجه ﷺ بابنة أبي سفيان، فقد كان هذا الزواج سبباً لتخفيف الأذى عنه وعن أصحابه المسلمين، سيما بعد أن أصبح بينهما نسب وقرابة، مع أن أبا سفيان كان وقت ذاك من ألدِّ بني أمية خصومة لرسول الله ﷺ، ومن أشدهم عداء له وللمسلمين، فكان تزوجه بابنته سبباً لتأليف قلبه وقلب قومه وعشيرته، كما أنه ﷺ اختارها

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥١٦٩)، ومسلم (١٣٦٥).

لنفسه تكريماً لها على إيمانها، لأنها خرجت من ديارها فارَّة بدينها، فما أكرمها من سياسة، وما أجلها من حكمة؟؟

خامساً: الحكمة الإنسانية:

تظهر هذه الحكمة من زواجه ﷺ من سودة بنت زمعة رضي الله عنها.

تزوجها ﷺ بعد وفاة خديجة، وهي أرملة (السكران بن عمرو الأنصاري)، والحكمة في اختيارها مع أنها أكبر سناً من رسول الله ﷺ، أنها كانت من المؤمنات المهاجرات، توفي عنها زوجها بعد الرجوع من هجرة الحبشة الثانية، فأصبحت فريدة وحيدة، لا معيل لها ولا معين، ولو عادت إلى أهلها -بعد وفاة زوجها- لأكرهوها على الشرك، أو عذبوها عذاباً نكراً ليفتنوها عن الإسلام، فاختار ﷺ كفالتها فتزوجها، وهذا هو منتهى الإحسان والتكريم لها على صدق إيمانها وإخلاصها لله ولرسوله ﷺ.

ولو كان غرض الرسول الشهوة -كما زعم المستشرقون الأفاكون- لاستعاض عنها -وهي الأرملة المسنَّة التي بلغت من العمر الخامسة والخمسين- بالنواهد الأبكار، ولكنه ﷺ كان المثل الأعلى في الشهامة، والنجدة، والمروءة، ولم يكن غرضه إلا حمايتها ورعايتها، لتبقى تحت كفالته عليه أفضل الصلاة والتسليم.

أما الثمرة الثانية عشر التي سنقطفها من دراستنا للسيرة النبوية العطرة، هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة -إن شاء الله تعالى- إن كان في العمر بقية.

الثمرة الثانية عشرة لدراسة السيرة النبوية العطرة

الرد على شُبه الطاعنين في سلوكه وهديه ﷺ

• **عباد الله!** يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف].

ويقول سبحانه: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمَرْجان من قصص القرآن: دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**. والتي نتكلم فيها عن قصةِ نبينا وحبيبنا محمدٍ ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **الثمرة الثانية عشرة التي سنقطفها -إن شاء الله تعالى- من دراستنا للسيرة النبوية العطرة ألا وهي: الردُّ على شُبه الطاعنين في سلوكهِ وهديهِ ﷺ.**

أعداء الإسلام وأعداء السنة قديماً وحديثاً يطعنون في عصمة رسول الله ﷺ بإلقاء الشُّبه على سلوكه وهديه ﷺ من خلال بعض الأحاديث التي صحت وثبتت في صحيحَي البخاري ومسلم، منها:

الحديث الأول:

• عن أنس رضي الله عنه قال: جاءت امرأةٌ من الأنصار ومعها صبيٌّ لها (وفي روايةٍ: معها أولادٌ لها) فكلمها (وفي روايةٍ: فخلا بها رسول الله ﷺ) فقال: «**والذي نفسي بيده، إنكم أحبُّ الناسِ إليَّ** (وفي روايةٍ: والله إنكم لأحب الناس إلي) **مرتين** (وفي رواية: ثلاث مرات)»[1].

طعن أعداء الإسلام وأعداء السنة في سلوكه وهديه ﷺ فقالوا: ما هذا الرسول الذي يخلو بامرأةٍ أجنبيةٍ ويقول لها مغازلاً: إنكم أحبُّ الناس إليَّ.

فأعداء الإسلام يريدون بقولهم هذا أن يطعنوا في عصمةِ رسولنا ﷺ، وأعداءُ السنةِ يريدون بقولهم هذا أن يطعنوا في أصح الكتب بعد كتاب الله وهما صحيحَي البخاري ومسلم.

وللرَّدِّ على شبهتهم هذه نقول:

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٧٨٦)، ومسلم (٢٥٠٩).

أولاً: قول أنسٍ: (فخلا بها رسول الله ﷺ).

أي: خلا بها في بعض الطرقِ المسلوكةِ التي لا تنفك عن مرور الناس غالباً، ولم يُرِدْ أنسٌ أنه ﷺ خلا بها بحيث غاب عن أبصار من كان معه، وإنما خلا بها بحيث لا يسمع من حضر شكواها، ولا ما دار بينهما من الكلام، ولهذا سمِعَ أنسٌ آخرَ الكلام فقط فنقله، ولم ينقل ما دار بينهما لأنه لم يسمعه.

وفي رواية مسلم عن أنس؛ أن امرأةً كان في عَقْلِهَا شيءٌ. فقالت: يا رسول الله! إنَّ لي إليك حاجةً. فقال: «**يا أمَّ فلانٍ! انظري أيَّ السِّكَكِ شِئتِ، حتى أقضِيَ لك حاجتَكِ**» فخلا معها في بعض الطرق[1] حتى فرغت من حاجتها[2].

قال الإمام النووي -رحمه الله- قوله: «خلا معها في بعض الطرق» أي: وقف معها في طريق مسلوك، ليقضي حاجتها، ويُفتيها في الخلوة، ولم يكن ذلك من الخلوة بالأجنبية، فإن هذا كان في ممر الناس، ومشاهدتهم إياه وإياها، لكن لا يسمعون كلامها، لأن مسألتها مما لا يظهره»[3].

ومن هنا استفاد الأئمة من هذه الرواية: «أن مفاوضة الأجنبية سراً لا

---

(١) (فخلا معها في بعض الطرق) أي وقف معها في طريق مسلوك ليقضي حاجاتها ويفتيها في الخلوة.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣٢٦).

(٣) «المنهاج شرح مسلم» للنووي (٨/ ٩١) رقم (٢٣٢٦).

يقدح في الدين عند أمن الفتنة، ولكن الأمر كما قالت عائشة رضي الله عنها: «وأيكم يملك إربه كما كان ﷺ يملك إربه»[1]. قلت: وأيُّنا أيضاً معصوم كعصمته ﷺ.

ثانياً: ليس في قوله: «إنكم أحب الناس إليَّ -مرتين- وفي رواية: ثلاث مرات» ما يطعن في عصمته ﷺ وفي سلوكه وهديه، لأن هذه الكلمة قالها النبي ﷺ جهاراً على ملأ من الناس لنساء وصبيانٍ من الأنصار كانوا مقبلين من عرس.

عن أنس رضي الله عنه قال: رأى النبيُّ ﷺ النساء والصبيان مُقبلين -قال: حسِبتُ أنه قال من عُرس- فقام النبي ﷺ ممثلاً -أي: منتصباً قائماً- فقال: «**اللهم أنتم من أحبِّ الناسِ إليِّ. قالها ثلاث مرات**»[2].

فالكلمة إذن لم يقلها رسول الله ﷺ مغازلاً للمرأة الأنصارية التي اختلى بها ليقضي حاجتها؛ كما يحاول أن يزعم، ويستنتج أعداء الإسلام! وإنما قالها ﷺ خطاباً لمجموع الأنصار، وتأمل قوله: «**إنكم**» ولم يقل «إنك» وليس أدل على ما سبق أن أنس بن مالك، سمع هذه الجملة: «**إنكم أحب الناس إليَّ**» وسمع كم مرة كررها رسول الله ﷺ فإذا كانت الكلمة مقصوداً بها المغازلة؛ فلِمَ جهر بها ﷺ حتى سمعها أنس؟!. ولِمَ لم يُسِرَّ بها حتى لا يسمعها أنس إن كان مقصوداً بها ما يزعمه أعداء عصمته ﷺ؟

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٠٢)، ومسلم (٢٩٣).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٧٨٥)، ومسلم (٢٥٠٨) واللفظ للبخاري.

إن هذه الجملة: «**إنكم أحب الناس إليَّ**» قالها المعصوم ﷺ: مَنْقبة للأنصار، حيث جعل حبهم من علامات الإيمان، وبُغضهم من علامات النفاق.

فقال ﷺ: «**الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله**»(١).

وفي رواية: «**آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار**»(٢).

وقال ﷺ: «**لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس وادياً، وسلكت الأنصار وادياً أو شِعباً لسلكت وادي الأنصار أو شعب الأنصار**»(٣).

وقال ﷺ: «**اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار**»(٤).

ثالثاً: نقول لهم: يا أعداء الإسلام ويا أعداء السنة: الحديث صحيحٌ سنداً ومتناً، في أصح الكتب بعد كتاب الله، وهو يدل على تواضعه ﷺ وخُلقهِ العظيم، فهو رسول الله أحسنُ الناس خُلُقاً؟

قال تعالى في وصفه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم]. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء]. وقال تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝١٢٨﴾ [التوبة].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٧٨٣)، ومسلم (٧٥).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٧)، ومسلم (٧٤).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٢٤٤)، ومسلم (١٠٥٩).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٩٠٦)، ومسلم (٢٥٠٦) واللفظ للبخاري.

فوقوفهُ ﷺ مع هذه المرأة الضعيفة في بعض الطرق على مرأى من الناس يسمعُ كلامها ويقضي حاجتها يدلُ على رحمته وتواضعهِ وليس هذا من الخلوةِ المحرمةِ.

الحديث الثاني:

• عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يدورُ (وفي رواية: يتطوَّف) (وفي أخرى: يطوف) على نسائه في الساعة الواحدة (وفي رواية: في ليلةٍ واحدة)، (وفي أخرى: في الليلة الواحدة) من الليل والنهار، وهن إحدى عشرة، (وفي رواية: وله يومئذٍ)، (وفي أخرى: تسعُ نسوةٍ)، قال: قلتُ لأنس: أوَ كان يُطيقُه؟ قال: كنا نتحدثُ أنه أُعطي قوة ثلاثين[1].

• أراد أعداء السنة أن يطعنوا في «صحيح البخاري» الذي هو من أصح الكتب بعد كتاب الله فقالوا:

البخاريُّ جعل من النبي مهووساً بالجماعِ إلى درجةٍ لا يعرفُها أشدُّ الرجال فحولةً.

وقالوا: هذا الحديث يتعارضُ مع القرآن الذي يبينُ أن النبي ﷺ كان يقضي ليلهُ في قيام الليل، وقراءة القرآن والعبادةِ، ويقضي نهارهُ في الجهاد ونشر الدعوةِ. حتى قال أحدهم: أمامنا نوعان من السنة -أي: طريقة الحياة اليومية للنبي...- السنة التي ذكرها الرحمن في القرآن: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٢٦٨).

﴿ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ [المزمل:٢٠]. والسنة التي ذكرها البخاري في «صحيحه»، ولا يمكن أن نؤمن بالاثنين معاً [١].

ورداً على شبه أعداءِ السنة الذين يطعنون في سلوكه وهديه ﷺ نقول:

أولاً: رسول الله ﷺ معصومٌ في سلوكه وهديه، وما يُنقلُ عنه من حياته الخاصة دينٌ، وللأمةِ فيه القدوةُ والأسوة الحسنة.

ومن الأدلة على ذلك:

عندما اختلفوا في جواز القُبلةِ للصائم [٢]، وفي طلوع الفجر على الجنب وهو صائمٌ [٣] فسألوا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فأخبرتهم أن ذلك وقع من النبي ﷺ فرجعوا إلى ذلك، وعلموا أنه لا حرجَ على فاعلِهِ.

وهذا النقلُ لما يخصه ﷺ في حياته الخاصة كان بإذنه، وحث عليه ﷺ والدليل على ذلك: أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن الرجل يجامعُ أهلَهُ ثم يُكْسِلُ. هل عليهما الغُسلُ؟ وعائشةُ جالسةٌ. فقال ﷺ: «**إني لأفعلُ ذلك. أنا وهذه ثم نغتَسِلُ**» [٤].

---

(١) انظر: كتاب «قراءة في صحيح البخاري» أحمد صبحي منصور. وأحمد صبحي منصور شيعي هالك من أشد أعداء السنة.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٢٢)، ومسلم (١١٠٦)، ولفظه: «**كان يقبلها وهو صائم**».

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (١٩٢٦).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٣٥٠).

ومما يدل على أن نقل حياته الخاصة ﷺ من الدين:

قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء:١٩]. فهذا نصٌّ قرآنيٌّ صريحٌ يأمرُ بحسن صحبة الزوجةِ بكل ما تعنيه كلمةُ «المعروف». ومعلومٌ أن مراد الله في كتابه من مهامهِ ﷺ لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤].

ومن هنا: كان نقلُ هذا البيان في الحياة الخاصة لرسول الله ﷺ قولاً وعملاً دينٌ واجبٌ ذكره، لتتعلم الأمةُ المرادَ بخطابِ ربها ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾.

والحديث يدل على حُسنِ خُلقهِ ﷺ مع زوجاتهِ ومعاشرتهن بالمعروف.

كيف لا؟ ورسولنا ﷺ هو الذي يقول: «**خيركم خيركُم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**»[1].

• والحديث يدل أيضاً على عدلهِ ﷺ بين نسائه. كما قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ لا يفضل بعضنا على بعض في القَسم، من مكثه عندنا، وكان قلَّ يوم، إلا وهو يطوف علينا جميعاً، فيدنو من كل امرأةٍ من غير مسيس -أي: من غير جماع- حتى يبلغ إلى التي هو يومها، فيبيت عندها[2].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٨٩٥)، وابن ماجه (١٩٧٧)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٨٥)].

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٢١٣٥)، [«صحيح سنن أبي داود» (١٨٦٨)].

• وهذا الحديث نص صريح يبين لنا حقيقة طوافه ﷺ على نسائه جميعاً في الساعة الواحدة من الليل والنهار. إنه طواف حب، ومداعبة، بدون جماع، حتى يبلغ إلى التي هو يومها فيبيت عندها، كما هو ظاهر كلام عائشة رضي الله عنها. ولا يتعارض مع ظاهر حديث أنس رضي الله عنه في أن حقيقة طوافه ﷺ على نسائه جميعاً بجماع.

إذ الجمع بينهما حينئذٍ يكون، بحمل المطلق في كلام أنس على المقيد في كلام عائشة، ووجه آخر: بحمل كلام عائشة على الغالب، وكلام أنس على القليل النادر، فلا مانع من أنه ﷺ إذا طاف على نسائه جميعاً في بعض الأحيان يكون بجماعهن جميعاً، وتكون له ﷺ القدرة على ذلك، لما اختصه الله به من القوة وكثرة الجماع.

• وطوافه ﷺ على نسائه في الساعةِ الواحدةِ من الليل والنهار يشتركُ فيها مع من سبقه من الأنبياء.

قال ﷺ: «**قال سُليمان بن داود: لأطُوفَنَّ الليلة على تِسعين امرأةً. كُلُّها تأتي بفارسٍ يُقاتِلُ في سبيل الله. فقال له صاحبهُ: قل: إن شاء الله. فلم يقل: إن شاء الله، فطاف عليهنَّ جميعاً. فلم تحمل مِنهُنَّ إلا امرأةٌ واحدةٌ. فجاءت بشقِّ رجُلٍ. وايمُ الذي نفسُ محمدٍ بيدهِ! لو قال: إن شاء الله، لجاهدوا في سبيل اللهِ فُرساناً أجمعون**»[1].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٦٣٩)، ومسلم (١٦٥٤).

ثانياً: الحديث ليس كما يزعم أعداءُ السنة يتعارضُ مع كتاب الله، بل هو موافقٌ لكتاب الله وهدى رسول الله ﷺ. فإن الله في كتابه يأمر المؤمنين باتباعه والتأسي به.

قال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النور:٥٤].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى:٥٢].

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١].

وكان ﷺ في كل موعظةٍ يقول: «**فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هديُ محمدٍ** ﷺ» وكان هديهُ ﷺ الذي هو خيرُ الهدْي أنه يعطي كلَّ ذي حقٍّ حقه، وهذه هي سنته ﷺ التي قال عنها: «**فمن رغب عن سنتي فليس مني**» والتي قال أيضاً: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ**»[1].

• وقال لعثمان بن مظعون رضي الله عنه: «**يا عثمان، أرغِبتَ عن سنتي**»؟ قال: لا! والله يا رسول الله! ولكن سُنَّتَكَ أطلب، قال: «**فإني أنامُ وأُصلِّي، وأصومُ وأفطر، وأنكحُ النساءَ، فاتقِ الله يا عثمان فإن لأهلك عليك حقاً، وإن لضيفك عليك حقاً، وإن لنفسك عليك حقاً، فصم وأفطر،**

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٧٣٥)].

وصلِّ ونم»[1].

• وقال لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أُخبرتُ أنك تصومُ النهارَ وتقومُ الليلَ؟ فقلت: بلى يا رسول الله! فقال: «**فلا تفعلْ، صمْ وأفطِرْ، وقُمْ ونمْ، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً، وإن لزورِكَ عليك حقاً**»[2].

• ولما قال سلمان رضي الله عنه لأبي الدرداء رضي الله عنه: إن لِربِّك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعطِ كل ذي حق حقه. فأتى أبو الدرداء النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: «**صدق سلمان**»[3].

وهكذا كان رسول الله ﷺ في سيرته العطرة -يُعطى كلَّ ذي حقٍ حقه، يدلُ على ذلك:

عن عائشة رضي الله عنها لما سُئلت: ما كان النبيُّ ﷺ يصنعُ في أهله؟ قالت: كان في مهنةِ أهلِهِ، فإذا حضرت الصلاةُ قام إلى الصلاة[4].

وفي روايةٍ قالت: «كان ﷺ بشراً من البشر، يَفْلي ثوبه، ويحلبُ شاته، ويخدم نفسه»[5].

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (١٣٦٩)، وأحمد (٦/ ٢٦٨)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٩٤)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٩٧٥)، ومسلم (١١٥٩).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (١٩٦٨).

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٦٠٣٩).

(٥) **صحيح**: رواه أحمد (٦/ ٢٥٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٤١)، [«مختصر الشمائل المحمدية» (٢٩٣)].

وتلك هي سنته ﷺ، العدل، وإعطاء كل ذي حق حقه، فمن كان عليها فقد اهتدى، ومن كان عمله على خلافها فقد ضل ضلالاً مبيناً. فرسولنا ﷺ كان يقومُ الليل حتى تتفطرَ قدماهُ، ويطوفُ على نسائه، ويجاهدُ في سبيل الله، ويدعو إلى الله، ويصلح بين الناس، ويقضي حوائج الضعفاء، هكذا يجمع ﷺ بين حق الله وحق العباد.

ومن الأمثلة على ذلك:

- عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقومُ من الليل حتى تتفطر قدماه فقلت له: لِمَ تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «**أفلا أُحِبُّ أن أكون عبداً شكوراً**»[1].
- ويقول أنس رضي الله عنه: (كان رسول الله ﷺ يطوفُ على نسائه في الليلة الواحدة)[2].
- وتوضح عائشة رضي الله عنها، كيف كان رسول الله ﷺ يجمع بين حق الله تعالى في قيام الليل، وبين حق أهل بيته وحقه ﷺ فتقول: «كان ينام أوَّلَ الليل ويُحْيي آخِرَهُ، ثم إن كانت لهُ حاجةٌ إلى أهلهِ قضى حاجتَهُ. ثم ينام. فإذا كان عندَ النداءِ الأوَّلِ (قالت) وثب[3] فأفاض عليه الماءَ. وإن لم يكن جنباً توضأ وُضُوءَ الرجل للصلاة. ثم صلى الركعتين»[4].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٨٤)، ومسلم (٣٠٩) واللفظ للبخاري.

(٣) أي: قام بسرعةٍ اهتماماً بالعبادةِ، والإقبال عليها بنشاطٍ.

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (١١٤٦)، ومسلم (٧٣٩) واللفظ لمسلم.

• وفي الجهاد في سبيل الله في وسط المعركة من أشجع الناس يقول علي رضي الله عنه: (لقد رأيتنا يوم بدرٍ، ونحن نَلوذُ برسول الله ﷺ)[1].

وفي غزوة حنين عندما انفضَّ الناسُ من حوله ﷺ إلا القليل أقبل ببغلته نحو الكفار وهو يقول:

أنا النبي لا كذب! أنا ابن عبد المطلب![2].

• وكان ﷺ يصلحُ بين الناس:

عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه (أن رسول الله بَلَغَهُ أن بني عمرو ابن عوفٍ كان بينهم شرٌّ، فخرج رسول الله ﷺ يُصلِحُ بينهم في أناسٍ معه...)[3].

• وكان ﷺ يقضي حوائج الضعفاء:

يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: (كانت الأَمة من إماء المدينة لَتأخذ بيد رسول الله فتنطلق به حيث شاءت)[4].

هذا هديه ﷺ وهو خيرُ الهدي، وهو الطريق الوحيد الذي يوصلُ إلى رضا الله والجنة، نقله لنا زوجاته، والصحابة -رضي الله عنهم أجمعين- وسجله لنا المحدِّثون في كتبهم بكل دقةٍ وأمانةٍ؛ لنهتدي بهديه ﷺ، فما هو الخطأ في ذلك يا أعداء الإسلام ويا أعداء السنة؟!

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٨٦)، [صححه الشيخ شعيب في تحقيقه للمسند].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٨٦٤)، ومسلم (١٧٧٦).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٢١٨)، ومسلم (٤٢١)، واللفظ للبخاري.

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٦٠٧٢).

الحديث الثالث: في أحكام الحيض

• عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كانت إحدانا إذا كانت حائضاً فأراد رسول الله ﷺ أن يباشرَها أمرَها أن تتَّزرَ في فورِ حيضتِها ثم يُباشِرُها. قالت: وأيكم يملكُ إرْبَهُ كما كان النبي ﷺ يملِكُ إربَه؟[1].

• عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: (بينما أنا مع النبي ﷺ مُضْطَجِعَةٌ في خميلةٍ حِضتُ، فانسَلَلْتُ فأخذتُ ثيابَ حيضتي، فقال: «**أنُفِسْتِ؟**» فقلت: نعم. فدعاني فاضطجعتُ معه في الخميلة)[2].

• تقول عائشة رضي الله عنها: (كان النبي ﷺ يُتَّكِئُ في حجري وأنا حائضٌ ثم يقرأ القرآن)[3].

هذه الأحاديث الصحيحة التي تُبين حدودَ علاقةِ الرجل بزوجته وهي حائضٌ، والأحكامَ المتعلقة بحيضها، طعن فيها أعداءُ السنة ومرضى القلوب بحجةِ أنها تطعنُ في عصمةِ رسول الله ﷺ في سلوكه، وتخالف بزعمهم القرآن الكريم.

يقول أحد أعداءِ السنة -عاملهُ الله بما يستحق-: (وهكذا لا عمل أمام النبي ولا مسؤوليات ملقاة على عاتقه إلا أن يجلس في الخميلة مع إحدى

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٠٢)، ومسلم (٧٠٦).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٩٨)، ومسلم (٢٩٦).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٩٧)، ومسلم (٣٠١).

زوجاته، ولا يمنعه من ذلك حيض أو غيره، بل هناك أكثر من ذلك. يفتري البخاري أن عائشة قالت: (كان النبي ﷺ يتكئ في حجري وأنا حائض ثم يقرأ القرآن) هكذا ضاقت كل الأماكن واشتد الزحام بحيث يلجأ النبي إلى ذلك. تلك هي سنة الرسول التي كتبها البخاري، فما هي سنته في القرآن؟

يقول الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة].

لم يقل رب العزة (فاعتزلهن) فقط، وإنما أيضاً: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ ونحن نؤمن بأن النبي طبق هذه السنة التي فرضها الله عليه.

أما البخاري فيؤكد من خلال أحاديثه أن النبي لم يطبق شرع الله، ولكل إنسان أن يختار. هل ينتصر لله ورسوله، أم ينصر البخاري في كذبه على الله ورسوله[1].

ويجابُ على شُبهِ هؤلاء الحاقدين أعداءِ السنة بما يلي:

أولاً: نقول لهم: الإمام البخاري -رحمه الله- لم يخترع، ولم يؤلف الأحاديث السابقة وغيرها الواردة في بيان حدود علاقة الرجل

(١) انظر: كتاب «قراءة في صحيح البخاري» (ص٢٠، ٢١) لأحمد صبحي الشيعي الحاقد.

بزوجته أثناء حيضتها، والمبينة الأحكام الشرعية المتعلقة بفترة حيض المرأة.

لقد نقل البخاري -كما نقل غيره من رواة السنة- ما سمعه من شيوخه الثقات، مما سمعوه من شيوخهم، إلى أن وصل النقل إلى رسول الله ﷺ أو إلى الصحابي الذي روى عن رسول الله ﷺ.

ولنا أن نتساءل. لماذا كل هذا الحقد والتشنيع على الإمام البخاري؟ مع أن غيره من علماء الحديث شاركه في رواية هذه الأحاديث المتعلقة بأحكام الحيض؛ والتي أوردتها جميع كتب الجوامع والسنن تحت اسم كتاب «الحيض»؟

إن كل هذا الحقد الذي يظهروه في حق الإمام البخاري، هو جزء يسير مما تخفيه صدورهم نحو عدائهم لسنة المصطفى ﷺ، ولرواتها من الأئمة الأعلام قديماً وحديثاً.

والبخاري -رحمه الله- مع أئمة الحديث هو بمثابة الرأس من الجسد، فهم يريدون أن يسقطوا الرأس ليسقط الجسد. وخابوا وخسروا.

ثانياً: ما نقله رواة السنة المطهرة، وعلى رأسهم الإمام البخاري، من الأحاديث المبينة للأحكام الشرعية المتعلقة بالمرأة أثناء حيضتها، دين واجب ذكره لتتعلم الأمة المراد بخطاب ربها: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة].

وفي البيان المنقول إلينا ما يبين عصمة رسول الله ﷺ في سلوكه وهديه ومحاسن أخلاقه الباطنة مع أهل بيته.

ثالثاً: نقول لهم: ليس في حديث مباشرة رسول الله ﷺ نساءَه في الحيض ما يتعارض مع قوله تعالى: ﴿فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ﴾ بل في هذا الحديث وغيره البيان العملي للآية الكريمة، وهذا البيان كما هو معلوم؛ من مهامه ﷺ في رسالته، لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ [النحل: ٤٤].

فهل في بيانه ﷺ للآية الكريمة، ونقل هذا البيان بالسند الصحيح، ما يشوه سيرته العطرة؟ أو يطعن في عصمته في سلوكه وهديه كما يزعم أعداء السنة؟

إن الآية الكريمة تتحدث عن وجوب اعتزال الرجل زوجته الحائض، وعدم الاقتراب منها، حتى تطهر من حيضتها. فهل الاعتزال وعدم الاقتراب هنا، كما هو مفهوم عند اليهود؟ من إهمال الزوجة الحائض، واعتبارها نجسة، فلا يأكل ولا يشرب معها، ولا يسكن معها في بيت واحد؟

إن هذا السؤال ورد على لسان أصحاب رسول الله ﷺ، وهو وارد على لسان كل مسلم إلى يوم الدين، كيف يتعامل مع زوجته الحائض؟ فجاءت الإجابة، وجاء البيان القولي والعملي مع رسول الله ﷺ بإباحة كل شيء من الزوجة الحائض: إلا الجماع.

فعن أنس رضي الله عنه، أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكِلُوها، ولم يجامِعُوهنَّ في البيوت. فسأل أصحابُ النبيِّ ﷺ النبيَّ ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «**اصنعوا كل شيءٍ إلا النكاح**» فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يُريدُ هذا الرجلُ أن يدَع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه[1].

• فتأمل أمر رسول الله ﷺ: «**اصنعوا كل شيءٍ إلا النكاح**». إنها كلمة جامعة جاءت جواباً عن موقف اليهود من المرأة الحائض، وجاءت تفسيراً وبياناً لقول رب العزة: ﴿فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾، فقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾، تفسير لقوله: ﴿فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾، والمراد اعتزالهن، وعدم قربانهن بالجماع ما دام الحيض موجوداً، وهذا يعني أن المراد بالاعتزال وعدم القربان، إنما المراد به الفرج فقط، وما عدا ذلك من مؤاكَلة، ومشارَبة، واجتماع معهن في البيوت، ومباشرتهن، ونحو ذلك، فهو حلال. كما قال المعصوم ﷺ: «**اصنعوا كل شيءٍ إلا النكاح**».

وفي هذا الحديث النبوي القولي: «**اصنعوا كل شيءٍ إلا النكاح**» والذي جاء تفسيراً وبياناً للآية الكريمة، طبقه رسول الله ﷺ عملياً، فجاء بيانه للآية الكريمة: ﴿فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ بياناً قولياً وعملياً.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٣٠٢).

وهذه نماذج من هذا البيان العملي:

١ - بيانه ﷺ عملياً طهارة جسد المرأة الحائض، وجواز النوم معها في ثيابها، والاضطجاع معها في لحاف واحد، وذلك ما دل عليه حديث أم سلمة السابق، عندما حاضت، وذهبت في خفية لتأخذ ثياب حيضتها، وظنَّت عدم جواز نومها وهي حائض مع رسول الله ﷺ فإذ به عليه الصلاة والسلام، يقول لها: أنفست؟ فتقول: نعم. فيدعوها رسول الله ﷺ، للنوم معه في لحاف واحد كما قالت: «فدعاني فاضطجعت معه في الخميلة»[(١)].

٢ - ويبين رسول الله ﷺ عملياً صحة الصلاة في المكان الذي توجد فيه المرأة الحائض[(٢)].

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يصلي بالليل، وأنا إلى جنبه، وأنا حائض.

٣- ويبين رسول الله ﷺ عملياً جواز مؤاكلة الحائض، والشرب من فضلها. فتقول عائشة رضي الله عنها: كنت أشرب وأنا حائض ثم أناوله النبيَّ ﷺ فيضع فاه على موضع فيَّ. فيشرب، وأتعرَّق العَرْقُ -هو العظم الذي عليه بقية من لحم- وأنا حائض ثم أناوله النبي ﷺ

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٩٨)، ومسلم (٢٩٦).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥١٨)، ومسلم (٥١٤).

فيضعُ فاه على موضع فيَّ[1].

٤- ويبين رسول الله ﷺ عملياً جواز تسريح وغسل الحائض رأس زوجها، فتقول عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يُدني إليَّ رأسه، وأنا في حجرتي فأرجله وأغسله وأنا حائض»[2].

٥- ويبين رسول الله ﷺ عملياً طهارة ذات المرأة الحائض، وطهارة ثيابها ما لم يلحق شيئاً منها نجاسةٌ، وذلك كله دل عليه عندما كان ﷺ، معتكفاً في المسجد، وطلب من زوجته عائشة رضي الله عنها أن تناوله ثوبَه من حجرته.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ في المسجد. فقال: «**يا عائشة! ناوليني الثوب**». فقالت: إني حائض. فقال: «**إن حيضَتِك ليست في يدك**»، «فناولته»[3].

٦- ويبيّن رسول الله ﷺ عملياً ما للرجل من امرأة إذا كانت حائضاً، فتأتي الرواية السابقة لتبين بأنه ﷺ كان يباشر نساءه فوق الإزار.

وتأتي رواية أنس السابقة: «**اصنعوا كل شيءٍ إلا الجماع**»[4]. لتبين جواز

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٣٠٠).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٧).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٨).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٣٠٢)، وفيه (النكاح) وهذا اللفظ عند ابن ماجه (٦٤٤).

المباشرة تحت الإزار دون الفرج.

فهذا بيان رسول الله ﷺ قولاً وعملاً لقوله تعالى: ﴿فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ وهو بيان يهم كل مسلم ومسلمة، وعنه سأل أصحاب رسول الله ﷺ قديماً ورجعوا إليه، وعنه يسأل كل مسلم ومسلمة إلى يوم الدين. فليختر كل إنسان لنفسه، إذا حاضت أخته، أو زوجته، أو أمه، أو خالته، أو... الخ.

هل يعتزلهن فلا يؤاكلهن ولا يشاربهن ولا يساكنهن في بيت واحد -كما هو حال اليهود؟ أم يكون له قدوة وأسوة بسنة وسيرة المعصوم ﷺ؟!(١).

إن هدي رسول الله ﷺ في كل شيءٍ هو خير الهدي، ولذلك أمرنا الله -عز وجل- في كتابه أن نتأسى به وحده. فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١].

فكيف نتأسى به ﷺ؟ ... هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة -إن شاء الله تعالى- إن كان في العمر بقية.

(١) انظر: كتاب «رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ» د. عماد الشربيني.

الثمرة الثالثة عشرة لدراسة السيرة النبوية العطرة

التأسي بالنبي ﷺ في رحمته بدماء المؤمنين(*)

• **عباد الله!** يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب]. ويقول سبحانه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمَرْجان من قصص القرآن: دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**. والتي نتكلم فيها عن قصةِ نبينا وحبيبنا محمدٍ ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **الثمرة الثالثة عشرة التي سنقطفها -إن شاء الله تعالى- من دراستنا للسيرة النبوية العطرة ألا وهي: التأسي بالنبي ﷺ في رحمته بدماء المؤمنين.**

أمر الله عباده المؤمنين أن يتأسوا برسول الله ﷺ وحده فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١]. ففي هذه الآية حصر الله

(*) ألقيت هذه الخطبة بسبب انتشار جريمة القتل بين الناس.

الأسوة الحسنة في رسول الله ﷺ وحده، وجعلها للمؤمنين وحدهم، وقيدها بالحسنة مما يدل على أن من تأسى بغير رسول الله ﷺ فيما يخالفه فقد تأسى بالأسوة السيئة.

ورسولنا محمدٌ ﷺ أرسلَهُ الله رحمةً للناس عامةً وللمؤمنين خاصةً.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء]. وقال تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ﴾ [التوبة:٦١].

ومن رحمته ﷺ بالمؤمنين أنه نهى أن يُعتدى على النفس المؤمنة بالقتل إلا بالحق.

فقال ﷺ: «**لا يحل دم امرئٍ مسلمٍ يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**»[1].

وهذا مأخوذٌ من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ [الإسراء:٣٣].

والناظر -وللأسف الشديد- في المجتمعات الإسلامية اليوم يرى أن

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٨٧٨)، مسلم (١٦٧٦).

جريمة القتل والاعتداء على النفس المؤمنة بغير حقٍ قد انتشرت في كل مكان. فأردت أن أذكر نفسي وإخواني برحمته ﷺ بالنفس المؤمنة، وتحذيره من الاعتداء عليها لنتأسى به.

قال تعالى في وصفه ﷺ: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الأحزاب:٦].

ويقول ﷺ: «**أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم**»(١). ويقول ﷺ: «**أنا أولى بكل مؤمنٍ من نفسه**»(٢).

ومن مظاهر رحمته ﷺ بالنفس المؤمنة وبدماء المؤمنين:

أولاً: أنه ﷺ نهى أن يَعْتديَ المؤمن على نفسه بالقتل (وهي جريمة الانتحار).

- قال ﷺ: «**من قتل نفسه بحديدةٍ، فحديدَتُه في يده يتوجأُ بها في بطنه**(٣) **في نار جهنم خالداً مخلَداً فيها أبداً. ومن شرب سُمًّا فقتل نفسه فهو يتحسَّاه**(٤) **في نار جهنم خالداً مُخلداً فيها أبداً. ومن تردَّى من جبلٍ فقتل نفسَهُ فهو يتردَّى**(٥) **في نار جهنَّمَ خالداً مُخلداً فيها أبداً**»(٦).
- وقال ﷺ: «**ومن قتل نفسَهُ بشيءٍ عُذِّبَ به يوم القيامة**»(٧).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٢٩٨)، ومسلم (١٦١٩).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٨٦٧).

(٣) (يتوجأُ بها في بطنه) معناه يطعن.

(٤) (يتحساه) يشربه في تمهل، ويتجرعهُ.

(٥) (يتردى) أي: ينزل.

(٦) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٧٧٨)، ومسلم (١٠٩) واللفظ لمسلم.

(٧) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠٤٧)، ومسلم (١١٠).

• وقال ﷺ: «**كان فيمَن كان قبلكم رجُلٌ به جُرحٌ، فجزِعَ، فأخذَ سكيناً فحزَّ بها يده، فما رَقأ الدمُ حتى مات، قال الله تعالى: بادَرَني عبدي بنفسهِ، حَرَّمتُ عليه الجنة**»[1].

فيحرمُ على المسلم أن يعتدي على نفسه بالقتل لأن ذلك حرامٌ.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [النساء:٢٩]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:١٩٥].

وقال ﷺ: «**لا ضرر ولا ضرار**»[2].

فلا يجوز للمسلم أبداً أن يعتدي على نفسه بالقتل، أو يُعرِّضُها للهلاك والضرر بشرب الخمر والمخدِّرات بجميع أنواعها.

ثانياً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بدماء المؤمنين أنه نهى وحذرَ أن يعتدي المؤمن على أخيه المؤمن بالقتل بغير حق (وهي جريمة القتل العمد).

• فقال ﷺ: «**لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا في دم مؤمنٍ لأكبهم الله في النار**»[3].

• وقال ﷺ: «**لَزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حقٍ**»[4].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٤٦٣).

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٢٣٤٠)، وأحمد (٥/ ٣٢٦)، [«إرواء الغليل» (٣/ ٤٠٨)].

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (١٣٩٨)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٤٤٢)].

(٤) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٢٦١٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٤٣٨)].

• وقال ﷺ: «**كل ذنبٍ عسى الله أن يغفره إلا الرجلَ، يموتُ كافراً، أو الرجل يقتلُ مؤمناً متعمداً**»(١).

• وقال ﷺ: «**لن يزالَ المؤمنُ في فُسحةٍ من دينه ما لم يُصب دماً حراماً**»(٢).

• وقال ﷺ: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**» فقلت: يا رسول الله! هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: «**إنه كان حريصاً على قتل صاحبه**»(٣).

• وقال ﷺ: «**لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعضٍ**»(٤).

• وقال ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» -أي: المهلكات-، قيل: يا رسول الله! وما هن؟ قال: «**الشرك بالله، والسحرُ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**»(٥).

• وقال ﷺ: «**أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة الإشراك بالله، وقتلُ النفس المؤمنة بغير حق**»(٦).

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٢٧٠)، والنسائي (٣٩٨٤)، وأحمد (٤/ ٩٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٤٤٥)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٦٨٦٢).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٢١)، ومسلم (٦٥).

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

(٦) **صحيح لغيره**: رواه ابن حبان (٦٥٥٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥١٠)].

• وقال ﷺ: «**كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه**»[1].

• وقال ﷺ في حجة الوداع: «**فإن دماءَكم، وأموالكم، وأعراضكم عليكم حرامٌ كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا**»[2].

• وقال ﷺ: «**أول ما يُقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء**»[3].

• ويقول ابن عباس رضي الله عنه: سمعت نبيكم ﷺ يقول: «**يجيء** -أي: المقتول يوم القيامة- **متعلقاً بالقاتل، تشخُبُ أوداجُهُ دماً، فيقول: أي رب! سل هذا فيم قتلني؟**»[4].

• وعن أسامة بن زيدٍ رضي الله عنهما قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحُرَقَةِ من جُهيْنَة، فصبَّحْنا القوم فهزمناهم. ولحِقْتُ أنا ورجُلٌ من الأنصار رجلاً منهم. فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله. فكف عنه الأنصاري. وطعنته برمحي حتى قتلته. قال: فلما قدمنا. بلغ ذلك النبيَّ ﷺ فقال لي: «**يا أسامةُ! أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟**» قال قلت: يا رسول الله! إنما كان متعوِّذاً -أي: معتصماً- قال، فقال: «**أقتلتهُ بعدما قال لا إله إلا الله؟**» قال فما زال يُكرّرُها عليَّ حتى تمنيت أني لم أكن أسلمتُ قبل ذلك اليوم»[5].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٦٤).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٧٣٩)، ومسلم (١٦٩٧).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٥٣٣)، ومسلم (١٦٧٨).

(٤) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٠٢٩)، والنسائي (٣٩٩٩)، وأحمد (١/ ٢٤٠)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٦٩٧)].

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٨٧٢)، ومسلم (٩٦).

فالاعتداءُ على المؤمن بالقتل العمد جريمةٌ نكراءُ وحرامٌ في دين الله.

قال تعالى محذراً من قتل المؤمن عمداً: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ وفي نهاية الآيات يقول تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة:٢٧-٣٢].

وقال ﷺ: «**لا تُقتل نفسٌ ظلماً، إلا كان على ابن آدم الأول كِفلٌ من دمها، لأنه كان أول من سنَّ القتل**»(١).

فعلى المؤمنين أن يتقوا الله في أنفسهم، ويتأسوا برسول الله ﷺ في رحمته بدم المسلم فلا يعتدوا على أنفسهم بالقتل، ولا يعتدوا على إخوانهم المؤمنين بالقتل العمد، فإن ذلك حرامٌ في دين الله، وسببٌ للعذاب الأليم في الدنيا والآخرة.

ثالثاً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بدماء المؤمنين أنه نهى أن يُكَفِّرَ المؤمنُ أخاهُ المؤمنَ (وهي جريمة التكفير التي تؤدي إلى القتل).

• قال ﷺ: «**أيما رجل قال لأخيه: يا كافر! فقد باء بها أحدُهما**»(٢).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٢)، ومسلم (١٦٧٧).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦١٠٣)، ومسلم (٦٠).

• وقال ﷺ: «**من دعا رجلاً بالكفر، أو قال: عدُوَّ الله، وليس كذلك إلا حارَ[1] عليه**»[2].

• وقال ﷺ: «**إذا قال الرجل لأخيه يا كافرُ فهو كقتله، ولعنُ المؤمن كقتله**»[3].

• وقال ﷺ: «**أيما امرئٍ قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدُهما، إن كان كما قال وإلا رجعت عليه**»[4].

التسرع في تكفير المسلمين أمرٌ عظيم وخطرٌ كبير.

قال الإمام الشوكاني -رحمه الله-: (اعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام، ودخوله في الكفر لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقدم عليه إلا ببرهان أوضح من شمس النهار). وقال: (ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحلَّه).

وقال بعض العلماء: (لا نُكفّر إلا من كفره الله ورسوله).

وقال آخر: (إذا وجدتم الرجل يُطْلَقُ لسانه في تكفير المسلمين، فاكتبوا على ظهره: لا يفلح أبداً).

---

(١) حارَ: باء ورجع.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٦١).

(٣) **صحيح**: رواه الطبراني (١٨/ ١٩٣/ رقم ٤٦٣)، [«صحيح الجامع» (٧١٠)].

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (٦٠).

في هذه الأحاديث وأقوال العلماء أعظم زاجرٍ، وأكبر واعظٍ يمنع من التسرع في تكفير المسلمين، وذلك لأن من كفّر أخاه المسلم فقد وقع في مصيبتين:

الأولى: استحل دمه وماله وعرضه.

والرسول ﷺ يقول: «**كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه**»[1].

الثانية: حَكَم على أخيه أن الله لا يغفر له أبداً، ولا يرحمه، ولا يدخله الجنة، ويخلده في النار، وهذا من أعظم البغي.

يقول أبو هريرة رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كان رجلان من بني إسرائيل متواخيين، فكان أحدهما يُذنب، والآخر مجتهد في العبادة، فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول: أقصر، فوجده يوماً على ذنب فقال له أقصر فقال: -أي: المذنب- خلِّني وربي، أبُعثت عليَّ رقيباً؟ فقال: -أي: المجتهد في العبادة- والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الله تعالى الجنة. فقبض أرواحهما، فاجتمعا عند رب العالمين. فقال لهذا المجتهد: أكنتَ بي عالماً؟ أو كنت على ما في يدي قادراً؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي. وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار».

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٦٤).

قال أبو هريرة: «والذي نفسي بيده لَتكَلَّمَ بكلمةٍ أوبقت دنياه وآخرته»[1].

رسولُنا محمدٌ ﷺ أرسله الله رحمةً للناس عامةً وللمؤمنين خاصةً.

فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء]. وقال تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة].

ومن رحمته ﷺ بالمؤمنين حرَّم دماءهم إلا بالحق. فنهى أن يقتُلَ المؤمنُ نفسهُ (وهي جريمة الانتحار). ونهى أن يقتل المؤمن أخاه المؤمن (وهي جريمة القتل العمدِ). ونهى أن يكفر المؤمن أخاهُ المؤمن (وهي جريمة التكفير التي تنتهي بالقتل).

• وحفاظاً على دماء المؤمنين حذر ﷺ من الأمراض التي تدفع صاحبها إلى جريمة القتل.

• فقال ﷺ: «**لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يحقره، ولا يخذله، التقوى هاهنا** -ويشير إلى صدره ثلاث مرات- **بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرامٌ دمه وماله وعرضه**»[2].

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٩٠١)، وأحمد (٢/ ٣٢٣)، [«شرح العقيدة الطحاوية» (٢٩٦)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٦٤).

• وقال رجلٌ يا رسول الله! أوصِني. قال: «**لا تغضب**». قال: ففكَّرت حين قال رسول الله ﷺ ما قالَهُ، فإذا الغضب يجمع الشَّرَّ كُلَّه[1].

• وقال ﷺ: «**ليس الشديدُ بالصُّرَعَةِ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»[2].

• وحفاظاً على دماء المؤمنين فقد نهى النبي ﷺ أن يشير المؤمن إلى أخيه المؤمن بالسلاح ولو كان مازحاً.

• فقال ﷺ: «**لا يُشيرُ أحدُكُم إلى أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري أحدُكُم لعلَّ الشيطان ينزِعُ[3] في يده، فيَقَعُ في حُفرةٍ من النار**»[4].

• وقال ﷺ: «**من أشارَ إلى أخيه بحديدةٍ فإن الملائكة تلعَنُهُ حتى وإن كان أخاهُ لأبيه وأمِّهِ**»[5].

• وحفاظاً على دماء المؤمنين فقد نهى رسول الله ﷺ عن الخذف، وهو رمي الحصى بالسبابةِ والإبهام.

• عن عبد الله بن مُغفَّلٍ رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن الخذف[6] وقال: «**إنه لا يقْتُلُ الصَّيدَ ولا يَنْكأ العدُوَّ**[7]. **وإنه يفقأ العينَ ويكسِرُ السنَّ**»[8].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٣٧٣)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٧٤٦)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩).

(٣) (ينزع) يرمى في يده ويحقق ضربته ورميه.

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٠٧٢)، ومسلم (٢٦١٧).

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦١٦).

(٦) (الخذف) رمي الحصى بالسبابة والإبهام.

(٧) أي: لا يقتله (وإنه يفقأ العين) أي: يقلعها.

(٨) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٢٢٠)، ومسلم (٥٠٩٣).

• **فيا عباد الله!** إذا كان النبي ﷺ قد نهى عن الخذف حفاظاً على أرواح المؤمنين، فالنهي عن إطلاق العيارات النارية في الأعراس والمناسبات من باب أولى.

• وحفاظاً على دماء المؤمنين فقد حثَّ النبي ﷺ أمتهُ على التراحم بينهم:

• فقال ﷺ: «**مَنْ لا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ**»(١).

• وقال ﷺ: «**الرَّاحِمون يَرْحَمُهُمُ الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحَمْكُم مَنْ في السماء**»(٢).

• وقال ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عُضوٌ تداعى له سائرُ الجسدِ بالسَّهَرِ والحُمَّى**»(٣).

فاتقوا الله عباد الله! في دماء المؤمنين فلا يعتدي أحدٌ على أخيه بالقتل لأي سببٍ من الأسباب؛ فإن الاعتداء على دماء المؤمنين حرامٌ، ولا يزال الرجل في فسحةٍ من دينه ما لم يُصب دماً حراماً، وأول ما يُقضى يوم القيامة بين الناس في الدماء.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٩٩٧)، ومسلم (٢٣١٨).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤)، وأحمد (٢/ ١٦٠)، [«صحيح سنن أبي داود» (٤١٣٢)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦).

الثمرة الرابعة عشرة لدراسة السيرة النبوية العطرة

التأسي بالنبي ﷺ في رحمته بالكفار والأعداء في الدنيا

• **عباد الله!** يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب]، ويقول سبحانه: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾[المائدة].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمَرْجان من قصص القرآن: دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**. والتي نتكلم فيها عن قصةِ نبينا وحبيبنا محمدٍ ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **الثمرة الرابعة عشرة التي سنقطفها -إن شاء الله تعالى- من دراستنا للسيرة النبوية العطرة ألا وهي: التأسي بالنبي ﷺ في رحمته بالكفار والأعداء في الدنيا.**

أعداءُ الإسلام قديماً وحديثاً يتهمون رسول الله ﷺ بالإرهاب ظلماً

وعـــــــدواناً: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة].

أرسل اللهُ -تبارك وتعالى- رسولَهُ محمداً ﷺ رحمة للخلائق عامةً: مؤمنهم وكافرهم وإنسهم وجنهم،وجعَله رؤوفاً رحيماً بالمؤمنين خاصةً، فمن قبلَ الرحمةَ وشكرَ هذه النعمة سَعِدَ في الدنيا والآخرة، ومَنْ رَدَّها وجحدها خسِرَ الدنيا والآخرة[1].

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء].

أي: رحمةً لجميع الخلق: رحمةً للمؤمن بالهداية، ورحمةً للمنافق بالأمان من القتلِ، ورحمةً للكافر بتأخير العذاب[2].

- وقال ﷺ «**يا أيها الناس! إنما أنا رحمةٌ مهداةٌ**»[3].
- وقال ﷺ: «**إني لم أُبْعَثْ لعَّاناً وإنما بُعِثتُ رحمةً**»[4].

فرسولنا ﷺ أرسلهُ اللهُ رحمةً للعالمين: للمؤمن والكافر، والعدوِ

(١) «نضرة النعيم» (١/ ٤٥٤).

(٢) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ٥٧).

(٣) **صحيح**: رواه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ١٩٢)، والحاكم (١٠٠)، والبيهقي في «الشعب» (١٤٠٤)، [«السلسلة الصحيحة» (٤٩٠)].

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٩٩).

والصديقِ، وكلامنا في هذا اليوم سيكونُ عن رحمته ﷺ بالكفار والأعداء الذي يتهمونه بالإرهاب.

ومن مظاهر رحمته ﷺ بالكفار والأعداء في الدنيا

أولاً: أن الله جعلَ وجودَهُ ﷺ أماناً لهم من عذاب الاستئصال الذي كان يقع على الأمم السابقة بمخالفتها وعصيانها وكفرانها بأنبيائها.

من سنن الله مع الأمم الكافرة أنه يرسل إليهم رسولاً منهم، يدعوهم إلى عبادة الله وحده، ويحذرهم من الشرك، فإن كفروا برسوله ولم يؤمنوا به نجَّا الله رسولَهُ والذين آمنوا معه، واستأصل وأبادَ الذين كفروا.

ومن الأمثلة على ذلك:

قومُ نوحٍ، وقومُ هودٍ، وقومُ صالحٍ، وقومُ لوطٍ.

قال تعالى عن هود وقومه: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾﴾ [هود].

وقال تعالى عن صالح وقومه: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ ﴿٦٨﴾﴾ [هود].

وقال تعالى عن لوطٍ وقومه: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ [هود].

ولذلك ذكَّرَ شعيبٌ عليه السلام قومهُ بسنةِ الله مع من كفر به، فقال لقومه:

﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾﴾ [هود].

وكفار مكةَ وأعداءُ الإسلام مع أنهم طلبوا أن يُنَزِّلَ الله عليهم عذاباً من السماء، فلم يعذبهم اللهُ عذاباً يستأصلهم كما فعل بالأمم السابقة، كرامةً لرسوله ﷺ الذي بعثهُ رحمةً للعالمين.

عن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال أبو جهلٍ: اللهمَّ! إن كان هذا هو الحقَّ من عندك، فأمطر علينا حجارةً من السماءِ أو ائتنا بعذاب أليم. فنزلت: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنفال][1].

فبعثتُهُ ﷺ ووجودُهُ صار أماناً للبشرية كُلِّها من الهلاك الذي كان يقع على الأممِ الكافرةِ السابقةِ.

ثانياً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بالكفار والأعداء في الدنيا: عدمُ موافقته ﷺ على القضاءِ على الكفارِ، وذلك بإطباق مَلَك الجبالِ جبلَي مكة عليها وعلى من فيها، فلا يبقى فيها أحدٌ.

لأن مثل هذا الفعل يتنافى مع الرحمة المهداة، كما يتنافى مع تطلعات النبي المصطفى الكريم ﷺ، الذي يرجو هداية الخلق وإيمانهم، ولو كان على حساب شخصه الكريم، فهو لا يريد قتلهم، كما أنه ﷺ لم يكن

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٦٤٨)، ومسلم (٢٧٩٦).

متعطشاً إلى رؤية الدماء والدمار، ولكنه يصبر على الأذى في سبيل هداية الناس. فإذا لم يؤمن هذا الجيل له فإنه يأمل من الأجيال القادمة ولو تباعدت: أن يُخرج الله -تعالى- من أصلابهم من يؤمن بالله تعالى وحده ولا يشرك به شيئاً.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله! هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ مِنْ يومِ أُحُدٍ؟

فقال: «**لقد لقيتُ من قومِكِ**[1]. **وكان أشَدُّ ما لَقِيتُ منهم يومَ العقبةِ**[2]. **إذ عرضْتُ نفسي على ابن عبدِ يا لِيلَ بن عبدِ كُلالٍ. فلم يُجِبْني إلى ما أرَدْتُ. فانطلقتُ وأنا مهمومٌ على وجهي**[3]. **فلم أستفِق إلا بِقَرنِ الثعالبِ**[4]. **فرفعتُ رأسي، فإذا أنا بسحابَةٍ قد أظلتني. فنظرت فإذا فيها جبريلُ. فناداني: فقال: إن الله عز وجلَّ قد سمع قول قومِكَ لك، وما ردُّوا عليك. وقد بعثَ إليك مَلَكَ الجبال لِتأمُرَهُ بما شِئتَ فيهم. قال: فناداني مَلَكُ الجبال وسلَّم عليَّ. ثم قال: يا محمدُ! إن الله قد سَمِعَ قولَ قوْمِكَ لك. وأنا مَلَكُ الجبالِ. وقد بعثني ربُّك إليك لتأمُرَني بأمْرِكَ. فما شئتَ**[5]**؟ إن شِئتَ أنْ**

(١) (لقد لقيت من قومك) المراد قريش.

(٢) (يوم العقبة) هو اليوم الذي وقف ﷺ عند العقبة التي بمنى داعياً الناس إلى الإسلام. فما أجابوه وآذوه.

(٣) (على وجهي) أي: انطلقت هائماً لا أدري أين أتوجه.

(٤) (فلم أستفق إلا بقرن الثعالب) هو قرن المنازل ميقات أهل نجد.

(٥) (فما شئت) استفهام. أي: فأمرني بما شئت.

أُطْبِقَ عليهم الأخشَبَيْنِ» فقال له رسول الله ﷺ: «**بل أرجو أن يُخرجَ اللهُ مِن أصلابِهِم من يَعْبُدُ الله وحدَهُ، لا يُشْرِكُ به شيئاً**»[1].

إن ساعة الانتقام حلَّت، والجراح ما زالت مثخنة، والدم ما زال يسيل، ... ومع هذا يأبى نبيُّ الرحمة المهداة ﷺ أن ينتقم، أو يُعذِّب أعداؤه على الأقل، بل يطلب أن يبقوا على قيد الحياة، فإن لم يُسلموا هم، لعل الله تعالى يُخرج من أصلابهم من يؤمن. فما أوسع هذه الرحمة، وما أشملها، بحيث له من الأمل الكبير أن يؤمن ما في أصلاب الأعداء، ويصبر هو على إيذاء الأعداء، فصلوات ربي وسلامه عليه، ما أحلمه وأصبره، وما أشدَّ تحمله...[2]. ولقد تحقق ما أمَّلَهُ ﷺ ورجاهُ، فقد أسلم جميعُ من في مكة: سواءٌ قبل الفتح أو بعده إلا القليل منهم مات كافراً، كما أسلمَ أهلُ الطائف إلا من قُتِلَ منهم يوم حنين -وهم قلة-، كما أخرج الله -عز وجل- من صُلب أبي جهلٍ، عكرمة رضي الله عنه، ومن صُلب الوليد بن المغيرة، خالد بن الوليد رضي الله عنه، ومن صُلب العاص بن وائل، عمرو بن العاص رضي الله عنه، فصلوات ربي وسلامه عليه، ما أرحمه وأحلمه وأصبره.

ثالثاً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بالكفار والأعداء في الدنيا: عدم دعائه ﷺ على المشركين الأعداء بالفناءِ، وقد صدُّوهُ وكذَّبوهُ وعاندوه وآذوهُ، وآذوا أصحابه -رضي الله عنهم- أشد الأذى.

• فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله! ادع على المشركين. قال:

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

(٢) انظر: «الرحمة المهداة» (ص٤٦٩).

«**إني لم أُبعث لعَّاناً، وإنما بُعثتُ رحمةً**»[1].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَدِمَ الطُّفَيْلُ وأصحابُهُ فقالوا: يا رسول الله! إن دَوْساً قد كفرتْ وأبَتْ. فادْعُ اللهَ عليها. فقيل: هلكتْ دَوْسٌ. فقال: «**اللهم! اهدِ دَوْساً وائْتِ بهم**»[2].

نعم هو نبي الرحمة ﷺ، كما أخبر عن نفسه، وهو نبيُّ الهداية واليسر، وأن دينه دينُ السماحة واليسر، لذا يدعو لهم لا عليهم.

• **والدليل على ذلك:**

دعاؤه ﷺ يوم أحد بالعفو والمغفرة عن قومه، الذين أسالوا دمَهُ الشريف، وكسروا رباعيته، وشجُّوا جبهته، وأوقعوه في الحفرة، وأرادوا قتله...

وقتلوا سبعين من كرام أصحابه -رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم- ومع كل هذا لم يدع عليهم، بل اعتذر عنهم، ودعا لهم بالعفو والمغفرة، وأن يسامحهم الله تعالى.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كأني انظر إلى النبي ﷺ؛ يحكي نبياً من الأنبياء ضربَه قومُهُ، فأدْمَوْهُ وهو يمسحُ الدَّم عن وجهه وهو يقول:

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٩٩).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٩٣٧)، ومسلم (٢٥٢٤).

«**اللهم اغفِرْ لِقومي فإنهم لا يعلمون**»[1].

قال الحافظ -رحمه الله تعالى-: (المراد بالمغفرة في الحديث... العفو عما جنوه عليه في نفسه، لا محو ذنوبهم كلها، لأن ذنب الكفر لا يُمحى، أو المراد بقوله: «**اغفر لهم**» اهدهم إلى الإسلام الذي تصح معه المغفرة، أو المعنى: اغفر لهم إن أسلموا)، والله تعالى أعلم[2] ا.هـ.

رابعاً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بالكفار والأعداءِ في الدنيا: أنه ﷺ لم يقتل من سحرهُ أو سمَّهُ أو حاولَ قتله أو أساء إليه،... بل لم يُعنِّفْ أحداً منهم، ولم يأذن لمن استأذنَه بقتلهم أن يقتلهم، بل عفا عنهم جميعاً.

سواءٌ كانوا من العرب الكفار الأعداء، أو من اليهود الحاقدين، أو من المنافقين المارقين.

والأدلة على ذلك:

١- لم يقتل ﷺ لبيدَ بن الأعصم المنافقَ، حليفَ اليهودِ الذي سحرهُ كما في حديث عائشة رضي الله عنها[3].

٢- لم يقتل ﷺ اليهودية التي سمَّتهُ.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة، فأكل منها، فجيء بها إلى رسول الله ﷺ، فسألها عن ذلك؟

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٤٧٧)، ومسلم (١٧٩٢).

(٢) «فتح الباري» (١١/ ١٩٦).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٧٦٣)، ومسلم (٢١٨٩).

فقالت: أردتُ لأقتلك. قال: «**ما كان الله ليسلِّطكِ على ذلك؟**» قال: أو قال: «**عليَّ**» -قالوا: ألا نقتلُها؟ قال: «**لا**»[1].

٣- لم يقتل ﷺ الأعرابي الذي أراد أن يقتله وهو نائم.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه غزا مع رسول الله ﷺ قِبَل نجد، فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه، فأدركتهم القائلةُ في وادٍ كثير العضاة، فنزل رسول الله ﷺ، وتفرَّق الناس يستظلون بالشجر، فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة، وعلّق بها سيفه، ونمنا نومة، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا، وإذا عنده أعرابيٌّ فقال: «**إن هذا اخترط عليَّ سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتاً، فقال: من يمنعك مني؟ فقلت: الله (ثلاثاً) ولم يعاقبه، وجلس**»[2].

٤- الذي اعترض على رسول الله ﷺ وهو يُقسِّمُ غنائمَ حنين.

فعن جابر رضي الله عنه قال: أتى رجلٌ رسول الله ﷺ بالجعرانة -مُنْصَرَفَهُ من حنين- وفي ثوب بلال فضةٌ، ورسول الله ﷺ يقبض منها، يعطي الناس فقال: يا محمد! اعدل. قال: «**ويلك! ومن يعدل إذا لم أكن أعدل؟ لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل**» فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعني يا رسول الله! فأقتل هذا المنافق. فقال: «**معاذ الله! أن يتحدث الناس أني أقتلُ أصحابي. إن هذا وأصحابه يقرءون القرآن؛ لا يجاوز حناجرهم، يمرقون**

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٦١٧)، ومسلم (٢١٩٠).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٩١٠)، ومسلم (٨٤٣).

منه كما يرمق السهم من الرَّميَّة»[1].

خامساً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بالكفار والأعداءِ في الدنيا: حرصه الشديدُ على هدايتهم إلى الإسلام، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وإنقاذهم من عذاب الدنيا والآخرة.

والأدلة على ذلك:

١ - إرساله ﷺ الكتب إلى الملوكِ والرؤساءِ والولاةِ يدعوهم فيها إلى الإسلام، ويحذرهم من مغبَّةِ إعراضهم، وأنهم يتحملون المسؤولية عن أنفسهم وعن أقوامهم.

- فعن أنس بن مالك رضي الله عنه «أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النجاشي، وإلى كل جبار، يدعوهم إلى الله تعالى»[2].
- وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «ما قاتل رسول الله ﷺ قوماً حتى دعاهم»[3].
- وأول من كتب إليه من الملوكِ هرقلُ عظيم الروم، وهذا نص الكتاب: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلامٌ على من اتبع الهدى. أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام -أي: بدعوة الإسلام وهي كلمة التوحيد- أسلم تسلم

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٣).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٧٧٤).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٢٣١)، وعبد بن حميد (٦٩٧)، والدارمي (٢٤٤٤)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٦٤١)].

يؤتك الله أجركَ مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين - الفلاحين -... »[1].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما نحن في المسجد؛ إذ خرج إلينا رسول الله ﷺ فقال: «**انطلقوا إلى يهود**» فخرجنا معه، حتى جئناهم، فقام رسول الله ﷺ، فناداهم فقال: «**يا معشر يهود! أسلِموا تسلَموا**» قالوا: قد بلَّغتَ يا أبا القاسم، .... الحديث[2].

٢- حثُّهُ ﷺ قادة الجيوش الإسلامية على دعوة العدو إلى الإسلام قبل القتال.

• عن بريدة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ، إذا أمَّرَ أميراً على جيشٍ أو سريةٍ، أوصاه في خاصَّتِهِ[3] بتقوى الله ومنْ معهُ منَ المسلمين خيراً. ثم قال: «**اغزوا بسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تَغُلُّوا**[4]**، ولا تغْدِرُوا**[5]**، ولا تمْثُلُوا**[6]**، ولا تقتُلُوا وَليداً**[7]**، وإذا لقيت**

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧)، مسلم (١٧٧٣).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٩٤٤)، ومسلم (١٧٦٥).

(٣) (في خاصته) أي: في حق ذلك الأمير خصوصاً.

(٤) (ولا تغلوا) من الغلول أي: لا تخونوا في الغنيمة.

(٥) (ولا تغدروا) أي: ولا تنقضوا العهد.

(٦) (ولا تمثلوا) أي: لا تشوهوا القتلى بقطع الأنوف والآذان.

(٧) (وليداً) أي: صبياً، لأنه لا يقاتل.

عدُوَّكَ من المشركين فادعُهم إلى ثلاثِ خصالٍ (أو خِلالٍ). فأَيَّتُهُنَّ ما أجَابُوكَ فاقْبَلْ منهم وكُفَّ عنهم. ادعُهُم إلى الإسلام. فإن أجابوك فاقْبَلْ منهم وكُفَّ عنهم. ثم ادْعُهُم إلى التَّحوُّلِ من دارِهِم إلى دار المهاجرين. وأخبِرْهُم أنهم، إن فعَلُوا ذلك، فلَهُم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرينَ. فإن أبَوْا أن يتحوَّلوا منها، فأخبِرْهُم أنهم يكونون كأعراب المسلمين. يجري عليهم حُكْمُ الله الذي يجري على المؤمنين. ولا يكونُ لَهُم في الغنيمةِ والفيءِ شيءٌ. إلا أن يجاهِدوا مع المسلمين، فإن هم أبَوْا فَسَلْهُمُ الجِزْيَةَ. فإن هم أجابُوكَ فاقْبَلْ مِنْهم، وَكُفَّ عنهم، فإن هم أبَوْا فاستعن بالله وقاتلهم...» الحديث[1].

- وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم خيبر: «**انفُذ على رِسْلك، حتى تنزلَ بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمْر النَّعَم**»[2].

٣- نهيهُ ﷺ عن قتل الكافر إذا نطق بالشهادتين، حتى لو فعل بالمسلمين ما فعل.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٧٣١).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٠٠٩)، ومسلم (٢٤٠٦).

• لأن من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ، فقد عصم دمَه ومالـه وعرضَه. وفي هذا دلالة على حرصه ﷺ على هداية النـاس، ولـيس على قتلهم.

• عن جُنْدَب بن عبد الله البجليَّ رضي الله عنه قـال: إنَّ رسـول الله ﷺ بعـث بعثاً من المسلمين إلى قومٍ من المشركين. وإنَّهـم التقـوْا، فكـان رجُـلٌ من المشركين إذا شاءَ أن يقْصِدَ إلى رجلٍ من المسلمين قصدَ له فقتله. وإنَّ رجلاً من المسلمين قَصَدَ غَفَلْتَهُ. قال: وكنا نُحدِّث أنه أسامة بن زيدٍ. فلما رفع عليه السَّيْفَ قال: لا إله إلا الله، فقَتَلَهُ.. فجـاء البـشير إلى النبي ﷺ. فسأله فأخبرهُ. حتى أخبرهُ خبر الرجل كيـف صـنع. فـدعاه، فـسأله. فقـال: «**لم قتلتـه؟**» قـال: يـا رسـول الله أوْجَـعَ في المسلمين. وقتل فلاناً وفلاناً. وسَمَّى له نفراً. وإني حَمَلْتُ عليـه. فلـما رأى السِّيْفَ قال: لا إله إلا الله.

قال رسول الله ﷺ: «**أقتلته؟**» قال: نعم. قال: «**فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟**» قال: يا رسول الله! استغفر لي قال: «**وكيف تصنعُ بلا إله الله إذا جاءت يوم القيامة؟**» قال: فجعل لا يزيدُهُ على أن يقول: «**كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟**»[1].

بل أصرح من ذلك: نهيُهُ ﷺ صراحةً عن قتل من أسلم، وقـال: لا إله إلا الله، أثناء المعركة، ولو قطع يد المسلم المقاتل.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٩٧).

• عن المقداد بن الأسود ﷺ قال: يا رسول الله! أرأيت إنْ لقِيتُ رجلاً من الكفار. فقاتلني. فضرب إحدى يدَيَّ بالسَّيْفِ فقطعها. ثم لاذ مِنِّي بشجرةٍ، فقال: أسلمتُ لله. أفأقْتُلُهُ يا رسول الله! بعد أن قالها؟

قال رسول الله ﷺ: «**لا تقتله**» قال فقلت: يا رسول الله! إنَّه قد قطع يدي. ثم قال ذلك بعد أن قطعها. أفأَقْتُلُهُ؟ قال رسول الله ﷺ: «**لا تقْتُلْهُ! فإن قتَلْتَهُ فإنه بمنزِلَتِكَ قبلَ أنْ تقتُلَهُ. وإنك بمنزلَتِهِ قبلَ أن يقول كلِمَتَهُ التي قال**»[1].

فلو كان الهدفُ من الجهاد العدوان والقتلَ لما نهى ﷺ المقداد ﷺ عن قتل من قطع يده، ولَمَا لامَ أسامة ﷺ على قتل من أعلن إسلامه، مع احتمال كون القائل غير صادق.

٤ - نهيُهُ ﷺ عن قتل النساءِ والصبيانِ أثناء الحرب، ما لم تباشر المرأةُ القتالَ.

عن عبد الله بن عمر ﷺ قال: وُجدت امرأةٌ مقتولةٌ في بعض مغازي رسول الله ﷺ، فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان»[2].

سادساً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بالكفار والأعداءِ في الدنيا، عيادتُهُ ﷺ لمرضى الكفار من الذميين، وغير الذميين، كمشركي العرب، إذا كان ثمة مصلحةٍ.

• فعن أنسٍ ﷺ قال: كان غلام يهوديٌّ يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٠١٩)، ومسلم (٩٥).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٠١٥)، ومسلم (١٧٤٤).

النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: «**أسلِم**» فنظر إلى أبيه وهو عنده. فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ، فأسلم. فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «**الحمد لله الذي أنقذه من النار**»(١).

• وعن المسيب بن حَزْن رضي الله عنه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة؛ جاءه رسول الله ﷺ، فوجد عنده أبا جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة.

قال رسول الله ﷺ لأبي طالب: «**يا عم! قل لا إله إلا الله، كلمةٌ أشهد لك بها عند الله**»، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب! أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعودان بتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب،وأبى أن يقول لا إله إلا الله. فقال رسول الله ﷺ: «**أما والله لأستغفرن لك ما لم أُنه عنك**» فأنزل الله -تعالى- فيه: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾[التوبة](٢).

من الملاحظ في النص الأول: عيادته ﷺ لذمِّيٍّ -وهو يهودي- كان يخدمه ﷺ، وفي النص الثاني: عيادتُهُ ﷺ لغير ذمي -وهو عمه وكان مشركاً-، وقد حرِصَ ﷺ على هدايتهم جميعاً، فأسلم الأول، ولم يُسلِم الثاني، ومع هذا لم يتخلَّ عنه، بل وعد بالاستغفار له ما لم يُنه عن ذلك، وقد

(١) **صحيح**: رواه البخاري (١٣٥٦).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤).

نُهي.ومع هذا لم يتخلَّ عنه، بل شفع له في الآخرة بتخفيف العذاب عنه. وهذا يدل على رحمته ﷺ.

هذا رسولنا ﷺ أرسله الله رحمةً للعالمين، ومن رحمته: حرصهُ ﷺ على هداية الناس ودخولهم في الإسلام.

ومن رحمته ﷺ بالناس: أنه كان يتألمُ على إعراضهم عنه: حتى قال الله تعالى له: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾ [فاطر].

ويقول له أيضاً: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ -أي: قاتلٌ نفسك-﴿أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [الشعراء].

ويقوله له أيضاً: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [يونس].

فعلى المسلمين أن يتأسَّوا برسول الله ﷺ في رحمته بالكفار والأعداء، وذلك بحرصه ﷺ على هدايتهم ودعوتهم إلى الإسلام.

وعلى الكفار الذين اتهموا رسولَ الله ﷺ ظلماً وبهتاناً بالإرهاب: أن يراجعوا أنفسهم فيما قالوا قبل فوات الأوان، وأن يُسلموا ويؤمنوا به قبل أن ينزل بهم عذابُ الله، وعندها يؤمنون فلا ينفعهم إيمانهم.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [غافر].

وإذا نزل بهم عذابُ الله يوم القيامة ندموا في وقت لا ينفع فيه الندم.

قال تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٢﴾ [الحجر].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ۝١٦٥ إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ۝١٦٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ۝١٦٧﴾ [البقرة].

فهل من مدَّكر؟

والعاقل من اتعظ بغيره، والشقي من شقي في بطن أمه.

أسأل الله تعالى أن يحفظ الإسلام والمسلمين من كيد الكائدين، وأن يشرح صدورهم للإسلام أنه ولي ذلك والقادر عليه.

الثمرة الخامسة عشرة لدراسة السيرة النبوية العطرة

التأسي بالنبي ﷺ في رحمته بأمته

• **عباد الله!** يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء]، ويقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ٤٧ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ٤٨﴾ [الأحزاب]. ويقول سبحانه: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ [الأحزاب].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمَرْجان من قصص القرآن: دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**. والتي نتكلم فيها عن قصةِ نبينا وحبيبنا محمدٍ ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **الثمرة الخامسة عشرة التي سنقطفها -إن شاء الله تعالى- من دراستنا للسيرة النبوية العطرة ألا وهي: التأسي بالنبي ﷺ في رحمته بأمته.**

عباد الله! الله سبحانه وتعالى أرحم الراحمين، سبقت رحمتهُ غضبَه.

ومن رحمته -عز وجل- أن جعل نبيه محمداً ﷺ رحمةً للعالمين، لأنه ﷺ هو النبيُّ الوحيد الذي أُرسل إلى الثقلين -الإنس والجن-، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين، فلا نبيَّ بعده ولا رسول.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء].

• فمن رحمته تعالى بعباده أن جعل نبيهُ محمداً ﷺ نبيَّ الرحمة، وأرسله إلى خلقهِ جميعاً.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يُسَمِّي لنا نفسَهُ أسماءَ فقال: «**أنا محمدٌ، وأحمد، والمُقفِّي**[1]**، والحاشرُ، ونبيُّ التوبة**[2]**، ونبيُّ الرحمةِ**»[3].

• ومن رحمته تعالى بعباده أن بعث محمداً ﷺ رحمةً للعالمين.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله! ادع على المشركين. قال: «**إني لم أُبعث لعَّاناً، وإنما بُعثتُ رحمةً**»[4].

• ومن رحمته تعالى بعباده أن جعل نبيَّهُ محمداً ﷺ رحمةً مهداةً من الله تعالى إلى جميع العالمين.

---

(١) المقَفِّي: هو بمعنى العاقب.

(٢) (نبي التوبة ونبي الرحمة) ومقصودهما أنه ﷺ جاء بالتوبة والتراحم.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣٥٥).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٩٩).

قال ﷺ: «**يا أيها الناسُ! إنما أنا رحمةٌ مهداةٌ**»[1].

ورحمتُهُ ﷺ هي من الله تعالى؛ جَبَلَهُ عليها. قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران:١٥٩].

• ومن رحمته تعالى بعباده أن جعل نبيَّهُ محمداً ﷺ رحمةً لأمته، ورؤوفاً رحيماً بالمؤمنين.

قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ﴾ [التوبة:٦١].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة]. وقال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب:٦].

محمدٌ ﷺ نبيَّ الرحمةِ أرسلَهُ الله رحمةً للعالمين عامةً، ورحمةً لأمته والمؤمنين خاصةً.

ومن مظاهر رحمته ﷺ لأمته في الدنيا والآخرة

أولاً: سؤاله ﷺ المتكرر لأمته؛ ألا يُعذِّبها الله تعالى بما عذَّبَ به الأممَ السابقةَ من السنين، والجوع، والغرق، واستباحة العدو لها، ... الخ.

• فعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله زَوَى[2] لي الأرض**.

(١) **صحيح**: رواه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ١٩٢)، والحاكم (١٠٠)، والبيهقي في «الشعب» (١٤٠٤)، [«السلسلة الصحيحة» (٤٩٠)].

(٢) (زوى) معناه جمع.

فرأيت مشارقها ومغارِبَها. وإن أمتي سيَبْلُغُ مُلْكُها ما زُوِيَ لي منها. وأُعطيتُ الكنـزَيْنِ: الأحمَرَ والأبيضَ[1]. وإني سألت ربي لأمتي أن لا يُهْلِكَها بسنةٍ عامةٍ. وأن لا يُسَلِّط عليهم عدواً من سِوى أنفسهم. فيسْتبيحَ بيضَتَهُم[2] وإنَّ ربي قال: يا محمد! إني إذا قضيت قضاءً فإنه لا يُرَدُّ. وإني أعطيتكَ لأمتكَ أن لا أُهلِكَهُم بسنةٍ عامةٍ[3] وأن لا أُسَلِّطَ عليهم عدواً من سِوَى أنفسهم. يَسْتَبيحُ بيضَتَهُم. ولو اجتَمَعَ عليهم مَنْ بأقطارها»[4].

• وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**سألت ربي ثلاثاً. فأعطاني ثنتين ومَنَعني واحدةً. سألت ربي أن لا يُهلك أُمتي بالسنة فأعطانيها. وسألتُهُ أن لا يُهلِكَ أمتي بالغَرقِ فأعطانيها**»[5].

ثانياً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بأُمتَهِ: إلحَاحُهُ ﷺ المستمرُ على ربه، وسؤالهُ المتكرر لربه النجاةَ لأمتهِ، وأن يغفر لهم ويرحمهم.

• كان رسول الله ﷺ دائماً يُلِحُّ على ربه بقوله: «**اللهم أُمتي أمتي**»، وبقوله: «**اللهم اغفر لأمتي**»، وبقوله: «**يا ربِّ أمتي أمتي**»، حتى في الساعات

(١) (الكنزين الأحمر والأبيض) المراد كنزا كسرى وقيصر.

(٢) (فيستبيح بيضتهم) أي جماعتهم وأصلهم.

(٣) (أن لا أهلكهم بسنة عامة) أي لا أهلكهم بقحط يعمّهم.

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٨٩).

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٩٠).

الحرجة لا ينسى أمتهُ، بخلافِ الأنبياء السابقين، فكانوا يسألون ربهم أنفسَهُم دون غيرها كما في حديث الشفاعةِ (الناس في أرض الموقف يأتون آدم فيقول: نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى نوح. فيأتون نوحاً فيقول: نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم فيقول: نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى موسى. فيأتون موسى فيقول: نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى عيسى. فيأتون عيسى فيقول: نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى محمد. فيأتون محمداً ﷺ فيقولون: يا محمدٌ! أنت رسول الله! وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحنُ فيه، فأَنطلق فآتِي تحتَ العرشِ، فأقعُ ساجداً لِرَبي -عز وجل- ثم يَفتَحُ الله عليَّ مِنْ محامِدِه، وحُسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحْهُ على أحدٍ قبلي، ثم يقال: يا محمد! ارفعْ رأسك، سَلْ تُعطه، واشفعْ تُشَفَّعْ».

• وهذه هي الشفاعة العظمى لأهل الموقف جميعاً، لا يُشارِكُهُ فيها أحدٌ من الأنبياء.

ثم يقول ﷺ: «**فأرفعُ رأسي فأقول: أُمتي يا ربِّ! أمتي يا ربِّ! فيقال: يا محمدُ! أدخل من أُمتِكَ مَنْ لا حساب عليهم من الباب الأيمن مِنْ أبواب الجنةِ، وهم شركاءُ الناسِ فيما سوى ذلك من الأبواب**»[1].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

ثالثاً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بأمته: ادخارُهُ ﷺ دعوته المجابةَ لتكونَ شفاعةً لأمته يوم القيامة.

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لكل نبيٍّ دعوةٌ مستجابةٌ، فتعجَّلَ كلُّ نبيٍّ دعوتهُ، وإني اختبأتُ دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة**»(١).

• وعن أُبي بن كعبٍ رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يا أُبيُّ! أُرسِلَ إليَّ: أن أقرأ القرآن على حرفٍ. فرددت إليه: أن هوِّنْ على أمتي، فرَدَّ إلي الثانية: اقرأَهُ على حرفيْن. فردَدْت إليه: أن هَوِّنْ على أُمتي. فرَدَّ إليَّ الثالثة: اقرأهُ على سبعةِ أحرفٍ. فلكَ بكلِّ رَدَّةٍ رَدَدْتُكها مسألةٌ تسألُنيها**(٢). **فقلت: اللهم! اغفر لأمتي. اللهم! اغفر لأمتي. وأخَّرْتُ الثالثة ليوم يرغَبُ إليَّ الخَلْقُ كُلُّهُم حتى إبراهيم ﷺ**»(٣).

رابعاً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بأمته: أن الله تعالى سَيُرَضِّيهِ ﷺ فيها، ولا يسوؤه

• قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحى].

• وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ تلا قول الله -عز وجل- في إبراهيم: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾ [إبراهيم:٣٦] الآية وقال عيسى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١١٨﴾ [المائدة] فرفع

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٤٧٤)، ومسلم (١٩٩) واللفظ لمسلم.

(٢) (مسألة تسألُنيها) معناه مسألة مجابة قطعاً.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٨٢٠).

يديه وقال: «**اللهم أمتي أمتي**» وبكى فقال الله -عز وجل-: يا جبريلُ! اذهبْ إلى محمدٍ، وربُّكَ أعلمُ، فسَلْهُ ما يُبكيكَ؟ فأتاهُ جبريل -عليه الصلاة والسلام- فسألهُ. فأخبره رسول الله ﷺ بما قال. وهو أعلم. فقال الله: يا جبريل! اذهب إلى محمدٍ فقُلْ: إنا سنُرَضّيكَ في أُمَّتِكَ ولا نَسْوءُكَ»[1].

• وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**عُرِضَتْ عليَّ الأنبياء الليلة بأُمَمِها، فجعل النبي يمرُّ، ومعه الثلاثة، والنبي ومعه العِصابةَ، والنبي ومعه النفَرُ، والنبي ليس معه أحدٌ.. قلت: فأين أمتي؟ فقيل لي: انظُرْ عن يمينك. فنظرتُ، فإذا الظراب[2] قد سُدَّ بوجوه الرجال، ثم قيل لي: انظرْ عن يسارك. فنظرتُ، فإذا الأفق قد سُدَّ بوجوهِ الرجال، فقيل لي: أرَضِيتَ؟ فقلتُ: رضيتُ يا رب! رضيتُ يا رب! قال: فقيل لي: إن مع هؤلاء سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب**»[3].

خامساً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بأُمته: حرصُهُ الشديدُ على هدايتها، ونجاتها من عذاب الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٠٢).

(٢) (الظِّراب) هي الجبال الصغار المنبسطة على الأرض.

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٤٠١)، [وصححه الشيخ شعيب الأرناؤوط].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنما مثلي ومَثَلُ أُمَّتي كمثَلِ رجُلٍ اسْتَوقَدَ ناراً فجعلتِ الدوابُّ والفراشُ يقعن فيه. فأنا آخذٌ بحُجَزِكُم وأنتم تَقَحَّمُون فيه**»[1].

وفي رواية: «**أنا آخذٌ بحُجَزِكُم عن النار. هَلُمَّ عن النار. هَلُمَّ عن النار. فتغْلِبوني، تقحَّمُونَ فيها**».

• ولما كان رسول الله ﷺ رسولاً إلى البشرية كلِّها، وهو رحمةٌ للعالمين، ورؤوفٌ رحيم بالمؤمنين؛ لذا كان نذيراً وبشيراً للبشرية كلها.

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [سبأ]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞ ﴾ [مائدة:١٩]. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝٤٦ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ۝٤٧ ﴾ [الأحزاب].

فقد جعله تعالى للخلق بشيراً ونذيراً، فمن أطاعه بشرهُ بالجنة والرحمة والمغفرة.. ومن عصاه أنذره عقاب الله تعالى ونقمته وناره.

قال ﷺ: «**إنَّ مثلي ومثَلَ ما بعثني الله به، كمثل رجُلٍ أتى قومَهُ. فقال: يا قوم! إني رأيت الجيشَ بعينَيَّ. وإني أنا النذير العُريانُ فالنجاءَ[2]، فأطاعهُ طائفةٌ من قومه. فأدْلَجوا[3] فانطلقوا على مُهْلَتِهِم. وكذبتْ طائفةٌ منهم فأصبحوا**

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٤٨٣)، ومسلم (٢٢٨٤) واللفظ لمسلم والرواية لمسلم كذلك.

(٢) (فالنجاء) أي: اطلبوا النجاء.

(٣) (فأدلجوا) أي: ساروا من أول الليل.

مكانَهُم، فصبَّحَهُمُ الجيشُ فأهلكهُم واجتاحَهُم[1]**، فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئْتُ به. ومثلُ مَنْ عصاني وكذَّبَ ما جِئتُ به مِنَ الحق»**[2].

وقال ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**». قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**»[3].

سادساً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بأمته: أنه ﷺ لم يترك شيئاً مما تحتاجُ إليه الأمةُ مما فيه صلاحُها، في دنياها أو أُخراها إلا بيَّنهُ أوضح بيان.

• فعن سلمان رضي الله عنه وقيل له: قد علَّمكُم نبيكُم ﷺ كُلَّ شيءٍ حتى الخراءةَ[4].

قال: فقال: «أجل لقد نهانا أن نستَقْبِلَ القبلةَ لغائطٍ أو بولٍ أو أن نستنجيَ باليمين. أو أن نسْتَنجِيَ بأقلَّ من ثلاثةِ أحجارٍ، أو أن نستنجيَ برجيعٍ[5] أو بعظمٍ»[6].

• وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظةً؛ ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقلنا: يا رسول الله! إن هذه لموعظةٌ مودِّع، فماذا تعهدُ إلينا؟ قال: «**قد تركتكم على البيضاء؛ ليلُها كنهارها، لا يزيغُ عنها إلا هالك...**» الحديث[7].

---

(١) (واجتاحهم) أي: استأصلهم.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٢٨٣)، ومسلم (٢٢٨٣).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٧٢٨٠).

(٤) (الخِراءة) اسم لهيئة الحدث.

(٥) (برجيع) هو الروث والعذرة.

(٦) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٢).

(٧) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٤٣)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، [«السلسلة الصحيحة» (٩٣٧)].

سابعاً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بأمته: أنه ﷺ لم يأمر أمتهُ بما يَشُقُّ عليها.

الأدلة على ذلك:

قوله ﷺ: «**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواكِ عند كل صلاة**»[1].

وقوله ﷺ: «**لولا أن أشق على المسلمين ما قعدتُ خلافَ سريةٍ في سبيل الله أبداً...**»[2].

- وقد يترك ﷺ المداومة على الأمر مخافة أن يُفرض على الأمة، كما في تركه ﷺ صلاة التراويح في المسجد، خشية أن تُفرض على الأمة ولا تطيق ذلك.

- فعن السيدة عائشة رضي الله عنها في قصة عدم خروجه ﷺ من البيت بعد صلاته ثلاثة أيام أو أربعة في المسجد -وفيه: فقال ﷺ: «**أما بعد، فإنه لم يخف عليَّ شأنكم الليلة، ولكني خشيتُ أن تُفرض عليكم صلاةُ الليل، فتعجزوا عنها**»[3].

- بل قد يترك ﷺ الإجابة بـ (نعم) خشية أن يُفرض ذلك الأمر.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «**أيها الناس! قد فرض الله عليكم الحج فحجُّوا**». فقال رجل: أكلَّ عام يا رسول الله؟!

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٧)، ومسلم (٢٥٢).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦)، ومسلم (١٨٧٦).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٩٢٤)، ومسلم (٧٦١).

فسكت، حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ: «**لو قلت: نعم، لوجبت، ولما استطعتم**» الحديث[1].

ثامناً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بأمته: أمرُهُ ﷺ مَنْ وَلي شيئاً من أمور المسلمين بالرفق بهم، وعدم الإشقاق عليهم، سواءٌ كان والياً أو إمام صلاةٍ، أو غير ذلك.

• فعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا: «**اللهم مَنْ ولي من أمر أمتي شيئاً فشقَّ عليهم؛ فاشقق عليه. ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرَفَقَ بهم؛ فارفِق به**»[2].

• وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيها الناس! إن منكم منفرين، فأيكم أمَّ الناسَ فليوجز، فإن من ورائه الكبير والضعيف وذا الحاجة**»[3].

ولهذا حث ﷺ الإمام بالتجوُّز، ولا يشق على الأمة بالتطويل، أمَّا إذا صلى منفرداً، أو نافلةً، فليطوِّل ما شاء.

ولهذا كان نبي الرحمة ﷺ إذا دخل في الصلاة وهو يريد تطويلها؛ فيسمع بكاء الصبي، فإنه يتجوَّز في صلاته، رأفةً بالصبي وأمه، مع أنه ﷺ يرغب بتطويلها، لأن فيها راحته.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٣٣٧).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٢٨).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٠٢)، ومسلم (٤٦٦).

• فعن أنسٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها؛ فأسمع بكاءَ الصبي، فأتجوَّز في صلاتي؛ أعلم من شدة وَجْد أمه من بكائه**»(١).

تاسعاً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بأمته: تشديدُهُ ﷺ في منع إفساد ذاتِ البَيْن، والخلافِ بين أفراد الأمة، والخروج على إمام المسلمين.

• عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟**» قالوا: بلى. قال: «**إصلاح ذاتِ البين، فإن فسادَ ذاتِ البين هي الحالقةُ**».

زاد الترمذي: «**هي الحالقة، لا أقول تحلقُ الشَّعر، ولكن تحلقُ الدِّين**»(٢).

• وإفساد ذات البين يبدأ من التخبيب بين العبد وسيده، والزوج والزوجة، والأخ وأخيه، وينتهي بإفساد الرعية على إمامها، وخروجها عليه.

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس منا من خبَّب امرأةً على زوجها، أو عبداً على سيده**»(٣).

وقال ﷺ: «**لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا**

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٠٩)، ومسلم (٤٧٠).

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (٢٥٠٨)، وأحمد (١/ ١٦٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٦٠)، [«غاية المرام» (٤١٤)].

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٢١٧٥)، وأحمد (٥/ ٣٥٢)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٢٤)].

يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً»[1].

• وأشد من ذلك: إفساد الحال بين الرعية والإمام.

• فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة، ثم مات، مات ميتةً جاهليةً، ومن قُتل تحت رايةٍ عُمِّيَّةٍ، يغضبُ للعصبة، ويقاتل للعصبة (أو ينصر عصبةً) فليس من أمتي، ومن خرج من أمتي على أمتي، يضربُ بَرَّها وفاجرَها، لا يتحاشَ من مؤمنها، ولا يفي بذي عهدها، فليس مني**»[2].

وقال ﷺ: «**إنه ستكون هَناتٌ وهناتٌ، فمن أراد أن يفرِّق أمر هذه الأمة** -وهي جميع- **فاضربوه بالسيف، كائناً من كان**».

وفي لفظ: «**من أتاكم، وأمركم جميعٌ على رجلٍ واحدٍ، يريد أن يشقَّ عصاكم، أو يفرِّق جماعتكم، فاقتلوه**»[3].

• وعن عوف بن مالك ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خيارُ أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلّون**[4] **عليكم وتُصلَّون عليهم، وشرارُ أئمتكم الذين تُبغضونهم ويبغضونكم، وتَلعنونهم ويلعنوكم**».

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٦٣) وبعضه عند البخاري.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٤٨).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٥٢).

(٤) يصلون: يدعون لكم.

قيل: يا رسول الله؛ أفلا ننابذهم بالسيف؟ قال: «**لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، (لا، ما أقاموا فيكم الصلاة) وإذا رأيتم من ولاتكم شيئاً تكرهونه، فاكرهوا عمله، ولا تنزِعوا يداً من طاعة**»[1].

ولذلك كانت عقيدةُ أهل السنة والجماعة: (ولا نرى السيف على أحدٍ من أمة محمدٍ ﷺ إلا مَنْ وجب عليه السيف، ولا نرى الخروجَ على أئمتنَا وولاةِ أُمورِنا، وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا نَنزعُ يداً من طاعتهم، ونرى طاعَتَهمْ مِنْ طاعة الله -عز وجل- فريضةً ما لم يأمروا بمعصيةٍ، وندعو لهم بالصلاحِ والمعافاةِ)[2].

• فعلى المسلمين أن يتقوا الله في الأمة الإسلامية، ويتأسَّوا برسول الله ﷺ في رحمته بالأمة لأنه ﷺ قال: «**مَنْ لا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ**»[3].

قال ﷺ: «**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء**»[4].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٥٥).

(٢) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٣٧٩).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٩٩٧)، ومسلم (٢٣١٨).

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤)، وأحمد (٢/ ١٦٠)، [«السلسلة الصحيحة» (٩٢٥)].

الثمرة السادسة عشرة لدراسة السيرة النبوية العطرة

التأسي بالنبي ﷺ في رحمته بالصحابة رضي الله عنهم

• **عباد الله!** يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح]، ويقول سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمَرْجان من قصص القرآن: دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**. والتي نتكلم فيها عن قصةِ نبينا وحبيبنا محمدٍ ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **الثمرة السادسة عشرة التي سنقطفها -إن شاء الله تعالى- من دراستنا للسيرة النبوية العطرة ألا وهي: التأسي بالنبي ﷺ في رحمته بالصحابة رضي الله عنهم**.

• الصحابة رضي الله عنهم هم الذين صَحِبوا رسول الله ﷺ وآمنوا به وماتوا على ذلك.

• الصحابة ﷺ هم خيرُ البشرِ بعد رسول الله ﷺ والأنبياء والمرسلين.

• قال ابن مسعودٍ ﷺ: (إن الله تعالى نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمدٍ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمدٍ ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه) [1].

• الصحابة ﷺ هم المؤمنون حقاً.

• قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال].

• الصحابة ﷺ هم الرجال.

• قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ۝٢٣﴾ [الأحزاب].

• الصحابة ﷺ مَنْ سلك سبيلهم سَعِدَ في الدنيا والآخرة.

• قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٠٠﴾ [التوبة].

---

(١) **حسن**: رواه أحمد (١/ ٣٧٩)، [حسنه الشيخ شعيب الأناؤوط في تحقيقه للمسند].

• وقال ﷺ: «**وتفترق أمتي على ثلاثٍ وسبعين ملةٍ كلها في النار إلا ملةً واحدةً: ما أنا عليه وأصحابي**»[1].

• وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (من كان مستناً فليستن بمن قد مات؛ فإن الحيَّ لا تُؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمدٍ ﷺ كانوا والله! أفضل هذه الأمة؛ أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً. قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم)[2].

• ومن سلك سبيلاً غير سبيل الصحابة رضي الله عنهم شقي في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء].

• والصحابة رضي الله عنهم حبهم دينٌ وإيمانٌ وإحسان، وبغضهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيان.

حذرَ النبي ﷺ من سبهم والاعتداء عليهم. فقال ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده! لو أن أحدكم أنفق مثل أُحُدٍ ذهباً ما أدرك مُدَّ**

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٢٦٤١)، [«السلسلة الصحيحة» (١٣٤٨)].

(٢) البغوي في «معالم التنزيل» (٤/ ٢٨٥).

أحـدِهم ولا نـصيفَه»[1]. وقـال ﷺ: «**مـن سـبَّ أصـحابي، فعليـه لعنـةُ الله والملائكة والناس أجمعين**»[2].

والله -عـز وجـل- أرحـمُ الـراحمين أرسـلَ رسـولَه محمـداً ﷺ رحمـةً للعالمين عامةً، ورحمةً للصحابة رضي الله عنهم خاصةً.

ومن مظاهر رحمته ﷺ بأصحابه -رضي الله عنهم-

أولاً: لما خيَّرَهُ الله -عز وجل- بين أن يكون نبيًّا ملِكاً، أو يكون رسولاً عبداً، فاختار أن يكون رسولاً عبداً.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (جلس جبريلُ إلى النبي ﷺ فنظـر إلى الـسماء، فإذا مَلَكٌ ينزلُ، فقال له جبريـل: هـذا الملـكُ مـا نـزلَ منـذُ خُلِـقَ قبـل الساعة، فلما نزل قال: يا محمدُ! أرسَلَني إليك ربُّك: أمَلِكـاً أجعلُـكَ أم عبداً رسولاً؟ قال له جبريل: تواضعْ لربك يا محمد! فقـال رسـول الله: «**لا، بل عبداً رسولاً**»[3].

- فرسولُنا محمدٌ ﷺ عبدٌ إذا جاع صبر، وإذا شَبِعَ شكر، يجوعُ ﷺ إذا جاع أصـحابُهُ، ويـشبعُ إذا شـبع أصـحابُهُ، وفي ذلـك رحمـةٌ منـهُ بأصـحابه ومواساةٌ لهم.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠).

(٢) **حسن**: رواه الطبراني في «الكبير» (١٢٥٤١)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٣٤٠)].

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٢٣١)، وابن حبان (٦٣٦٥)، [«السلسلة الصحيحة» (١٠٠٢)].

ومن الأمثلة على ذلك:

• يقول أبو هريرة ﷺ: خرج رسول الله ﷺ ذات يومٍ أو ليلةٍ، فإذا هو بأبي بكرٍ وعمرَ ﷺ، فقال: «**ما أخرَجَكُما مِنْ بيوتِكُما هذه الساعة**»؟ قالا: الجوعُ يا رسول الله! قال: «**وأنا، والذي نفسي بيدِهِ! لأخْرَجَني الذي أخْرَجكُما**»، قُوما، فقاما معه، فأتى رجلاً من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته، فلمَّا رَأتْهُ المرأة قالت: مرحباً وأهلاً. فقال لها رسول الله ﷺ: «**أين فلانٌ؟**» قالت: ذهب يستَعْذِبُ لنا الماء. إذ جاء الأنصاري، فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه، ثم قال: الحمدُ لله، ما أحدٌ اليوم أكرمَ أضيافاً مني، فانطلق فجاءَهم بعِذْقٍ فيه بُسْرٌ وتمرٌ ورُطبٌ، فقال: كُلُوا، وأخذ المُدْيَةَ، فقال له رسول الله ﷺ: «**إياك والحَلُوبَ**» فذبح لهم، فأكلوا من الشاة ومنْ ذلك العِذْقِ وشربوا. فلما أن شَبِعوا ورَوُوا قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لتُسألُنَّ عن هذا النعيم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثم لم ترجعوا حتى أصابَكُمْ هذا النعيم**»[1].

• ويقول ابن مسعودٍ ﷺ: (اضطجع رسول الله ﷺ على حصيرٍ، فأثَّر في جنبه، فلما استيقظ؛ جعلت أمسحُ جنبه فقلت: يا رسول الله! ألا آذنتنا حتى نبسط لك على الحصير شيئاً؟ فقال: ﷺ: «**مالي**

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٠٣٨).

وللدُّنيا؟! ما أنا والدنيا؟! إنما مَثَلي ومثلُ الدنيا كراكبٍ ظلَّ تحت شجرةٍ، ثم راح وتركها»[1].

• ويقول عمر رضي الله عنه: دخلت على رسول الله ﷺ وهو على حصيرٍ، قال: فجلستُ، فإذا عليه إزارُه، وليس عليه غيرُهُ، وإذا الحصيرُ قد أثَّر في جنْبِه، وإذا أنا بقبضةٍ مِنْ شِعيرٍ نحو الصاع، وقَرَظٍ في ناحيةٍ في الغرفَةِ، وإذا إهابٌ مُعَلَّقٌ، فابْتَدرتْ عيناي، فقال: «**ما يبكيك يا ابن الخطاب؟**». فقال: يا نبي الله! ومالي لا أبكي وهذا الحصير قد أثَّر في جنبك، وهذه خِزانَتُكَ لا أرى فيها إلا ما أرى، وذاك كِسْرى، وقَيصَرُ في الثمارِ والأنهارِ، وأنتَ نبيُّ الله وصفوتُهُ، وهذه خزانتُكَ. قال: «**يا ابنَ الخطاب! أما ترضى أن تكون لنا الآخرةُ ولهم الدنيا؟**». قلت: بلى[2].

• وقالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله! كلْ -جعلني الله فداك- مُتكِئاً؛ فإنه أهون عليك. فأحنى ﷺ رأسه حتى كاد أن تصيب جبهتُهُ الأرض وقال: «**بل آكُلُ كما يأكل العبدُ، وأجلِسُ كما يجلِسُ العبد**»[3].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٣٧٧)، وابن ماجه (٤١٠٩)، وأحمد (١/ ٣٩١)، [«السلسلة الصحيحة» (٤٣٨)].

(٢) **حسن**: رواه ابن ماجه (٤١٥٣)، وأصله في مسلم (١٤٧٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٢٨٤)].

(٣) **صحيح**: رواه ابن سعد في «طبقاته» (١/ ٣٨١)، وأبو يعلى (٤٩٢٠)، والبيهقي في «الشعب» (٥٩٧٥)، [«السلسلة الصحيحة» (٥٤٤)].

• وهذا من تواضعه ﷺ ومن رحمته بأصحابه، وإلا فإنه ﷺ لـو أراد أن تكون معهُ جبالُ الدنيا ذهباً وفضة لكانت.

قال ﷺ: «**والله يا عائشة! لـو شـئتُ لأجْـرى اللهُ معـيَ جِبـالَ الـذَّهَبِ والفضةِ**»[1].

ثانياً: ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته على أصحابه رضي الله عنهم: أنه يعطفُ عليهم، ويُطعِمُ جائعهم، ولا يأكل حتى يأكلوا، ويعودُ مرضاهم، ويصلي على موتاهم.

• يقول أبو هريرة رضي الله عنه: والله الذي لا إله إلا هو، إنْ كنتُ لأعتَمِدُ بكبـدي على الأرض من الجوع، وإن كنتُ لأشُدُّ الحَجَرَ على بَطنـي مـن الجُـوع. ولقد قعدْتُ يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه، فمـرَّ بي النبـي ﷺ، فتَبَسَّمَ حينَ رآني، وعرفَ ما في وجهي وما في نفسي، ثم قال: «**أبـا هِـرٍّ**» قلت: لبيك يا رسول الله! قال: «**الحَقْ**» ومضى فاتبعته، فدخلَ فاستأذنَ، فأذِنَ لي فدَخَلتُ، فوجدَ لبناً في قَدَحٍ. فقـال: «**مـن أيـن هـذا اللـبن؟**». قالوا: أهداه لك فلانٌ -أو فلانة-. قال: «**أبا هِرٍّ**» قلت: لبيك يا رسـول الله؟ قال: «**الحَقْ إلى أهل الصُّفَّةِ فادْعُهُم لي**». قال: وأهل الصُّفَّةِ أضياف الإسلام، لا يأوون إلى أهلٍ ولا مالٍ ولا على أحدٍ، كان إذا أتتـه صـدَقَةٌ بعث بها إليهم، ولم يتنـاولْ منهـا شـيئاً، وإذا أتَتْـهُ هديـةٌ أرسـل إلـيهم،

(١) **حسن لغيره**: رواه ابـن سـعد في «طبقاتـه» (١/ ٤٦٥)، والخطيـب في «تاريخـه» (١١/ ١٠٢)، والبيهقي في «الشعب» (١٤٦٨)، [«السلسة الصحيحة» (٢٤٨٤)].

وأصابَ منها، وأشرَكَهُم فيها. فساءَني ذلك.

فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصُّفَةِ! كنتُ أحقُّ أن أُصيبَ من هذا اللبن شَرْبَةً أتقوَّى بها، فإذا جاءوا وأمرني فكنتُ أنا أُعطيهم، وما عَسى أنْ يَبلُغَنِي منْ هذا اللبن؟ ولم يكُنْ من طاعة الله وطاعةِ رسول الله ﷺ بُدٌّ، فأتيتُهُم فدعَوْتُهُم، فأقبلوا واستأذنوا، فأذِنَ لهم وأخذوا مجالسَهُم من البيت. قال: «**يا أبا هِرٍّ**» قلت: لبيك يا رسول الله!

قال: «**خُذْ فأعْطِهِم**». قال: فأخذتُ القَدَحَ، فجعلتُ أُعطيهِ الرجلَ فيشْرَبُ حتى يَرْوَى، ثم يَرُدُّ عليَّ القدح حتى انتهيت إلى النبي ﷺ، وقد روى القومُ كُلُّهمُ، فأخذ القدح فوضَعَهُ على يده، فنظر إليَّ فتبَسَّمَ فقال: «**أبا هِرٍّ**» قلت: لبيك يا رسول الله! قال: «**بقيت أنا وأنت**» قلت: صدقت يا رسول الله! قال: «**اقعدْ فاشربْ**» فقعدت فشَرِبْتُ، فقال: «**اشربْ**» فشرِبْتُ، فما زال يقول: «**اشرب**» حتى قلت: لا، والذي بَعَثَكَ بالحقِّ لا أجِدُ له مَسْلَكاً! قال: «**فأرِنِي**» فأعطيتُهُ القَدَحَ، فحمِدَ الله تعالى وسَمَّى وشَرِبَ الفَضْلَةَ[1].

• وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: إنَّا كنَّا يوم الخندق نَحْفِرُ، فعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شديدةٌ، فجاءوا إلى النبي ﷺ فقالوا: هذه كُدْيَةٌ عَرَضَتْ في الخندق. فقال: «**أنا نازلٌ**» ثم قامَ، وبطنُهُ معْصُوبٌ بحجرٍ، ولَبِثْنا ثلاثة

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٤٥٢).

أيامٍ لا نذُوقُ ذَواقاً[1] فأخذ النبي ﷺ المِعْوَلَ، فضربَ، فعادَ كَثيباً أهْيَلَ أو أهْيَمَ، فقلت: يا رسول الله! ائذَنْ لي إلى البيت، فقلتُ لامرأتي: رأيت بالنبي ﷺ شيئاً ما في ذلك صبرٌ، فعندكِ شيءٌ؟ فقالت: عندي شعيرٌ وعَناقٌ[2]، فذَبَحْتُ العناقَ، وطحنَتُ الشعيرَ، حتى جعلنا اللحم في البُرمَةِ، ثم جئتُ النبي ﷺ، والعجينُ قدِ انكسَرَ[3]، والبُرمَةُ بين الأثافيِّ، قد كادت تنضج، فقلتُ: طُعَيْمٌ لي، فقُمْ أنت يا رسول الله ورجلٌ أو رجُلان، قال: «**كمْ هُوَ**»؟ فذكرتُ له. فقال: «**كثيرٌ طيبٌ، قل لها لا تنزع البُرمة، ولا الخِبزَ مِنَ التنورِ حتى آتي**». فقال: «**قوموا**» فقام المهاجرون والأنصار، فدخلتُ عليها فقلت: ويْحَكِ[4] قد جاء النبي ﷺ والمهاجرون والأنصارُ ومن معهم! قالت: هل سألك؟ قلتُ: نعم. قال: «**ادخلوا ولا تَضَاغَطوا**» فجعل يكسرُ الخبز، ويجعلُ عليه اللحمَ، ويُخَمِّرُ البُرمَةَ والتنور[5] إذا أخذ منه، ويُقَرِّبُ إلى أصحابه ثم ينزع، فلم يَزلْ يكْسِرُ ويغْرِفُ حتى شبعوا وبقي منهُ فقال: «كُلِي هذا وأهدي، فإن الناس أصابَتْهُم مجاعةٌ»[6].

---

(١) (ذواقاً) أي: لا نطعم فيها شيئاً.

(٢) (عناق) هي: الأنثى من المعز.

(٣) (انكسر) أي: لان ورطب وتمكن منه الخمير.

(٤) (ويحك) كلمة رحمة.

(٥) أي: يغطيها.

(٦) **صحيح**: رواه البخاري (٤١٠١)، ومعناه عند مسلم (٢٠٣٩).

• وكان ﷺ: يعود أصحابه إذا مرضوا.

• عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ إذ جاء رجلٌ من الأنصار، فسَلَّمَ عليه، ثم أدبر الأنصاريُّ، فقال رسول الله ﷺ: «**يا أخا الأنصارِ! كيف أخي سعدُ بنُ عُبادَةَ؟**» فقال: صالِحٌ. فقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ يَعُودُهُ منكم؟**» فقامَ وقُمنا معهُ، ونحن بضعةَ عشرَ، ما علينا نِعالٌ، ولا خفافٌ، ولا قَلانِسُ ولا قُمُصٌ، نمشي في تلك السِّباخِ، حتى جِئناهُ، فاستأخَرَ قومُهُ من حوله حتى دنا رسول الله ﷺ وأصحابُهُ الذين معه)[1].

• وكان ﷺ يُصلي على أصحابه إذا ماتوا ويتبع جنائزهم.

• عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال: «إنَّ رسول الله ﷺ كان يعودُ مرضى مساكين المسلمين وضُعفائهم، ويتبع جنائزهم، ولا يُصَلِّي عليهم غيرُهُ...» الحديث[2].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن امرأةً سوداءَ كانت تَقُمُّ (وفي رواية: تلتقطُ الخِرَقَ والعيدانَ من) المسجد، فماتتْ، ففقدها النبي ﷺ، فسأل عنها بعد أيامٍ، فقيل له: إنها ماتت، فقال: «هلا كُنتُم آذَنْتُموني؟»، قالوا: ماتت من الليل ودُفنتْ، وكرهنا أن نُوقِظك). قال: «فكأنهم صَغَّروا أمرَها»

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٩٢٥).

(٢) انظر: «أحكام الجنائز» (ص١١٥).

فقال: «دُلُّوني على قبرها فدلوه، (فأتى قبرها فصلى عليها). ثم قال: «**إن هذه القبور مملوءةٌ ظُلْمةً على أهلها، وإن الله -عز وجل- مُنَوِّرُها لهم بصلاتي عليهم**»[1].

ثالثاً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بأصحابه: دعاؤُهُ وشدةُ مناشدتهِ ربَهُ لهم يوم بدر.

• عن عمر رضي الله عنه قال: لما كان يومُ بدرٍ، نَظَرَ رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألفٌ، وأصحابُهُ ثلاثِمائةٍ وتُسعةَ عَشَرَ رجُلاً. فاسْتقْبَلَ نبيُّ الله ﷺ القِبْلَةَ. ثم مَدَّ يديْهِ فجعل يهتفُ بربِّهِ «**اللهم! أنجِزْ لي ما وَعَدْتني، اللهم آتِ ما وَعدتني. اللهم إن تُهلِكْ هذه العصابَةَ من أهل الإسلام لا تُعبدْ في الأرض**» فما زال يهتِفُ بربه، ماداً يديه، مُستقبلَ القبلَةِ، حتى سقط رِدَاؤُهُ عن منكبَيهِ. فأتاه أبو بكرٍ. فأخذ رِداءَهُ فألقاهُ على منكِبَيْه. ثم التزَمَهُ مِنْ ورائهِ. وقال: يا نبي الله! كذاكَ[2] مُناشَدَتَكَ ربَّكَ فإنه سينجزُ لك ما وعدَكَ. فأنزل الله -عز وجل- ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ...﴾ [الأنفال:٩]» الحديث[3].

• عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ خرج يوم بدر، في ثلثمائة وخمسة عشر، فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم إنهم حُفاةٌ فاحْمِلْهُم، اللهمَّ إنهم عُراةٌ فاكسُهُمْ، اللهم إنهم جياعٌ فأشْبِعْهُمْ**» ففتح الله له يوم بدر،

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٥٨)، ومسلم (٩٥٦) واللفظ لمسلم.

(٢) كذاك: ولبعضهم كفاك.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١٧٦٣).

فانقلبوا حين انقلبوا وما منهم رجل إلا وقد رجع بجملٍ أو جملين، واكتسوا، وشبعوا»[1].

رابعاً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بأصحابه: أنه جعلَ الله وجودهُ ﷺ أماناً لهم من الفتن والارتدادِ واختلاف القلوبِ الذي يُفضي إلى النار.

• قال ﷺ: «**النجوم أَمَنَةٌ للسماء، فإذا ذهبت النجومُ أتى السماءَ ما توعد، وأنا أَمَنَةٌ لأصحابي، فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أَمَنَةٌ لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون**»[2].

• وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: انكسفت الشمس يوماً على عهد رسول الله ﷺ، فقام رسول الله ﷺ يصلي، ... وفي آخره: ثم سجد، فلم يكد يرفع رأسه، فجعل ينفخ ويبكي، ويقول: «**ربِّ! ألم تعدني أن لا تعذبهم وأنا فيهم، ربِّ! ألم تعدني أن لا تعذِّبهم وهم يستغفرون،...**»[3].

خامساً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بأصحابه: مُراعاتُهُ لشعورهم، ورأفتُهُ بهم حال غُربتِهم، وتفقدُهُ لأحوالهم.

• عن مالك بن الحويرث؛ قال: أتينا رسول الله ﷺ ونحنُ شَبَبَةٌ مُتقاربون. فأقمنا عندَهُ عشرين ليلةً، وكان رسول الله ﷺ رحيماً رقيقاً. فظنَّ أنَّا قد اشتقنا أهلنا. فسألنا من تركنا مِنْ أهلنا. فأخبرناه.

---

(١) **حسن**: رواه أبو داود (٢٧٤٧)، [«السلسلة الصحيحة» (١٠٠٣)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٣١).

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (١١٩٤)، والنسائي في «الكبرى» (٥٤٧)، وابن خزيمة (١٣٩٢)، وابن حبان (٢٨٣٨)، والبيهقي (٢/ ٢٥٢)، [«إرواء الغليل» (٢/ ١٢٤)].

فقال: «**ارجعوا إلى أهليكم. فأقيموا فيهم. وعلِّمُوهُم. ومُرُوهمْ. فإذا حضرت الصلاة فليُؤذن لكم أحدُكُم. ثم ليَؤُمَّكُم أكبَرُكُم**»[1].

سادساً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بأصحابه: أنه ﷺ لا يأمرهم إلا بما يستطيعون، وأنه إذا بايعهم على أمرٍ يُلقنهم فيما استطعتم.

• عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**دعوني ما تركتُكم، فإنما أهلك من كان قبلكم سُؤالُهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيُتكم عن شيءٍ فاجتنبوه، وإذا أمرتُكم بشيءٍ فأتوا منه ما استطعتم**»[2].

• وعن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا إذا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة يقول لنا: «**فيما استطعت** -أو قال: **استطعتم**...»[3].

سابعاً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بأصحابه إخبارُهُ ﷺ أن من ترك دَيناً فعليه ﷺ قضاؤُهُ، وأن من ترك مالاً فلورثته.

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مؤمن إلا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة، اقرؤوا إن شئتم ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾** [الأحزاب:٦]. **فأيما مؤمن مات وترك مالاً فليرثه عصبته من كانوا، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتني، فأنا مولاه**»[4].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٣١)، ومسلم (٦٧٤).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٢٠٢)، ومسلم (٥٦).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٣٩٩)، ومسلم (١٦١٩) واللفظ البخاري.

• وفي رواية لهما: «**من ترك مالاً فلورثته، ومن ترك دَيناً فعليَّ قضاؤه**»[1].

• وهذا ينسخُ ما كان في بداية الأمر من عدم صلاته ﷺ على من مات وعليه دَينٌ.

بأبي هو وأمي ما أرحمه بأصحابه!

فعلى المسلمين أن يتأسَّوا برسول الله ﷺ في رحمته بأصحابه، فيرحم بعضهم بعضاً، ويعطف بعضهم على بعض فإن الله -عز وجل- يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

ويقول ﷺ: «**المسلم أخو المسلم**»[2].

ويقول ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسَّهر والحمى**»[3].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٢٩٨)، ومسلم (١٦١٩).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٦٤).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦).

الثمرة السابعةَ عشرةَ لدراسة السيرة النبوية العطرة: التأسي بالنبي ﷺ في رحمته بالعصاةِ والمخطئين والمخالفين من أمته في الدنيا

عباد الله! يقول -عز وجل- لرسوله ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران]، ويقول سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان **اللؤلؤ والمرجان من قصص القرآن: دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**، والتي نتكلم فيها عن قصة نبينا وحبيبنا محمدٍ ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **الثمرةُ السابعةَ عشرةَ التي سنقطفها -إن شاء الله تعالى- من دراستنا للسيرة النبوية العطرة ألا وهي: التأسي بالنبي ﷺ في رحمته بالعصاة والمخطئين والمخالفين من أمته في الدنيا.**

كُلنَا يَقْتَرِفُ المعاصي، كُلُّنا يذنب، كُلنا ذو خطأ، فإن الله عصمَ أنبياءه ورُسله فقط. قال ﷺ: «**كل ابن آدم خطَّاءٌ، وخيرُ الخطائين التوابون**»[1].

---

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٢٤٩٩)، وابن ماجه (٤٢٥١)، وأحمد (٣/ ١٩٨)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٣٩)].

• ومن رحمة الله بعباده أنه يغفرُ لمن وقع في المعصية والذنب والمخالفة بجهالةٍ، ثم يتوب إليه من قريب قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [النساء]. وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾ [النحل].

• ومن رحمته سبحانه بعباده أنه أرسل رسوله محمدًا ﷺ رحمةً للعصاةِ والمخطئين والمخالفين من أمته في الدنيا.

ومن مظاهر رحمته ﷺ بالعصاة والمخطئين والمخالفين الذين وقعوا في المعصية بجهالةٍ وبدون قصدٍ من أمته في الدنيا ما يلي:

أولاً: أنه ﷺ لم يدْعُ على العصاة والمخطئين والمخالفين من أمته، ونهى ﷺ عن سبهم ولعنهم، بل طلب ﷺ الدعاء لهم بالمغفرةِ والرحمة

لأنهم ما زالوا في حظيرة الإيمان، وحصن محبتهم لله تعالى ولرسوله الكريم ﷺ، ولأن الدعاء عليهم ولعنهم مدعاةٌ لاستغلال العدو بإبعادهم عن الإيمان، وإعانة للشيطان عليهم، ومن الأمثلة على ذلك:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أُتي النبي ﷺ بسكران فأمرَ بضَربِهِ، فَمِنَّا مِنْ يضربه بيدِهِ، ومنا من يضربُهُ بنعلِهِ، ومنا مَن يضربُهُ بثوبِهِ، فلما انصرف قال الرجل: ماله؟ أخزاهُ الله. فقال رسول الله ﷺ: «**لا تكونوا عَوْنَ الشيطان على أخيكُم**»[1].

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٧٨١).

وفي رواية: «**لا تقولوا هكذا، لا تعينوا عليه الشيطان**» وزاد في رواية أبي داود: «**ولكن قولوا: اللهم اغفِرْ له، اللهم ارحمه**»(١).

• بل نهى رسول الله ﷺ عن لعنه، وأثبت له المحبة، وإن كان مقصراً مع تكراره لشرب الخمر، وإقامة الحدِّ عليه في كل مرة.

• عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً كان على عهد النبي ﷺ كان اسمُهُ عبد الله، وكان يُلقَّبُ حِماراً، وكان يُضحِكُ رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جلدَه في الشراب، فأُتي به يوماً فأُمر به فجُلد. فقال رجلٌ من القوم: اللهم العنه ما أكثر ما يُؤتى به. فقال النبي ﷺ: «**لا تلعنوه، فوالله ما علمتُ أنه يحبُّ الله ورسوله**»(٢).

ثانياً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بالعصاة والمخطئين والمخالفين: أنه ﷺ يكونُ معهم في غاية اللطفِ والعطف والشفقةِ، خاصةً إذا كانت مخالفتهم ناتجةً عن جهلٍ أو تقصيرٍ.

ومن الأمثلة على ذلك:

المثال الأول: الرجل الذي وقع على امرأته في نهار رمضان

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: هلكتُ يا رسول الله! قال: «**وما أهلكك**»؟ قال: وقعتُ على امرأتي في رمضان. قال: «**هل تجدُ ما تعتق رقبةً**»؟ قال: لا. قال: «**فهل تستطيع أن تصوم شهرين**

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٤٧٨)، [«صحيح سنن أبي داود» (٣٧٥٩)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٦٧٨٠).

متتابعين»؟ قال: لا. قال: «**فهل تجدُ ما تطعم ستين مسكيناً**»؟ قال: لا. قال: ثم جلس. فأُتي النبي ﷺ بعَرَق [الزنبيل] فيه تمر فقال: «**تصدّق بهذا**» قال: أفقر منا؟ فما بين لابتيها أهل بيت أحوجَ إليه منا. فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه، ثم قال: «**اذهب، فأطعمه أهلك**»[1].

الله أكبر! جاء الرجل وهو يظن أنه هالك، وعاد وقد أخذ زنبيل التمر، ورسول الله ﷺ يضحك.

• زاد في حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقال النبي ﷺ: «**ما حملك على ذلك، يرحمك الله؟**»[2].

• ما أرحمه ﷺ وأعطفه وأشفقه، حيث خاطب الرجل الذي قدم، وهو يظن الهلاك، بمنتهى اللطف واللين والتوجع عليه «يرحمك الله»، ولكن لا يُستغرب ذلك منه ﷺ، لأن الله تعالى جعله كذلك. ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء].

• وعن سلمة بن صخر الأنصاري رضي الله عنه وهو المُواقِع قال: فرجعت إلى قومي، فقلت: وجدتُ عندكم الضيق وسوءَ الرأي، ووجدتُ عند النبي ﷺ السَّعة والبركة، وقد أمر لي بصدقتكم، فادفعوها إلي[3].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٩٣٧)، ومسلم (١١١١).

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (١١٩٩)، والنسائي (٣٤٥٧)، [«صحيح سنن الترمذي» (٩٥٨)].

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٢٩٩)، وأحمد (٤/ ٣٧)، [«صحيح سنن الترمذي» (٢٦٢٨)].

المثال الثاني: الأعرابيُّ الذي بال في المسجد

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام أعرابي فبال في المسجد، فثار إليه الناس ليقعوا به، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**دعوه وأهريقوا على بوله ذنوباً من ماء -أو سجلاً من ماء-، فإنما بُعثتم مبشرين**». (وفي رواية: مُيَسِّرين) «**ولم تبعثوا معسرين**»[1].

• وعن أنس رضي الله عنه قال: جاء أعرابيٌّ فبال في طائفة المسجد، فزجره الناس، فنهاهم النبي ﷺ وقال: «**لا تُزْرِموه**» فلما قضى بوله، أمر النبي ﷺ بذَنوبٍ من ماء فأُهريق عليه[2]. ثم دعاه النبي ﷺ فقال له: «**إن هذه المساجد لا تصلح لشيءٍ من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله -عز وجل-، والصلاة وقراءة القرآن**»[3].

المثال الثالث: الرجل الذي تكلم في الصلاة

• عن معاوية بن الحكم السُّلمي رضي الله عنه قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ؛ إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله! فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثُكْلَ أُمِّياه ما شأنكم تنظرون إليّ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم. فلما رأيتهم يُصَمِّتونَني. لكن سكَتُّ. فلما صلى رسول الله ﷺ، فبأبي هو وأمي! ما رأيت معلِّماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٢٢٠).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠٢٥)، ومسلم (٢٨٤).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٥).

كهرني ولا ضربني ولا شتمني، قال: «**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيءٌ من كلام الناس، إنما هو التسبيح وقراءة القرآن**»[1].

المثال الرابع: الذين صلوا في رحالهم أو في بيوتهم ثم جاءوا والنبي ﷺ يُصلي بالناس فلم يصلوا معه

• عن يزيد بن الأسود العامري رضي الله عنه قال: شهدت مع رسول الله ﷺ حجته، قال: فصلَّيتُ معه صلاة الفجر في مسجد الخَيْفِ، فلما قضى صلاته إذا هو برجلين في آخر المسجد لم يُصليا معه، فقال: «**عليَّ بِهما**» فأُتي بهما تُرعَد فَرائِصُهما، قال: «**ما منعكما أن تصليا معنا؟**» قالا: يا رسول الله! كنا قد صلينا في رحالنا. قال: «**فلا تفعلا، إذا صليتما في رحالكما، ثم أتيتما مسجد جماعةٍ، فصليا معهم، فإنها لكما نافلةٌ**»[2].

• وعن محجن بن الأدرع رضي الله عنه: أنه كان في مجلس مع رسول الله ﷺ، فأذَّن بالصلاة، فقام رسول الله ﷺ، ثم رجع، ومحجن في مجلسه، فقال له رسول الله ﷺ: «**ما منعك أن تصلي، ألستَ برجلٍ مسلمٍ؟**». قال: بلى! ولكني كنت قد صليت في أهلي، فقال له رسول الله ﷺ: «**إذا جئت، فصلِّ مع الناس وإن كنتَ قد صليت**»[3]. بأبي هو وأمي ما أرحمه وأعطفه وأشفقه! فلم يُكفِّرهم، ولم يضربهم، ولم يسبهم، بل أرشدهم

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٥٣٧).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٢١٩)، والنسائي (٨٥٨)، وأحمد (٤/ ١٦٠)، [«صحيح سنن النسائي» (٨٢٧)].

(٣) **صحيح**: رواه النسائي (٨٥٧)، [«صحيح سنن النسائي» (٧٢٦)].

وعلمهم بلطف ولين ورحمة، نعم والله! إنه نبي الرحمة، نعم والله! بعثه الله رحمةً للعالمين.

ثالثاً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بالعصاة والمخطئين والمخالفين: ثناؤه ﷺ على بعض من أُقيم عليهم الحدِّ، وعدم رضاه على من تكلم فيهم

ومن الأمثلة على ذلك:

المثال الأول: ماعز بن مالك:

• جاء ماعز إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! طهِّرني. فقال: «**ويحك! ارجع فاستغفر الله وتب إليه**». قال: فرجع غير بعيد. ثم جاء فقال: يا رسول الله! طهرني. فقال النبي ﷺ مثل ذلك. حتى إذا كانت الرابعة، قال له رسول الله ﷺ: «**فيمَ أُطهِّرُك؟**» فقال: من الزنى. فسأل رسول الله ﷺ: «**أبِهِ جنُونٌ؟**» فأُخبر أنه ليس بمجنونٍ. فقال: «**أشرب خمراً؟**» فقام رجلٌ فاستنكهه -أي: شم رائحة فمه- فلم يجد منه ريح خمر. قال: فقال رسول الله ﷺ: «**أزنيتَ؟**». فقال نعم. فأَمر به فرُجم. فكان الناس فيه فرقتين:

قائل يقول: لقد هلك، لقد أحاطت به خطيئته.

وقائل يقول: ما توبةٌ أفضلَ من توبةِ ماعزٍ: أنه جاء إلى النبي ﷺ فوضع يده في يده، ثم قال: اقتلني بالحجارة.

قال: فلبثوا بذلك يومين أو ثلاثة. ثم جاء رسول الله ﷺ وهم جلوسٌ، فسلّم ثم جلس فقال: «**استغفروا لماعز بن مالك**» فقالوا: غفر الله لماعز بن مالك، فقال رسول الله ﷺ: «**لقد تاب توبةً لو قُسمت بين أمةٍ لوسعتهم**»[1].

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٦٩٥).

المثال الثاني: المرأة الغامدية

• جاءت هذه المرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله! إني قد زنيت فطهرني، فردّها النبي ﷺ فلما كان الغد قالت: يا رسول الله! لِمَ تَرُدُّني؟ لعلك أن تردني كما رددت ماعزاً فوالله! إني لحُبلى.

قال: «**إما لا، فاذهبي حتى تلدي**» -أي: إذا أبيتي أن تستري على نفسك، وتتوبي وترجعي عن قولك، فاذهبي حتى تلدي، ثم تُرجمين بعد ذلك. -قال: فلما ولدت أتته بالصبي في خرقةٍ. قالت: هذا قد ولدته.

قال: «**اذهبي فأرضعيه حتى تَفطميه**». فلما فطمته أتته بالصبي في يده كسرة خُبز. فقالت: هذا، يا نبي الله! قد فطمته، وقد أكل الطعام، فدفع الصبيَّ إلى رجلٍ من المسلمين. ثم أمر بها فحُفر لها إلى صدرها. وأمر الناس فرجموها. فيُقبل خالد بن الوليد بحجر، فرمى رأسها فتنضح -أي ترشش- الدم على وجه خالد، فسبّها.

فسمع نبي الله ﷺ سبه إياها فقال: «**مهلاً! يا خالد! فوالذي نفسي بيده! لقد تابت توبةً لو تابها صاحب مُكس لغُفر له**»، ثم أمر بها، فصلى عليها ودُفنت[1].

المثال الثالث: المرأة من جهينة

• هذه المرأة أتت نبي الله ﷺ وهي حُبلى من الزنى؛ فقالت: يا نبي الله! أصبت حداً، فأقمه عليّ، فدعا نبيُّ الله ﷺ وليّها؛ فقال: «**أحسن إليها،**

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٦٩٥).

فإذا وضعت فائتني بها» ففعل، فأمر بها النبي ﷺ فشُكّت عليها ثيابها. ثم أمر بها فرُجمت، ثم صلى عليها، فقال له عمر: تصلي عليها يا نبي الله! وقد زنت؟ قال: «**لقد تابت توبةً لو قُسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى**»[1].

المثال الرابع: الشاب الذي زنى

• عن خالد بن اللجلاج رضي الله عنه في قصة الشاب الذي أقيم عليه حد الرجم رضي الله عنه وفي آخره، فقال: فبينما نحن كذلك، إذ جاء شيخٌ يسأل عن المرجوم، فقمنا إليه، فأخذنا بتلابيبه، فانطلقنا به إلى النبي ﷺ فقلنا: يا رسول الله! إن هذا يسأل عن الخبيث.

فقال رسول الله ﷺ: «**لَهو أطيب عند الله من ريح المسك**» فانصرفنا مع الشيخ؛ فإذا هو أبوه، فأعنّاه على غسله وتكفينه ودفنه، وما أدري أذكر الصلاة أم لا[2].

رابعاً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بالعصاة والمخطئين والمخالفين من أمته: أنه ﷺ كان لا يذكر أسماءهم في خطابه، بل كان يعمِّم فيقول: «ما بال أقوامٍ»، حتى لا ينكسر خاطرهم، وليكون الحكم شاملاً لكل من كان على شاكلتهم.

ومن الأمثلة على ذلك:

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٦٩٦).

(٢) **حسن**: رواه أبو داود (٤٤٣٥)، [«صحيح سنن أبي داود» (٣٧٢٧)].

المثال الأول: الثلاثة رهطٍ الذين سألوا عن عبادته ﷺ

• عن أنس رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهطٍ إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها وقالوا: أين نحن من النبي ﷺ وقد غُفِر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر أبداً ولا أفطر. وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكنيِّ أصومُ وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[1].

• ولما أَخْبَرَ عنهم أمام الناس. يقول أنس: فحمد الله وأثنى عليه فقال: «**ما بالُ أقوامٍ قالوا كذا وكذا؟**»[2].

المثال الثاني: الذين يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم

• عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما بال أقوامٍ يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم؟**» فاشتدّ قوله في ذلك حتى قال: «**لينتَهُنَّ عن ذلك أو لتُخطفَنَّ أبصارهم**»[3].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) واللفظ للبخاري.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٤٠١).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٥٠)، ومسلم (٤٢٩).

المثال الثالث: الرجل الذي قال: هذا لكم وهذا أُهدي لي

• عن أبي حُميد الساعدي، قال: استعمل رسول الله ﷺ رجلاً من الأسد يقال له ابن اللُّتْبِيَّةِ: على الصدقة فلما قدم قال: هذا لكم. وهذا لي، أُهدي لي.

قال: فقام رسول الله ﷺ على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه وقال: «**ما بال عاملٍ أبعثه فيقول: هذا لكم وهذا أُهدي لي! أفلا قعدَ في بيت أبيه أو في بيت أمه حتى ينظر أيُهدى إليه أم لا. والذي نفس محمدٍ بيده! لا ينال أحدٌ منكم منها شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقهِ، بعيرٌ له رُغاءٌ، أو بقرةٌ لها خُوارٌ. أو شاةٌ تَيْعِرُ**» ثم رفع يديه حتى رأينا عُفرتى إبطيه ثم قال: «**اللهم هل بلغت؟**» مرتين[1].

المثال الرابع: الرجل الذي بصق في قبلة المسجد

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رأى نُخامةً في قبلة المسجد، فأقبل على الناس فقال: «**ما بال أحدكم يقوم مستقبلَ ربّهِ فيَتَنَخَّعُ أمامه؟ أيُحبُّ أحدكم أن يُستقبل فيُتَنَخَّعَ في وجهه؟ فإذا تنخَّع أحدكم فليتنَخَّعْ عن يساره. تحت قدمه. فإن لم يجد فليقل هكذا، فتَفَلَ في ثوبه، ثم مسح بعضه على بعضٍ**»[2].

يقول الله -عز وجل- لرسوله ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩]. ويقول له أيضاً: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ [الشعراء].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٥٩٧)، ومسلم (١٨٣٢).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٥٥٠).

ويقول ﷺ: «**يا أيها الناس! إنما أنا رحمةٌ مهداةٌ**»(١).

هكذا كان رسول الله ﷺ يتعامل مع العصاة والمخطئين والمخالفين من أمته الذين اقترفوا الذنب والمعصية بجهلٍ وبدون قصدٍ منهم؛ لم يُكفِّرهم، ولم يعنفهم، ولم يفضحهم، ولم يضربهم، بل عاملهم بلطفٍ ولينٍ ورحمةٍ.

• يقول بعض هؤلاء -وهو الذي تكلم في الصلاة-: (فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي! ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني). قال: «**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيءٌ من كلام الناس، إنما هو التسبيح وقراءة القرآن**»(٢).

• ويقول آخر -وهو الذي وقع على امرأته في نهار رمضان- لقومه: (وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي، ووجدت عند النبي ﷺ السعة والبركة)(٣).

والله -عز وجل- أمرنا أن نتأسى برسول الله ﷺ فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١].

فعلى المسلمين في كل مكانٍ عامةً، وعلى الدعاة إلى الله خاصةً، أن يتأسوا برسول الله ﷺ في معاملتهم مع العصاة والمخطئين والمخالفين من أمة محمدٍ ﷺ الذين وقعوا في الذنب بجهالةٍ وبدون قصدٍ لقوله ﷺ: «**إنَّ الرفق في شيءٍ إلا زانه، ولا نُزع من شيءٍ إلا شانه**»(٤).

---

(١) **صحيح**: رواه ابن سعد في «طبقاته» (١/ ١٩٢)، والحاكم (١٠٠)، والبيهقي في «الشعب» (١٤٠٤)، [«السلسلة الصحيحة» (٤٩٠)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٥٣٧).

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٢٩٩)، وأحمد (٤/ ٣٧)، [«إرواء الغليل» (٧/ ١٧٧)].

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٩٤).

وقال ﷺ لمعاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما: «**يَسِّرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا**»(١).

وقال ﷺ: «**الرّاحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء**»(٢).

ونقول للخوارج والمعتزلة والتكفيريين الذين يُكَفِّرون المسلمين بكل ذنب، ويحكمون عليهم بالخلود في النار: اتقوا الله في المسلمين وتأسوا برسول الله ﷺ في رحمته بالعصاة والمخطئين والمخالفين من أمته.

- فها هو رسول الله ﷺ يأتيه شارب الخمر فلم يكفره وأقام عليه الحد، ونهى المسلمين أن يلعنوه، وقال في حقه: «**لا تلعنوه، فوالله ما علمت أنه يحب الله ورسوله**»(٣).
- وجاءه ماعز بن مالك وقد زنى، فأقام عليه الحدّ ولم يُكفِّره وقال لأصحابه: «**استغفروا لماعز بن مالك**» فقالوا: غفر الله لماعز بن مالك. فقال رسول الله ﷺ: «**لقد تاب توبةً لو قُسمت بين أمةٍ لوسعتهم**»(٤).
- وجاءته المرأة التي زنت فأقام ﷺ عليها الحد وصلى عليها ولم يكفرها، ولما قال عمر رضي الله عنه: تصلي عليها يا نبي الله! وقد زنت؟ قال ﷺ: «**لقد**

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٠٣٨)، ومسلم (١٧٣٣).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤)، وأحمد (٢/ ١٦٠)، [«صحيح سنن أبو داود». (٤١٣٢)].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٦٧٨٠).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (١٦٩٥).

تابت توبةً لو قُسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت توبةً أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى»[1].

فاتقوا الله! يا من تكفرون المسلمين بكل ذنبٍ. فإن رسول الله ﷺ يقول: «**إذا قال الرجل لأخيه يا كافر! فهو كقتله**»[2].

وقال ﷺ: «**أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال وإلا رجعت عليه**»[3].

• ونقول للعصاة والمذنبين: اتقوا الله في أنفسكم، واتركوا المعاصي والذنوب، فهي سببٌ لكل شر، وسببٌ لعذاب الدنيا والآخرة، وسبب للهلاك في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ [الأنعام:٦]. وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟﴾ [الكهف:٥٩]. وقال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ [العنكبوت:٤٠].

وقال ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**» قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**»[4].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٦٩٥).

(٢) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» (١٨/ ١٩٣، رقم ٤٦٣)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٣٨٥)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٦٠).

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٧٢٨٠).

• ونقول للعصاة والمذنبين: توبوا إلى الله توبةً نصوحاً قبل فوات الأوان فإن الله -عز وجل- يقول: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [النساء:١٨].

وقال ﷺ: «**إن الله -عز وجل- يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**»(١). وقال ﷺ: «**إن الله -عز وجل- يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**»(٢).

نسأل الله جل وعلا أن يحفظنا وإياكم، وأن يجنبنا الفواحش والذنوب، وأن يرزقنا توبة نصوحاً قبل الموت.

---

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٣٥٣٧)، وابن ماجه (٤٢٥٣)، وأحمد (٢/ ١٣٢)، [«صحيح الجامع» (١٩٠٣)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٥٩).

الثمرة الثامنة عشرة لدراسة السيرة النبوية العطرة: التأسي بالنبي ﷺ في رحمته بالفقراء والمساكين والضعفاء

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء]. ويقول سبحانه: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة]. ويقول سبحانه: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ [الأحزاب].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمرجان من قصص القرآن: دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**، والتي نتكلم فيها عن قصة نبينا وحبيبنا محمدٍ ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **الثمرة الثامنة عشرة التي سنقطفها -إن شاء الله تعالى- من دراستنا للسيرة النبوية العطرة ألا وهي: التأسي بالنبي ﷺ في رحمته بالفقراء والمساكين والضعفاء.**

عباد الله! الفقراء والمساكين والضعفاء طبقةٌ ضعيفةٌ فقيرةٌ، لا وزنَ لها ولا قيمة في المجتمع عند كثير من الناس؛ إن خطب أحدُ هؤلاء الفقراء لا

يُزَوَّج، وإن شَفعَ لا يُشَفَّع، وإن قال لا يُسمع لقوله، لأنه فقيرٌ مسكينٌ ضعيفٌ. أما في ميزان الشرع وعند الله وعند رسوله ﷺ فشأنهم عظيم، ووزنهم كبير، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣].

فتعالوا بنا لنعيش مع نصوص الكتاب والسنة التي تُبين قيمة الفقراء والمساكين والضعفاء في الشرع، وعند الله وعند رسوله ﷺ، وعند الأغنياء والكبراء والسادة.

١. عن خبَّاب بن الأرَت رضي الله عنه قال: جاء الأقرعُ بن حابسٍ، وعُيينة بن حِصنٍ فوجدوا رسول الله ﷺ مع صُهيبٍ وبلالٍ وعمارٍ وخبابٍ قاعداً في ناس من الضعفاء من المؤمنين. فلما رأوهم حول النبي ﷺ، حقروهم فأَتَوه فخلَوا به وقال: إنا نريد أن تجعل لنا منك مجلساً، تعرفُ لنا به العرب فضلنا. فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا العرب مع هذه الأَعبُد، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنك. فإذا نحن فرغنا، فاقعد معهم إن شئت. قال: «**نعم**». قالوا: فاكتب لنا عليك كتاباً. قال: فدعا بصحيفة، ودعا علياً ليكتب ونحن قعودٌ في ناحيةٍ، فنزل جبرائيل عليه السلام فقال: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنعام].

ثم ذكر الأقرعَ بن حابسٍ وعيينةَ بن حصن فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنعام] ثم قال: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤].

قال: فدنونا منه حتى وضعنا رُكبنا على ركبته. وكان رسول الله ﷺ يجلس معنا. فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا. فأنزل الله: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ (ولا تجالس الأشراف) تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا (يعني عيينة والأقرع) وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [الكهف]. (قال: هلاكاً)

قال: أمرُ عيينة والأقرع، ثم ضرب لهم مَثل الرجلين ومثل الحياة الدنيا. قال خباب: فكنا نقعد مع النبي ﷺ، فإذا بلغنا الساعة التي يقوم فيها، قمنا وتركناه حتى يقوم[1].

٢. وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: مر رجلٌ على النبي ﷺ فقال لرجلٍ جالسٍ: «**ما رأيكَ في هذا؟**» فقال: رجلٌ من أشراف الناس، هذا والله حريٌّ إن خطب أن يُنكح[2]، وإن شَفَع أن يُشفَّع، فسكت رسول الله ﷺ، ثم مرّ رجلٌ آخر، فقال له رسول الله ﷺ: «**ما رأيك في هذا؟**» فقال: يا رسول الله! هذا رجلٌ من فقراء المسلمين، هذا حَرِيٌّ إن خطب أن لا يُنكح، وإن شَفع أن لا يُشفّع، وإن قال أن لا يُسمع لقوله. فقال رسول الله ﷺ: «**هذا خيرٌ من ملءِ الأرض من مِثل هذا**»[3].

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٤١٢٧)، [«صحيح سنن ابن ماجه» (٣٣٢٩)].

(٢) أن ينكح: أي يزوج.

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٥٠٩١).

٣. وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**انظر أرفَع رجلٍ في المسجد**» قال: فنظرت، فإذا رجلٌ عليه حُلَّة؛ قلت: هذا. قال لي: «**انظر أوضعَ رجلٍ في المسجد**». قال: فنظرت، فإذا رجلٌ عليه أخلاقٌ[(١)]؛ قال: قلت: هذا. قال: فقال رسول الله ﷺ: «**لَهذا عند الله خيرٌ يوم القيامة من ملء الأرض مثل هذا**»[(٢)].

٤. عن عائذ بن عمرو، أن أبا سفيان أتى على سلمان[(٣)] وصُهيب وبلال في نفرٍ فقالوا: والله! ما أخذت سيوف الله من عُنق عدو الله مأخذها قال: فقال أبو بكرٍ: أتقولون هذا لشيخ قريشٍ وسيّدهم؟ فأتى النبي ﷺ فأخبره. فقال: «**يا أبا بكر! لعلك أغضبتهم. لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك**» فأتاهم أبو بكر فقال: يا إخوتاه! أغضبتكم؟ قالوا: لا. يغفر الله لك يا أُخَيّ[(٤)].

٥. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**رُبّ أشْعَث[(٥)] مدفوعٍ بالأبواب[(٦)]، لو أقسم على الله لأبَرَّه[(٧)]**»[(٨)].

---

(١) أخلاق: أي ثياب بالية.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ١٥٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٢٠٤)].

(٣) (أتى على سلمان) هذا الإتيان لأبي سفيان كان وهو كافر.

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٠٤).

(٥) أشعث: المغبّر.

(٦) مدفوعٌ بالأبواب: لا قدر له عند الناس، فهم يدفعونه عن أبوابهم، ويطردونه عنهم احتقاراً له.

(٧) لو أقسم على الله لأبره: أي: لو حلف على وقوع شيء أوقعه الله إكراماً له بإجابة سؤاله وصيانته من الحنث في يمينه، وهذا لعظم منزلته عند الله، وإن كان حقيراً عند الناس.

(٨) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٢٢).

٦. وعن مصعب بن سعدٍ قال: رأى سعدٌ ﷺ أن له فضلاً على من دونه -أي: في المغنم- فقال النبي ﷺ: «**هل تُنصرون وتُرزقون إلا بضعفائكم**»[(١)].

عباد الله! فبالفقراء والمساكين والضعفاء ينصر الله هذه الأمة، ويرزقها ويرحمها بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم، قال ﷺ: «**إنما تُنصر هذه الأمة بضعفائها، بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم**»[(٢)].

ولذلك أمر النبي ﷺ برحمتهم، فقال ﷺ: «**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء**»[(٣)]. وقال ﷺ: «**من لا يرحمُ الناس لا يرحمه الله -عز وجل-**»[(٤)]. فالشقي هو الذي لا يرحم الفقراء والمساكين والضعفاء.

ورسولنا محمد ﷺ نبي الرحمة، والذي أرسله الله رحمةً للعالمين هو أرحم الناس بالفقراء والمساكين والضعفاء، ومن مظاهر رحمته ﷺ بالفقراء والمساكين والضعفاء:

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٢٨٩٦).

(٢) **صحيح**: رواه النسائي (٣١٧٨)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٦)].

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤)، وأحمد (٢/ ١٦٠)، [«صحيح سنن أبي داود» (٤١٣٢)].

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣١٩).

أولاً: أنه ﷺ كان يحبهم وأوصى بحبهم، ويتفقد حالهم، ويعودُ مرضاهم، ويصلي على موتاهم.

والأدلة على ذلك:

١. يقول ﷺ: «**رأيت ربي في أحسن صورة، إلى أن قال: قال يا محمد! قلت: لبّيْك وسَعْدَيْكَ، فقال: إذا صليت قل: اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وإذا أردتَ بعبادك فتنةً فاقبضني إليك غير مفتونٍ**»(١).

وكان ﷺ يقول في دعائه: «**اللهم أحيني مسكيناً، وتوفني مسكيناً، واحشرني في زمرة المساكين**»(٢).

٢. **وأوصى ﷺ بحب المساكين**: يقول أبو ذر رضي الله عنه: أوصاني خليلي ﷺ بخصالٍ من الخير، أوصاني: «أن لا أنظر إلى من هو فوقي، وأنظر إلى من هو دوني، وأوصاني بحب المساكين والدُّنوِّ منهم، وأوصاني أن أصِل رحمي وإن أدبَرَت»(٣).

٣. **وكان ﷺ يتفقد أحوالهم**: يقول أبو هريرة رضي الله عنه: والله الذي لا إله إلا هو! إن كنت لَأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنتُ لأشُدّ

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٢٣٣)، وأحمد (١/ ٣٦٨)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٩٢)].

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٣٥٢)، وابن ماجه (٤١٢٦)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٩٣)].

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ١٥٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٩٥)].

الحجر على بطني من الجوع. ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه، فمر بي النبي ﷺ، فتبسم حين رآني، وعرف ما في وجهي وما في نفسي، ثم قال: «**أبا هرٍّ**» قلت: لبيك يا رسول الله! قال: «**الحق**» ومضى فاتبعته، فدخل فاستأذن، فأذِنَ لي فدخلت، فوجد لبناً في قدحٍ فقال: «**من أين هذا اللبن؟**» قالوا: أهداه لك فلانٌ -أو فلانةٌ- قال: «**أبا هرٍّ**» قلت: لبيك يا رسول الله! قال: «**الحق إلى أهل الصُّفَّةِ فادعهم لي**» قال: وأهل الصّفة أضياف الإسلام، لا يأوون إلى أهلٍ ولا مالٍ ولا على أحدٍ، وكان إذا أتته صدقةٌ بعث بها إليهم، ولم يتناول منها شيئاً، وإذا أتته هديةٌ أرسل إليهم، وأصاب منها وأشركهم فيها ... الحديث[1].

٤. **وكان ﷺ يعود مرضاهم ويصلي على موتاهم**: عن أبي أمامة بن سهل بن حُنيف رضي الله عنهما أن مسكينةً مرضت، فأُخبر رسول الله ﷺ بمرضها -وكان رسول الله ﷺ يعود المساكين، ويسأل عنهم- فقال رسول الله ﷺ: «**إذا ماتت فآذنوني بها**» فخُرج بجنازتها ليلاً، فكرهوا أن يوقظوا رسول الله ﷺ، فلما أصبح رسول الله ﷺ أُخبر بالذي كان من شأنها، فقال: «**ألم آمركم أن تؤذنوني بها؟**». فقالوا: يا رسول الله! كرهنا أن نُخرجك ليلاً، ونوقظك فخرج رسول الله ﷺ، حتى صف بالناس على قبرها، وكبّر اربع تكبيرات»[2].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٤٥٢).

(٢) **صحيح**: رواه مالك في «الموطأ» (٧٧٢)، والنسائي (١٩٠٧)، [«صحيح سنن النسائي» (١٧٩٩)].

ثانياً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بالفقراء والمساكين والضعفاء: أمره بنصرهم وعدم ظلمهم، وعدم الاحتجاب عنهم.

الأدلة على ذلك:

١. عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: أمرنا رسول الله ﷺ بسبعٍ، بعيادة المريض، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس، ونصر الضعيف، وعون المظلوم، وإفشاء السلام، وإبرار المُقسم[(١)].

٢. وعن جابر رضي الله عنه قال: لما رجع مهاجرو البحر إلى رسول الله ﷺ قال لهم: «**ألا تُحَدِّثُوني بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة؟**» قال فتيةٌ منهم: بلى. يا رسول الله! بينما نحن جلوس، مرت بنا عجوزٌ من عجائز رهابينهم، تحمل على رأسها قُلّةً من ماء. فمرت بفتىً منهم، فجعل إحدى يديه بين كتفيها، ثم دفعها، فخرت على ركبتيها فانكسرت قلتها. فلما ارتفعت، التفتت إليه، فقالت: سوف تعلم يا غُدَرُ! إذا وضع الله الكرسي، وجمع الأولين والآخرين، وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف أمري وأمرُك عنده غداً.

قال: يقول رسول الله ﷺ: «**صدقَتْ. صدقت. كيف يُقدِّس الله أمةً لا يُؤخَذُ لضعيفهم من شديدهم؟**»[(٢)].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٢٣٩)، ومسلم (٢٠٦٦).

(٢) **حسن**: رواه ابن ماجه (٤٠١٠)، [«صحيح سنن ابن ماجه» (٣٢٣٩)].

٣. عن عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهمَّهم شأنُ المرأة المخزومية التي سرقت. فقالوا: من يُكلّم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة، حِبُّ رسول الله ﷺ؟ فكلمه أسامة. فقال رسول الله ﷺ: «**أتشفَعُ في حدٍّ من حدود الله؟** » ثم قام فاختطب فقال: «**أيها الناس! إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه. وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد. وايم الله! لو أن فاطمة بنت محمدٍ سرقت لقطعت يدها**»(١).

٤. وعن معاذٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من وليَ من أمر الناس شيئاً فاحتجبَ عن أُولي الضعفة والحاجة، احتجب الله عنه يوم القيامة**»(٢).

٥. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**شرُّ الطعامِ طعام الوليمة يُمنَعُهَا مَنْ يأتيها ويُدعى إليها من يأباها، ومن لم يُجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله**»(٣).

وفي رواية في الصحيحين يقول أبو هريرة: «بئس الطعام طعام الوليمة يُدعى إليها الأغنياء ويُترك الفقراء».

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٤٧٥)، ومسلم (١٦٨٨).

(٢) **صحيح لغيره**: رواه أحمد (٥/ ٢٣٨)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢٠٩)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥١٧٧)، ومسلم (١٤٣٢).

ثالثاً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بالفقراء والمساكين والضعفاء: تعليمه ﷺ لهم ما يقولونه فينالون به درجة الأغنياء في إنفاقهم وإحسانهم

الأدلة على ذلك:

١. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: ذهب أهل الدُّثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم، قال: «**وما ذاك؟**» قالوا: يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولا نتصدق، ويُعتقون ولا نعتق. فقال رسول الله ﷺ: «**أفلا أعلمكم شيئاً تدركون به مَن سبقكم، وتسبقون به من بعدكم، ولا يكون أحدٌ أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم؟**» قالوا: بلى يا رسول الله! قال: «**تسبِّحون وتكبّرون وتحمدون دُبر كل صلاةٍ ثلاثاً وثلاثين مرة**» الحديث[1].

٢. وعن أبي ذر رضي الله عنه؛ أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ: يا رسول الله! ذهب أهل الدُّثور بالأجور، يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم. قال: «**أوَليس قد جعل الله لكم ما تصدّقون؟ إن بكل تسبيحةٍ صدقةً، وكل تكبيرة صدقةً، وكل تحميدةً صدقةً، وكل تهليلةٍ صدقةً، وأمرٌ بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقةٌ**».

قالوا: يا رسول الله! أيأتي أحدُنا شهوته ويكون له فيها أجرٌ؟ قال: «**أرأيتم لو وضعها في حرامٍ أكان عليه فيها وزرٌ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجرٌ**»[2].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٨٤٣)، ومسلم (٥٩٥).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٠٠٦).

رابعاً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بالفقراء والمساكين والضعفاء: إخباره ﷺ أنهم يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عامٍ، وأنهم أكثر أهل الجنة

الأدلة على ذلك:

١. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عامٍ، نصفِ يومٍ**»[(١)].

٢. وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**يجتمعون يوم القيامة فيقال: أين فقراء هذه الأمة؟ قال: فيقال لهم: ماذا عملتم؟ فيقولون: ربنا ابْتَلَيْتنا فصبرنا، وولّيت السلطان والأموال غيرنا، فيقول الله جل وعلا: صدقتم، قال: فيدخلون الجنة قبل الناس، وتبقى شدة الحساب على ذوي الأموال والسلطان ..**» الحديث[(٢)].

٣. وعن أسامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**قمتُ على باب الجنة، فكان عامة مَن دخلها المساكين، وأصحاب الجَدِّ محبوسون، غير أن أصحاب النار قد أُمر بهم إلى النار، وقمتُ على باب النار، فإذا عامة من دخلها النساء**»[(٣)].

٤. وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**اطلعت في الجنة، فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء**»[(٤)].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٣٥٣)، [«صحيح سنن الترمذي» (١٩١٨)].

(٢) **حسن**: رواه ابن حبان (٧٤١٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٨٧)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥١٩٦)، ومسلم (٢٧٣٦).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٢٤١)، ومسلم (٢٧٣٧).

٥. قال ﷺ: «**احتجّت الجنة والنار؛ فقالت النار: فيَّ الجبارون والمتكبرون، وقالت الجنة: فيَّ ضعفاء المسلمين ومساكينهم، فقضى الله بينهما: إنك الجنة رحمتي، أرحم بكِ من أشاء، وإنك النار عذابي، أعذب بك من أشاء، ولكليكما عليّ ملؤها**»(١).

٦. قال ﷺ: «**ألا أُخبركم بأهل الجنة؟**» قالوا: بلى، قال ﷺ: «**كلُّ ضعيفٍ متضَعَّفٍ، لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار؟**» قالوا: بلى. قال: «**كلُّ عُتُلٍّ جَوّاظٍ (زنيمٍ) مستكبرٍ**»(٢).

فعلى المسلمين في كل مكان أن يتأسوا برسول الله ﷺ في رحمته للفقراء والمساكين والضعفاء من المسلمين فإن الله -عز وجل- يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠].

ورسول الله ﷺ يقول: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلمٍ كُربةً فرّج الله عنه بها كربةً من كُرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة**»(٣).

نسأل الله تعالى أن يرزقنا حب الضعفاء والمساكين وأن يحشرنا معهم.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٤٦).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٩١٨)، ومسلم (٢٨٥٣).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠).

الثمرة التاسعة عشرة لدراسة السيرة النبوية العطرة: التأسي بالنبي ﷺ في رحمته بالعبيد والإماء والخدم والعمال

عباد الله! يقول -عز وجل- في كتابه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران]، ويقول سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمرجان من قصص القرآن: دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**، والتي نتكلم فيها عن قصة نبينا وحبيبنا محمدٍ ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **الثمرةُ الثامنة عشرةَ التي سنقطفها -إن شاء الله تعالى- من دراستنا للسيرة النبوية العطرة ألا وهي: التأسي بالنبي ﷺ في رحمته بالعبيد والإماء والخَدم والعمال.**

عباد الله! البشرية قديماً وحديثاً لم تعرف إنساناً أرحم بالعبيد والإماء والخدم والعمال من محمدٍ رسول الله ﷺ. كيف لا. والله عز وجل يقول:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء]. ورسول الله ﷺ يقول عن نفسه: «**يأيها الناس! إنما أنا رحمةٌ مهداةٌ**»(١)، ويقول أيضاً: «**أنا نبيُّ الرحمة**»(٢).

فنقول للبشرية عامة وللجان حقوق الإنسان في كل مكان خاصةً: تعالوا لتتعلموا حقوق الإنسان حقاً، والرحمة بالإنسان من رسولنا ﷺ الذي ضرب للبشرية أروع الأمثلة في الرحمة بالعبيد والإماء والخدم والعمال.

ومن مظاهر رحمته ﷺ بالعبيد والإماء والخدم والعمال:

أولاً: أنه ﷺ جعلهم إخواناً للمسلمين

يعاملونهم معاملةً إنسانيةً، ولا يُشعرونهم بالذِّلة والمهانة، لأنهم بشرٌ مثلهم، ويطعمونهم مما يأكلون، ويُلبسونهم مما يلبسون، ولا يكلِّفونهم فوق طاقتهم، فإن اضطروا إلى تكليفهم فوق طاقتهم يلزمهم أن يعينوهم عليه.

والأدلة على ذلك:

١. عن المعرور بن سويد قال: رأيت أبا ذر وعليه حُلّةٌ وعلى غلامه مثلها. فسألته عن ذلك؟ قال: فذكر أنه سابَّ رجلاً على عهد رسول الله ﷺ فعَيّره بأمه. قال: فأتى الرجل النبي ﷺ فذكر ذلك له. فقال النبي ﷺ: «**إنك امرؤٌ فيك جاهليةٌ. إخوانكم خَوَلكم**(٣) **جعلهم الله تحت**

---

(١) **صحيح**: رواه ابن سعد في «طبقاته» (١/ ١٩٢)، والحاكم (١٠٠)، والبيهقي في «الشعب» (١٤٠٤)، [«السلسلة الصحيحة» (٤٩٠)].

(٢) **صحيح**: مسلم (٢٣٥٥).

(٣) خولكم: أي خدمكم.

أيديكم. فمن كان أخوه تحت يديه فليُطعمه مما يأكل، وليُلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم عليه»[1].

٢. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**للمملوك طعامه وكسوته. ولا يُكلَّف من العمل إلا ما يُطيق**»[2].

٣. وعنه أيضاً أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا صنع لأحدكم خادمُه طعامَه ثم جاءه به، وقد وليَ حرَّهُ ودخانه**[3] **فليُقعده معه. فليأكل، فإن كان الطعام مشْفُوهاً قليلاً، فليضع في يده منه أكلةً أو أكلتين**»[4]. قال داود: يعني لقمةً أو لقمتين.

ولهذا جاء التحذير العام من عدم إكفاء من يعول: فعن خيثمة بن عبد الرحمن -رحمه الله تعالى- قال: كنا جلوساً مع عبد الله بن عمرو، إذ جاءه قهرمانٌ له -أي: الوكيل- فدخل فقال: أعطيتَ الرقيق قوتهم؟ قال: لا. قال: فانطلق فأعطهم. قال: قال رسول الله ﷺ: «**كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمّن يملك قوته**»[5].

أين دعاة الحضارة وحقوق الإنسان من هذه المكارم، إنها الرحمة المهداة، الرحمة للعالمين ﷺ؛ الذي يشعر بشعور الإنسان؛ مهما كان لونه أو جنسه أو عنصره ... الخ.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٠)، ومسلم (١٦٦١).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٦٦٢).

(٣) أي: تولى وشهد طبخه فتعلقت نفسه به.

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (١٦٦٣).

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (٩٩٦).

ثانياً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بالعبيد والإماء والخدم والعمال: أنه ﷺ عاملهم أحسن معاملةٍ، ووصى المسلمين بذلك

والأدلة على ذلك:

١. يقول أنس رضي الله عنه: «خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين (في السفر والحضر)، والله، ما قال لي أفٍ قطُّ، وما قال لي لشيءٍ صنعتُه لم صنعتَ هذا هكذا، ولا لشيءٍ لم أصنعه لِمَ لَمْ تصنع هذا هكذا، وكان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً»[(١)].

٢. وتقول عائشة رضي الله عنها: «ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده، ولا امرأةً، ولا خادماً، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نِيل منه شيءٌ قطُّ فينتقم من صاحبه، إلا أن يُنتهكَ شيءٌ من محارم الله، فينتقم لله -عز وجل-»[(٢)].

٣. ويقول ربيعة بن كعبٍ الأسلمي رضي الله عنه: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوَضوئه وحاجته، فقال لي: «**سلْ**» فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة. قال: «**أوَ غير ذلك؟**» قلت: هو ذاك. قال: «**فأعني على نفسك بكثرة السجود**»[(٣)]. هكذا كان يعامل خادمه معاملةً حسنةً ويلاطفه.

ووصى ﷺ بالعبيد والإماء والخدم والعمال عامةً، وبالذين يصلون ويؤدون شعائر الإسلام، خاصةً، والأدلة على ذلك:

١. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ لأبي الهيثم: «**هل لك خادمٌ؟**» قال: لا. قال: «**فإذا أتانا سبي، فأتنا**». فأُتي النبي ﷺ برأسين، ليس

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٢٠٣)، ومسلم (٦٥٩).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣٢٨).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٤٨٨).

معهما ثالثٌ، فأتاه أبو الهيثم، قال النبي ﷺ: «**اخترْ منهما**». قال: يا رسول الله! اختر لي، فقال النبي ﷺ: «**إنّ المستشار مؤتمن، خذ هذا، فإني رأيته يصلي، واستوصِ به خيراً**» فقالت امرأته: ما أنت ببالغ ما قال فيه النبي ﷺ إلا أن تُعتقهُ، قال: فهو عتيق .. » الحديث[1].

٢. عن أبي أمامة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ أقبل من خيبر ومعه غلامان، فوهب أحدَهما لعلي رضي الله عنه وقال: «**لا تضربه، فإني نُهيت عن ضرب أهل الصلاة، وإني رأيته يصلي منذ أقبلنا**». وأعطى أبا ذر غلاماً وقال: «**استوصِ به معروفاً**»، فأَعتَقه، فقال: «**ما فعل؟**» قال: أمرتني أن أستوصيَ به خيراً فأعتقته[2].

٣. ووصى ﷺ بهم في مرض وفاته، وقرن بينهم وبين الوصية بالصلاة، قال ﷺ في آخر كلامه: «**الصلاةَ الصلاة، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم**»[3]. وقال ﷺ في أنفاسه الأخيرة: «**الصلاة، وما ملكت أيمانكم**» فما زال يقولها حتى ما يفيض بها لسانه[4].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٣٦٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٥٦)، [«صحيح الأدب المفرد» (١٩٣)].

(٢) **حسن**: رواه أحمد (٥/ ٢٥٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٦٣)، [«صحيح الأدب المفرد» (١٢١)].

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٥١٥٦)، وأحمد (١/ ٧٨)، [«صحيح الجامع» (٤٦١٦)].

(٤) **صحيح**: رواه ابن ماجه (١٦٢٥)، وأحمد (٣/ ١١٧)، [«إرواء الغليل» (٧/ ٢٣٧)].

ثالثاً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بالعبيد والإماء والخدم والعمال: أمرُه ﷺ برحمتهم والعفو عنهم وإعطائهم حقوقهم، ونهيه ﷺ عن ظلمهم وضربهم والاعتداء عليهم.

أمره ﷺ برحمتهم والعفو عنهم

قال ﷺ: «**ارحموا من في الأرض؛ يرحمكم من في السماء**»[(١)]. وقال ﷺ: «**من لم يرحم الناس لم يرحمه الله**»[(٢)].

وجاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! كم أعفو عن الخادم؟ قال رسول الله ﷺ: «**أُعْفُ عنه في كلِّ يومٍ سبعين مرةً**»[(٣)].

أمره ﷺ بإعطائهم حقهم

قال ﷺ: «**أعطوا الأجير حقه قبل أن يجفَّ عَرَقه**»[(٤)]. وقال ﷺ: «**قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، رجلٌ أعطى بي ثم غدر، ورجلٌ باع حراً فأكل ثمنه، ورجلٌ استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره**»[(٥)].

ونهيه ﷺ عن ظلمهم وضربهم والاعتداء عليهم

• لأن الظلم حرامٌ.

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤)، وأحمد (٢/ ١٦٠)، [«صحيح سنن أبي داود» (٤١٣٢)].

(٢) **حسن لغيره**: رواه أحمد (٤/ ٣٥٨)، [«صحيح الترغيب» (٢٢٥٤)].

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٥١٦٤)، والترمذي (١٩٤٩)، وأحمد (٢/ ٩٠)، [«السلسلة الصحيحة» (٤٨٨)].

(٤) **صحيح لغيره**: رواه ابن ماجه (٢٤٤٣)، [«صحيح الجامع» (١٠٥٥)].

(٥) **صحيح**: رواه البخاري (٢٣١٩).

قال ﷺ: «**قال الله تعالى: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا**»[1]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [إبراهيم:٤٢].

• لأن الظلم ظلماتٌ يوم القيامة

قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر].

وقال ﷺ: «**اتقوا الظلم فإن الظلم ظلماتٌ يوم القيامة**»[2].

أيها الظالم للعامل والخادم!

إلى ديَّان يوم الدين تمضي ... وعند الله تجتمع الخصوم

أيها الظالم!

أما والله إن الظلم شؤمٌ ... وما زال المسيءُ هو الظَّلوم

ستعلم يا ظلومُ إذا التقينا ... غداً عند المليك من المَلومُ

• ولأن الله -عز وجل- يستجيب دعوة المظلوم إذا دعا على من ظلمه

قال ﷺ: «**ثلاثة تُستجاب دعوتهم: الوالد، والمسافر، والمظلوم**»[3].

وقال ﷺ: «**اتقوا دعوة المظلوم، فإنها تُحمل على الغمام، يقول الله -عز وجل- وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين**»[4].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٧٧).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٧٨).

(٣) **حسن لغيره**: رواه أحمد (٤/ ١٥٤)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٣٤٠، رقم ٩٣٩)، [«السلسلة الصحيحة» (٥٩٦)]

(٤) **حسن لغيره**: رواه أحمد (٢/ ٣٠٤)، والطبراني في «الكبير» (٣٧١٨)، [«السلسلة الصحيحة» (٨٧٠)].

أيها الظالم للعامل والخادم!

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً ... فالظلم يرجع عقباه إلى الندم

تنام عيناك والمظلوم منتبهٌ ... يدعو عليك وعين الله لم تنم

• ولأن من ضرب خادمه أو شتمه اقتُص منه يوم القيامة؛ يوم تُردُّ المظالم إلى أصحابها.

قال ﷺ: «**من ضرب مملوكه ظلماً؛ أُقيدَ**» -أي: اقتص- «**منه يوم القيامة**»(١).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء رجلٌ فقعد بين يدي رسول الله ﷺ فقال: إن لي مملوكين يكذبونني، ويُخوِّنونني، ويعصونني، وأشتمهم وأضربهم، فكيف أنا منهم؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إذا كان يوم القيامة يُحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم، فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم؛ كان كفافاً، لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم؛ كان فضلاً لك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم؛ اقتُصّ لهم منك الفضل**».

قال: فتنحى الرجل وجعل يبكي ويهتف -أي: يصيح- فقال رسول الله ﷺ: «**أما تقرأ قول الله:** ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن

(١) **صحيح لغيره**: رواه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٣٧٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٨٠)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٣٥٢)].

﴿كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء]. فقال الرجل: والله يا رسول الله! ما أجد لي ولهؤلاء (شيئاً) خيراً من مفارقتهم، أشهدك أنهم أحرار كلهم[1].

• وعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: كنت أضرب غلاماً لي بالسوط، فسمعت صوتاً من خلفي: «**اعلم أبا مسعود!**» فلم أفهم الصوت من الغضب، فلما دنا مني إذا هو رسول الله ﷺ فإذا هو يقول: «**اعلم أبا مسعود! أن الله تعالى أَقدر عليك منك على هذا الغلام**». فقلت: لا أضرب مملوكاً بعده أبداً[2].

وفي رواية: فقلت: يا رسول الله! هو حرٌّ لوجه الله تعالى فقال ﷺ: «**أما لو لم تفعل للفحتك النار**»[3].

• وعن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: ... وكانت لي جارية ترعى غنماً لي قِبل أحدٍ والجوانِيّة (موضع شمال المدينة بجوار جبل أحد) فاطّلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاةٍ من غنمها، وأنا رجلٌ من بني آدم، آسف (أغضب) كما يأسفون، لكني صككتُها صكةً. فأتيت رسول الله ﷺ فعظَّم ذلك عليّ. قلت: يا رسول الله! أفلا أعتقها؟

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣١٦٥)، وأحمد (٦/ ٢٨٠)، [«صحيح الترغيب» (٢٢٩٠)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٦٥٩)

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١٦٥٩).

قال: «**ائتني بها**» فأتيته بها. فقال لها: «**أين الله؟**» قالت: في السماء. قال: «**من أنا؟**» قالت: أنت رسول الله ﷺ. قال: «**أعتقها فإنها مؤمنة**»(١).

عباد الله! هذا هو ديننا، دين الرحمة، وهذا هو رسولنا ﷺ نبيُّ الرحمة، وهذه هي رحمته بالعبيد والإماء والخدم والعمال، فأين دعاة الحضارة وحقوق الإنسان من هذا الخلق الكريم؟! وأين أعداء الإسلام الذين يتهمون الإسلام بالإرهاب، ويقولون: إن محمداً كان إرهابياً؟!

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥﴾ [الكهف]، ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ۝٤٦﴾ [الحج].

رابعاً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بالعبيد والإماء: حثُّه ﷺ على إعتاق الرقبة المسلمة، لأن من أعتق رقبةً مسلمةً فقد أعتق كلُّ عضوٍ من العبد المؤمن المعتَق عضواً من أعضاء سيده

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من أعتق رقبةً مؤمنةً أعتق الله بكلِّ عضوٍ منه، عضواً من النار. حتى يُعتق فَرْجهُ بفرْجِهِ**»(٢).

فهو ﷺ بحقٍّ محرِّر العبيد، ومعتق الإماء، ولن تبلغ لجان حقوق الإنسان جزءاً مما فعله أو أمر به أو نهى عنه فيما يتعلق بالعبيد. ولا أدل على ذلك: من فتح باب العتق على مصراعيه، ابتداء من كفارة اليمين، وانتهاء بالقتل الخطأ، ومروراً بالتقرب إلى الله -عز وجل-.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٥٣٧).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٧١٥)، ومسلم (١٥٠٩).

خامساً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بالعبيد والإماء: نهيه ﷺ عن التفريق بين الأقارب عند البيع إذا كانوا صغاراً، أو كان أحدهما صغيراً، كالأم وولدها، وكذا الولد مع أبيه، وكذا بين الأخوين الصغيرين، شفقة عليهما، ورحمة بهما.

• عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أبيع غلامين أخوين، فبعتهما، ففرَّقت بينهما، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: «**أدْرِكْهُما فارتَجِعْهما، ولا تبِعْهُما إلا جميعاً**»(١).

• وعن أبي أيوب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من فرّق بين الوالدةِ وولدها** -أي: في البيع- **فرّق الله بينه وبين أحبتهِ يوم القيامة**»(٢).

سادساً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بالعبيد والإماء: إخبارُه ﷺ: أن العبد الذي يُحسن عبادة ربه -عز وجل- بأن يقوم بحقه تعالى كما يجب -ويحسن طاعة سيده- بأن ينصح له، ويقوم بحقه كاملاً له أجران

• قال ﷺ: «**إن العبد إذا نصح لسيده، وأحسنَ عبادةَ الله، فله أجره مرتين**»(٣).

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**للعبد المملوك المصلح أجران**» والذي نفس أبي هريرة بيده؛ لولا الجهاد في سبيل الله، والحجُّ،

---

(١) **حسن لغيره**: رواه أحمد (١/ ٩٧)، والحاكم (٢٣٣١)، [حسنه الشيخ شعيب الأناؤوط].

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (١٢٨٣)، وأحمد (٥/ ٤١٢)، [«صحيح الترغيب» (١٧٩٦)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٥٤٦)، ومسلم (١٦٦٤).

وبرُّ أمي؛ لأحببت أن أموت وأنا مملوكٌ[1].

• وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أدّى العبد حقّ الله وحق مواليه؛ كان له أجران**»[2].

فعلى المسلمين في كل مكان أن يتأسوا برسول الله ﷺ في رحمته بالعبيد والإماء والخدم والعمال، لأن رحمة هؤلاء من ديننا، والله -عز وجل- سائلنا عنهم يوم القيامة ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾﴾ [النحل]. ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌۢ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ [آل عمران]. ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾ [النبأ].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٥٤٨)، ومسلم (١٦٦٥).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٥٤٧)، ومسلم (١٦٦٦)، واللفظ لمسلم.

الثمرة العشرون لدراسة السيرة النبوية العطرة

التأسي بالنبي ﷺ في رحمته بالأرامل والأيتام

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء]. ويقول سبحانه: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة]. ويقول سبحانه: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ [الأحزاب].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمرجان من قصص القرآن: دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**، والتي نتكلم فيها عن قصة نبينا وحبيبنا محمدٍ ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **الثمرةُ العشرون التي سنقطفها -إن شاء الله تعالى- من دراستنا للسيرة النبوية العطرة ألا وهي: التأسي بالنبي ﷺ في رحمته بالأرامل والأيتام**

عباد الله! الأرملة هي مَنْ لا زوج لها، أو هي التي فقدت زوجها، والمرأة التي فقدت زوجها امرأةٌ ضعيفةٌ، لأنها فقدت المعيل لها.

واليتيم هو الصغير الذي فقد أباه، والصغير الذي فقد أباه ضعيفٌ؛ لأنه فقد المعيل له. والإحسان إلى هذين الضعيفين -الأرملة واليتيم- أجره

عظيم، والاعتداء على حقهما إثمه كبير. قال ﷺ: «**اللهم إني أحرِّجُ حقَّ الضعيفين: اليتيم والمرأة**»[1].

ورسولنا محمد ﷺ نبيُّ الرحمة، الذي أرسله الله رحمةً للعالمين هو أرحم الناس بالأرملة واليتيم.

• ومن مظاهر رحمته ﷺ باليتيم:

أولاً: أنه ﷺ حثَّ على كفالة اليتيم والإحسان إليه والرفق به

• قال ﷺ: «**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا**»، وأشار بالسبابة والوسطى وفرّج بينهما شيئاً[2].

قال ابن بطال -رحمه الله- في تعليقه على هذا الحديث: «**حقٌّ على كل مؤمنٍ يسمع هذا الحديث أن يرغب في العمل به، ليكون في الجنة رفيقاً للنبي ﷺ ولجماعة النبيين والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، ولا منزلة عند الله في الآخرة أفضل من مرافقة الأنبياء**».

• وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: أتى النبيَّ ﷺ رجلٌ يشكو قسوة قلبه. قال: «**أتحب أن يلين قلبك، وتُدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم، وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك؛ يلنْ قلبك، وتُدْرِك حاجتك**»[3].

---

(١) **حسن**: رواه ابن ماجه (٣٦٧٨)، وأحمد (٢/ ٤٣٩)، [«صحيح سنن ابن ماجه» (٢٩٦٧)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٥٣٠٤).

(٣) **حسن لغيره**: الطبراني في «الكبير» كما في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٦٠)، وابن عساكر في «تاريخه» (٤٧/ ١٥٣)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥٤٤)].

• وقال ﷺ: «**أَدْنِ اليتيم منك، وألطفه، وامسح برأسه، وأطعمه من طعامك، فإن ذلك يُليِّن قلبك، وتُدْرِك حاجتك**»[1].

• وقال ﷺ: «**كافل اليتيم له أو لغيره، أنا وهو كهاتين في الجنة**»[2].

ومعنى قوله: «**له أو لغيره**» الذي له: أن يكون قريباً له كجده وأمه وجدته وأخيه وأخته وعمه وخاله وعمته وخالته، وغيرهم من أقاربه والذي لغيره أن يكون أجنبياً.

فالنفقة على اليتيم أجرها عظيمٌ، وعلى اليتيم القريب أعظمُ أجراً والدليل على ذلك:

• لما قال النبي ﷺ للنساء: «**تصدّقن ولو من حُليكنَّ**» سألت زينب امرأة عبد الله بن مسعود النبي ﷺ بواسطة بلالٍ رضي الله عنه أيجزئ عني أن أنفق على زوجي وأيتامٍ لي في حجري من الصدقة؟ فقال النبي ﷺ: «**نعم، ولها أجران: أجر القرابة وأجر الصدقة**»[3].

• وقالت أم سلمة رضي الله عنها يا رسول الله! ألِيَ أجرٌ أن أنفق على بنيٍّ أبي سلمة؟ إنما هم بنيٍّ. فقال ﷺ: «**أنفقي عليهم، فلك أجر ما أنفقت عليهم**»[4].

---

(١) **حسن**: رواه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢١٤)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٦٦١)، [«صحيح الجامع» (٢٤٨)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٨٣).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٤٦٦)، ومسلم (١٠٠٠).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٤٦٧)، ومسلم (١٠٠١).

وقد جاءت الآيات في كتاب ربنا تحثُّ على كفالة اليتيم قال تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾[آل عمران:٣٧]. وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [آل عمران].

وجعل الله -عز وجل- الإحسان إلى اليتيم من البر الذي هو عنوان الصدقة والإيمان والتقوى قال تعالى: ﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ ﴾ **إلى أن قال رب العزة:** ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾[البقرة].

• ولذلك كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لا يأكل طعاماً إلا وعلى خوانه -وهو ما يوضع عليه الطعام- يتيمٌ[1].

وقال داود عليه السلام: (كن لليتيم كالأب الرحيم، واعلم أنك كما تزرع كذلك تحصد)[2].

ثانياً: ومن مظاهر رحمته ﷺ باليتيم: تحريمُه ﷺ أكل مال اليتيم

• قال ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**». قالوا: يا رسول الله! وما هنّ؟ قال: «**الشرك بالله، والسِّحرُ، وقتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزخف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**»[3].

---

(١) **صحيح**: رواه عبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» (١٨٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٣٦)، [«صحيح الأدب المفرد» (١٠٢)].

(٢) **صحيح**: رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢٠٥٩٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٣٨)، [«صحيح الأدب المفرد» (١٠٣)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

• وقال ﷺ: «**اجتنبوا الكبائر السبع: الشرك بالله، وقتل النفس، والفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم** ..» الحديث [1].

• وقال ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه: «**يا أبا ذرٍّ! إنك ضعيفٌ، وإنها أمانةٌ، وإنها يوم القيامة خزيٌ وندامةٌ** ..» الحديث [2]، وفي رواية: قال: «**يا أبا ذر إني أراك ضعيفاً، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمَّرَنَّ على اثنين، ولا تَوَلِّيَنَّ مال يتيم**» [3].

وقد حذرنا الله -عز وجل- في كتابه من أكل أموال اليتامى:

• قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ إلى أن قال رب العزة ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأنعام].

• وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء].

• وقال تعالى: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾﴾ [النساء].

• وقال تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾﴾ [النساء].

---

(١) **حسن**: رواه الطبراني في «الكبير» (٥٦٣٦)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٢٤٤)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٢٥).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٢٦).

• وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء].

• وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أنزل الله -عز وجل- ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء]، و﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء]، انطلق من كان عنده يتيمٌ، فعزل طعامه من طعامه، وشرابه من شرابه، فجعل يفضُل من طعامه -أي اليتيم- فيُحبَس له حتى يأكله أو يفسد، فاشتد ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فأنزل الله -عز وجل- ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٠]. فخلطوا طعامهم بطعامه، وشرابهم بشرابه[1].

عباد الله! وقد حفظَ الله أموال اليتامى، فأرسل الخضر وموسى -عليهما السلام- لبناء الجدار على كنزهما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ [الكهف].

• وقد جعل الله لليتامى حقاً في المال العام، وحقاً في المال الخاص.

فأما في المال العام:

قال تعالى: ﴿۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١]. وقال تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الحشر: ٧].

---

(١) **حسن**: رواه أبو داود (٢٨٧١)، [«صحيح سنن أبي داود» (٢٤٩٥)].

أما في المال الخاص: فقد جعل الله لليتامى حقاً من صدقات الأغنياء

قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [البقرة:٢١٥].

ثالثاً: ومن مظاهر رحمته ﷺ باليتيم: حثُّه ﷺ على منح اليتيم ميراثه بخلاف ما كان سائداً في الجاهلية

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: جاءت امرأة سعد بن الربيع بابنتي سعدٍ إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله! هاتان ابنتا سعدٍ، قُتل معك يوم أحدٍ. وإن عمها أخذ جميع ما ترك أبوهما، وإن المرأة لا تُنكح إلا على مالها. فسكت رسول الله ﷺ حتى أُنزلت آية الميراث. فدعا رسول الله ﷺ أخا سعد بن الربيع. فقال: «**أعط ابنتيْ سعدٍ ثُلثيْ ماله، وأعطِ امرأته الثُمُنَ، وخذ أنت ما بقي**»(١).

فليحذر الذين يحرمون البنات من الميراث، ويحرمون اليتامى من الميراث، ويتعدَّون حدود الله، فإن الله -عز وجل- أنزل على رسوله ﷺ آية الميراث، وأعطى كل ذي حق حقه. ثم بعدها: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء].

---

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٢٠٩٢)، وابن ماجه (٢٧٢٠)، وأحمد (٣/ ٣٥٢)، [«صحيح سنن ابن ماجه» (٢١٩٩)].

ورسولنا ﷺ يحذر من الاعتداء على حق الضعيفين، فقال ﷺ: «**اللهم إني أُحرِّج حق الضعيفين: اليتيم والمرأة**»(١).

رابعاً: ومن مظاهر رحمته ﷺ باليتيم: نهيُه ﷺ عن إجبار اليتيمة على التزويج

• عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تُستأمرُ اليتيمة في نفسها، فإن سكتت فقد أذنت، وإن أبتْ لم تُكره**»(٢).

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تُستأمر اليتيمة في نفسها، فإن سكتت فهو إذنها، وإن أبت فلا جواز عليها**»(٣).

خامساً: ومن مظاهر رحمته ﷺ باليتيم: حثُّه ﷺ على إكرام اليتيم، ونهيُه عن إهانة اليتيم

فها هو ﷺ يحثُّ على إكرام اليتيم من طعام وغيره:

• فيقول ﷺ للرجل الذي شكا قسوة قلبه: «**ارحم اليتيم، وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك؛ يلنْ قلبك وتُدركْ حاجتك**»(٤).

---

(١) **حسن**: رواه ابن ماجه (٣٦٧٨)، وأحمد (٢/ ٤٣٩)، [«صحيح سنن ابن ماجه» (٢٩٦٧)].

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ٣٩٤)، والدارمي (٢١٨٥)، وابن حبان (٤٠٨٥)، [«السلسلة الصحيحة» (٦٥٦)].

(٣) **حسن**: رواه أبو داود (٢٠٩٣)، والترمذي (١١٠٩)، والنسائي (٣٢٧٠)، وأحمد (٢/ ٢٥٩)، [«إرواء الغليل» (٦/ ٢٣٢)].

(٤) **حسن لغيره**: رواه الطبراني في «الكبير» كما في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٦٠)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥٤٤)].

• وقال ﷺ: «**من أنفق على بنتين أو أختين أو ذواتي قرابةٍ، يحتسب النفقة عليهما حتى يغنيهما من فضل الله، أو يكفيهما؛ كانتا له ستراً من النار**»(١).

كيف لا، والله -عز وجل- في كتابه يحث على إطعام اليتيم ويمدح الذين يُطعمون اليتامى، ويعدهم بالنجاة من شر يوم القيامة، ويعدهم بالجنة.

قال تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [البلد]. وقال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الإنسان].

وها هو ﷺ ينهى عن إهانة اليتيم والاعتداء عليه، فحرّم الاعتداء على مال اليتيم، وعده من الكبائر ومن الموبقات، وحرّم ﷺ الاعتداء على ميراث اليتيم. كيف لا؟ واللهُ -عز وجل- ينهى في كتابه عن الاعتداء على اليتيم وإهانته فيقول سبحانه: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾﴾ [الضحى].

وشدد ربنا -جل وعلا- في النهي عن إهانة اليتيم، وجعلها من شيم الكافرين المكذبين بيوم الدين فقال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾﴾ [الماعون]. وقال تعالى متوعداً هؤلاء: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾﴾ [الفجر].

فعلى المسلمين أن يتأسَّوا برسول الله ﷺ في رحمته بالأيتام

---

(١) **حسن لغيره**: رواه أحمد (٦/ ٢٩٣)، والطبراني في «الكبير» (٢٣/ ٣٩٢، رقم ٩٣٨)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥٤٧)].

• فمن رحم اليتيم رحمه الله، ومن رحم اليتيم كان مع رسول الله ﷺ في الجنة، ومن رحم اليتيم نجا من عذاب النار، ومن رحم اليتيم رقّ قلبه. فالراحمون يرحمهم الله، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء.

أما رحمته ﷺ بالأرامل، فلم تعرف البشرية إنساناً أرحم بالأرملة من رسول الله ﷺ.

• **ومن مظاهر رحمته ﷺ بالأرامل:**

أولاً: أنه ﷺ جعل ثواب الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله تعالى، وكالقائم يصلي في الليل، والصائم في النهار

• قال ﷺ: «**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو كالذي يصوم النهار، ويقوم الليل**»[1]. ولفظ مسلم: «**وكالقائم لا يفتر، وكالصائم لا يفطر**».

• وقال ابن بطال -رحمه الله تعالى-: (مَنْ عجزَ عن الجهاد في سبيل الله، وعن قيام الليل، وصيام النهار، فليعمل بهذا الحديث، وَلْيَسْعَ على الأرملة والمسكين؛ ليُحشر يوم القيامة في جملة المجاهدين في سبيل الله، دون أن يخطو في ذلك خطوةً، أو ينفق درهماً، أو يلقى عدواً يرتاع بلقائه، أو ليُحشر في زمرة الصائمين والقائمين وينال درجتهم)[2].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٣٥٣)، ومسلم (٢٩٨٢).

(٢) «شرح صحيح البخاري» (٩/ ٢١٨).

ثانياً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بالأرملة: مشيُهُ ﷺ مع الأرملة والمسكين حتى يقضي له حاجته

• عن عبد الله بن أبي أوفى قال: كان رسول الله ﷺ يُكثر الذكر، ويُقِلّ اللغو، ويُطيل الصلاة، ويقصر الخطبة، ولا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين، فيقضي له الحاجة[1].

ثالثاً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بالأرملة: ثناؤُه على نساء قريشٍ بأنهنّ أحنى على اليتيم في حال صغره، وجلوسها عليه، وعدم زوجها حتى يكبر

قال ﷺ: «**خير نساءٍ ركبنَ الإبل صالحُ نساء قريشٍ، أحناه[2] على يتيمٍ في صغره ..**»[3] الحديث.

فعلى المسلمين في كل مكانٍ أن يتأسوا برسول الله ﷺ في رحمته بالأرامل والأيتام؛ لأن رحمة الأرامل والأيتام سببٌ لرحمة الله -عز وجل- «**ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**».

---

(١) **صحيح**: رواه النسائي (١٤١٤)، والدارمي (٧٤)، [«صحيح سنن النسائي» (١٣٤١)].

(٢) أحناه: أي: أشفقه. والحانية على ولدها التي تقوم عليه بعد يُتمٍ فلا تتزوج، فإن تزوجت فليست بحانية.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٣٦٥)، ومسلم (٢٥٢٧) ولفظ البخاري (أحناه علي ولدٍ..).

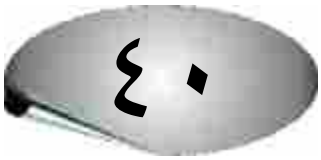

الثمرة الحادية والعشرون لدراسة السيرة النبوية العطرة

التأسي بالنبي ﷺ في رحمته بالمرضى

عباد الله! يقول -عز وجل- في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٤٨﴾﴾ [الأحزاب]، ويقول -سبحانه-: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمرجان من قصص القرآن: دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ** والتي نتكلم فيها عن قصة نبينا وحبيبنا محمدٍ ﷺ أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **الثمرةُ الحادية والعشرون التي سنقطفها -إن شاء الله تعالى- من دراستنا للسيرة النبوية العطرة ألا وهي: التأسي بالنبي ﷺ في رحمته بالمرضى**

عباد الله! الكفار أعداء الإسلام، قديماً وحديثاً يتهمون رسول الله ﷺ ظلماً وزوراً بالسحر والكهانة والجنون والإرهاب ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ

بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة].

• وهذه الاتهامات الباطلة لرسل الله تناقلها أعداء الإسلام جيلاً بعد جيل قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات].

والله -عز وجل- أرحم الراحمين كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦] ومن رحمته -سبحانه- بعباده أرسل رسوله محمداً ﷺ رحمة للعالمين قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء].

وقال ﷺ: (**يأيها الناس! إنما أنا رحمةٌ مهداةٌ**)[1]. وما من مخلوقٍ إلا وناله نصيبٌ من هذه الرحمة المهداة، ومن هؤلاء المرضى من بني آدم.

ومن مظاهر رحمته ﷺ بالمرضى:

أولاً: عيادته ﷺ لهم حتى ولو كانوا كفاراً

كان ﷺ يعود المريض:

• إذا كان المريض مسلماً عاده ونصحه ودعا له

١. عن أنس رضي الله عنه، أنّ رسول الله ﷺ عاد رجلاً من المسلمين قد خَفَتَ فصارَ مثل الفرْخَ، فقال له رسول الله ﷺ: «**هل كنت تدعو بشيءٍ**

(١) **صحيح**: رواه ابن سعد في «طبقاته» (١/ ١٩٢)، والحاكم (١٠٠)، والبيهقي في «الشعب» (١٤٠٤)، [«السلسلة الصحيحة» (٤٩٠)].

أو تسأله إياه؟» قال: نعم، كنت أقول: اللهم ما كنت مُعاقبي بـه في الآخرة، فعجِّله لي في الدنيا. فقال رسـول الله ﷺ: «**سـبحان الله! لا تطيقه** -أو لا تستطيعه- **أفلا قلت: اللهم! آتنـا في الـدنيا حـسنةً وفي الآخرة حسنةً، وقنا عذاب النار؟**» قال: فدعا الله له، فشفاه[1].

٢. وعن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ كان إذا أتى مريضاً -أو أُتِيَ بـه إليه- قال عليه الصلاة والسلام: «**أذْهِب الباس، ربَّ الناس، اشـف وأنت الشافي، لا شفاءَ إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادرُ سَقَماً**»[2].

٣. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان النبي ﷺ إذا عـاد المـريض جلـس عند رأسه، ثم قال (سـبع مـرارٍ): «**أسـأل الله العظـيم، ربّ العـرش العظيم أن يشْفِيك**» فإن كان في أجله تأخيرٌ عوفي من وجعه[3]

• أما إذا كان المريض كافراً، فكان ﷺ يعودُه ويدعوه إلى الإسلام

١. فعن أنس رضي الله عنه قال: كان غلامٌ يهـوديٌّ يخـدم النبـي ﷺ فمـرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال لـه: «**أسْـلِمْ**»، فنظـر إلى أبيه وهو عنده. فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ! فأسلم. فخـرج النبـي ﷺ وهو يقول: «**الحمد لله الذي أنقذه من النار**»[4].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٨٨).

(٢) **متفقٌ عليه**: رواه البخاري (٥٦٧٥)، ومسلم (٢١٩١).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٣٦)، وابن حبان (٢٩٧٥)، وأبو يعلى (٢٤٣٠)، [«صحيح الأدب المفرد» (٤١٦)].

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (١٣٥٦).

أين دعاة الحضارة وحقوق الإنسان من هذا الخلق الكريم؟

٢. وعن المسيِّب بن حَزْنٍ رضي الله عنه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاةُ، جاءه رسول الله ﷺ، فوجد عنده أبا جهلٍ بن هشامٍ، وعبد الله بن أبي أمية ابن المغيرة. قال رسول الله ﷺ لأبي طالب: «**يا عم! قل لا إله إلا الله، كلمةٌ أشهد لك بها عند الله**» فقال أبو جهلٍ، وعبد الله بن أبي أميّة: يا أبا طالبٍ! أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعودان بتلك المقالة، حتى قال أبو طالبٍ آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «**أما والله لأستغفرن لك ما لم أُنهَ عنك**» فأنزل الله -تعالى- فيه: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾ [التوبة:١١٣][(١)].

ثانياً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بالمرضى: أمرُه ﷺ بعيادة المرضى، وأن ذلك حق لهم على المسلمين، وبيانه ثواب ذلك عند الله

١. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**حقُّ المسلم على المسلم خمسٌ: ردُّ السلام، وتشميت العاطس، وإجابة الدعوة، وعيادة المريض، واتباع الجنائز**»[(٢)].

٢. وعن البراء بن عازبٍ رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ بسبعٍ، ونهانا عن سبعٍ، أمرنا بعيادة المريض واتباع الجنازة» الحديث[(٣)].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٢٤٠)، ومسلم (٢١٦٢).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٢٣٩)، ومسلم (٢٠٦٦).

٣. وقال ﷺ: «**عودوا المريض، واتَّبعوا الجنائز، تُذكِّرْكم الآخرة**»[(١)].

وأخبرنا رسول الله ﷺ بعِظم جزاء عيادة المرضى عند الله -تبارك وتعالى-:

١. قال ﷺ: «**من عاد مريضاً أو زار أخاً له في الله، ناداه منادٍ: أن طبتَ، فطابَ ممشاك، وتبوّأت من الجنة منزلاً**»[(٢)].

٢. وقال ﷺ: «**ما من مسلمٍ يعودُ مسلماً غدوةً إلا صلى عليه سبعون ألف ملكٍ حتى يُمسي، وإن عاده عشيةً إلا صلى عليه سبعون ألف ملكٍ حتى يُصبح، وكان له خريفٌ في الجنة**»[(٣)].

٣. وقال ﷺ: «**إن الله -عز وجل- يقول يوم القيامة: يا ابن آدم! مرضتُ فلم تعُدني. قال: يا ربِّ! كيف أعودك وأنت رب العالمين؟! قال: أما أعلمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده!**»[(٤)].

٤. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن أصبح منكم اليومَ صائماً؟**» قال أبو بكر: أنا. قال: «**فمن تبع منكم اليوم جنازةً؟**»

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٢٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥١٨)، والطيالسي (٢٢٤١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٤٦٩)].

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (٢٠٠٨)، وابن ماجه (١٤٤٣)، وأحمد (٢/ ٣٤٤)، [«صحيح الجامع» (٦٣٨٧)].

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٩٦٩)، وأحمد (١/ ١٢٠-١٢١)، [«صحيح الجامع» (٥٧٦٧)].

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٦٩).

قال أبو بكرٍ: أنا. قال: «**فمن أطعم اليوم مسكيناً؟**» قال أبو بكر: أنا. قال: «**فمن عاد منكم اليومَ مريضاً؟**» قال أبو بكر أنا. فقال رسول الله ﷺ: «**ما اجتمعن في امرئٍ إلا دخل الجنة**»[1].

ثالثاً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بالمرضى: تبشيرُهم ﷺ بما لهم عند الله من الأجر والثواب إذا صبروا على المرض، ورضوا بقضاء الله وقدره

١. قال ﷺ: «**إن عِظَمَ الجزاءِ معَ عظَم البلاء، وأن الله إذا أحبّ قوماً ابتلاهم، فمن رضيَ فله الرضا، ومن سَخِطَ فله السُّخْط**»[2].

٢. وقال ﷺ: «**ما يُصيب المسلمَ من نَصب ولا وَصب ولا هم ولا حَزَن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكَةِ يُشاكها إلا كفّر الله بها من خطاياه**»[3].

٣. وقال ﷺ: «**لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في جسده وأهله وماله، حتى يلقى الله -عز وجل- وما عليه خطيئة**»[4].

٤. وقال رسول الله ﷺ: «**إذا ابتلى الله -عز وجل- العبدَ المسلمَ ببلاءٍ في جسده، قال الله -عز وجل- للملَك: اكتب له صالح عمله الذي كان يعمل، وإن شفاه غسله وطهره، وإن قبضه غفر له ورحمه**»[1].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٠٢٨).

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٣١)، [«السلسلة الصحيحة» (١٤٦)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٦٤١)، ومسلم (٢٥٧٣).

(٤) **حسن صحيح**: رواه الترمذي (٢٣٩٩)، وأحمد (٢/ ٢٨٧)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٢٨٠)].

٥. وقال ﷺ: «**قال الله -تبارك وتعالى-: إذا ابتليتُ عبدي المؤمن فلم يَشْكُني إلى عُوّاده، أطلقته من أساري، ثم أبدلته لحماً خيراً من لحمه، ودماً خيراً من دمه، ثم يستأنف العمل**»(٢).

• فيا أيها المريض! مهما اشتد بك المرض وطال، فاصبر! فالأجر عظيمٌ.

١. قال ﷺ: «**الصبر ضياءٌ**»(٣).

٢. وقال ﷺ: «**من يتصبَّر يُصبِّره الله، وما أعطي أحدٌ عطاءً خيراً وأوسع من الصبر**»(٤).

٣. وقال ﷺ: «**يودُّ أهل العافية يوم القيامة، حينَ يُعطى أهل البلاء الثواب، لو أن جلودهم كانت قرضت بالمقاريض**»(٥).

• وتذكَّر صبر نبيّ الله أيوب عليه السلام الذي صبر على البلاء ثماني عشرة سنة فقال الله عنه ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ [ص].

• وتذكَّر المرأة السوداء التي من أهل الجنة، فقد جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله! إني أُصرع، وإني أتكشف، فادع الله لي، فقال

(١) **حسن**: رواه أحمد (٣/ ١٤٨)، [«صحيح الجامع» (٢٥٨)].

(٢) **صحيح**: الحاكم (١٢٩٠)، والبيهقي في «الشعب» (٩٩٤٣)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٧٢)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٣).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣).

(٥) **حسن**: رواه الترمذي (٢٤٠٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٤٠٤)].

ﷺ: «**إن شئتِ صبرتِ ولك الجنة، وإن شئتِ دعوتُ الله تعالى أن يعافيك**» فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها»[1].

رابعاً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بالمرضى: وصفُه ﷺ العلاج للمرضى -وهو المعروف بالطب النبوي-

وهذا العلاج النبوي نوعان:

النوع الأول: الرُّقية الشرعية، كقراءة آيات من القرآن الكريم، والفاتحة، وآية الكرسي، وآخر سورة البقرة، والمعوذات. ويضع يده على مكان الألم ويقول: «**بسم الله، بسم الله، بسم الله**» ويقول: «**أعوذ بعزة الله وقدرته من شرِّ ما أجد وأحاذر**»[2] سبعاً وغيرها مما ثبت عن رسول الله ﷺ.

النوع الثاني: الأدوية كالعسل، فالله -عز وجل- يقول: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل:٦٩] وكماءِ زمزم، إذا شربه المريض بنية الشفاء قال ﷺ: «**ماء زمزمَ لما شُرب له**»[3].

وكالحبة السوداء: قال ﷺ: «**إن هذه الحبة السوداء شفاءٌ من كل داءٍ إلا من السَّام**»[4].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٦٥٢)، ومسلم (٢٥٧٦).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٠٢).

(٣) **حسن لغيره**: رواه ابن ماجه (٣٠٦٢)، وأحمد (٣/ ٣٥٧)، [«صحيح الجامع» (١٨١٩)].

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٦٨٧)، ومسلم (٢٢١٥).

وكالحجامة والحناء: قال ﷺ: «**الحجامة على الريق أمثل، وفيها شفاءٌ وبركةٌ**»(١).

• وقال ﷺ: «**إن كان في شيءٍ مما تداويتم به خيرٌ، فالحجامة**»(٢).

• وعن سلمى خادم رسول الله ﷺ قالت: ما كان أحدٌ يشتكي إلى رسول الله ﷺ وجعاً في رأسه إلا قال: «**احتجم**»، ولا وجعاً في رجليه إلا قال: «**إخضبْهما**»(٣).

• وإذا ذهب المريض إلى الطبيب أخذاً بالأسباب فلا حرجَ لقوله ﷺ: «**تداووا عباد الله، فإن الله لم يضع داءً إلا وضع له دواءً غير داء واحدٍ الهرم**»(٤).

• وقال ﷺ: «**لكل داء دواءٌ، فإذا أصابَ دواءٌ الداء برئ بإذن الله تعالى**»(٥).

• وقال ﷺ: «**إن الله لم يُنزلْ داءً إلا أنزل الله له شفاءً، علمه من علمه، وجهله من جهله**»(٦).

هذا رسولنا محمدٌ ﷺ يا أعداء الإسلام! الذي تتهمونه بالإرهاب، فانظروا كيف عمت رحمته المريض المسلم والكافر. كيف لا؟ والله عز وجلّ يقول عنه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء].

---

(١) **حسن**: ابن ماجه (٣٤٨٧)، [«السلسلة الصحيحة» (٧٦٦)].

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٨٥٧)، وابن ماجه (٣٤٧٦)، [«صحيح الجامع» (١٤٣٠)].

(٣) **حسن**: رواه أبو داود (٣٨٥٨)، وأحمد (٦/ ٤٦٢)، [«صحيح الترغيب» (٣٤٦١)].

(٤) **صحيح**: رواه ابن أبو داود (٣٨٥٥)، وابن ماجه (٣٤٣٦)، وأحمد (٤/ ٢٧٨)، [«صحيح الجامع» (٢٩٣٠)].

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٠٤).

(٦) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٤٤٣)، والحميدي (٩٠)، [«صحيح الجامع» (٢٦٩٠)].

ويقول هو عن نفسه ﷺ: «**يأيها الناس! إنما أنا رحمةٌ مهداةٌ**»[1].

خامساً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بالمرضى: نهيُه ﷺ أن يتمنى المريض الموت، أو يدعو به على نفسه

١. عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يَتَمَنَّيَنَّ أحدُكم الموتَ من ضُرٍّ أصابه، فإن كان لابدّ فاعلاً فليقل: اللهمّ أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي**»[2].

٢. عن قيس بن أبي حازم رحمه الله تعالى قال: دخلنا على خباب نعوده - وقد اكتوى سبع كيّاتٍ في بطنه- فقال: لوما أن رسول الله ﷺ نهانا أن ندعو بالموت، لدعوت به[3].

٣. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**... ولا يتمنيَنَّ أحدكم الموت، إما محسناً فلعله أن يزداد خيراً، وإما مسيئاً فلعله أن يَسْتَعْتِبَ**»[4]. وفي مسلم: «**لا يتمنى أحدكم الموت، ولا يدعُ به من قبلِ أن يأتيه، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله، وأنه لا يزيد المؤمنَ عملُه إلا خيراً**»[5].

---

(١) **صحيح**: رواه ابن سعد في «طبقاته» (١/ ١٩٢)، والحاكم (١٠٠)، والبيهقي في «الشعب» (١٤٠٤)، [«السلسلة الصحيحة» (٤٩٠)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٦٧١)، ومسلم (٢٦٨٠).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٦٧٢)، ومسلم (٢٦٨١).

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٥٦٧٣).

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٨٢).

سادساً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بالمرضى: حثُّه ﷺ المريض أن يحسنَ الظن بالله.

١. فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: «**لا يموتنَّ أحدكم إلا وهو يُحسن الظن بالله عز وجل**»[(١)].

٢. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله -عز وجل- أنا عند ظن عبدي بي**». الحديث[(٢)].

٣. وعن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ على شابٍّ وهو في الموت فقال: «**كيف تجدُك؟**» قال: أرجو الله يا رسول الله! وأخاف ذنوبي، فقال رسول الله ﷺ: «**لا يجتمعان في قلب عبدٍ مؤمنٍ في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو، وأمّنه مما يخاف**»[(٣)].

وكيف لا يحسن العبد الظن بربه -عز وجل- والله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم:٣٢].

ويقول تعالى في الحديث القدسي: «**يا ابن آدم! إنك ما دعوتَني ورجوتَني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي. يا ابن آدم! لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي. يا ابن آدم! لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة**»[(٤)].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٧٧).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

(٣) **حسن**: رواه الترمذي (٩٨٣)، وابن ماجه (٤٢٦١)، وعبد بن حميد (١٣٧٠)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٨٣)].

(٤) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٣٥٤٠)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٦١٦)].

سابعاً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بالمرضى: حثُّه ﷺ على تلقين المريض المحتضر (لا إله إلا الله) إذا لم ينطق هو بها

قال ﷺ: «**لقنوا موتاكم لا إله إلا الله**[1]، (**مَنْ كان آخر كلامه لا إله إلا الله عند الموت دخل الجنة يوماً من الدهر، وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه**)»[2]. وذلك لأن من خُتم له بالإيمان، وكان آخر كلامه لا إله إلا الله، فإنه يُبعث على ما مات عليه، ثم يدخل الجنة، مع ما كان عليه من العمل.

فعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يُبعث كلُّ عبدٍ على ما مات عليه**»[3].

فعلى المسلمين أن يتأسّوا برسول الله ﷺ في رحمته بالمرضى، فيرحموهم؛ وذلك بعيادتهم، وتذكيرهم بالصبر على المرض، وحسن الظنِّ بالله تعالى، والدعاء لهم.

وعلى الأطباء والمستشفيات أن يتقوا الله في المرضى، بُحسن الكشف عليهم، ووصف العلاج المناسب لهم، وعدم إجراء عمليات لهم إلا إذا كانوا بحاجة إليها. لأن من الأطباء من يدفعه الطمع إلى تحميل المريض المسكين ما لا يُطيق من النفقات والعمليات والعلاج الذي ربما لا يكون المريض بحاجة إليه.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٩١٦).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ١٧٠)، [«صحيح الجامع» (٥١٥٠)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٧٨).

وعلى المرضى أن يتقوا الله في أنفسهم بأن يصبروا على ما نزل بهم من البلاء، وأن يلجأوا إلى الله تعالى بالدعاء، لأنّ الدعاء ينفع مما نزل، ومما لم ينزل، وأنّ عليهم أن لا يتركوا الصلاة معتذرين بالمرض، لأن الصلاة لا تسقط عن العبدِ إلا بفقد العقل أو خروج الروح.

وأخيراً فليحذر المرضى كل الحذر من الذهاب إلى الكهنة والسحرة والمشعوذين، فوالله الذي لا إله غيره ولا ربّ سواه! لأن يموت المريض صابراً محتسباً خيرٌ له من أن يذهب إلى ساحرٍ ولو كان الشفاءُ على يديه. لقوله ﷺ: «**من أتى عرافاً أو كاهناً فصدّقه بما يقول، فقد كفر بما أُنزل على محمدٍ ﷺ**»[1]. ولقوله ﷺ: «**من أتى عرافاً فسأله عن شيءٍ، لم تُقبل له صلاةٌ أربعين ليلةً**»[2].

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٤٢٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٤٣٣)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٣٠).

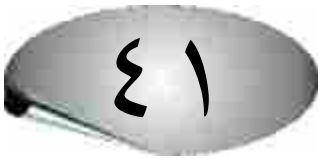

الثمرة الثانية والعشرون لدراسة السيرة النبوية العطرة

التأسي بالنبي ﷺ في رحمته بالأموات

عباد الله! قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء]. وقال سبحانه: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الأحزاب:٦]، وقال عز وجل: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة]. وقال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ [الأحزاب].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمرجان من قصص القرآن: دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**، والتي نتكلم فيها عن قصة نبينا وحبيبنا محمدٍ ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **الثمرة الثانية والعشرون التي سنقطفها -إن شاء الله تعالى- من دراستنا للسيرة النبوية العطرة ألا وهي: التأسي بالنبي ﷺ في رحمته بالأموات**

عباد الله! الموت حقٌّ لا مِريةَ فيه، وقد كتبه الله -تعالى- على جميع الخلق، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِ﴾ [آل عمران:١٨٥]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ

﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَٰلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨]، وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر].

• وقال جبريل عليه السلام لمحمدٍ ﷺ: «**يا محمد! عش ما شئت فإنك ميتٌ، وأحبب من شئت، فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزيٌّ به**»[(١)].

• وقال ﷺ: «**أكثروا ذكر هاذم اللذات: الموت؛ فإنه لم يذكره أحدٌ في ضيق من العيش إلا وسّعه الله عليه، ولا ذكره في سعةٍ إلا ضيّقها عليه**»[(٢)].

• وكان الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتذكر الموت متمثلاً بهذه الأبيات[(٣)]:

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته ... يبقى الإله ويفنى المال والولدُ
لم تُغن عن هُرمزٍ يوماً خزائنه ... والخلدَ قد حاولت عادٌ فما خلَدوا
ولا سليمانُ إذ تجري الرياح له ... والإنس والجن فيما بينها تردُ
أين الملوك التي كانت لعزّتها ... من كلِّ أوبٍ إليها وافدٌ يفدِ
حوضٌ هنالك موروداً بلا كذبٍ ... لابدّ من ورده يوماً كما وردوا

كيف لا؟ والله -عز وجل- يقول: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [الجمعة]، ويقول سبحانه: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء:٧٨].

---

(١) **حسن لغيره**: رواه الحاكم (٧٩٢١)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٥٤١)، والخطيب في «تاريخه» (٤/ ١٠)، [«السلسلة الصحيحة» (٨٣١)].

(٢) **حسن**: رواه البزار (٣٦٢٣-كشف الأستار)، والطبراني في «الأوسط» (٨٧٩٨)، [«صحيح الترغيب» (٣٣٣٣)].

(٣) هذا الشعر ذكره الطبري في «تاريخه» (٤/ ٢١٩).

رسولنا محمد ﷺ نبي الرحمة، الذي أرسله الله رحمةً للعالمين، لم تقتصر رحمته على الأحياء فقط، بل تعدّتهم إلى الأموات الذين رحلوا من دار العمل إلى دار الجزاء. فما عرفت البشرية إنساناً أرحم بالأحياء والأموات من رسول الله ﷺ.

• ومن مظاهر رحمته ﷺ بالأموات:

أولاً: أنه ﷺ نهى عن أقوال وأعمال الجاهلية عند الميت إذا خرجت روحه

١. كالنياحة

• قال ﷺ: «**أربعٌ في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهنّ**» وذكر منها «**النياحة**»(١).

• وقال ﷺ: «**اثنتان في الناس هما بهم كفرٌ: الطّعن في النسب، والنياحة على الميت**»(٢).

• وقال ﷺ: «**الميت يعذَّب في قبره بما نيح عليه**»(٣).

• وقال ﷺ: «**مَن نِيحَ عليه يُعذّب بما نَيحَ عليه يوم القيامة**»(٤).

وهذا العذاب للميت محمولٌ على منَ أوصى بالنوح عليه، أو لم يوصِ بتركه، مع علمه بأن الناس يفعلونه عادةً، ولهذا قال عبد الله بن المبارك: «إذا كان ينهاهم في حياته ففعلوا شيئاً من ذلك بعد وفاته، لم يكن عليه شيء»(٥).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٩٣٤).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٦٧).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٢٩١)، ومسلم (٩٢٧).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٩٣٣).

(٥) [«أحكام الجنائز» (ص٤١)].

٢، ٣. وكضرب الخدود، وشق الجيوب

قال ﷺ: «**ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعى بدعوى الجاهلية**»(١).

ثانياً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بالموتى: بكاؤه ﷺ على الموتى إذا ماتوا أو كانوا في النزع

١. عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ نعى زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم، فقال: «**أخذ الراية زيدٌ فأصيب، ثم أخذ جعفرٌ فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب**» وعيناه تذرفان «**حتى أخذها سيفٌ من سيوف الله حتى فتح الله عليهم**»(٢).

٢. وعنه رضي الله عنه قال: دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيفٍ، وكان ظِئراً(٣) لإبراهيم عليه السلام: فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم فقبّله وشمّه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟ فقال: «**يا ابن عوف! إنها رحمةٌ**» ثم أتبعها بأخرى، فقال: «**إن العين تدمعُ، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون**»(٤).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٢٩٤)، ومسلم (١٠٣).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٧٥٧).

(٣) الظئر: هو زوج مرضعته.

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٣٠٣)، ومسلم (٢٣١٥).

٣. وعن أسامة بن زيدٍ ﷺ قال: كنا عند النبي ﷺ، فأرسلت إليه إحدى بناته تدعوه، وتخبره أنه صبيّاً لها -أو ابناً- لها في الموت. فقال للرسول: «**ارجع إليها فأخبرها: إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكلُّ شيءٍ عنده بأجلٍ مسَمّى، فمرها فلتصبرْ ولتحتسبْ**» فعاد الرسول فقال: إنها قد أقسمت لتأتينَّها. قال: فقام النبي ﷺ وقام معه سعد بن عبادة، ومعاذ بن جبلٍ، وانطلقت معهم، فرُفع إليه الصبي، ونفسه تَقَعْقَعُ كأنها في شَنَّةٍ، قال: ففاضت عيناه، فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟ قال: «**هذه رحمةٌ جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرُّحماء**»(١).

ثالثاً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بالموتى: حثُّه ﷺ الحاضرين عند الميت أن يقوموا بما يلي:

١. **أن يُغمضوا عينيه**: لحديث أم سلمة قالت: (دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة، وقد شَق بصره، فأغمضه ثم قال: «**إن الروح إذا قُبض تبعه البصر**»(٢).

٢. **أن يُغطوه بثوبٍ يسترُ جميع بدنه إلا أن يكون محرماً**: لحديث عائشة ﷺ (أن رسول الله ﷺ حين تُوفي سُجِّي بِبُرْدٍ حِبرَةٍ)(٣).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٢٨٤)، ومسلم (٩٢٣).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٩٢٠).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٨١٤)، ومسلم (٩٤٢) واللفظ للبخاري.

٣. **أن يُعَجلوا بتجهيزه وإخراجه إذا تأكد موته:** لأن النبي ﷺ أمر بذلك، فقال: «**أسرعوا بالجنازة، فإن تك صالحةً خيرٌ تقدمونها عليه، وإن تكن غير ذلك، فشرٌّ تضعونه عن رقابكم**»(١).

٤. **أن يقوموا بتغسيله وتكفينه والصلاة عليه، ودفنه على السنة، بعيداً عن البدع والمخالفات التي أحدثها الناس، ما أنزل الله بها من سلطانٍ.**

ومن رحمته ﷺ بالميت حثُّه المغسِّل أن يستر على الميت، ولا يحدث بما قد يرى من المكروه، لقوله ﷺ: «**من غسل مسلماً فكتم عليه غفر له الله أربعين مرةً، ومن حفر له فأجنّه أجرى عليه كأجر مسكنٍ أسكنه إياه إلى يوم القيامة، ومن كفنه كساه الله يوم القيامة من سندس وإستبرق الجنة**»(٢).

٥. **أن يبادروا بقضاء الدين عنه**

- فعن سعدِ بن الأطول رضي الله عنه أن أخاه مات وترك ثلاثمائة درهم، وترك عيالاً. قال: فأردت أن أنفقها على عياله. قال: فقال لي النبي ﷺ: «**إن أخاك محبوسٌ بدينه، فاذهب فاقض عنه**»(٣).
- وعن جابرِ بن عبد الله قال: مات رجلٌ، فغَسّلناه وكفنّاه وحنّطناه ووضعناه لرسول الله ﷺ حيث توضع الجنائز، ثم آذنا رسول الله

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٣١٥)، ومسلم (٩٤٤).

(٢) **صحيح**: رواه الحاكم (١٣٠٧)، والبيهقي في «سننه» (٣/ ٣٩٥)، [«أحكام الجنائز» (٥١)].

(٣) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٢٤٣٣)، وأحمد (٤/ ١٣٦)، [«صحيح ابن ماجه» (١٩٧٣)].

بالصلاة عليه، فجاء معنا (فتخطى) خُطى، ثم قال: «**لعل على صاحبكم ديناً؟**» قالوا: نعم. ديناران، فتخلف، قال: «**صلوا على صاحبكم**» فقال رجلٌ منا -يقال له: أبو قتادة-: يا رسول الله! هما عليّ، فجعل رسول الله ﷺ يقول: «**هما عليك وفي مالك، والميت منهما بريءٌ؟**». فقال: نعم، فصلى عليه. فجعل رسول الله ﷺ إذا لقي أبا قتادة يقول: «**ما صنعت الديناران؟**» فقال: قد قضيتهما يا رسول الله!، قال: «**الآن حين بَرَدَتْ عليه جِلْدَتُهُ**»(١).

رابعاً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بالموتى: دعاؤه لهم، وحثه المسلمين على ذلك.

١. **قبل قبض الروح**: قال ﷺ: «**إذا حضرتم المريض** -أو الميت- **فقولوا خيراً، فإنّ الملائكة يؤمّنون على ما تقولون**»(٢).

كأن تدعو له بالشفاء، أو تدعو له بحسن الخاتمة، أو تدعو له أن يخفف الله عنه سَكرات الموت.

٢. **بعد قبض الروح**: قال ﷺ عندما دخل على أبي سلمة عند وفاته: «**اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره، ونوِّر له فيه**»(٣).

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٢٩٦)، والطيالسي (١٦٧٣)، والدارقطني (٣/ ٧٩)، والحاكم (٢٣٠٦)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٨١٢)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٩١٩).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٩٢٠).

٣. **عند صلاة الجنازة عليه**: ويكون الدعاء بعد التكبيرة الثالثة وما بعدها، ومن دعائه ﷺ للأموات: «**اللهم اغفر له، وارحمه، واعف عنه، وأكرم نزله، ووسِّع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقه من الخطايا كما يُنقى الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله داراً خيراً من داره، وأهلاً خيراً من أهله، وزوجاً خيراً من زوجه، وأدخله الجنة، وأعذه من عذاب القبر، ومن عذاب النار**»[(١)].

- وقال ﷺ: «**اللهم اغفر لحيِّنا وميّتنا، وشاهدِنا وغائبنا، وصغيرنا وكبيرنا، وذكرنا وأنثانا، اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان، اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تُضلنا بعده**»[(٢)].

- وقال ﷺ: «**اللهم عبدكَ وابن أمتك؛ احتاج إلى رحمتك، وأنت غنيٌّ عن عذابه، إن كان محسناً فزد في حسناته، وإن كان مسيئاً فتجاوز عنه**»[(٣)].

٤. **بعد دفنه مباشرةً** -أي عندما يوضع في القبر ويُهالُ عليه التراب- كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: «**استغفروا لأخيكم، وسلوا له التثبيت؛ فإنه الآن يُسأل**»[(٤)].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٩٦٣).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٢٠١)، والترمذي (١٠٢٤)، والنسائي)١٩٨٦(، وابن ماجه (١٤٩٨)، [«صحيح ابن ماجه» (١٢١٧)].

(٣) **صحيح**: رواه الحاكم (١٣٢٨)، والطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٢٤٩، رقم ٦٤٧)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٤٤٤)، [«أحكام الجنائز» (ص١٥٩)].

(٤) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٢٢٣)، [«صحيح الجامع» (٤٧٦٠)].

٥. **عند زيارة القبور**: لقوله ﷺ لعائشة عندما سألته: -ماذا تقول إن هي زارت البقيع-: «**قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحمُ الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بِكم للاحقون**»[(١)].

خامساً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بالموتى: حرصُه ﷺ على الصلاة على الميت، وحثُّه للمسلمين على ذلك، وانتفاعُ الميت بكثرة المصلين عليه

١. عن يزيد بن ثابت: أنهم خرجوا مع رسول الله ﷺ ذات يومٍ، فرأى قبراً جديداً فقال: «**ما هذا؟**» قالوا: هذه فلانة مولاة بني فلان -فعرفها رسول الله ﷺ- ماتت ظُهراً، وأنت نائم قائل، فلم نحبَّ أن نوقظك بها، فقام رسول الله ﷺ، وصفَّ الناسُ خلفه، وكبر عليها أربعاً، ثم قال: «**لا يموت فيكم ميتٌ، ما دمت بين أظهركم، إلا آذنتموني به، فإن صلاتي له رحمة**»[(٢)].

٢. عن أبي هريرة رضي الله عنه: (أن امرأة سوداء كانت تقُمُّ (وفي رواية: تلتقط الخِرق والعيدان من) المسجد، فماتت، ففقدها النبي ﷺ، فسأل عنها بعد أيام، فقيل له: إنها ماتت، فقال: «**هلا كنتم آذنتموني؟**» قالوا: ماتت من الليل ودُفنت، وكرهنا أن نوقظك، قال: فكأنهم صَغَّروا أمرها.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٩٧٤).

(٢) **صحيح**: رواه النسائي (٢٠٢٢)، وابن ماجه (١٥٢٨)، وأحمد (٤/ ٣٨٨)، [«صحيح سنن النسائي» (١٩١١)].

فقال: دلوني على قبرها، فدلوه، فأتى قبرها فصلى عليها، ثم قال: «**إن هذه القبور مملوءةٌ ظلمةً على أهلها، وإن الله عز وجل منوِّرها لهم بصلاتي عليهم**»[1].

- وأما حثه ﷺ المسلمين على الصلاة على الميت فيقول ﷺ: «**من صلى على جنازة فله قيراط، فإن شهد دفنها فله قيراطان، القيراط مثل أحدٍ**»[2].
- وأما انتفاع الميت بكثرة المصلين الموحِّدين عليه فيقول ﷺ: «**ما من رجلٍ مسلمٍ يموت، فيقوم على جنازته أربعون رجلاً، لا يشركون بالله شيئاً إلا شفَّعهم الله فيه**»[3].
- وعن السيدة عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: «**ما من ميتٍ يصلي عليه أمةٌ من المسلمين، يَبلغُون مائةً كلهم يشفعون له: إلا شُفِّعوا فيه**»[4].

سادساً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بالموتى: غرزُه ﷺ في القبر الذي يعذّب صاحبه جريدة رطبة، رجاء أن يخفِّف عن صاحبه من العذاب فترة اخضرارها

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر رسول الله ﷺ على قبرين فقال: «**إنهما ليُعذبان، وما يعذبان في كبيرٍ، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما**

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٥٨)، ومسلم (٩٥٦).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٩٤٥).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٩٤٨).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٩٤٧).

الآخر فكان يمشي بالنميمة» ثم أخذ جريدة رطبةً فشقّها نصفين، فغرز في كل قبرٍ واحدةً. قالوا: يا رسول الله! لِمَ فعلت هذا؟ قال: «**لعله أن يخفف عنهما ما لم يَيْبسا**»[1].

سابعاً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بالموتى: نهيُه ﷺ عن وطء القبور، وعن الاعتداء عليها، وبيَّن ﷺ أن حرمة الإنسان بعد موته كحرمته في حال حياته

• فعن جابر رضي الله عنهما قال: نهى رسول الله ﷺ أن يُجصص القبر، وأن يُقعد عليه، وأن يُبنى عليه[2].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لأن يجلس أحدكم على جمرةٍ فتُحرِق ثيابه، فتَخلص إلى جلده خيرٌ له من أن يجلس على قبر**»[3].

فعلى المسلمين أن يتأسوا برسول الله ﷺ في رحمته بالأموات.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢١٨)، ومسلم (٢٩٢).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٩٧٠).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٩٧١).

الثمرة الثالثة والعشرون لدراسة السيرة النبوية العطرة

التأسي بالنبيِّ ﷺ في رحمته بالأطفال والصغار

عباد الله! قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء]. وقال سبحانه: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة]. وقال عزّ وجل: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ [الأحزاب].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمرجان من قصص القرآن: دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**، والتي نتكلم فيها عن قصة نبينا وحبيبنا محمدٍ ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **الثمرة الثالثة والعشرون التي سنقطفها -إن شاء الله تعالى- من دراستنا للسيرة النبوية العطرة ألا وهي: التأسي بالنبي ﷺ في رحمته بالأطفال والصغار**

عباد الله! لم ولن تعرف البشرية إنساناً أرحم بالأطفال والصغار من رسول الله ﷺ، كيف لا؟ والله عز وجل يقول عنه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ ويقول ﷺ عن نفسه: «**يأيها الناس إنما أنا رحمة مهداة**»[1].

---

(١) **صحيح**: رواه ابن سعد في «طبقاته» (١/ ١٩٢)، والحاكم (١٠٠)، والبيهقي في «الشعب» (١٤٠٤)، [«السلسلة الصحيحة» (٤٩٠)].

فرسولنا محمد ﷺ رحمةٌ للإنسان، ورحمةٌ للحيوان، ورحمةٌ للمؤمنين، ورحمةٌ للكافرين، ورحمةٌ للرجال، ورحمة للنساء، ورحمةٌ للكبار، ورحمة للصغار.

• ومن مظاهر رحمته ﷺ بالأطفال والصغار:

أولاً: إخباره ﷺ: بأن الذي لا يرحمهم لا يرحمه الله -عز وجل-، وأن الرحمة لا تُنزعُ إلا من شقيٍّ، وأن الراحمين يرحمهم الرحمن

• فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبَّل رسول الله ﷺ الحسن بن عليٍّ، وعنده الأقرع بن حابسٍ التميمي جالساً، فقال الأقرع: إن لي عشرةً من الولد ما قبّلت منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «**من لا يَرْحمُ لا يُرْحَمُ**»(١).

• وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قدِمَ قومٌ من الأعراب على رسول الله ﷺ، فقالوا: أتُقبِّلون صبيانكم؟ فقال: «**نعم**» فقالوا: لكنا -والله- ما نُقبِّلُ. فقال رسول الله ﷺ: «**وأمْلِكُ إن كان الله نزعَ منكم الرحمة**»(٢).

• وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا مَن في الأرض يرحمكم من في السماء**»(٣).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٩٩٧)، ومسلم (٢٣١٩).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٩٩٨)، ومسلم (٢٣١٧).

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤)، وأحمد (٢/ ١٦٠)، [«صحيح سنن أبي داود» (٤١٣٢)].

• وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت أبا القاسم الصادق المصدوق ﷺ صاحب هذه الحجرة يقول: «**لا تُنزعُ الرحمة إلا من شقيٍّ**»(١).

• وحث ﷺ على الرحمة بالصغير، وشدد على عدم ذلك، فعن أنس ﷺ قال ﷺ: «**ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويُوقر كبيرنا**»(٢).

أين دعاة الحضارة وحقوق الإنسان من هذا الدين العظيم؟ دين يرحم الصغير ويوقر الكبير، ورسولٌ يرحم الصغير ويوقر الكبير.

ثانياً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بالأطفال والصغار: ملاطفتُه ومداعبتُه وحملُه ﷺ لهم

أما ملاطفته ومداعبته ﷺ لهم

• فعن عبد الله بن عباس ﷺ؛ أنه بات عند ميمونة -زوج النبي ﷺ - وهي خالته- قال: فاضطجعتُ في عُرض الوسادة، واضطجع رسول الله ﷺ في طولها، فنام رسول الله ﷺ حتى إذا انتصف الليل -أو قبله بقليل أو بعده بقليل- استيقظ رسول الله ﷺ فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده، ثم قرأ العشر الآيات الخواتيم من سورة آل عمران، ثم قام إلى شنٍّ مُعَلّقةٍ، فتوضأ منها، فأحسن الوضوء ثم قام يصلي.

---

(١) **حسن**: رواه أبو داود (٤٩٤٢)، والترمذي (١٩٢٣)، وأحمد (٢/ ٤٤٢)، [«صحيح سنن أبي داود» (٤١٣٣)].

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٩٤٣)، والترمذي (١٩١٩)، وأحمد (٢/ ١٨٥)، [«السلسلة الصحيحة» (٢١٩٦)].

قال عبد الله: فقمت إلى جنبه، فوضع رسول الله ﷺ يده اليمنى على رأسي، ثم أخذ بأذني اليمنى، قال: ففتلها، فصلى ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثمّ أوتر، ثم اضطجع، حتى جاءه المؤذن، فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم خرج فصلى الصبح[1].

- وعن محمود بن الربيع رضي الله عنه قال: عقلتُ من النبي ﷺ مَجّةً مجها في وجهي، وأنا ابن خمس سنين، من بئرٍ كانت في دارهم[2].

- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلقاً، وكان لي أخٌ يقال له أبو عُميرٍ -قال: أحسبُه كان فطيماً- قال: فكان إذا جاء رسول الله ﷺ فرآه، قال: «**يا أبا عُمير! ما فعل النُّغَير**[3]». قال: فكان يلعب به[4].

- وعن عائشة قالت: عثر أسامة بعتبة الباب، فشُجَّ في وجهه، فقال رسول الله ﷺ: «**أميطي عنه الأذى**»، فتقذّرتُه، فجعل يمصُّ عنه الدم، ويمجُّهُ عن وجهه، ثم قال: «**لو كان أسامة جاريةً لكسوتُهُ، وحلّيْتُه حتى أُنَفِّقَهُ**»[5].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٨٣)، ومسلم (٧٦٣).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١١٨٥)، ومسلم (٣٣).

(٣) النُّغير: طائرٌ صغيرٌ كان يلعب به.

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦١٢٩)، ومسلم (٢١٥٠).

(٥) **صحيح**: رواه ابن ماجه (١٩٧٦)، وأحمد (٦/ ٢٢٢)، [«السلسلة الصحيحة» (١٠١٩)].

وأما حملُه ﷺ للأطفال والصغار:

١. كان ﷺ يحملهم في الصلاة

• فعن أبي قتادة الأنصاري قال: رأيت النبي ﷺ يؤُم الناس وأمامة بنت أبي العاص -وهي ابنة زينب بنت النبي ﷺ على عاتقه، فإذا ركع وضعها، وإذا رفع من السجود أعادها[١].

• وعن عبد الله رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ يصلي والحسن والحسين يلعبان ويقعدان على ظهره، فأخذ المسلون يميطونهما -أي يباعدونهما- فلما انصرف -أي من صلاته- قال: «**ذروهما -بأبي وأمي- من أحبني، فليُحِبَّ هذين**»[٢].

٢. وكان ﷺ يحملهم ويصعد بهم على المنبر وهو يخطب في الناس.

فعن بريدة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فأقبل الحسن والحسين، عليهما قميصان أحمران، يعثُران ويقومان، فنزل فأخذهما، فصعد بهما ثم قال: «**صدق الله** ﴿أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾ [الأنفال:٢٨] **رأيت هذين فلم أصبر**» ثم أخذ في الخطبة[٣].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٥٤٣).

(٢) **صحيح**: رواه النسائي في «سننه الكبرى» (٨١٧٠)، وأبو يعلى (٥٠١٧)، [«السلسلة الصحيحة» (٤٠٠٢)].

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (١١٠٩)، وابن ماجه (٣٦٠٠)، [«صحيح سنن أبي داود» (٩٨١)].

٣. وكان ﷺ يحملهم ويُجلسهم في حجره وعلى فخذه، ولم ينزعج ﷺ إذا بال الطفل على ثوبه أو في حجره.

• فعن أسامة بن زيد -رضي الله تعالى عنهما- قال: كان رسول الله ﷺ يأخذني فيُقعدني على فخذه، ويُقعد الحسن بن علي على فخذه الآخر، ثم يضُمُّهما ثم يقول: «**اللهم ارحمهما، فإني أرحمهما**»[(١)].

• وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يؤتى بالصبيان فيدعو لهم، فأُتي بصبي، فبال على ثوبه، فدعا بماءٍ فأتبعه إياه، ولم يغسله[(٢)].

٤. وكان ﷺ يحملهم ويُردف بعضهم معه على الراحلة

• فعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفرٍ تُلُقِّي بصبيان أهل بيته، قال: وإنه قدم من سفرٍ فسُبق بي إليه، فحملني بين يديه، ثم جئ بأحد ابني فاطمة، فأردفه خلفه، قال: فأُدخلنا المدينة، ثلاثةً على دابةٍ[(٣)].

• وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما قدم النبي ﷺ مكة، استقبلته أُغيلمةُ بني عبد المطلب، فحمل واحداً بين يديه، وآخر خلفه[(٤)].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٠٠٣).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٣٥٥)، ومسلم (٢٨٦).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤٢٨).

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (١٧٩٨).

ثالثاً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بالأطفال: تعليمُه ﷺ إياهم الأحكام الشرعية، من عقائد وعباداتٍ، ومعاملاتٍ، وأخلاقٍ

• فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً، فقال: «**يا غلام! إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تُجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيءٍ لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام، وجَفَّتْ الصحف**»[(١)].

• وقال ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشرٍ، وفرّقوا بينهم في المضاجع**»[(٢)].

• وعن أنسٍ بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يزور الأنصار، ويُسلم على صبيانهم، ويمسح رؤوسهم ويدعو لهم[(٣)].

• وعن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه قال: كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصحفةِ، فقال لي رسول الله ﷺ: «**يا غلام! سمّ الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك**»[(٤)].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (١/ ٢٩٣)، [«صحيح الجامع» (٧٩٥٧)].

(٢) **حسن صحيح**: رواه أبو داود (٤٩٥)، وأحمد (٢/ ١٨٠)، [«إرواء الغليل» (١/ ٢٦٦)].

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٦٩٦)، والنسائي في «الكبرى» (٨٣٤٩)، وابن حبان (٤٥٩)، [«السلسلة الصحيحة» (١٢٧٨ و٢١١٢)].

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢).

والاهتمام بتربية الأولاد على العقيدة الصحيحة، والأخلاق الفاضلة، والأعمال الصالحة كان محلّ اهتمام الأنبياء والصالحين.

• فهذا إبراهيم عليه السلام يقول في دعائه: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم].

ويقول أيضاً: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾ [إبراهيم].

• وهذا يعقوب عليه السلام عند موته يريد الاطمئنان على عقيدة أبنائه بعد وفاته. قال تعالى: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة].

• وهذا المربي الكبير لقمان الحكيم، ذكره الله لنا في كتابه وهو يربي ولده على العقيدة الصحيحة، والأخلاق الفاضلة، والآداب الكريمة لنتأسى به قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان].

ثم يربيه على مراقبة الله والعمل الصالح فيقول له: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان].

رابعاً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بالأطفال والصغار: بكاؤه ﷺ عليهم إذا ماتوا أو كانوا في النزع، ومواساته وتبشريه ﷺ آباءهم بما لهم عند الله بصبرهم واحتسابهم

• فعن أسامة بن زيدٍ رضي الله عنهما قال: كنا عند النبي ﷺ فأرسلت إليه إحدى بناته تدعوه، وتخبره أن صبياً لها -أو ابناً- لها في الموت. فقال للرسول: «**ارجع إليها، فأخبرها: إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكلُّ شيءٍ عنده بأجلٍ مسَمّى، فمُرها فلتصبرْ ولتحتسبْ**» فعاد الرسول فقال: إنها قد أقسمت لتأتينها. قال: فقام النبي ﷺ وقام معه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبلٍ، وانطلقت معهم، فرُفع إليه الصبي، ونفسه تَقَعْقَعُ كأنها في شَنَّةٍ، قال: ففاضت عيناه، فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟ قال: «**هذه رحمةٌ جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرُّحماء**»[1].

• وعن قُرّة بن إياسٍ رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي ﷺ ومعه ابنٌ له، فقال له: «**أتحبه؟**» فقال: أحبك الله كما أحبه، فمات ففقده، فسأل عنه، فقال: «**ما يُسُرُّك أن لا تأتي باباً من أبواب الجنة إلا وجدته عنده، يسعى يفتح لك**»[2].

• وقال ﷺ: «**إذا مات ولدُ العبدِ، قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم! فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده، فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه: بيت الحمد**»[3].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٣٧٧)، ومسلم (٩٢٣).

(٢) **صحيح**: رواه النسائي (١٨٧٠)، [«صحيح سنن النسائي» (١٧٦٤)].

(٣) **حسن**: رواه الترمذي (١٠٢١)، وأحمد (٤/ ٤١٥)، [«السلسلة الصحيحة» (١٤٠٨)].

خامساً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بالأطفال والصغار: تخفيفه ﷺ صلاة الجماعة إذا سمع بكاء الصبي مع أنه دخل فيها وهو يريد إطالتها

• فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي، مما أعلم من شدة وجد أمّه ببكائه**»[1].

• وعن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطوِّل فيها فأسمع بكاء الصبي، فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشقّ على أمه**»[2].

سادساً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بالأطفال والصغار: حثُّه على العدل بين الأولاد سواءً في العطية أو غيرها

• قال ﷺ: «**اعدلوا بين أولادكم في النِّحل كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البرّ واللطف**»[3].

• وعن النعمان بن بشير أن أباه أتى به النبي ﷺ فقال: إني نحلتُ ابني هذا غلاماً كان لي، فقال رسول الله ﷺ: «**أكلَّ ولدك نحلتَ مثل هذا؟**»

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٠٩)، ومسلم (٤٧٠).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٧٠٧).

(٣) **صحيح**: رواه ابن حبان (٥١٠٤)، والبيهقي في «السنن» (٦/ ١٧٨)، [«صحيح الجامع» (١٠٤٦)].

قال: لا. قال: «**اتقوا الله واعدلوا في أولادكم**» يقول النعمان: فرجع أبي في تلك الصدقة، وفي رواية لمسلم قال: «**فليس يصلح هذا، وإني لا أشهد إلا على حق**». وفي رواية: «**فإني لا أشهد على جَورٍ**»[(١)].

فليتق الله الذين يحرمون بعض الأولاد من الميراث، وليتق الله الذين يحرمون البنات من الميراث، وليتق الله الذين يوصون لأولادهم بشيءٍ من الميراث دون غيرهم. لأن النبي ﷺ قال: «**لا وصية لوارث**»[(٢)].

سابعاً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بالأطفال والصغار: نهيُه ﷺ عن قتل أطفال الكفار أثناء الحرب

- يقول ابن عمر رضي الله عنهما قال: وُجِدت امرأةٌ مقتولةٌ في بعض مغازي النبي ﷺ فنهى النبي ﷺ عن قتل النساء والصبيان[(٣)].
- وعن عطية القرظي قال: كنت يوم حُكْمِ سعد في بني قريظة غلاماً، فشكّوا فيّ، فلم يجدوني أنبتُّ، فاستبقيتُ، فها أنا ذا بين أظهركم[(٤)].

فعلى المسلمين أن يتأسوا برسول الله ﷺ في رحمته بالأطفال والصغار.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٦٥٠)، ومسلم (١٦٢٣).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٨٧٠)، والترمذي (٢١٢٠)، والنسائي (٣٦٤١)، وابن ماجه (٢٧١٣)، وأحمد (٤/ ١٨٦)، [«إرواء الغليل» (٦/ ٨٧)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٠١٥)، ومسلم (١٧٤٤).

(٤) **صحيح**: رواه النسائي (٣٤٣٠)، وابن ماجه (٢٥٤٢)، وأحمد (٥/ ٣١٢)، [«صحيح ابن ماجه» (٢٥٤١)].

الثمرة الرابعة والعشرون لدراسة السيرة النبوية العطرة

التأسي بالنبي ﷺ في صيامه(*)

عباد الله! قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [البقرة].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمرجان من قصص القرآن -دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**- والتي نتكلم فيها عن قصة نبينا محمد ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله!

(*) هذه الخطبة أُلقيت في أول أيام شهر رمضان لعام ١٤٣١هـ.

إنها: **الثمرة الرابعة والعشرون التي سنقطفها -إن شاء الله تعالى- من دراستنا للسيرة النبوية العطرة ألا وهي: التأسي بالنبي ﷺ في صيامه**

لقد أمرنا الله في كتابه أن نتأسى برسول الله ﷺ فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب].

- ورسولنا ﷺ كان أعبد الناس وأخشاهم وأتقاهم لله -عز وجل- ومع ذلك فقد كان يصوم ويفطر، ويقوم ويرقد، ويتزوج النساء.
- فعن أنس رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهطٍ إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبيِّ ﷺ، فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها[1] وقالوا: أين نحن من النبي ﷺ وقد غُفِر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر أبداً ولا أفطر. وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنيِّ أصومُ وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[2].
- وعنه أيضاً قال: كان رسول الله ﷺ يفطر من الشهر حتى نظنَّ أن لا يصوم منه، ويصوم حتى نظنّ أن لا يفطر منه شيئاً، وكان لا تشاء أن تراه من الليل مصلياً إلا رأيته، ولا نائماً إلا رأيته[3].

---

(١) تقالوها: عدوها قليلة.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (١١٤١).

إن الصوم عبادةٌ عظيمة، يحبها الله، وقد تكفل سبحانه بإعطاء الصائمين أجرهم بنفسه -سبحانه- فقال في الحديث القدسي: «**كلُّ عملِ ابن آدم له، إلا الصيام، فإنه لي، وأنا أجزي به**»(١).

ولذلك كان ﷺ يحبُّ هذه العبادة، ويكثر منها، فلم يكتف بصيام الفريضة، بل تعداها إلى صيام النافلة، وحثّ أمته على هذه العبادة العظيمة، وبيَّن لهم عظيم فضلها.

ومن فضائل الصيام:

أولاً: أنه سببٌ لدخول الجنة

- قال ﷺ: «**إن في الجنة باباً يُقال له: الريّان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحدٌ غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون، لا يدخل منه أحدٌ غيرهم، فإذا دخلوا أُغلق فلم يدخل منه أحدٌ**»(٢).
- وقال ﷺ: «**ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الريان**»(٣).
- وقال ﷺ لحذيفة بين اليمان: «**يا حذيفة! من خُتم له بصيام يومٍ يريد به وجه الله تعالى أدخله الله الجنة**»(٤).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٨٩٦)، ومسلم (١١٥٢).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٨٩٧)، ومسلم (١٠٢٧).

(٤) **صحيح**: رواه البزار (٢٨٥٤)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٢٤٤٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٠٨)، [«السلسلة الصحيحة» (١٦٤٥)].

• وقال ﷺ: «**إن في الجنة غرفاً يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدّها الله تعالى لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام، وصلى بالليل والناس نيام**»[1].

• قال ﷺ يوماً لأصحابه: «**من أصبح منكم اليوم صائماً**»؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه: أنا، فقال ﷺ: «**فمن تبع منكم اليوم جنازةً؟**» قال أبو بكر: أنا، قال ﷺ: «**فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟**» قال أبو بكر: أنا. قال ﷺ: «**فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟**» قال أبو بكر: أنا، فقال رسول الله ﷺ: «**ما اجتمعنَ في امرئٍ إلا دخل الجنة**»[2].

ثانياً: الصيام سببٌ للنجاة من النار

• قال ﷺ: «**ما من عبدٍ يصومُ يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً**[3]»[4].

• وقال ﷺ: «**من صام يوماً في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقاً كما بين السماء والأرض**»[5].

---

(١) **حسن**: رواه الترمذي (١٩٨٤)، وأحمد (١/ ١٥٥)، [«صحيح الجامع» (٢١١٩)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٠٢٨).

(٣) الخريف: السنة.

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٨٤٠)، ومسلم (١١٥٣).

(٥) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (١٦٢٤)، والطبراني في «الكبير» (٧٩٢١)، [«السلسلة الصحيحة» (٥٦٣)].

ثالثاً: الصيام يقي صاحبه من الوقوع في فتنة النساء

وقال ﷺ: «**يا معشر الشباب! من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاءٌ**»(١).

رابعاً: الصيام يشفعُ لصاحبه يوم القيامة

قال ﷺ: «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي ربِّ منعته الطعام والشهوة، فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل، فشفعني فيه، قال: فيُشَفَّعان**»(٢).

خامساً: الصيام جامعٌ لكل خصال الخير

قال تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾ [البقرة]

- وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله! مُرني بعملٍ، قال: «**عليك بالصوم؛ فإنه لا عِدلَ له**». قلت: يا رسول الله! مرني بعملٍ قال: «**عليك بالصوم فإنه لا عِدل له**». وفي رواية قال: يا رسول الله! مُرني بأمر ينفعني الله به، قال: «**عليك بالصيام فإنه لا مِثل له**»(٣).

وها نحن قد حل بنا ضيفٌ كريمٌ، وموسمٌ للصيام ألا وهو شهر رمضان المبارك.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٠٦٥)، ومسلم (١٤٠٠).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ١٧٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٦١)، والحاكم (٢٠٣٦)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٩٨٤)].

(٣) **صحيح**: رواه النسائي (٢٢٢٢)، وأحمد (٥/ ٢٤٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٩٨٦)]، والرواية الأخرى عند النسائي (٢٢٢٠).

• شهر رمضان؛ شهر القرآن قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة:١٨٥].

• شهرٌ، تُصفَّد فيه الشياطين، وتُغلَّق فيه أبواب النيران، وتفتَّح فيه أبواب الجنان.

• قال ﷺ: «**إذا جاء رمضان، فُتّحت أبواب الجنة، وغُلِّقت أبواب النار، وصُفّدت الشياطين**»(١).

• شهرٌ فيه ليلة القدر خيرٌ من ألف شهرٍ، من قامها إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه. قال تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ [القدر].

• وقال ﷺ: «**إن هذا الشهر قد حضركم، وفيه ليلةٌ خيرٌ من ألف شهرٍ، من حُرِمها فقد حُرم الخير كله، ولا يحرم خيرها إلا محروم**»(٢).

• وقال ﷺ: «**من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه**»(٣).

• شهرٌ، من صامه إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه قال ﷺ: «**من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**»(٤).

• وقال ﷺ: «**إن جُبرائيل عليه السلام أتاني فقال: من أدرك شهر رمضان فلم يُغفر له فدخل النار؛ فأبعده الله، قل (آمين) فقلت (آمين)**»(٥). الحديث.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٨٩٩)، ومسلم (١٠٧٩).

(٢) **حسن صحيح**: رواه ابن ماجه (١٦٤٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٠٠٠)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٧)، ومسلم (٧٦٠).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٨)، ومسلم (٧٦٠).

(٥) **حسن صحيح**: رواه ابن حبان (٩٠٧)، وأبو يعلى (٥٩٢٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٩٩٧)].

• شهرٌ، من قامه إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه قال ﷺ: «**من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**»(١).

• شهرٌ؛ من صامه وقامه كان من الصديقين والشهداء، جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! أرأيت إن شهدتُ أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وصليت الخمس، وأدّيت الزكاة، وصمت رمضان وقمته، فممن أنا؟ قال: «**من الصديقين والشهداء**»(٢).

• شهر رمضان؛ شهر التقوى، ولذلك بدأ الله عز وجل آيات الصيام بذكر التقوى، وختمها بها.

• قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾[البقرة]، وختم الآيات بقوله عز وجل: إلى قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ١٨٧﴾ [البقرة].

والتقوى يا عباد الله! هي زادنا إلى الجنة، قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٧﴾ [البقرة].

فيا أيها الصائم!

تزوّد من معاشك للمعاد ... وقم لله واجمع خير زاد

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٧)، ومسلم (٧٥٩).

(٢) **صحيح**: رواه ابن حبان (٣٤٣٨)، وابن خزيمة (٢٢١٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٦١)].

ولا تجمع من الدنيا كثيراً فإن المال يُجمع للنَّفاد
أترضى أن تكون رفيقَ قومٍ لهم زادٌ وأنت بغير زاد

أيها الصائم!

تزود من التقوى فإنك لا تدري إذا جنّ ليلٌ هل تعيش إلى الفجر

على المسلم الصائم أن يتأسى بالنبي ﷺ في صيامه وذلك:

أولاً: أن يكون على علمٍ بأركان الصيام، فالصيام له ركنان:

الركن الأول: النية

أن تكون نيته في صيامه خالصةً لوجه الله تبارك وتعالى لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة].

ولقوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**»[1]. ويجب على الصائم أن يُبَيِّتَ نية الصيام في الفريضة من الليل قبل طلوع الفجر لقوله ﷺ: «**من لم يُبيِّت الصيام من الليل فلا صيام له**»[2].

أما في صيام النافلة فلا تجب فيه النية من الليل؛ لأنه قد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يجيء إلى عائشة رضي الله عنها فيقول: «**هل عندكم شيءٌ؟**» فإذا قالت: لا يوجد، قال: «**إني صائمٌ**»[3]. والنية محلُّها القلب، ولا دخل للِّسان بها.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧) واللفظ للبخاري.

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٤٥٤)، والترمذي (٧٣٠)، والنسائي (٢٣٣١)، وأحمد (٦/ ٢٨٧)، [«صحيح النسائي» (٢١٩٩)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١١٥٤).

الركن الثاني: الإمساك عن جميع المُفطِّرات من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس بنية العبادة

• لقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ [الفجر:١٨٧].

• ولقوله ﷺ: «**إذا أقبل الليل من هاهنا، وأدبر النهار من هاهنا، وغَرَبت الشمس فقد أفطر الصائم**»(١).

ثانياً: أن يكون على علم بالمفطرات التي تفسد صومه ومنها:

١. **الأكل والشرب عمداً**: فمن أكل أو شرب عامداً ذاكراً لصيامه فقد فسد صومه، أما من أكل أو شرب ناسياً في نهار رمضان، أو في غير رمضان من فريضةٍ أو نافلةٍ فلا شيء عليه، وصيامه صحيحٌ وليُتِمَّ صومه.

• لقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة:١٨٧].

• ولقوله ﷺ: «**من نسي وهو صائمٌ فأكل أو شرب فليُتِمَّ صومه فإنما أطعمه الله وسقاه**»(٢).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٩٤٥)، ومسلم (١١٠١).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٩٣٣)، ومسلم (١١٥٥).

٢. **القيء عمداً**: فمن تعمّد القيء فسد صومه، وعليه أن يقضي يوماً مكانه، ومن ذرعه القيء -أي غلبه- فلا قضاء عليه.

لقوله ﷺ: «**من ذرعه قيءٌ، هو صائمٌ، فليس عليه قضاء، وَإن استقاء فليقضِ**»[(١)].

٣. **الحيض والنّفاس**: فالمرأة إذا حاضت أو نفست في أي لحظة من نهار رمضان، ولو قبل غروب الشمس بلحظات وكانت صائمة فيجب عليها أن تُفطر، ولا يجزئها إذا صامت لقوله ﷺ: «**أليس إذا حاضت لم تُصل ولم تصم؟**» قلن: بلى، قال: «**فذلك نقصان دينها**». وفي رواية: «**تمكث الليالي ما تصلي، وتفطر في رمضان، فهذا نقصان دينها**»[(٢)].

وعلى المرأة أن تقضي هذه الأيام بعد رمضان، ولا يُشترط الترتيب في القضاء لقول عائشة رضي الله عنها كان يصيبنا ذلك على عهد رسول الله ﷺ فنُؤمر بقضاء الصوم، ولا نؤمر بقضاء الصلاة[(٣)].

٤. **الجماع**: وأجمع أهل العلم أن الجماع في نهار رمضان عامداً، ذاكراً لصيامه يفسد الصوم ويوجب الكفارة.

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٣٨٠)، والترمذي (٧٢٠)، وابن ماجه (١٦٧٦)، وأحمد (٢/ ٤٩٨)، [«صحيح أبي داود» (٢٠٨٤)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٧٩).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٣٣٥).

يقول أبو هريرة رضي الله عنه: (بينما نحن جلوسٌ عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجلٌ فقال: يا رسول الله! هلكتُ قال: «**وما أهلكك**»؟ قال: وقعتُ على امرأتي في رمضان. قال: «**هل تستطيع أن تعتق رقبةً**»؟ قال: لا. قال: «**هل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين**»؟ قال: لا. قال: «**هل تستطيع أن تطعم ستين مسكيناً**»؟ قال: لا. قال: «**فاجلس**»، فجلس. فأُتي النبي ﷺ بعَرَق فيه تمر -أي: مكتلٌ فيه تمرٌ- قال: «**فتصدّق به**» قال الرجل: ما بين لابتيها أحدٌ أفقر منا، فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه، ثم قال: «**خذه فأطعمه أهلك**»[1].

ثالثاً: أن يتأدب بآداب الصيام ومنها:

١. **تأخير السحور**: لقوله ﷺ: «**تسحروا فإن في السحور بركةً**»[2].

وقال ﷺ: «**تسحروا ولو بجُرعة ماءٍ**»[3].

ويُستحبُّ تأخيره:

- فعن أنس رضي الله عنه عن زيد رضي الله عنه قال: (تسحّرنا مع النبي ﷺ، ثم قام إلى الصلاة، قلت: كم كان بين الأذان والسحور؟ قال: قدر خمسين آية)[4].
- وعن حذيفة رضي الله عنه قال: (تسحرتُ مع النبي ﷺ هو النهار إلا أن الشمس لم تطلع)[5].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٦٠٠)، ومسلم (١١١١).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٩٢٣)، ومسلم (١٠٩٥).

(٣) **حسن صحيح**: رواه ابن حبان (٣٤٧٦)، وأبو يعلى (٣٣٤٠)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٠٧١)].

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٩٢١)، ومسلم (١٠٩٧).

(٥) **صحيح**: رواه النسائي (٢١٥٢)، وابن ماجه (١٦٩٥)، وأحمد (٥/ ٤٠٠)، [«صحيح ابن ماجه» (١٣٧٥)].

٢. **تعجيل الفطر**: لقوله ﷺ: «**لا يزال الناس بخيرٍ ما عجّلوا الفِطْـرَ**»[(١)].

وتعجيل الفطر سنة رسول الله ﷺ.

• قال ﷺ: «**لا تزال أمتي على سنتي ما لم تنتظر بفطرها النجوم**»[(٢)].

• وقال ﷺ: «**لا يزال الدين ظاهراً ما عجّل الناس الفطر، لأن اليهود والنصارى يؤخرون**»[(٣)].

• وكان أصحاب رسول الله ﷺ أحرص الناس على اتباع سنة رسول الله ﷺ في تعجيل الفطر وتأخير السحور، يقول عمرو بن ميمون الأودي: (كان أصحاب محمد ﷺ أسرع الناس إفطاراً، وأبطأهم سحوراً)[(٤)].

٣. **الإفطار على رُطَباتٍ أو تمرات، فإن لم تجد فعلى حَسَواتٍ من ماءٍ**.

• فعن أنس رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ يفطر على رطباتٍ قبل أن يصلي، فإن لم تكن رطباتٌ فعلى تمراتٍ، فإن لم تكن حسا حسواتٍ من ماء)[(٥)].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٩٥٧)، ومسلم (١٠٩٨).

(٢) **صحيح**: رواه ابن خزيمة (٢٠٦١)، والحاكم (١٥٨٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٠٧٤)].

(٣) **حسن**: رواه أبو داود (٢٣٥٣)، وابن ماجه (١٦٩٨)، وأحمد (٢/ ٤٥٠) [«جلباب المرأة المسلمة» (١٧٥)].

(٤) «فتح الباري» (١/ ١٩٩).

(٥) **حسن**: رواه أبو داود (٢٣٥٦)، والترمذي (٦٩٦)، وأحمد (٣/ ١٦٤)، [«صحيح الجامع» (٤٩٩٥)].

٤. الدعاء عند الإفطار

- لقوله ﷺ: «**إن للصائم عند فطره دعوةً ما تُرد**»[١].

- وقال ﷺ: «**ثلاث دعوات مستجاباتٍ: دعوة الصائم، ودعوة المظلوم، ودعوة المسافر**»[٢]. وأفضل الدعاء ما ثبت عن رسول الله ﷺ فقد كان ﷺ يقول إذا أفطر: «**ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله تعالى**»[٣].

رابعاً: أن يُمسك لسانه عن الكذب والغيبة والنميمة وشهادة الزور وقول الزور وغيرها من آفات اللسان لقوله ﷺ: «**من لم يدع قول الزور، والعمل به، فليس لله حاجةٌ في أن يدع طعامه وشرابه**»[٤].

- ولقوله ﷺ: «**إذا كان يومُ صوم أحدكم فلا يرفثْ ولا يصخَب، ولا يجهل، فإن شاتمه أحدٌ أو قاتله فليقل: إني صائمٌ**»[٥].

خامساً: على الصائم أن يكون على فقه بأحكام الصيام في رمضان لقوله ﷺ: «**من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»[٦]. **ومنها:**

---

(١) **حسن**: رواه ابن ماجه (١٧٥٣)، والحاكم (١٥٣٥)، [«السلسلة الصحيحة» (١٧٩٧)].

(٢) **صحيح**: رواه العقيلي في «الضعفاء» (١/ ٧٢)، والبيهقي في «الشعب» (٣٥٩٤)، [«صحيح الجامع» (٣٠٣٠)].

(٣) **حسن**: رواه أبو داود (٢٣٥٧)، [«صحيح أبي داود» (٢٠٦٦)].

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (١٩٠٣).

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١).

(٦) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧).

١. إذا أصبح الصائم جنباً من الليل باحتلام أو بجماع لأهله فطلع عليه الفجر وهو على جنابةٍ، فليغتسل وليصم ولا شيء عليه.

فعن عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما: (أن النبي ﷺ كان يُدركه الفجر وهو جُنُبٌ من أهله ثم يغتسل ويصوم) [(١)].

٢. للصائم أن يستاك بالسواك في أي وقتٍ من نهار رمضان قبل الزوال أو بعده لقوله ﷺ: «**لولا أن أشقّ على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل وضوءٍ**»[(٢)]. وهذا عامٌ في كل الأوقات، قبل الزوال وبعده، وفي رمضان وغيره.

٣. للصائم أن يتمضمض ويستنشق في أي وقتٍ من نهار رمضان، ولكن بدون مبالغة لقوله ﷺ: «**وبالِغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائماً**»[(٣)].

٤. للصائم أن يتطيّب ويكتحل، ويتذوق الطعام، ويقطر في عينيه وأذنه دون أنفه في أي وقت من نهار رمضان.

٥. ومن نام في نهار رمضان وكان صائماً فاحتلم ورأى البلل فعليه أن يغتسل، ولا شيء عليه في صيامه.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٩٢٦)، ومسلم (١١٠٩).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري معلقاً (٧/ ٢٣٤)، ووصله النسائي في «السنن الكبرى» (٣٠٤١) [«إرواء الغليل» (١/ ١٠٩)].

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (١٤٢)، والترمذي (٧٨٨)، والنسائي (٨٧)، وابن ماجه (٤٠٧)، وأحمد (٤/ ٣٢)، [«صحيح الجامع» (٩٢٧)].

٦. وللصائم أن يغتسل أو يصب الماء على رأسه في نهار رمضان.

٧. وللصائم أن يخلع سنه في نهار رمضان ولا شيء عليه.

٨. وللصائم أن يحلل دمه لحاجةٍ طبية ولا شيء عليه، وكذلك للمرأة أن تذهب إلى الطبيبة للكشف الطبي عليها، داخلياً أو خارجياً، ولا شيء عليها في صيامها.

٩. وللمسافر أن يصوم، وله أن يفطر، إذا تحمل الصيام صام، وإذا عجز عن الصيام أفطر، وإن استطاع الصيام وأفطر فلا شيء عليه.

• يقول أنس رضي الله عنه: (سافرنا مع رسول الله ﷺ في رمضان، فلم يَعب الصائم على المفطر، ولا المفطر على الصائم)[1].

١٠. المريض الذي يُرجى بُرؤه يفطر ويقضي بعد رمضان، والمريض الذي لا يرجى بُرؤه يفطر ويطعم عن كل يوم مسكيناً.

١١. أما الشيخ الكبير، والمرأة العجوز يفطران ويطعمان عن كل يوم مسكيناً. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما، فيُطعمان مكان كل يومٍ مسكيناً)[2]. وقد فعل ذلك أنس رضي الله عنه عندما كبر سنه، وأفطر رمضان فجمع ثلاثين مسكيناً فصنع لهم طعاماً فأشبعهم.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٩٤٧)، ومسلم (١١١٦).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٤٥٠٥).

١٢. الحامل والمرضع إذا خافتا على نفسيهما أو ولديهما أفطرتا وأطعمتا عن كل يومٍ مسكيناً، وإن صامتا أجزأهما.

فعلى المسلمين أن يتأسوا برسول الله ﷺ في صيامه، فإن خير الهدي هديُ محمدٍ ﷺ.

الثمرة الخامسة والعشرون لدراسة السيرة النبوية العطرة

التأسي بالنبي ﷺ في قيام الليل(*)

عباد الله! قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء]. وقال سبحانه: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمرجان من قصص القرآن: دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**، والتي نتكلم فيها عن قصة نبينا وحبيبنا محمد ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله؟!

إنها: **الثمرة الخامسة والعشرون التي سنقطفها -إن شاء الله تعالى- من دراستنا للسيرة النبوية العطرة ألا وهي: التأسي بالنبي ﷺ في قيام الليل.**

عباد الله! وقيام الليل هو: الصلاة التي يصليها المسلم نافلةً بالليل، وهذه الصلاة تجوز بعد صلاة العشاء، وتجوز في وسط الليل، وتجوز في ثلث

(*) هذه هي الخطبة الثانية في شهر رمضان لعام ١٤٣١هـ.

الليل الأخير، وأفضل أوقاتها ما كان في ثلث الليل الأخير، لقوله ﷺ: «**أقرب ما يكون الربُّ من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممّن يذكر الله تعالى في تلك الساعة فكن**»[1].

• ولقوله ﷺ: «**ينزل ربنا -تبارك وتعالى- كلّ ليلةٍ إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: مَن يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له**»[2]. وقد قام النبي ﷺ في أول الليل وأوسطه وآخره[3].

• وقيام الليل سنةٌ مؤكدةٌ، وهي أفضل صلاةٍ بعد الفريضة قال تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ٧٨﴾ [الإسراء].

فبعد أن ذكر الله سبحانه صلاة الفريضة في هذه الآية الكريمة، عطف بعدها بذكر صلاة الليل، مما يدلُّ على أنها أفضل صلاةٍ بعد الفريضة فقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [الإسراء].

كيف لا؟ ورسولنا ﷺ يقول: «**أفضل الصلاة بعد الصلاة المكتوبة، الصلاة في جوف الليل، وأفضل الصيام بعد شهر رمضان صيام شهر الله المحرم**»[4].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٥٧٩)، والنسائي (٥٧٢)، والحاكم (١١٦٢)، وابن خزيمة (١١٤٧)، [«صحيح الترغيب» (١٦٤٧)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

(٣) «الروض» (١٠١٤).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (١١٦٣).

• وقيام الليل أقلُّه ركعةٌ، وأكثره إحدى عشرة ركعةً، تقول عائشة رضي الله عنها: (ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة؛ يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهنّ وطولهن، ثم يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهنّ وطولهنّ، ثم يصلي ثلاثاً)[1].

والناس مع قيام الليل طرفان ووسط؛ طرفٌ زاد في صلاته على إحدى عشرةَ ركعةً، وطرفٌ ضيّع صلاة الليل فلا يصليها، والوسط: هو الذي يحافظ على قيام الليل في رمضان وغيره، ولا يزيدون على إحدى عشرة ركعةً، متأسين في ذلك برسول الله ﷺ الذي قال: «**وخير الهدي هدي محمدٍ** ﷺ»[2].

إن قيام الليل سفينة المتقين إلى رضوان الله والجنة، ولذلك فقد حثَّ الله عز وجل عباده على قيام الليل، ورغَّبهم فيه، فبيَّن -سبحانه- لعباده في كتابه: أن قيام الليل عنوان الإيمان، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [السجدة].

• وبيَّن لهم أيضاً أن قيام الليل دليل الإحسان، والإحسان هو أعلى مراتب الإيمان. قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١١٤٧)، ومسلم (٧٣٨).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٨٦٧).

• ولم يُسَوِّ ربنا جل وعلا بين الذين يقومون الليل، والذين لا يقومون الليل فقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر].

وقد حث رسول الله ﷺ على قيام الليل:

• قال ﷺ: «**عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربةٌ إلى ربكم، ومَكْفرةٌ للسيئات، ومنهاةٌ عن الإثم**»(١).

• وقال ﷺ: «**يا أيها الناس! أفشوا السلام بينكم، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيامٌ، تدخلوا الجنة بسلام**»(٢).

• وقال ﷺ: «**إن في الجنة غرفاً يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدّها الله تعالى لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام، وصلى بالليل والناس نيام**»(٣).

• وقال ﷺ: «**إن في الليل لساعةً لا يوافقها رجلٌ مسلمٌ يسأل الله تعالى خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه، وذلك كل ليلةٍ**»(٤).

---

(١) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٣٥٤٩)، وابن خزيمة (١١٣٥)، والطبراني في «الكبير» (٧٤٦٦)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٦٢٤)].

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٤٨٥)، وابن ماجه (١٣٣٤)، وأحمد (٥/ ٤٥١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٦١٦)].

(٣) **صحيح لغيره**: رواه أحمد (٥/ ٣٤٣)، وابن خزيمة (٢١٣٦)، وابن حبان (٥٠٩)، والطبراني في «الكبير» (٣٤٦٦)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٦١٧)].

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٧٥٧).

• وقال ﷺ: «**إن الله ليضحك إلى رجلين: رجلٌ قام في ليلةٍ باردةٍ من فراشه ولحافه ودثاره** -أي غطائه- **فتوضأ ثم قام إلى الصلاة، فيقول الله عز وجل لملائكته: ما حمل عبدي هذا على ما صنع؟ فيقولون: ربَّنا! رجاء ما عندك؛ وشفقةً مما عندك، فيقول: فإني قد أعطيته ما رجا، وأمّنته مما يخاف**»[(١)].

• وقال ﷺ: «**رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأةً قامت من الليل، وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء**»[(٢)].

• وقال ﷺ: «**إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا، أو صلى ركعتين جميعاً كُتبا في الذاكرين والذاكرات**»[(٣)].

• وقال ﷺ: «**نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل**» قال سالم: فكان عبد الله بن عمر بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً[(٤)].

---

(١) **حسن لغيره**: رواه ابن أبي عاصم في «الجهاد» (٩٦)، والطبراني في «الكبير» (٨٥٣٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٦٣٠)].

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (١٣٠٨)، والنسائي (١٦١٠)، وأحمد (٢/ ٢٥٠)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٦٢٥)].

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (١٣٠٩)، والنسائي في «الكبرى» (١٣١٠)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٦٢٦)].

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (١١٢٢)، ومسلم (٢٤٧٩).

• وقال ﷺ: «**من قام بعشر آياتٍ لم يُكتب من الغافلين، ومن قام بمئة آيةٍ كتب من القانتين، ومن قام بألف آيةٍ كتب من المقنطرين**[1]»[2].

• وقال ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجلٌ آتاه الله القرآن، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجلٌ آتاه الله مالاً، فهو ينفقه آناء الليل والنهار**»[3].

• وقال ﷺ: «**أتاني جبريل فقال: يا محمدّ! عشْ ما شئت فإنك ميتٌ، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزيٌ به، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغناؤه عن الناس**»[4].

ولقد ضرب لنا رسول الله ﷺ أروع الأمثلة في قيام الليل.

• فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (إن نبي الله ﷺ كان يقوم من الليل -أي يصلي- حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله! وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال ﷺ: «**أفلا أحبُّ أن أكون عبداً شكوراً**»[5].

---

(١) المقنطرين: أي ممن كتب له قنطارٌ من الأجر.

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (١٣٩٨)، وابن خزيمة (١١٤٤)، وابن حبان (٢٥٧٢)، [«السلسلة الصحيحة» (٦٤٢)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٠٢٥)، ومسلم (٨١٥).

(٤) **حسن**: رواه الحاكم (٧٩٢١)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٥٤١)، [«السلسلة الصحيحة» (٨٣١)].

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩).

• وعن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: صليت مع النبي ﷺ ذات ليلةٍ فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى. فقلت يصلي بها في ركعة فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً، إذا مر بآية فيها تسبيحٌ سبَّح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوُّذٍ تعوذ، ثم ركع فجعل يقول: «**سبحان ربي العظيم**» فكان ركوعه نحواً من قيامه، ثم قال: «**سمع الله لمن حمده، ربنا لك الحمد**» ثم قام طويلاً قريباً مما ركع ثم سجد فقال: «**سبحان ربي الأعلى**» فكان سجوده قريباً من قيامه[1].

• وعن ابن مسعود ﷺ قال: صليت مع النبي ﷺ ليلةً، فأطال القيام حتى هممت بأمر سوءٍ! قيل: وما هممتَ به؟ قال: هممتُ أن أجلس وأدعَه[2].

• وعن عائشة ﷺ قالت: (ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان، ولا في غيره على إحدى عشرة ركعةً. يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعاً لا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثاً[3].

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٧٧٢).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١١٣٥)، ومسلم (٧٧٣).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (١١٤٧)، ومسلم (٧٣٨).

• وعنها رضي الله عنها قالت: (كان ﷺ لا يدع قيام الليل، وكان إذا مرض أو كسل صلى قاعداً)[1].

• وعنها رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل -أي عن تهجده- أو مرض -أي منعه المرض فيه- صلى من النهار ثنتي عشرة ركعةً)[2].

• وعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ لا تشاء أن تراه من الليل مصلِّياً إلا رأيته، ولا نائماً إلا رأيته[3].

• وعنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ للثلاثة رهط الذين سألوا عن عبادته وكأنهم تقالُّوها: «**أما والله! إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[4].

على المسلمين في كل مكان، في رمضان، وفي غير رمضان، أن يتأسوا برسول الله ﷺ في قيام الليل، وفي قيام رمضان ليتحصلوا على ثماره وفضائله في الدنيا والآخرة ومنها:

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (١٣٠٧)، وأحمد (٦/ ٢٤٩)، [«صحيح أبي داود» (١١٨٠)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٧٤٦).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (١١٤١).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) واللفظ للبخاري.

أولاً: أنه يمنع صاحبه من الوقوع في الإثم لقوله ﷺ: «**عليكم بقيام الليل**» إلى أن قال ﷺ: في فضله: «**ومنهاةٌ عن الإثم**»(١).

ثانياً: أنه سببٌ لحل عُقد الشيطان التي يعقدها على قافية رأس كلِّ إنسانٍ إذا نام قال ﷺ: «**يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عُقدٍ، يضرب على كل عقدةٍ: عليك ليلٌ طويلٌ فارقد، فإن استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدةٌ، فإن توضأ انحلت عقدةٌ، فإن صلى انحلت عقدةٌ، فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان**»(٢).

ثالثاً: أن قيام الليل شرف للمؤمن في الدنيا والآخرة، قال جبريل عليه السلام لنبينا ﷺ: «**واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل وعزّه استغناؤه عن الناس**»(٣).

رابعاً: أن قيام الليل تجارةٌ رابحةٌ، وذلك لأن المؤمن يتلو في صلاته كتاب الله. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [فاطر].

خامساً: لأنّ قيام الليل نورٌ في الوجه، ونورٌ في القبر، ونورٌ على الصراط يوم القيامة.

---

(١) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٣٥٤٩)، وابن خزيمة (١١٣٥)، والطبراني في «الكبير» (٧٤٦٦)، [«صحيح الترغيب» (٦٢٤)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١١٤٢)، ومسلم (٧٧٦).

(٣) **حسن لغيره**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٤٤٢٩)، والحاكم (٧٩٢١)، [«السلسلة الصحيحة» (٨٣١)].

• قال ﷺ: «**الصلاة نورٌ**»[1]. وهذا النور عامٌّ في الوجه والقلب وفي القبر، ويوم القيامة على الصراط.

• وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [الحديد]. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التحريم].

سادساً: أنَّ قيام الليل سببٌ لدخول الجنة، قال تعالى في وصف أهل الجنة: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾﴾ ماذا يطلبون من ربهم في صلاتهم وقيامهم؟ ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾﴾ فماذا أعد الله -سبحانه- لهم؟ ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾﴾ [الفرقان].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات].

الله أكبر! قاموا الليل يصلون، وجلسوا بالأسحار يستغفرون، فجمعوا بين الخوف من الله والعمل الصالح، أما المنافق والفاجر فقد جمع بين الأمن من مكر الله والعمل السيء.

والله عز وجل يقول: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٣).

وقال ﷺ: «**يأيها الناس! أفشوا السلام**» إلى أن قال ﷺ: «**وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**»(١).

• وقال ﷺ: «**إن في الجنة غرفاً يُرى ظاهرها من باطنها وباطنها، من ظاهرها، أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام**» إلى أن قال ﷺ: «**وصلى بالليل والناس نيام**»(٢).

سابعاً: أنَّ قيام الليل سببٌ للنجاة من الفتن

• فعن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت: استيقظ رسول الله ﷺ ليلةً فزعاً يقول: «**سبحان الله ماذا أنزل الله من الخزائن؟ وماذا أنزل من الفتن؟ من يوقظ صواحب الحجرات، يريد أزواجه لكي يُصلين، ربَّ كاسيةٍ في الدنيا عاريةٌ في الآخرة**»(٣).

ثامناً: أنَّ قيام الليل سببٌ لمغفرة الذنوب، وتكفير السيئات

• قال ﷺ: «**من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنب**»(٤).

ولقوله ﷺ: «**عليكم بقيام الليل**» ثم ذكر ﷺ من فضائله: «**ومكْفرةٌ للسيئات**»(٥).

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (١٣٣٤)، وأحمد (٥/ ٤٥١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٦١٦)].

(٢) **صحيح لغيره**: رواه أحمد (٥/ ٣٤٣)، والطبراني في «الكبير» (٣٤٦٦)، وابن حبان (٥٠٩)، [«صحيح الترغيب» (٦١٨)]

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٧٠٦٩).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٧)، ومسلم (٧٥٩).

(٥) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٣٥٤٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٦٢٤)].

فيا أمة الإسلام! ويا أمة التوحيد! ها أنتم في شهر رمضان، شهر القيام، وها هي الفتن تموج بالأمة موج البحر، وتحيط بها من كل جانب، كقطع الليل المظلم، ولا سبيل للنجاة منها إلا بعبادة الله وحده لا شريك له، وبالمسارعة والإكثار من الأعمال الصالحة عامةً، ومن قيام الليل خاصةً، فالعبادة عامة، وقيام الليل خاصة سببٌ للنجاة من الفتن، وسببٌ لسعادة الأمة في الدنيا والآخرة.

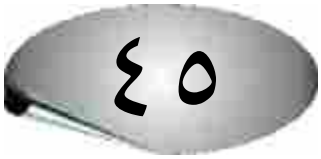

الثمرة السادسة والعشرون لدراسة السيرة النبوية العطرة

التأسي بالنبي ﷺ في جوده وكرمه وإيثاره وتصدقه وإنفاقه(*)

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه العزيز: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٥٤﴾ [البقرة]. وقال الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١١﴾ [المنافقون]، وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾ [البقرة].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمرجان من قصص القرآن: دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**: والتي نتكلم فيها عن قصة نبينا وحبيبنا محمد ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله؟!

إنها: **الثمرة السادسة والعشرون التي سنقطفها -إن شاء الله تعالى- من دراستنا للسيرة النبوية العطرة ألا وهي: التأسي بالنبي ﷺ في جوده وكرمه وإيثاره وتصدقه وإنفاقه**

(*) هذه هي الخطبة الثالثة في شهر رمضان لعام ١٤٣١هـ.

إن رسولنا محمد ﷺ كان أجود الناس، وأكرم الناس، وكان يؤثر غيره على نفسه، وكان يُنفق إنفاق من لا يخشى الفقر.

• يقول أنس رضي الله عنه: (كان النبي ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس)[1].

• ويقول ابن عباس رضي الله عنه: (كان النبي ﷺ أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلةٍ من رمضان، فيدارسه القرآن، فلَرسول الله ﷺ أجودُ بالخير من الريح المرسلة)[2].

• ويقول جابرٌ رضي الله عنه: (ما سئل رسول الله ﷺ عن شيءٍ قطُّ، فقال: لا)[3].

• ويقول أنس رضي الله عنه: (ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، ولقد جاءه رجلٌ، فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم! أسلموا؛ فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، وإن كان الرجل ليسلم؛ ما يريد إلا الدنيا، فما يلبث إلا يسيراً، حتى يكون الإسلام أحبَّ إليه من الدنيا وما عليها)[4].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٢٨٢٠).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠٣٤)، ومسلم (٢٣١١).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣١٢).

• ويقول أنس أيضاً: (كان النبي ﷺ لا يدّخر شيئاً لغدٍ)[1].

• ويقول عبد الله بن بشر رضي الله عنه: (كان للنبي قصعةٌ يقال لها: الغرّاء -أي: يوضع فيها الطعام لضيوفه- يحملها أربعة رجالٍ)[2].

• وعن عائشة رضي الله عنها أنهم ذبحوا شاةً، فقال النبي ﷺ: «**ما بقي منها؟**» قالت: ما بقي منها إلا كتفها. قال: «**بقي كلُّها غير كتفها**»[3].

فرسولنا ﷺ كان أجود الناس، وأكرم الناس، كيف لا؟ وهو الذي يقول: «**إن الله كريمٌ يحبُّ الكرم**»[4].

• ويقول ﷺ: «**إن الله كريمٌ يحبُّ الكرماء**»[5].

• ويقول ﷺ: «**إن الله تعالى جوادٌ، يحبُّ الجود**»[6].

عباد الله! ورسولنا محمد ﷺ كان يؤثر غيره على نفسه، متمثلاً بقوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٣٦٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٩٣٠)].

(٢) **صحيح**: أبو داود (٣٧٧٣)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٩٣)].

(٣) **صحيح**: الترمذي (٢٤٧٠)، وأحمد (٦/ ٥٠)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٥٤٤)].

(٤) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» (٥٩٢٨)، والحاكم (١٥١)، [«السلسلة الصحيحة» (١٣٧٨)].

(٥) **صحيح**: رواه ابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (٨)، [«صحيح الجامع» (١٨٠٠)].

(٦) **صحيح**: رواه هنّاد في «الزهد» (٨٢٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٩)، [«صحيح الجامع» (٥٦٢٥)].

• فعن سهل بن سعدٍ ﷺ، أن امرأةً جاءت إلى رسول الله ﷺ بِبُردةٍ منسوجةٍ، فقالت: نَسَجْتُها بيديّ لأكسوكها، فأخذها النبي ﷺ محتاجاً إليها، فخرج إلينا وإنها إزاره، فقال فلانٌ: اكسُنيها، ما أحسنها! فقال: «**نعم**» فجلس النبي ﷺ في المجلس، ثمّ رجع فطواها، ثم أرسل بها إليه، فقال القوم له: ما أحسنت، لبسها النبي ﷺ محتاجاً إليها، ثم سألتَه وعلمتَ أنه لا يرُدُّ سائلاً، فقال: إني والله ما سألته لألبسها، إنما سألته لتكون كفني. فقال سهلٌ: فكانت كفنه[1].

وقد ربى النبي ﷺ أصحابه على هذا الخلق الرفيع -الإيثار-:

فعن أبي هريرة ﷺ قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: إني مجهودٌ، فأرسل إلى بعض نسائه، فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماءٌ، ثم أرسل إلى أخرى، فقالت مثل ذلك، حتى قلن كُلُّهن مثل ذلك: لا والذي بعثك بالحقِّ ما عندي إلا ماءٌ، فقال النبي ﷺ: «**من يُضَيِّفُ هذا الليلة؟**» فقال رجلٌ من الأنصار: أنا يا رسول الله! فانطلق به إلى رحله، فقال لامرأته: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ، وفي رواية قال لامرأته: هل عندك شيءٌ؟ قالت: لا، إلا قوت صبياني، قال: فعلِّليهم بشيءٍ، وإذا أرادوا العَشاء فنَوِّميهم، وإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج، وأَريه أنا نأكل. فقعدوا وأكل

(١) **صحيح**: رواه البخاري (١٢٧٧).

الضيف، وباتا طاويَين، فلما أصبح غدا على رسول الله ﷺ فقال: «**لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة**»[1].

ولقد ضرب لنا رسول الله ﷺ أروع الأمثلة في الصدقة والإنفاق:

• يقول صفوان بن أمية: لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني، وإنه لمن أبغض الناس إليّ، فما برح يعطيني حتى إنه لأحبُّ الناس إلي. قال ابن شهاب: أعطاه يوم حنينٍ مائةً من النَّعم ثم مائةً ثم مائة[2].

وفي مغازي الواقدي: أن النبي ﷺ أعطى صفوان يومئذٍ وادياً مملوءاً إبلاً ونَعَماً، فقال صفوان: أشهد ما طابت بهذا إلا نفس نبيٍّ.

• وقال ﷺ للأعراب عندما سألوه أن يعطيهم: «**فلو كان لي عدد هذه العضاة** -وهو شجرٌ له شوكٌ- **نَعَماً، لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذّاباً ولا جباناً**»[3].

• وقال ﷺ: «**أنفق بلال! ولا تَخشَ من ذي العرش إقلالاً**»[4].

• وقال ﷺ: قال الله تعالى: «**يا ابن آدم! أنفق أُنفق عليك**»[5].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٧٩٨)، ومسلم (٢٠٥٤).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣١٣).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٢٨٢١).

(٤) **صحيح**: رواه الترمذي في «الشمائل» (٣٥٥)، والطبراني في «الكبير» (١٠٢٠)، والبزار (١٩٧٨)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٦٦١)].

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٦٨٤)، ومسلم (٩٩٣).

فيا عباد الله!

١. أنفقوا وتصدقوا! **فإن ما عندكم ينفد، وما عند الله باقٍ.**

قال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل:٦٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [النحل]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾ [البقرة].

- وقال ﷺ: «**من تصدق بِعدْلِ تمرةٍ من كسبٍ طيبٍ، ولا يقبل الله إلا الطيب، وإنَّ الله يتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلُوَّه حتى تكون مثل الجبل**»(١).
- وقال ﷺ لأصحابه يوماً: «**أيُّكم مال وارثه أحبُّ إليه من ماله؟**» قالوا: يا رسول الله! ما منا أحدٌ إلا ماله أحبُّ إليه، قال: «**فإن ماله ما قدّم، ومالُ وارثه ما أخَّر**»(٢).

٢. أنفقوا وتصدقوا يا عباد الله! **فإن النفقة والصدقة تزيد المال وتباركه**

- قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سبأ].

وقال ﷺ: «**ما نقصت صدقةٌ من مالٍ**»(٣).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٦٤٤٢).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٨٨).

• وقال ﷺ: «**ما من يومٍ يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعطِ منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً**»(١).

• وقال ﷺ: «**بينما رجلٌ يمشي بفلاةٍ من الأرض، فسمع صوتاً في سحابةٍ، اسق حديقة فلان، فتنحّى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرةٍ، فإذا شرجةٌ(٢) من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كلّه، فتتبع الماء، فإذا رجلٌ قائمٌ في حديقته يحوّل الماء بمِسحاته، فقال له: يا عبد الله! ما اسمك؟ قال: فلانٌ للاسم الذي سمع في السحابة، فقال له: يا عبد الله لمَ تسألني عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان لأسمك، فما تصنعُ فيها، فقال: أما إذ قلت هذا، فإني أنظر إلى ما يخرج منها، فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثاً، وأردُّ فيها ثلثه**»(٣).

٣. أنفقوا وتصدقوا يا عباد الله! **فإن الإنفاق والصدقة تجارةٌ رابحةٌ.**

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [فاطر]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الصف].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠).

(٢) أي: مَسيل الماء.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٨٤).

٤. أنفقوا وتصدقوا يا عباد الله! **فإن العبد يوم القيامة في ظل صدقته**

• قال ﷺ: «**كل امرئٍ في ظلِّ صدقته** -أي يوم القيامة- **حتى يُقضى بين الناس**»[(١)].

٥. أنفقوا وتصدقوا على الفقراء والمساكين، **فإن المتصدِّق يكون يوم القيامة في ظلِّ عرش الرحمن يوم لا ظلّ إلا ظلّه.**

• قال ﷺ: «**سبعةٌ يُظلّهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظله**» وذكر منهم: «**ورجلٌ تصدق بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه**»[(٢)].

٦. أنفقوا وتصدقوا يا عباد الله! **فإن الصدقة تطفئ غضب الربِّ، وتطفئ الخطيئة، وتطفئ على أهلها حرّ القبور.**

• قال ﷺ: «**صدقة السرِّ تطفئ غضب الربِّ**»[(٣)].

• وقال ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: «**ألا أدلك على أبواب الخير، الصوم جُنَّةٌ، والصدقة تُطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار**»[(٤)].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ١٤٧)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٢٠٨، رقم ٧٧١)، وابن خزيمة (٢٤٣١)، والحاكم (١٥١٧)، والبيهقي في «سننه» (٤/ ١٧٧)، وابن حبان (٣٣١٠)، وعند بعضهم: (حتى يفصل بين..)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٨٧٢)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

(٣) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» (٨٠١٤)، وفي «الأوسط» (٣٤٠٥)، [«السلسلة الصحيحة» (١٩٠٨)].

(٤) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، والنسائي في «الكبرى» (١١٣٩٤)، [«إرواء الغليل» (٢/ ١٣٨)].

• وقال ﷺ: «**إن الصدقة لتطفئ عن أهلها حرّ القبور**»[1].

٧. أنفقوا وتصدقوا يا عباد الله! **فإن الصدقة تطهِّرُ النفس والمال من الشُّح والبخل**

• قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة:١٠٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر].

والشُّح هو أعلى درجات البخل، وهو مرضٌ خطيرٌ يهلك صاحبه

• قال ﷺ: «**ثلاثٌ مهلكاتٌ**» وذكر فيها «**شحٌّ مطاعٌ**»[2]. والشحُّ يدفع صاحبه إلى كل شرٍّ.

• وقال ﷺ: «**اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلماتٌ يوم القيامة، واتقوا الشحَّ فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم**»[3].

والصدقة في الكتاب والسنة قسمان: فرضٌ ونافلةٌ.

فالفرض: كالزكاة والنذور وزكاة الفطر، وقد حذر الله عز وجل في كتابه، والنبي ﷺ في سنته من منعيها والبخل بها، وتوعد أولئك بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة.

---

(١) **حسن**: رواه الطبراني في «الكبير» (١٧/ ٢٨٦، رقم ٧٨٨)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٤٨٤)].

(٢) **حسن**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٥٤٥٢)، والبيهقي في «الشعب» (٧٤٥)، [«السلسلة الصحيحة» (١٨٠٢)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٧٨).

• قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة].

• ويفسر لنا ذلك النبي ﷺ فيقول: «**ما من صاحب ذهبٍ ولا فضةٍ لا يؤدي فيها حقّها إلا إذا كان يوم القيامة، صُفِّحَتْ له صفائح من نارٍ، فأُحمي عليها في نار جهنم، فيُكوى بها جنبه، وجبينه، وظهره، كلما بردت أعيدت له.** ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ [المعارج] **حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله، إما إلى الجنة وإما إلى النار**»[(١)].

• ويقول ﷺ: «**من آتاه الله مالاً فلم يؤدِّ زكاته، مُثِّل له يوم القيامة شجاعاً أقرع، له زبيبتان يُطوِّقه يوم القيامة، ثم يأخذ بِلِهْزِمَتَيْه** -يعني شدقيه- ثم يقول: **أنا مالك، أنا كنزك!** ثم تلا ﷺ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠]»[(٢)].

• وقال ﷺ: «**مانع الزكاة يوم القيامة في النار**»[(٣)].

• وقال ﷺ: «**ما منع قومٌ الزكاة إلا ابتلاهم الله بالسنين**» -أي بالفقر والجدب[(٤)].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٩٨٧).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (١٤٠٣).

(٣) **حسن صحيح**: رواه الطبراني في «الصغير» (٩٣٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٧٦٢)].

(٤) **صحيح لغيره**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٤٥٧٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٧٦٣)].

• وقال ﷺ: «**ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا**»[1]. فاحذر أيها الغني أن تبخل بزكاة مالك فإن العذاب شديد والعقاب أليمٌ.

ومن الزكاة الواجبة على المسلم في نهاية هذا الشهر؛ زكاة الفطر

• **حكمها**: فريضةٌ على كل مسلمٍ غنيٍّ أو فقيرٍ، ذكرٍ أو أنثى، حرٍّ أو عبدٍ، صغيرٍ أو كبيرٍ، لحديث ابن عمر رضي الله عنه قال: (فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعاً من تمر، أو صاعاً من شعيرٍ، على العبدِ والحرِّ، والذكر والأنثى، والصغير والكبير)[2].

• **حكمتها**: طهرةٌ للصائم من اللغو والرفث، وطعمةٌ للمساكين، لحديث ابن عباس رضي الله عنهما (فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرةً للصائم من اللغو والرفث، وطعمةً للمساكين)[3].

• **وقتها**: تُخرج في نهاية رمضان وقبل صلاة العيد، فمن أخرجها قبل صلاة العيد فهي زكاةٌ مقبولةٌ، ومن أخرجها بعد صلاة العيد فهي صدقةٌ.

• يقول ابن عمر رضي الله عنهما: (أمر رسول الله ﷺ بزكاة الفطر، أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة)[4].

---

(١) **حسن**: رواه ابن ماجه (٤٠١٩)، [«السلسلة الصحيحة» (١٠٦)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٥٠٣)، ومسلم (٩٨٤).

(٣) **حسن**: رواه أبو داود (١٦٠٩)، وابن ماجه (١٨٢٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٠٨٥)].

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٥٠٣)، ومسلم (٩٨٦).

• **قدرُها**: يقول أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: (كنا نُخرج زكاة الفطر صاعاً من طعامٍ، أو صاعاً من شعيرٍ، أو صاعاً من تمرٍ، أو صاعاً من أَقِط، أو صاعاً من زبيب)[1].

وأجمع الفقهاء على أنه لا بدّ على المسلم أن يخرجها طعاماً، ولا تجزئ القيمة إلا عند الإمام أبي حنيفة -رحمه الله- فإنه قال: (تجزئ القيمة). والصواب مع جمهور العلماء على أن زكاة الفطر لا تُجزئ إلا طعاماً، لأن الرسول ﷺ فرضها صاعاً من طعامٍ، مع وجود النقدين والحاجة إليهما، والله تعالى أعلم.

عباد الله! أنفقوا وتصدقوا من أموالكم على الفقراء والمساكين في هذا الشهر الكريم، شهر الصدقة والإنفاق، ومن أراد أن يتقبل الله منه صدقته وإنفاقه، فعليه بما يلي:

أولاً: أن يبتغي بذلك وجه الله تعالى، لا رياءً ولا سمعةً

• قال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ [البقرة:٢٧٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾ [البقرة].

• وقال ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**»[2]. واحذر أيها الغني! أن ترائي بصدقتك، أو بإنفاقك، فإن المرائين أول من تُسَعَّر بهم جهنم يوم القيامة.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٥٠٦)، ومسلم (٩٨٥).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧) واللفظ للبخاري.

• قال ﷺ: «**إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه**» وذكر منهم: «**ورجل وسّع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كله، فأُتي به، فعرّفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تُحِبّ أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليُقال: هو جوادٌ، فقد قيل، ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار**»[1].

ثانياً: أن تحرص على إخفاء الصدقة

قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة:٢٧١].

• فهذا الرجل الذي قال: (لأتصدقن الليلة) فقد أخفى صدقته عن الناس.

• وهذا الرجل الذي ساق الله سبحانه سحابةً خاصةً له لتسقي بستانه، فقد أخفى صدقته عن الناس. كيف لا؟ والنبي ﷺ يقول: «**صدقة السرِّ تطفئُ غضب الربِّ**»[2].

ثالثاً: احذر أن تمُنَّ بما أنفقت على الفقراء والمساكين، فالمنُّ أذى يوجب سخط الله تعالى

• قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة:٢٦٤]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾ [البقرة].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٠٥).

(٢) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» (٨٠١٤)، وفي «الأوسط» (٣٤٠٥)، [«السلسلة الصحيحة» (١٩٠٨)].

• وقال ﷺ: «**ثلاثةٌ لا يُكلِّمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذابٌ أليمٌ! المسبلُ إزاره، والمنان الذي لا يعطي شيئاً إلا منّه، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب**»(١).

رابعاً: واحذر أن تتصدق أو تنفق من مالٍ خبيثٍ، فإنّ الله طيبٌ لا يقبل إلا طيباً.

• قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾ [البقرة].

• وقال ﷺ: «**إن الله طيبٌ لا يقبل إلا طيباً**»(٢).

• وقال ﷺ: «**من تصدق بعدل تمرةٍ من كسبٍ طيبٍ، ولا يقبل الله إلا طيباً**»(٣).

ها أنتم في شهر رمضان المبارك، شهر البر والإحسان والصدقة والإنفاق، والجود والكرم والإطعام، فتأسّوا فيه برسول الله ﷺ الذي ضرب لنا أروع الأمثلة في البر والإحسان، والجود والكرم والإنفاق، وفي كل وجوه الخير فكان ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان فلَهو في رمضان كالريح المرسلة.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٠٦).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٠١٥).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤).

الثمرة السابعة والعشرون لدراسة السيرة النبوية العطرة: التأسي بالنبي ﷺ في حرصه على الجنة، وخوفه من النار(*)

عباد الله! يقول الله عز وجل في كتابه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمرجان من قصص القرآن: دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**: والتي نتكلم فيها عن قصة نبينا وحبيبنا محمد ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله؟!

إنها: **الثمرة السابعة والعشرون التي سنقطفها -إن شاء الله تعالى- من دراستنا للسيرة النبوية العطرة ألا وهي: التأسي بالنبي ﷺ في حرصه على الجنة، وخوفه من النار.**

(*) هذه هي الخطبة الرابعة في شهر رمضان لعام ١٤٣١هـ.

عباد الله! الجنة هي دار السلام: أعدها الله سبحانه للمحسنين والمتقين، والصائمين والمتصدقين، وعباده الصالحين، وأعدّ لهم فيها من النعيم ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قبل بشرٍ.

• قال تعالى في الحديث القدسي: «**أعددت لعبادي الصالحين مالا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشرٍ**» يقول ﷺ: «**اقرؤوا إن شئتم** ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة]»(١).

• وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس]، وقال تعالى: ﴿۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأنعام].

والنار هي دار البوار: أعدها الله للعصاة والمجرمين الذين كفروا به وكذبوا رسله، وبارزوه بالمعاصي بالليل والنهار، وأعد لهم من العذاب الأليم فيها ما لا يعلمه إلا الله سبحانه.

• قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [العنكبوت].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤).

والذين يُزَحْزَحون عن النار، ويدخلون الجنة هم الفائزون حقاً.

قال تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الحشر].

والذين دخلوا النار هم الأشقياء، والذين زُحزحوا عن النار وأُدخلوا الجنة هم السُّعداء، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هود].

• وقال ﷺ: «**احتجَّت الجنة والنار**» -أي: تخاصمت الجنة والنار- «**فقالت النار: فيَّ الجبارون والمتكبرون، وقالت الجنة: فيّ ضعفاء الناس ومساكينهم، فقضى الله بينهما: إنكِ الجنة رحمتي، أَرحم بك من أشاء، وإنك النار عذابي، أعذب بك من أشاء، ولكليكما عليّ ملؤها**»(١).

وكان رسولنا ﷺ أحرص الناس على دخول الجنة، والنجاة من النار، ويظهر ذلك من كثرة دعائه لربه -عز وجل- أن يدخله الجنة، وينجيه من النار.

• قال ﷺ: «**اللهم إني أسألك الجنة، وما قرّب إليها من قولٍ أو عملٍ، وأعوذ بك من النار، وما قرّب إليها من قولٍ أو عملٍ**»(٢).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٤٦).

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٣٨٤٦)، وأحمد (١/ ١٧٢)، [«صحيح ابن ماجه» (٣١٠٢)].

• ويقول أنس رضي الله عنه: كان أكثر دعاء النبي ﷺ: «**ربَّنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً، وقنا عذاب النار**»[1].

• وقال ﷺ يوماً لرجل: «**ما تقول في صلاتك؟**» قال: أتشهد، ثم أسأل الله الجنة، وأعوذ به من النار، أما والله! ما أُحسن دندنتك، ولا دندنة معاذٍ، فقال ﷺ: «**حولها ندندن**»[2].

• وقال ﷺ: «**من سأل الله الجنة ثلاث مراتٍ، قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استجار من النار ثلاث مراتٍ، قالت النار: اللهم أجره من النار**»[3].

• وقال ﷺ: «**ما استجار عبدٌ من النار سبع مراتٍ إلا قالت النار: يا ربِّ! إن عبدك فلاناً استجار مني فأَجره، ولا سأل عبدٌ الجنة سبع مراتٍ إلا قالت الجنة: يا ربِّ! إن عبدك فلاناً سألني، فأدخله الجنة**»[4].

• وقال ﷺ: «**إن لله ملائكةً سيارة، يتبعون مجالس الذكر**» إلى أن قال: «**فيسألهم الله -عز وجل- وهو أعلم، من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من**

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٥٢٢)، ومسلم (٢٩٦٠).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٧٩٢)، وابن ماجه (٩١٠)، وأحمد (٣/ ٤٧٤)، [«صحيح ابن ماجه» (٣٨٣٧)].

(٣) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٥٧٢)، والنسائي (٥٥٢١)، وابن ماجه (٤٣٤٠)، وأحمد (٣/ ١٥٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٦٥٤)].

(٤) **صحيح**: رواه أبو يعلى (٦١٩٢)، وإسحاق بن راهويه في «مسنده» (٢١٣)، والطبراني في «الدعوات» (٢٥٥)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٥٠٦)].

عند عبادٍ لك؛ يسبحونك، ويُكبرونك، ويهللونك، ويحمدونك، ويسألونك. قال: فما يسألوني؟ قالوا: يسألونك جنتك. قال: وهل رأوا جنتي؟ قالوا: لا. أي ربِّ! قال: فكيف لو رأوا جنتي؟ قالوا: ويستجيرونك قال: وَمِمَّ يستجيرونني؟ قالوا: من نارك يا ربِّ! قال: وهل رأوا ناري؟ قالوا: لا. قال: فكيف لو رأوا ناري؟ قالوا: ويستغفرونك. قال: فيقول: قد غفرت لهم، وأعطيتهم ما سألوا، وأجرتهم مما استجاروا»[1].

• والجنة قريبةٌ منكم والنار كذلك.

قال ﷺ: «**الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعلِهِ، والنار مثل ذلك**»[2].

ومن الأمثلة على ذلك:

١. قال ﷺ: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجاتٍ، وإن العبد، ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى، لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم**»[3].

فانظر يا عبد اللهّ! بكلمةٍ واحدةٍ من رضوان الله لم يُلق لها بالاً دخل الجنة، وبكلمةٍ واحدةٍ من سخط الله لم يُلق لها بالاً دخل النار.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٤٠٨)، ومسلم (٢٦٨٩).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٦٤٨٨).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٤٧٨)، ومسلم (٢٩٨٨).

٢. وقال ﷺ: «**بينما رجلٌ يمشي بطريقٍ اشتد عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها فشرب، ثم خرج، فإذا كلبٌ يلهثُ يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلبَ من العطش مثلُ الذي كان قد بلغ مني، فنزل البئر، فملأ خفّه ماءً، ثم أمسكه بفيه حتى رقي، فسقى الكلب؛ فشكر الله له، فغفر له**»[(١)]. وفي رواية البخاري: «**فشكر الله له، فغفر له، فأدخله الجنة**» الله أكبر! دخل الجنة في كلب سقاه، فما بالك يا عبد الله! بمن يطعم جائعاً، أو يُفطر صائماً في رمضان!

٣. وقال ﷺ: «**دخلت امرأةٌ النار في هرةٍ، حبستها فلم تُطعمها، ولم تتركها تأكل من خَشاش الأرض**»[(٢)].

فهذا رجلٌ دخل الجنة في كلبٍ سقاه، وهذه امرأة دخلت النار في هرةٍ منعتها الطعام حتى ماتت، فاحذر أيها الغنيُّ أن تمنع زكاتك عن الفقراء والمساكين فيموتوا جوعاً، فيدخلك الله النار.

وقد خوّف النبي ﷺ أصحابه من النار، ورغّبهم في الجنة.

• فقال ﷺ: «**عُرضت عليّ الجنة والنار، فلم أر كاليوم في الخير والشرِّ، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً**» فما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يومٌ اشدُّ منه، غطّوا رؤوسهم ولهم خنينٌ[(٣)(٤)].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠٠٩)، ومسلم (٢٢٤٤).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٤٥)، ومسلم (٩٠٤).

(٣) الخنين: البكاء بدون صوت.

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣٥٩).

فبدأ الصحابة يسارعون في السؤال عن الأعمال التي تقرِّبهم من الجنة وتباعدهم عن النار.

• فهذا معاذُ بن جبل رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله! أخبرني بعملٍ يُدخلني الجنة، ويباعدني من النار؟ قال: «**لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسيرٌ على من يسّره الله تعالى عليه، تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحجُّ البيت**» ثم قال: «**ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنةٌ، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل**»، ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ حتى بلغ ﴿يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة] ثم قال: «**ألا أخبرك برأس الأمر، وعموده، وذروة سنامه**» قلت: بلى يا رسول الله! قال: «**رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد**» ثم قال: «**ألا أخبرك بمَلاك ذلك كله؟**» قلت: بلى يا رسول الله! فأخذ بلسانه وقال: «**كفَّ عليك هذا**» قلت: يا رسول الله! وإنا لمؤاخَذون بما نتكلم به؟ فقال: «**ثكِلتك أمك، وهل يكبُّ الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم؟**»[1].

• وهذا أعرابيٌّ جاء إلى النبي ﷺ يقول: دُلني على عمل إذا عملته، دخلت الجنة، قال ﷺ: «**تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة**

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وأحمد (٥/ ٢٣١)، [«إرواء الغليل» (٢/ ١٣٨)].

المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان»، قال الرجل: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا، فلما ولى، قال النبي ﷺ: «**من سرّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا**»[1].

- فها نحن يا عباد الله! في شهر رمضان؛ شهر الصيام والقيام؛ وشهر البر والإحسان؛ فيه ليلةٌ خيرٌ من ألف شهرٍ؛ وفيه تُفتَّح أبواب الجنان، وتُغلَّق أبواب النيران، كان ﷺ إذا دخل العشر الأخيرة من رمضان، أحيا ليله، وأيقظ أهله، وجدّ وشدّ المئزر، وكان ﷺ يجتهد في هذه العشر ما لا يجتهد في غيرها من أيام رمضان، فهل من طالبٍ للجنة؟ وهل من خائفٍ من النار؟ يتأسى برسول الله ﷺ في حرصه على الجنة، وما قرَّب إليها من قولٍ أو عمل، وفي خوفه من النار وما قرَّب إليها من قولٍ أو عملٍ.

- وها هم الصحابة رضي الله عنهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ وتأسوا به في حرصه على طلب الجنة، وفي خوفه من النار، يضربون للأمة أروع الأمثلة في الحرص على دخول الجنة.

١ .**المرأة السوداء**: يقول عطاء بن رباحٍ رضي الله عنه: قال لي ابن عباسٍ رضي الله عنهما: (ألا أُريك امرأةً من أهل الجنة؟ فقلت: بلى! قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي ﷺ فقالت: إني أُصرع، وإني أتكشف، فادع الله تعالى لي، قال

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٣٩٧)، ومسلم (١٤).

ﷺ: «**إن شئت صبرت، ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله تعالى أن يعافيك**». فقالت: أصبر)[1].

أتدرون لِمَ صبرت المرأة، وآثرت المرض على العافية؟ إنه الحرص على دخول الجنة، فهل من مُدّكر؟

٢. **عُمير بن الحُمام في غزوة بدرٍ**: لما دنا المشركون من المسلمين في بدرٍ، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**قوموا إلى جنةٍ عرضها السماوات والأرض**» فقال عميرٌ بن الحُمام الأنصاري رضي الله عنه يا رسول الله! جنةٌ عرضها السماوات والأرض؟ فقال ﷺ: «**نعم**» فقال عُمير: بَخٍ بَخٍ! فقال له رسول الله ﷺ: «**ما يحمِلُك على قولك: بخٍ بخٍ؟**» قال: عُمير: لا والله يا رسول الله! إلا رجاء أن أكون من أهلها. فقال ﷺ: «**فإنك من أهلها**» فألقى ما معه من تمراتٍ ثم قاتلهم حتى قُتل[2].

أتدرون يا عباد الله! لِمَ لم يصبر حتى يأكل تمراته؟ إنه الشوق إلى الجنة والمسارعة إليها .. فهل من مستيقظ؟

٣. **أنس بن النضر رضي الله عنه في غزوة أُحدٍ**: لما انكشف المسلمون، قال أنسُ بن النضر: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء -يعني أصحابه-، وأبرأ إليك مما فعل هؤلاء -يعني المشركين- ثم تقدم لمقاتلة المشركين،

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٦٥٢)، ومسلم (٢٥٧٦).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٠١).

فاستقبله سعد بن معاذٍ ﷺ فقال له: يا سعد بن معاذٍ! الجنة؛ ورب النضر! إني لأجد ريحها من دون أُحدٍ؛ فقال سعدٌ: فما استطعت يا رسول الله ما صنع! فدخل على المشركين فقاتل حتى قُتل، فوجدوه بعد المعركة به بضعاً وثمانين ضربةً بالسيف، أو طعنةً برمحٍ، أو رميةً بسهم، ووجدوه وقد قُتل ومثّل به المشركون فما عرفه أحدٌ إلا أخته ببَنانه.

يقول أنس: كنا نرى -أو نظنُّ- أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب][1].

أتدرون لِمَ فعل أنسٌ ﷺ ما فعل، وفُعل به ما فُعل؟ إنه الصدق في الحرص على دخول الجنة ... فهل من مُشَمِّرٍ؟

٤. **الأعرابي الذي آمن واتبع النبي ﷺ، وقتل شهيداً في المعركة**: يقول شداد بن الهاد ﷺ أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبيُّ ﷺ فآمن به واتبعه، ثم قال: أهاجر معك، فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه، فلما كانت غزاةٌ، غنم النبي ﷺ شيئاً فقسم؛ وقسم له، فأعطى أصحابه ما قُسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قَسْمٌ قسمه لك النبي ﷺ، فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ فقال: ما هذا؟ قال: «قسمته لك»، قال: ما على هذا اتبعتك، ولكن اتبعتك

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٢٨٠٥).

على أن أُرمى إلى ههنا -وأشار إلى حلقه- بسهمٍ فأموت، فأدخل الجنة فقال: «**إن تَصْدُقِ الله يَصدقك**». فلبثوا قليلاً ثم نهضوا في قتال العدو، فأُتي به إلى النبي ﷺ يُحمل، قد أصابه سهمٌ، حيث أشار. فقال النبي ﷺ: «**أهو هو؟**» قالوا: نعم، قال: «**صدَق الله فصدقه**».

ثم كفنه النبي ﷺ في جبته التي عليه، ثم قدمه فصلى عليه، وكان مما ظهر من صلاته: «**اللهم! هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك، فقُتل شهيداً، أنا شهيدٌ على ذلك**»(١).

فما الذي دفع هذا الأعرابي إلى الزهد في حطام الدنيا، والرغبة في الاستشهاد في سبيل الله؟ إنه الصدق في الحرص على دخول الجنة. نسأل الله عز وجل لنا ولكم الجنة، ونعوذ به من النار.

• وها نحن في شهر رمضان

شهر الصيام: قال ﷺ: «**من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**»(٢).

شهر القيام: قال ﷺ: «**من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**»(٣).

---

(١) **صحيح**: رواه النسائي (١٩٥٣)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٣٦)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٨)، ومسلم (٧٦٠).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٧)، ومسلم (٧٥٩).

شهر ليلة القدر: قال ﷺ: «**من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه**»[1]، ومن غُفر له دخل الجنة، ونجا من النار.

شهر إطعام الطعام: قال ﷺ: «**أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**»[2].

شهر الطاعات واجتناب المعاصي: قال ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟!** قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**»[3].

كيف لا؟ والله عز وجل يقول: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٨٠].

شهر القرآن: قال ﷺ: «**من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ألم حرفٌ، ولكن ألفٌ حرفٌ ولامٌ حرفٌ، وميمٌ حرفٌ**»[4].

وها نحن في العشر الأخير من رمضان، تقول عائشة رضي الله عنها: (كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر أحيا الليل، وأيقظ أهله، وجدّ وشدّ المئزر[5])[6].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٠٩١)، ومسلم (٧٦٠).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (١٨٥٥)، وابن ماجه (١٣٣٤)، وأحمد (٢/ ٤٥١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٦١٦)].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٧٢٨٠).

(٤) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٩١٠)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٣٢٧)].

(٥) شد المئزر: كناية عن اعتزال النساء.

(٦) **صحيح**: رواه مسلم (١١٧٤).

وشهر تُفتح فيه أبواب الجنان، وتُغلق فيه أبواب النيران، فهل من مُشمِّرٍ يتأسى برسول الله ﷺ في هذه الأيام المباركة، وبعد رمضان، في الحرص على دخول الجنة والنجاة من النار؟

اللهم إنّا نسألك الجنة، ونعوذ بك من النار.

الثمرة الثامنة والعشرون لدراسة السيرة النبوية العطرة

التأسي بالنبي ﷺ في حياته

• **عباد الله!** يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم].

ويقول سبحانه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة]، وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمرجان من قصص القرآن: دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**، والتي نتكلم فيها عن قصة نبينا وحبيبنا محمدٍ ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله؟!

إنها: **الثمرة الثامنة والعشرون التي سنقطفها -إن شاء الله تعالى- من دراستنا للسيرة النبوية العطرة، ألا وهي: التأسي بالنبي ﷺ في حياته**

عباد الله! كان رسول الله ﷺ أشد الناس حياءً

• يقول الله -عز وجل- في وصف رسوله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا

وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأحزاب:٥٣].

• وها هو ﷺ يخبرنا عن حيائه؛ عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ مضطجعاً في بيتي كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له، وهو على تلك الحال، فتحدّث، ثم استأذن عمرُ، فأذن له وهو كذلك، فتحدّث، ثم استأذن عثمان، فجلس رسول الله ﷺ وسَوَّى ثيابه، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتشَّ له، ثم دخل عمر فلم تهتشَّ له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلستَ وسويت ثيابك. فقال: «**ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة**»[(١)].

• وها هي زوجته رضي الله عنها تخبرنا عن حيائه ﷺ عن عائشة رضي الله عنها قالت: (إنّ امرأةً من الأنصار قالت للنبي ﷺ: كيف أغتسل من المحيض؟ قال: «**خذي فِرْصةً[(٢)] مُمَسَّكةً فتوضَّئي ثلاثاً**» ثم إن النبي ﷺ استحيا فأعرض بوجهه، أو قال: «**توضئي بها**»[(٣)]، فأخذتُها فجذبتُها فأخبرتها بما يريد النبي ﷺ)[(٤)].

• وها هم أصحابه رضي الله عنهم يخبروننا بحيائه ﷺ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء في خِدرها)[(٥)].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤٠١)

(٢) فرصة ممسكة: أي قطعة من قطن بها طيب.

(٣) توضئي بها: أي تتبعي بها أثر الدم.

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣١٥)، ومسلم (٣٣٢).

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٥٦٢)، ومسلم (٢٣٢٠).

• وقد حثّ النبي ﷺ أصحابه وأمته على هذا الخلق العظيم؛ خلق الحياء.

أولاً: بيَّن لهم ﷺ أن الحياء خلق الإسلام، فقال ﷺ: «**إن لكلِّ دينٍ خُلقاً، وخُلق الإسلام الحياء**»(١).

ثانياً: أخبرهم ﷺ أن الحياء من الإيمان.

• عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**الإيمان بضعٌ وسبعون أو بضعٌ وستون شُعبةً، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبةٌ من الإيمان**»(٢).

• وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مرّ على رجلٍ من الأنصار وهو يعظُ أخاه في الحياء، فقال رسول الله ﷺ: «**دعهُ فإن الحياء من الإيمان**»(٣).

• وعنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «**الحياء والإيمان قُرنا جميعاً، فإذا رُفع أحدهما رُفع الآخر**»(٤).

ولذلك إذا ذهب حياء الرجل أو المرأة تجرأ أو تجرأت على معصية الله، قال ﷺ: «**إنّ مما أدرك النّاسُ من كلام النبوة الأولى: إذا لم تَسْتَحْيِ فاصنع ما شئت**»(٥).

---

(١) **حسن**: رواه ابن ماجه (٤١٨١)، وأبو يعلى (٣٥٧٣)، [«السلسلة الصحيحة» (٩٤٠)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٢٤).

(٤) **صحيح**: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١٣١٣)، والحاكم (٥٧)، والبيهقي في «الشعب» (٧٧٢٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٦٣٦)].

(٥) **صحيح**: رواه البخاري (٣٤٨٣).

ثالثاً: وأخبرهم ﷺ أن الحياء خلقٌ كريمٌ يحبه الله، وزينةٌ لصاحبه، قال ﷺ: «**إن الله تعالى حيِيٌّ سِتِّيرٌ، يحبُّ الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر**»[1]. وقال ﷺ: «**ما كان الفُحش في شيءٍ إلا شانه، وما كان الحياء في شيءٍ إلا زانه**»[2].

• وقال ﷺ لرجل من أصحابه: «**إن فيك خَلّتين يحبهما الله**» قلت: ما هما؟ قال: «**الحلم والحياء**»[3].

رابعاً: وأخبرهم ﷺ أن الحياء كله خيرٌ، فقال ﷺ: «**الحياء كله خيرٌ**»[4]. وقال ﷺ: «**الحياء لا يأتي إلا بخير**»[5].

فالحياء من ديننا، وهو شعبةٌ من شُعب الإيمان، وهو خلقٌ كريمٌ يمنع صاحبه من فعل القبيح وقول القبيح، ويمنع صاحبه أيضاً من التقصير في حق الله وحق عباد الله.

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٠١٢)، والنسائي (٤٠٦)، وأحمد (٤/ ٢٢٤)، [«صحيح الجامع» (١٧٥٢)].

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (١٩٧٤)، وابن ماجه (٤١٨٥)، وأحمد (٣/ ١٦٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٦٣٥)].

(٣) **صحيح**: رواه النسائي في «الكبرى» (٧٧٤٦)، و ابن ماجه (٤١٨٨)، [«صحيح الجامع» (٤١٧٨)].

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٣٧).

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦١١٧)، ومسلم (٣٧).

• وقسَّم العلماء الحياء إلى قسمين:

القسم الأول: الحياء من الله.

القسم الثاني: الحياء من الناس.

• أما الحياء من الناس فهو كحياء الولد من والده، والمرأة من زوجها، والجاهل من العالم، والصغير من الكبير، والمرأة إذا مرت بالرجال أو تكلمت معهم، قال تعالى في وصف ابنة الشيخ الكبير عندما جاءت إلى موسى عليه السلام: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ﴾ [القصص:٢٥].

ومن الحياء من الناس: حياء البكر من الإفصاح بالرغبة في الزواج، تقول عائشة رضي الله عنها قلت: يا رسول الله ﷺ! إن البكر تستحيي قال: «**رضاها صمتُها**»[(١)].

• وأما الحياء من الله يُبينه لنا رسول الله ﷺ: يقول ابن مسعودٍ رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «**استحيوا من الله حقّ الحياء**» قال: قلنا: يا رسول الله! إنا نستحيي والحمد لله. قال: «**ليس ذاك، ولكنّ الاستحياء من الله حقّ الحياء: أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وتذكرُ الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء**»[(٢)].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٥١٣٧).

(٢) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٢٤٥٨)، وأحمد (١/ ٣٨٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٧٢٤)].

• يخبرنا رسول الله ﷺ في هذا الحديث أن الحياء من الله يكون بأمورٍ منها:

أولاً: أن تحفظ الرأس وما وعى

وحفظ الرأس وما وعى يكون:

١. أن يحفظ المسلم رأسه من السجود لغير الله، لأن السجود لغير الله حرام، قال ﷺ: «**لو كنتُ آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها**»(١).

٢. أن يحفظ رأسه من التكبر على عباد الله، قال ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرةٍ من كبرٍ**»(٢). ولذلك قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان].

ويقول الله -عز وجل- لابن آدم المتكبر: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الإسراء].

٣. أن يحفظ بصره من النظر إلى ما حرَّم الله قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور:٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ [النور:٣١].

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٢١٤٠)، والترمذي (١١٥٩)، وابن ماجه (١٨٥٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٩٣٨)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٩١).

ويقول جرير بن عبد الله ﷺ: «سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفُجاءة، فأمرني أن أصرف بصري»[1].

٤. أن يحفظ لسانه من الغيبة والنميمة والكذب وشهادة الزور، والفحش قال ﷺ لمعاذ بن جبل ﷺ: «**كُفّ عليك هذا**» وأشار إلى لسانه، فقال معاذ ﷺ: وإنّا لمؤاخَذون بما نتكلم يا رسول الله؟ قال: «**ثكِلتك أمك يا معاذ، وهل يَكبُّ الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم**»[2].

وقال ﷺ للرجل الذي سأل عن النجاة: «**أمسك عليك لسانك، ولْيسعك بيتك، وابك على خطيئتك**»[3].

٥. أن يحفظ سمعه من الاستماع إلى الغيبة والنميمة والغناء والموسيقى، فالله سائله عن سمعه وبصره يوم القيامة

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء].

وقال ﷺ: «**كُتب على ابن آدم نصيبُه من الزنا، مُدرِك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد**

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢١٥٩).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وأحمد (٥/ ٢٣١)، [«السلسلة الصحيحة» (١١٢٢)].

(٣) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٤٠٦)، وأحمد (٥/ ٢٥٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٧٤١)].

زناها البطش، والرجل زناها الخطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويُصدِّق ذلك الفرجُ أو يكذبه»[1].

٦. ومن حفظ الرأس أن يحفظ الرجل لحيته فلا يحلقها، وأن تحفظ المرأة وجهها فلا تنمصه، فإن النبي ﷺ يقول للرجال: «**اعفوا اللّحى**»[2]. «**أرخوا اللِّحى**»[3]. «**وفروا اللِّحى**»[4]. ويقول ﷺ للنساء محذراً من النمص: «**لعن الله النامصة والمتنمصة**»[5].

ثانياً: أن تحفظ البطن وما حوى

من الحياء من الله أن يحفظ المسلم بطنه من أكل الحرام، وفرجه من الزنا قال ﷺ: «**إن الله تعالى طيبٌ لا يقبل إلا طيباً، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾ [البقرة] **ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمدُّ يديه إلى السماء، يا ربِّ يا ربِّ! ومطعمه حرامٌ، ومشربه حرامٌ، وملبسه حرامٌ، وغُذِي بالحرام، فأنَّى يُستجاب لذلك؟»**[6].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٥٧).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٨٩٣)، ومسلم (٢٥٩).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٠).

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٥٨٩٢).

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (٢١٢٥).

(٦) **صحيح**: رواه مسلم (١٠١٥).

وقال ﷺ: «**كل جسدٍ نبت من سُحت فالنار أولى به**»[1]. وقال ﷺ: «**من يضمنْ لي ما بين لحييه، وما بين رجليه أضمنْ له الجنة**»[2].

والله -عز وجل- يقول: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء].

ثالثاً: أن يُكثر من ذكر الموت والبِلى

الإكثار من ذكر الموت يدفع صاحبه إلى الطاعات، ويمنعه من المعاصي، ويُقلل عنده الكثير، ويُكثِّر عنده القليل، ولذلك قال ﷺ: «**أكثروا من ذكر هاذم اللذات: الموت**»[3].

وكان جبريل عليه السلام يقول لرسولنا ﷺ: «**يا محمدّ! عشْ ما شئت فإنك ميتٌ، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزيٌّ به**»[4].

فمن الحياء أن نتذكر الموت دائماً، ومن قلة الحياء أن ننسى الموت، وكيف ننساه وهو حقٌ لا مِرية فيه، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران:١٨٥].

فيا عباد الله!

نسير إلى الآجال في كل لحظةٍ ... وأيامنا تُطوى وهن مراحل

---

(١) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٦١٤)، وأحمد (٣/ ٣٢١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٧٢٨)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٦٤٧٤).

(٣) **حسن صحيح**: رواه الترمذي (٢٣٠٧)، والنسائي (١٨٢٤)، وابن ماجه (٤٢٥٨)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٣٣٣)].

(٤) **حسن لغيره**: رواه الحاكم (٧٩٢١)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٥٤١)، [«السلسلة الصحيحة» (٨٣١)].

ولم أر مثل الموت حقاً كأنه ... إذا ما تخطَّته الأماني باطلُ
وما أقبح التفريط في زمن الصبا ... فكيف به والشيب للرأس شاعلُ
ترحل من الدنيا بزادٍ من التقى ... فعمرك أيامٌ وهن قلائلُ

وكان الفاروق عمر رضي الله عنه وهو أمير المؤمنين في كل الدنيا لا ينسى الموت أبداً، ويتذكره متمثلاً بهذه الأبيات[1]:

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته ... يبقى الإله ويفنى المال والولد
لم تُغن عن هرمزٍ يوماً خزائنه ... والخلدَ قد حاولت عادٌ فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجري الرياح له ... والإنس والجن فيما بينها تردُ
أين الملوك التي كانت لعزّتها ... من كلِّ أوبٍ إليها وافدٌ يفدِ
حوضٌ هنالك موردٌ بلا كذبٍ ... لابدّ من وِرده يوماً كما وردوا

كيف لا؟ والله -عز وجل- يقول: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ [الجمعة]. ويقوله سبحانه: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء].

رابعاً: ومن الحياء الإقبال على الآخرة وترك زينة الدنيا؛ لقوله ﷺ: «ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا».

الآخرة خيرٌ وأبقى من الدنيا، قال تعالى: ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤﴾ [الضحى]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٧﴾ [الأعلى]، وقال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ۝٦٤﴾ [العنكبوت].

(١) «تاريخ الطبري» (٤/ ٢١٩).

فعلى المسلم العاقل أن يهتم بالآخرة أكثر من اهتمامه بالدنيا الفانية، قال ﷺ: «**من كانت الآخرةُ همَّه ، جمعَ الله له شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا راغمةً، ومن كانت الدنيا همَّه، فرّق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كُتب الله له**»(١).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: نام رسول الله ﷺ على حصير، فقام وقد أثر في جنبه، قلنا: يا رسول الله! لو اتخذنا لك وطاءً، فقال: «**مالي وللدنيا؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكبٍ استظل تحت شجرةٍ ثم راح وتركها**»(٢).

ولذلك أخذ النبي ﷺ بمنكبيّ ابن عمر رضي الله عنه وقال له: «**كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل**» وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: (إذا أمسيت، فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك)(٣). فعلى المسلمين أن يتأسوا برسول الله ﷺ في حيائه، وأن يستحيوا من الله حق الحياء.

• فها هو أبو بكر رضي الله عنه يخطب الناس يوماً فيقول: (يا معشر المسلمين: استحيوا من الله، فوالذي نفسي بيده! إني لأظلُّ حين أذهب الغائط في الفضاء متقنعاً بثوبي استحياءً من ربي -عز وجل-)(٤).

---

(١) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٤٦٥)، [«السلسلة الصحيحة» (٩٤٩)].

(٢) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٣٧٧)، وابن ماجه (٤١٠٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٢٨٢)].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٦٤١٦).

(٤) رواه ابن المبارك (٣١٦)، وابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (٨٨)، والبيهقي في «الشعب» (٧٧٣٢).

• وها هو الفاروق عمر رضي الله عنه يقول: (من قلّ حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه) [1].

• وها هو زيد بن ثابت رضي الله عنه يقول: (من لا يستحيي من الناس لا يستحيي من الله) [2].

• وها هي عائشة رضي الله عنها تقول: (رأس مكارم الأخلاق الحياء) [3].

فعليكم عباد الله بهذا الخلق العظيم؛ الحياء، فهو خلق الإسلام، وهو شعبةٌ من شُعب الإيمان، يدفع صاحبه إلى الطاعة، ويمنعه من المعصية، ويُبعد عن صاحبه فضائح الدنيا والآخرة، ودليلٌ على كرم السجيّة، وطيب المنبَت، وصاحب هذا الخلق من المحبوبين من الله ومن الناس. نسأل الله العظيم أن يرزقنا وإياكم هذا الخلق الكريم.

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» (٢٣٤٩)، وابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (٨٩)، والبيهقي في «الشعب» (٤٩٩٤).

(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٥٤٥٩).

(٣) ذكره ابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» مبوباً «باب ذكر الحياء» دون سند.

الثمرة التاسعة والعشرون لدراسة السيرة النبوية العطرة

التأسي بالنبي ﷺ في عفوه

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران]. ويقول سبحانه: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف]. ويقول -عز وجل-: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان **اللؤلؤ والمرجان من قصص القرآن: دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**، والتي نتكلم فيها عن قصة نبينا وحبيبنا محمدٍ ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **الثمرةُ التاسعة والعشرون التي سنقطفها -إن شاء الله تعالى- من دراستنا للسيرة النبوية العطرة ألا وهي: التأسي بالنبي ﷺ في عفوه.**

عباد الله! العفو عند المقدرة خلقٌ عظيمٌ من أخلاق الإسلام، يحبه الله، كيف لا؟ والعفو صفةٌ من صفات الله تعالى.

• قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾﴾ [المجادلة]. وقال تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الشورى]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى].

والله -عز وجل- يحب العفو، ويحب العافين عن الناس، ولذلك حثّ عباده على هذا الخلق العظيم.

• قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور]، وقال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الشورى]، وقال تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة:٢٣٧].

والله -عز وجل أمر رسوله ﷺ بالعفو

• فقال تعالى: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال تعالى: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [المائدة]، وقال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف].

• وعن كعب بن مالك رضي الله عنه أن كعب بن الأشرف اليهودي كان يهجو النبي ﷺ، ويُحرّض عليه كفار قريش، وكان النبي ﷺ حين قدم

المدينة وأهلها أخلاط؛ منهم المسلمون والمشركون يعبدون الأوثان واليهود، وكانوا يؤذون النبي ﷺ وأصحابه، فأمر الله -عز وجل- نبيه بالصبر والعفو، ففيهم أنزل: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ [آل عمران]»[1].

- ورسولنا محمد ﷺ أحسن الناس خُلقاً، الذي قال الله فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم] يضرب لنا أروع الأمثلة في العفو عند المقدرة.
- عن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله! هل أتى عليك يومٌ كان أشدّ من يوم أحدٍ؟ فقال: «**لقد لقيتُ من قومك[2] وكان أشدّ ما لقيت منهم يوم العقبة[3]. إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال. فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهمومٌ على وجهي[4]، فلم استفق إلا بقرن الثعالب[5]. فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابةٍ قد أظلتني. فنظرت فإذا فيها جبريل. فناداني: فقال: إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك. وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم.**

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٠٠٠)، [«صحيح سنن أبي داود» (٢٥٩٣)].

(٢) لقد لقيت من قومك: المراد قريش.

(٣) يوم العقبة: هو اليوم الذي وقف ﷺ عند العقبة التي بمنى، داعياً الناس إلى الإسلام، فما أجابوه وآذوه.

(٤) على وجهي: أي: انطلقت هائماً لا أدري أين أتوجه.

(٥) فلم أستفق إلا بقرن الثعالب: هو قرن المنازل وهو ميقات أهل نجد.

قال: فناداني ملك الجبال وسلم عليّ، ثم قال: يا محمد! إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت[1]؟ إن شئت ان أُطبق عليهم الأخشبين» فقال له رسول الله ﷺ: «بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يُشرك به شيئاً»[2].

• وعن أنس رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه رداءٌ نجرانيٌّ غليظُ الحاشية، فأدركه أعرابيٌّ فجبذه بردائه جبذةً شديدةً، نظرتُ إلى صفحة عنق رسول الله ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته. ثم قال: يا محمد! مُرْ لي من مال الله الذي عندك. فالتفت إليه رسول الله ﷺ فضحك، ثم أمر له بعطاء[3].

• وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لمّا كان يوم حُنينٍ آثر رسول الله ﷺ ناساً في القسمة، فأعطى الأقرع بن حابس مائةً من الإبل، وأعطى عُيينة مثل ذلك. وأعطى أناساً من أشراف العرب، وآثرهم يومئذ في القسمة، فقال رجلٌ: والله! إن هذه لقسمةٌ ما عُدل فيها، وما أريد فيها وجه الله. قال: فقلت: والله! لأُخبرن رسول الله ﷺ، قال: فأتيته فأخبرته بما قال. قال: فتغيّر وجهه حتى كان كالصِّرْفِ ثم قال: «**فمن يعدلُ إن لم يعدِل اللهُ**

(١) فما شئت: استفهام أي فأمرني بما شئت.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣١٤٩)، ومسلم (١٠٥٧).

ورسوله!». قال ثم قال: «**يرحمُ الله موسى، قد أُوذي بأكثر من هذا فصبر**» قال: قلت: لا جرم لا أرفع إليه بعدها حديثاً[1].

• وعن جابر رضي الله عنه أنه غزا مع رسول الله ﷺ قِبل نجدٍ، فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معهم، فأدركتهم القائلة في وادٍ كثير العضاة، فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس يستظلون بالشجر، ونزل رسول الله ﷺ تحت سَمُرَة فعلّق بها سيفه ونمنا نومةً، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا وإذا عنده أعرابيٌّ، فقال: «**إن هذا اخترط عليّ سيفي وأنا نائمٌ، فاستيقظت وهو في يده صلتاً**» قال: من يمنَعُك مني؟ قلت: «**الله -ثلاثاً-**» ولم يعاقبه وجلس[2].

وفي رواية قال جابر: كنا مع رسول الله ﷺ بذات الرقاع، فإذا أتينا على شجرةٍ ظليلةٍ تركناها لرسول الله ﷺ، فجاء رجلٌ من المشركين وسيف رسول الله ﷺ معلقٌ بالشجرة فاخترطه فقال: تخافني؟ قال: «**لا**» فقال: فمن يمنعك مني؟ قال: «**الله**»[3].

وفي رواية أبي بكر الإسماعيلي في صحيحه فقال: من يمنعك مني؟ قال: «**الله**» قال: فسقط السيف من يده، فأخذ رسول الله ﷺ السيف فقال: «**من يمنعك مني؟**» فقال: كن خيرَ آخذٍ فقال: «**تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول**

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣١٥٠)، ومسلم (١٠٦٢) واللفظ لمسلم.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٩١٠)، ومسلم (٨٤٣).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٤١٣٦).

الله؟» قال: لا، ولكني أُعاهدك أن لا أُقاتلك، ولا أكون مع قومٍ يقاتلونك، فخلّى سبيله، فأتى أصحابه فقال: (جئتكم من عند خير الناس)[1].

• وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن النبي ﷺ ركب حماراً عليه إكافٌ[2] تحته قطيفةٌ[3] فَدَكيّةٌ، وأردف وراءه أسامة، وهو يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج، وذاك قبل وقعة بدرٍ. حتى مرَّ بمجلسٍ فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان، واليهود. فيهم عبد الله بن أُبيٍّ. وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلسَ عجاجَةُ الدّابة[4]، خَمَّرَ[5] عبد الله بن أُبيٍّ أنفه بردائه. ثم قال: لا تُغبِّروا علينا[6]. فسلم عليهم النبي ﷺ ثم وقف فنزل، فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن.

فقال عبد الله بن أُبيٍّ: أيها المرءُ! لا أحسَنَ من هذا![7] إن كان ما تقول حقاً، فلا تؤذنا في مجالسنا. وارجع إلى رَحْلِك[8]. فمن جاءك منا فاقصص عليه. فقال عبد الله بن رواحة: اغْشَنا في مجالسنا. فإنا نُحب ذلك. قال: فاستبَّ المسلمون والمشركون واليهود، حتى هموا أن يتواثبوا. فلم يزل

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٣٦٤)، وذكره عن أبي بكر الإسماعيلي النووي في «رياض الصالحين» (٧٠٨).

(٢) إكاف: هو للحمار بمنزلة السرج للفرس.

(٣) قطيفة: دثار مخمل جمعها.

(٤) عجاجة الدابة: هو ما ارتفع من غبار حوافرها.

(٥) خمّر أنفه: أي غطاه.

(٦) لا تغبروا علينا: أي لا تثيروا علينا الغبار.

(٧) لا أحسن من هذا: تقديره أحسن من هذا أن تقعد في بيتك.

(٨) إلى رحلك: أي إلى منزلك.

النبي ﷺ يُخفِّضهُم[1]، ثم ركب دابته حتى دخل على سعد بن عبادة فقال: «**أي سعد، ألم تسمع إلى ما قال أبو حُبابٍ؟**» (يريد عبد الله بن أُبي) قال: **كذا وكذا**». قال: اعف عنه يا رسول الله! واصفح، فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك، ولقد اصطلح أهل البحيرة[2] أن يتوّجوه، فيعصّبوه بالعصابة[3]، فلما ردّ الله ذلك بالحق الذي أعطاكه شَرِق بذلك[4]، فذلك فعل به ما رأيت. فعفا عنه النبي ﷺ[5].

• نعم والله! إنها أخلاق النبوة، كيف لا؟ والله -عز وجل- الذي خلقه يصفه في القرآن بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم] ويصفه في التوراة بقوله: يأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحِرزاً للأُميين، أنت عبدي ورسولي سمّيتك المتوكل، ليس بفظٍّ ولا غليظٍ ولا سخّاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر[6].

ويصفه أنسٌ رضي الله عنه الذي صحبه وخدمه يقول: (كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً)[7].

---

(١) يخفضهم: أي يسكنهم ويُسَهِل الأمر بينهم.

(٢) البحيرة: والمراد بها هنا: مدينة النبي ﷺ.

(٣) فيعصبوه العصابة: اتفقوا على أن يعينوه ملكهم.

(٤) شرق بذلك: أي غُصّ، ومعناه حسد النبي ﷺ.

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٢٥٤)، ومسلم (١٧٩٨).

(٦) **صحيح**: رواه البخاري (٢١٢٥).

(٧) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٢٠٣)، ومسلم (٦٥٩).

وتصفه عائشة ﵂ أم المؤمنين الطاهرة المطهرة الصديقة بنت الصديق بقولها عن خلقه: (كان خلقه القرآن)[1]. كيف لا؟ وهو ﷺ الذي يقول: «**إنما بُعثت لأتمم صالح الأخلاق**»[2].

ولقد حثّ رسول الله ﷺ أصحابه ورباهم على هذا الخلق العظيم

- فقال ﷺ: «**ما نقصت صدقةٌ من مالٍ، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله**»[3].
- وعن عقبة بن عامر قال: لقيت النبي ﷺ فأخذت بيده فقلت: يا رسول الله! أخبرني بفواضل الأعمال! فقال: «**يا عقبة! صلْ من قطعك، وأعطِ من حرمك، واعف عمن ظلمك**»[4].
- ولقد آتت هذه التربية العملية، والدعوة القولية من رسول الله ﷺ ثمارها في نفوس أصحابه، فكان العفو سجيّتهم ومن الأمثلة على ذلك:

١. أبو بكر الصديق ﷺ: عن عائشة ﵂ زوج النبي ﷺ قالت: لما أنزل الله براءتي، قال أبو بكر الصديق ﷺ وكان ينفق على مِسطح بن أُثاثة لقرابته منه وفقره: والله! لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال، فأنزل الله -عز وجل- ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٧٤٦).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٣٨١)، وابن سعد (١/ ١٩٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٣)، [«السلسلة الصحيحة» (٤٥)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٨٨).

(٤) **صحيح لغيره**: رواه أحمد (٤/ ١٥٨)، والحاكم (٧٢٨٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥٣٦)].

﴿ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور] قال أبو بكرٍ: بلى! والله إني أحب أن يغفر الله لي، فرجَّع إلى مسطح النفقة التي كان يُنفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبداً[1].

٢. الفاروق عمر رضي الله عنه: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم عُيينة بن حصن بن حذيفة، فنزل على ابن أخيه الحُرّ بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القُراء أصحابَ مجالس عمر ومشاوريه، كهولاً كانوا أو شُباناً، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي! لك وجهٌ عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه قال: سأستأذن لك عليه.

قال ابن عباسٍ: فاستأذن الحُر لعيينة فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: هيْ يا ابن الخطاب! فوالله ما تُعطينا الجزْل، ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى همّ به، فقال له الحُرّ: يا أمير المؤمنين! إن الله تعالى قال لنبيه: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف] وإن هذا من الجاهلين. والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقَّافاً عند كتاب الله[2].

كيف لا؟ وهو الذي قال رضي الله عنه: (كُلُّ الناس منّي في حِلٍّ)[3].

٣. عبد الله بن عباسٍ رضي الله عنهما: (شتم رجلٌ ابن عباسٍ، فلما قضى مقالته قال: يا عكرمةُ! انظر هل للرجل حاجةٌ فنقضيها؟ فنكّس الرجل رأسه واستحى)[4].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤١٤١)، ومسلم (٢٧٧٠).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٤٦٤٢).

(٣) «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ٧١).

(٤) «ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى» للمحب الطبري (١٨٢، ٢٣٤).

٤. أبو ذر رضي الله عنه: (جاء غلامٌ لأبي ذر وقد كسر رِجْلَ شاةٍ له، فقال له: مَن كسرَ رِجل هذه؟ قال: أنا فعلته عمداً لأغيظك فتضربني فتأثم، فقال: لأغيظنّ من حرَّضَك على غيظي، اذهب فأنت حرٌّ لوجه الله)[1].

أولئك الرجال حقاً

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبهَ بالكرام فلاحُ

العفو خلقٌ كريمٌ يحبه الله -عز وجل- ويحب العافين عن الناس.

• ولذلك لما سألت عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله! أرأيت إن علمت ليلة القدر؛ ما أقول فيها؟ قال ﷺ: «**قولي: اللهم إنك عفوٌ تُحبُّ العفو فاعف عني**»[2].

• ولما جاء العباس رضي الله عنه إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! علمني شيئاً أسأله الله؟) فقال ﷺ: «**سل الله العافية**» فمكثتُ أياماً ثم جئت فقلت: يا رسول الله! علمني شيئًا أسأله الله؟ فقال لي ﷺ: «**يا عباسّ يا عمِّ رسول الله! سل الله العافية في الدنيا والآخرة**»[3].

• وعلّم النبي ﷺ الحسن بن علي رضي الله عنهما دعاء القنوت في الوتر، والذي فيه: «**اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن**

---

(١) ابن عساكر في «تاريخه» (٦٦/ ٢١١).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٥١٣)، وابن ماجه (٣٨٥٠)، وأحمد (٦/ ١٧١)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٣٣٧)].

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٥١٤)، وأحمد (١/ ٢٠٩)، [«السلسلة الصحيحة» (١٥٢٣)].

توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت؛ فإنك تقضي ولا يقضى عليك ..»[1].

• وكان الرجل إذا أسلم؛ علّمه النبي ﷺ الصلاة، ثم أمره أن يدعو بهؤلاء الكلمات: «**اللهم اغفر لي، وارحمني، واهدني، وعافني، وارزقني**»[2].

• وكان ﷺ يسأل ربه العفو والعافية في دينه ودنياه صباحاً ومساءً.

• عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الدّعوات حين يُمسي وحين يصبح: «**اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يديّ ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أُغتال من تحتي**»[3].

فعلى المسلمين أن يتأسوا برسول الله ﷺ في هذا الخلق العظيم؛ العفو في قوله وفعله، وتعليمه، ودعائه.

نسأل الله العظيم أن يرزقنا وإياكم هذا الخُلُق الكريم.

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (١٤٢٥)، والترمذي (٤٦٤)، والنسائي (١٧٤٥)، وابن ماجه (١١٧٨)، وأحمد (١/ ١٩٩)، [«إرواء الغليل» (٢/ ١٧٢)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٩٦).

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٥٠٧٤)، وابن ماجه (٣٨٧١)، وأحمد (٢/ ٢٥)، [«صحيح سنن أبي داود» (٤٢٣٩)].

الثمرة الثلاثون لدراسة السيرة النبوية العطرة

التأسي بالنبي ﷺ في الرفق بالنساء

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٤٨﴾﴾ [الأحزاب]. ويقول سبحانه: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة]. ويقول -عز وجل: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمرجان من قصص القرآن: دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**، والتي نتكلم فيها عن قصة نبينا وحبيبنا محمدٍ ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **الثمرة الثلاثون التي سنقطفها -إن شاء الله تعالى- من دراستنا للسيرة النبوية العطرة ألا وهي: التأسي بالنبي ﷺ في الرفق بالنساء**

أعداء الإسلام قديماً وحديثاً يتهمون الإسلام ونبيّ الإسلام بالعنف والإرهاب ظلماً وزوراً ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ

كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة].

الرفق في كل شيءٍ خُلقٌ عظيمٌ من أخلاق الإسلام، يحبه الله ويحث عليه.

• قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩].

• وقال ﷺ: «**إن الله -تعالى- يُحب الرفق في الأمر كله**»(١).

• وقال ﷺ: «**إن الله -تعالى- رفيقٌ يحب الرفق، ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف**»(٢).

ورسولنا محمد ﷺ كان رحيماً رفيقاً في كل شيءٍ.

• عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ في نفرٍ من قومي فأقمنا عنده عشرين ليلةً، وكان رحيماً رفيقاً، فلما رأى شوقنا إلى أهالينا، قال: «**ارجعوا تكونوا فيهم وعلّموهم وصلوا، فإذا حضرت الصلاة فليُؤذّن لكم أحدكم وليؤُمّكم أكبَرُكم**»(٣).

وحث ﷺ أمته على الرفق في كل شيءٍ

• فقال ﷺ: «**إن الرفق لا يكون في شيءٍ إلا زانه، ولا يُنزع من شيءٍ إلا شانه**»(٤).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠٢٤)، ومسلم (٢١٦٥).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٩٣).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٢٨)، ومسلم (٦٧٤).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٩٤).

• وقال ﷺ: «**اللهم من وليَ من أمر أمتي شيئاً فشقّ عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به**»[(١)].

• وقال ﷺ: «**من أُعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير، ومن حُرم حظه من الرفق حُرم حظه من الخير**»[(٢)]. وقال ﷺ: «**من يُحرِمِ الرفق يحُرِمِ الخير كله**»[(٣)].

• وعن عائشة رضي الله عنها أن يهود أتوا النبي ﷺ، فقالوا: السّام عليكم. فقالت عائشة: عليكم، ولعنكم الله، وغضب الله عليكم. قال ﷺ: «**مهلاً يا عائشة عليك بالرفق، وإياك والعنف والفُحش**». قالت: أوَلم تسمع ما قالوا؟ قال: «**أولم تسمعي ما قلت، رددت عليهم فيُستجاب لي فيهم، ولا يُستجاب لهم فِيَّ**»[(٤)].

• وقال ﷺ: «**يا عائشة! ارفقي، فإن الرفق لم يكن في شيءٍ قط إلا زانه، ولا نُزع من شيءٍ قط إلا شانه**»[(٥)].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٢٨).

(٢) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٠١٣)، وأحمد (٦/ ٤٥١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٦٦٧)].

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٨٠٩)، [«صحيح الجامع» (٦٦٠٦)].

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٦٠٣٠).

(٥) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٤٧٨)، وأحمد (٦/ ١١٢)، [«السلسلة الصحيحة» (٥٢٣)].

فالرفق في كل شيءٍ خلقٌ عظيمٌ من أخلاق الإسلام، يحبه الله ويحثُّ عليه، ورسولنا ﷺ كان رحيماً رفيقاً في كل شيءٍ: رفيقاً بالنساء، رفيقاً بالأطفال، رفيقاً بالشباب، رفيقاً بالحيوان، رفيقاً في أمره ونهيه، بأبي هو وأمي، ﷺ!

• وكلامنا في هذا اليوم سيكون فقط عن رفقه ﷺ بالنساء

المرأة في الجاهلية -قبل الإسلام- كانت بمثابة العار، كانوا لا يحبونها، والله -عز وجل- يخبرنا في كتابه عن حال الرجل في الجاهلية إذا بشر بالأنثى، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النحل].

• أما المرأة في بلاد الكفر؛ فهم لا يحبونها طفلةً، وإذا بلغت سن الشباب فهي سلعة تجارية رخيصة لا قيمة لها، وإذا بلغت سن الشيخوخة عند الكفار فإنهم لا يطيقون وجودها، فيأخذونها ليودعوها دار المسنين مقابل مبلغ من المال يدفعونه، وفي يوم واحدٍ في السنة يزورونها، وهذا ما يسمى بعيد الأم عندهم. وقد قلدناهم في ذلك.. وإنا لله وإنا إليه راجعون، ولكن هذه هي السنن.

• هذه هي المرأة في الجاهلية قبل الإسلام، وفي بلاد الكفر، وجاء الإسلام فأعطى للمرأة حقها طفلةً عند أبيها، وزوجةً عند زوجها، وأماً عند أبنائها، فالإسلام وحده هو الذي كرَّم المرأة وأعطاها حقها، ويظهر ذلك من رفقه ﷺ بالنساء.

ومن مظاهر رفقه ﷺ بالنساء:

أولاً: وهنّ طفلاتٌ

١. حرّم ﷺ قتلهن وهي جريمة وأدِ البنات، التي كان يفعلها أهل الجاهلية، فقال ﷺ: «**إن الله -تعالى- حرّم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات ..**»[(١)] الحديث.

٢. جعل ﷺ الإحسان إليهنّ سبباً لدخول الجنة، والنجاة من النار. فقال ﷺ: «**من عال جاريتين حتى تَبْلُغا، جاءَ يومَ القيامةِ أنا وهو**»[(٢)] وضَمَّ أصابِعَهُ، وقال ﷺ: «**ما من مسلم تدرِك له ابنتان، فيحسن إليهما ما صحبتاه إلا أدخلتاه الجنة**»[(٣)]. وقال ﷺ: «**من ابتُلي من البنات بشيءٍ، فأحسن إليهن كن له ستراً من النار**»[(٤)].

٣. أمره ﷺ الآباء بالعدل بين الإناث والذكور في العطية وفي كل شيء. فقال ﷺ: «**اتقوا الله واعدلوا في أولادكم**»[(٥)]. وقال ﷺ: «**اعدلوا بين أولادكم في النُّحْل، كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البرِّ واللُّطف**»[(٦)].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٤٠٨)، ومسلم (٥٩٣).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٣١).

(٣) **حسن لغيره**: رواه ابن ماجه (٣٦٧٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٧)، وأحمد (١/ ٣٦٣)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٧٧٦)].

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٩٩٥)، ومسلم (٢٦٢٩).

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (١٦٢٣).

(٦) **صحيح**: رواه ابن حبان (٥١٠٤)، وابو عوانة (٥٦٨٦)، والبيهقي في «السنن» (٦/ ١٧٨)، [«صحيح الجامع» (١٠٤٦)].

• وعن النعمان بن بشير أن أباه أتى به النبي ﷺ فقال: (إني نَحَلْت ابني هذا غلاماً كان لي)، فقال ﷺ: «**أكلَّ ولدك نَحَلْت مثل هذا؟**» قال: لا. قال: «**اتقوا الله واعدلوا في أولادكم**» يقول النعمان: فرجع أبي في تلك الصدقة، وفي رواية لمسلم قال: «**فليس يصلح هذا، وإني لا أشهد إلا على حق**». وفي رواية: «**فإني لا أشهد على جورٍ**»[1].

٤. أمره ﷺ الآباء أن يختاروا لبناتهم صاحب الدين والخلق عند الزواج، فقال ﷺ: «**إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوّجوه، إن لا تفعلوا تكن فتنةٌ في الأرض وفسادٌ عريض**»[2].

ثانياً: وهنّ زوجاتٌ

١. توصيته ﷺ بهن لأنهنّ ضعيفاتٍ

• فقال ﷺ: «**استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خُلقت من ضَلَعٍ، وإن أعوج ما في الضّلع أعلاه، فإن ذهبتَ تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً**»[3].

٢. أمره ﷺ الرجال أن يتقوا الله فيهنّ

• فقال ﷺ في خطبة حجة الوداع: «**فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتُموهنّ بأمان الله. واسْتَحللتم فروجهنَّ بكلمة الله، ولكم عليهنَّ**

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٦٥٠)، ومسلم (١٦٢٣).

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (١٠٨٤)، وابن ماجه (١٩٦٧)، [«إرواء الغليل» (٦/ ٢٦٧)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٣٣١)، ومسلم (١٤٦٨).

أن لا يُوطِئْنَ فُرشَكُم أحداً تكرهونَهُ، فإن فعلْنَ ذلك فاضربوهُنَّ ضرباً غير مُبَرِّحٍ»[1].

٣. نهيه ﷺ الأزواج عن جَلدِ النساء كما يُجلد العبد أو الأمَة

• فقال ﷺ: «**علام يجلدُ أحدكم امرأته جلد العبدِ، ثم يجامعها في آخر اليوم؟**»[2].

• وقال ﷺ: «**لا تضربوا إماء الله**» قال: فَذَئِرَ النساء، وساءت أخلاقهن على أزواجهن، فقال عمر بن الخطاب: ذئر النساء، وساءت أخلاقهن على أزواجهن منذ نهيتَ عن ضربهن؟! فقال النبي ﷺ: «**فاضربوا**» فضرب الناس نساءهم تلك الليلة، فأتى نساءٌ كثير يشتكين الضرب، فقال النبي ﷺ -حين أصبح-: «**لقد طاف بآل محمدٍ الليلة سبعون امرأةً، كُلهُنَّ يشتكين الضرب! وأيم الله! لا تجدون أولئك خياركم**»[3].

فالضرب عند الحاجة للتأديب -ضرباً غير مُبرِّح- جائزٌ، وللعدوان والانتقام حرامٌ، وأما للنشوز فمباحٌ.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٢١٨).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٢٠٤)، ومسلم (٢٨٥٥).

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٢١٤٨)، والحميدي (٨٧٦)، والدارمي (٢٢١٩)، وابن حبان (٤١٨٩)، [«التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان» (٤١٧٧)].

٤. بيانه ﷺ حق المرأة على زوجها، وأنها مثله في الحق

• سأل رجلٌ رسول الله ﷺ: ما حق المرأة على الزوج؟ قال ﷺ: «**يُطعمها إذا طَعِم، ويكسوها إذا اكتسى، ثم لا يضرب الوجه، ولا يُقبِّح، ولا يهجر إلا في البيت**»[(١)]. وقال ﷺ في خطبة حجة الوداع: «**فاتقوا الله في النساء**» إلى أن قال ﷺ: «**ولهنّ عليكم رزقهنّ وكسوتُهُنَّ بالمعروف**»[(٢)].

كيف لا؟ والله -عز وجل- يقول: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ﴾ [البقرة:٢٢٨].

٥. ومن مظاهر رفقه ﷺ ورحمته وعطفه وشفقته على النساء: تنبيهُه ﷺ الرجال، أنَّ أكملهم إيماناً صاحب الخلق الحسن، وأن خير المؤمنين هو الذي يحسن إلى النساء.

• فقال ﷺ: «**خيركم: خيركم لأهله، وأنا خيركُم لأهلي**»[(٣)].

• وقال ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم**»[(٤)].

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (١٨٥٠)، وابن حبان (٤١٧٥)، والطبراني في «الكبير» (١٠٣٤)، والحاكم (٢٧٦٤)، [«صحيح أبي داود» (١٨٥٩)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٢١٨).

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٨٩٥)، والنسائي (٤٦١٩)، وابن ماجه (١٩٧٧)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٨٥)].

(٤) **حسن صحيح**: رواه الترمذي (١١٦٢)، وأحمد (٢/ ٤٧٢)، وابن حبان (٤١٧٦)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٩٢٣)].

ومن حسن الخلق مداعبة الزوج زوجته، قال ﷺ لجابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «**تزوجتَ يا جابر؟!**» فقلت: نعم. فقال: «**بكراً أم ثيِّباً؟**» قلت: بل ثيباً. قال: «**فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك، وتضاحكها وتضاحكك**»(١).

- وقال ﷺ لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وهو يعوده: «... **ولستَ تنفق نفقةً تبتغي بها وجه الله، إلا أُجِرت عليها، حتى اللقمة تجعلها في في امرأتك**». وفي لفظ: «**حتى اللقمة التي ترفعها إلى في امرأتك**»(٢).

٦. ومن مظاهر رفقه ﷺ ورحمته وعطفه وشفقته على النساء، حثُّه ﷺ على العدل بين الزوجات، وإنذاره من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما دون الأخرى، بأن له العذاب المُشين يوم القيامة

- فقال ﷺ: «**من كانت له امرأتان، فمال مع إحداهما على الأخرى؛ جاء يوم القيامة وأحد شقيه ساقطٌ**»(٣).

ثالثاً: ومن مظاهر رفقه ﷺ بالنساء وهنّ أمهاتٌ:

١. أمره ﷺ الأبناء ببِرهنّ والإحسان إليهنّ، وجعل ذلك من أحب الأعمال إلى الله، ومن الجهاد في سبيل الله.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٣٦٧)، ومسلم (٧١٥).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٤٠٩)، ومسلم (١٦٢٨) واللفظ المذكور رواه البخاري (٦٧٣٣).

(٣) **صحيح**: رواه ابن ماجه (١٩٦٩)، وأحمد (٢/ ٣٤٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٩٤٩)].

• يقول ابن مسعود رضي الله عنه: سألت رسول الله ﷺ: أيُّ العمل أحب إلى الله؟ قال: «**الصلاة على وقتها**» قلت: ثم أيّ؟ قال: «**بر الوالدين**». قلت: ثم أيّ؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**»[1].

• وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: جاء رجلٌ إلى نبي الله ﷺ فاستأذنه في الجهاد، فقال: «**أحيٌّ والداك؟**» قال: نعم، قال: «**ففيهما فجاهد**»[2].

٢. جعْله ﷺ رضا الربِّ في رضا الأم، وأن رضاها سببٌ لدخول الجنة

• فقال ﷺ: «**رضا الربِّ في رضا الوالدين، وسخط الرب في سخطه الوالد**»[3].

• وقال ﷺ: «**رغِم أنفه، ثم رغم أنفه، ثم رغم أنفه**» قيل من يا رسول الله؟ قال: «**من أدرك والديه عند الكبر أحدَهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة**»[4].

٣. توصيته ﷺ الأبناء بالأم

• قال ﷺ: «**إن الله يوصيكم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بآبائكم، ثم يوصيكم بالأقرب فالأقرب**»[5].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٢٧)، ومسلم (٨٥).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٠٠٤)، ومسلم (٢٥٤٩).

(٣) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٧٣٥٨)، والحاكم (٧٢٤٩)، والبيهقي في «الشعب» (٧٨٢٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥٠٣)].

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٥١).

(٥) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٣٦٦١)، وأحمد (٤/ ١٣٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٠)، [«السلسلة الصحيحة» (١٦٦٦)].

كيف لا؟ والله -عز وجل- يقول: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان]. وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف:١٥].

• ولذلك جعل ﷺ ثلاثة أمثال البر والإحسان للأمِّ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: من أحقُّ الناس بحسن صحابتي؟ قال: «**أُمُّك**» قال: ثم من؟ قال: «**ثمّ أُمُّك**» قال: ثم من؟ قال: «**ثم أُمُّك**» قال: ثم من؟ قال: «**ثم أبوك**»[(١)].

وهذا رسولنا ﷺ يضرب لنا أروع الأمثلة في الرفق والرحمة والشفقة والعطف بالنساء.

أولاً: مع بناته ﷺ

• تقول عائشة رضي الله عنها: (ما رأيت أحداً كان أشبه -كلاماً وحديثاً- برسول الله ﷺ من فاطمة، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها، وقبّلها، ورحّب بها، وأخذ بيدها، وأجلسها في مجلسه)[(٢)].

• وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ ابنةً له تقضي[(٣)]، فاحتضنها، فوضعها بين يديه، فماتت وهي بين يديه،

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٩٧١)، ومسلم (٢٥٤٨).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٥٢١٧)، والترمذي (٣٨٧٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٩٧١)، [«التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان» (٦٩١٤)].

(٣) تقضي: أي تحتضر.

وصاحت أمُّ أيمن، فقال: «**أتبكين عند رسول الله ﷺ؟**» فقالت: ألستَ تبكي؟ قال: «**إني لست أبكي، إنما هي رحمةٌ، إن المؤمن بخير على كل حال، تُنزَعُ نفسه من بين جنبيه؛ وهو يحمد الله عز وجل**»[1].

• وعن أنس رضي الله عنه قال: (شهدنا بنت رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ جالسٌ على القبر، فرأيت عينيه تدمعان)[2].

ثانياً: مع زوجاته

كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس مع نسائه، ويكفينا في ذلك قوله ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**»[3].

ولما سئلت عائشة رضي الله عنها: ماذا كان يعمل رسول الله ﷺ في بيته؟

قالت: (كان بشراً من البشر؛ يَفْلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه)[4].

وتقول عائشة أيضاً: سابقني النبي ﷺ فسبقته، فلبثنا، حتى إذا أرهقني اللحم، سابقني فسبقني، فقال النبي ﷺ: «**هذه بتلك**»[5].

---

(١) **صحيح**: رواه النسائي (١٨٤٣)، وأحمد (١/ ٢٩٧)، [«السلسلة الصحيحة» (١٦٣٢)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (١٣٤٢).

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٨٩٥)، والنسائي (٤٦١٩)، وابن ماجه (١٩٧٧)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٨٥)]

(٤) **صحيح**: رواه أحمد (٦/ ٢٥٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٤١)، [«السلسلة الصحيحة» (٦٧١)].

(٥) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٥٧٨)، وأحمد (٦/ ٢٦٤)، [«السلسلة الصحيحة» (١٣١)].

وعن أنس رضي الله عنه يقول: (كانت الأمةُ من إماء أهل المدينة لَتأخذ بيد رسول الله ﷺ، فتنطلق به حيث شاءت)[1].

فعلى المسلمين أن يتأسوا برسول الله ﷺ في رفقه بالنساء؛ فإن المرأة ضعيفة، والنبي ﷺ يقول: «**اللهم! إني أُحرِّجُ حق الضعيفين: اليتيم والمرأة**»[2]. وقال ﷺ: «**استوصوا بالنساء خيراً**»[3].

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٠٧٢).

(٢) **حسن**: رواه ابن ماجه (٣٦٧٨)، وأحمد (٢/ ٤٣٩)، [«السلسلة الصحيحة» (١٠١٥)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥١٨٦)، ومسلم (١٤٦٨).

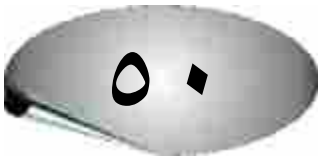

الثمرة الحادية والثلاثون لدراسة السيرة النبوية العطرة

التأسي بالنبي ﷺ في رفقه في الدعوة إلى الله

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف]. ويقول سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمرجان من قصص القرآن: دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**، والتي نتكلم فيها عن قصة نبينا وحبيبنا محمدٍ ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله؟!

إنها: **الثمرة الحادية والثلاثون التي سنقطفها -إن شاء الله تعالى- من دراستنا للسيرة النبوية العطرة، ألا وهي: التأسي بالنبي ﷺ في رفقه في الدعوة إلى الله.**

عباد الله! الدعوة إلى الله -تعالى- وظيفة الأنبياء والمرسلين

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل]، وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [فاطر]، وقال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء].

- الدعوة إلى الله -تعالى- من أحسن الأعمال وأجل القربات إلى الله -تعالى- قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت].

- الدعوة إلى الله -تعالى- سببٌ لنصر هذه الأمة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [محمد]، وقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج].

- الدعوة على الله -تعالى- سببٌ للفوز والفلاح في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر]، وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران].

- الدعوة إلى الله -تعالى- جهادٌ في سبيل الله، قال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [الفرقان].

• قال ترجمان القرآن وحبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ﴾ بالقرآن)[1]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [التوبة].

• قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية: (فأمره الله بجهاد الكفار بالسيف، والمنافقين باللسان، وأذهب الرفق عنهم)[2].

والجهاد بالحجة والبرهان أجلُّ وأكبر من الجهاد بالسيف والسنان، وذلك لأن الجهاد بالسيف والسنان يقدر عليه الجميع، أما الجهاد بالحجة والبرهان لا يقدر عليه إلا العلماء.

• الدعوة إلى الله -تعالى- تقوم على العلم الشرعي، واتباع المنهج النبوي قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف].

• قال الحافظ ابن كثير في تفسير الآية: (يقول تعالى لرسوله ﷺ إلى الثقلين: الإنس والجن، آمراً له أن يخبر الناس: أن هذه سبيله، أي طريقته ومسلكه وسنته، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك، ويقين وبرهان، هو

(١) «تفسير القرطبي» (١٣/ ٥٨)، وابن كثير (٣/ ٣٥٤).

(٢) «تفسير الطبري» (١/ ٣٥٩).

وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي)[1].

والدعوة إلى الله -تعالى- تُثمر وتنفع إذا تحلى الداعي إلى الله بالرفق واللين والرحمة بالمَدعوين

• وقد جاءت الأدلة في الكتاب والسنة تأمر وتحث الدعاة إلى الله أن يتحلَّوا بالرفق واللين والرحمة بالمدعوين

١. أمر الله -تعالى- موسى وهارون -عليهما السلام- بإلانة القول لفرعون. قال تعالى: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه]...

٢. أمر الله -تعالى- نبيه الكريم ﷺ بالمجادلة بالتي هي أحسن، قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت:٤٦]، وقال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [المؤمنون:٩٦].

٣. نفور الناس عمن يكون فظًا غليظاً. قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩].

ينبغي أن يقف الدعاة إلى الله -تعالى- طويلاً عند هذه الآية الكريمة، إذا كانت خشونة الكلام وغلظة القلوب، مما يجعل الناس يفرون وينفرون

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٥٤٣-٥٤٤).

من أكرم الأولين والآخرين على الله -تعالى- وحبيب رب العالمين ﷺ -إن وجدتا فيه- فكيف بمن عداه إذا كان فظاً غليظ القلب؟ وقد قال بعض المفسرين: (ثمرة الآية وجوب التمسك بمكارم الأخلاق، وخصوصاً لمن يدعو إلى الله ويأمر بالمعروف)[1].

٤. رسولنا ﷺ يأمر بالرفق ويحث عليه.

قال ﷺ: «**إن الله -تعالى- رفيقٌ يحب الرفق، ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف**»[2]. وقال ﷺ: «**من أُعطي حظه من الرفق، فقد أُعطي حظّه من الخير، ومن حُرم حظه من الرفق، حُرمَ حظه من الخير**»[3]. وقال ﷺ: «**إن الرفق لا يكون في شيءٍ إلا زانه، ولا يُنزعُ من شيءٍ إلا شانه**»[4].

٥. وصيته ﷺ لأصحابه الذين بعثهم إلى اليمن للدعوة إلى الله بالتيسير والتبشير

• عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ بعثه ومعاذاً إلى اليمن فقال: «**يسِّرا ولا تُعسِّرا، وبشِّرا ولا تُنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا**»[5].

---

(١) «تفسير القاسمي» (٤/ ٢٧٩).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠٢٤)، ومسلم (٢٥٩٣) واللفظ لمسلم.

(٣) **صحيح لغيره**: رواه رواه الترمذي (٢٠١٣)، وأحمد (٦/ ٤٥١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٦٦٧)].

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٩٤).

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٠٣٨)، ومسلم (١٧٣٢).

ورسولنا محمد ﷺ هو إمام الدعاة إلى الله في كل الدنيا

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [سبأ:٢٨]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ١١٩ ﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ١ ﴾ [الفرقان]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦ ﴾ [الأحزاب].

وقد جاءت الأدلة في كتاب الله تأمر رسول الله ﷺ بالدعوة والتبليغ والتذكير، قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [النحل:١٢٥]. وقال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ [المائدة:٦٧]، وقال تعالى: ﴿ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٥ ﴾ [الذاريات].

وقد ضرب لنا رسول الله ﷺ أروع الأمثلة في الرفق في الدعوة إلى الله مع الأطفال والنساء والشباب والرجال والكفار

أولاً: رفقه ﷺ في دعوة الأطفال

١. رفقه ﷺ بعمر بن أبي سلمة رضي الله عنه حينما كانت يده تطيش في الصحفة.

• عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما يقول: كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: «**يا غلام، سمِّ الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك**»[1]. ما أرفق النبي ﷺ في دعوته

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢).

باليتيم الذي كان في تربيته وتحت نظره! وفي رواية عند الترمذي أنه قال لـه: «**ادْن يا بُنيّ! فسمِّ الله، وكُلْ بيمينك، وكلْ مما يليك**»[1].

إن تفضله ﷺ على عمر رضي الله عنه بإدنائه من نفسه الكريمـة، ثـم مخاطبتـه بـ«**بُني**» ليزيد الرفق لطفاً وكرماً. وكيف كان أثر هذه الدعوة المقرونة بالرفق واللطف والكرم؟ فلنسمع ما يقوله عمر بـن أبي سـلمة رضي الله عنهما نفـسه: (فـما زالت تلك طعمتي بعده)[2].

٢. رفقه ﷺ بعبد الله بن عباس رضي الله عنهما وهو يُعلمه العقيدة الصحيحة

قال ﷺ لابن عباس -وهو غـلام-: «**يـا غـلام! إني أعلِّمـك كلـماتٍ: احفـظ الله يحفظـك، احفـظ الله تجـده تُجاهـك، إذا سـألت فاسـأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعـوك بـشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، ولـو اجتمعـوا عـلى أن يـضروك بـشيء لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف**»[3].

ثانياً: رفقه ﷺ في دعوته للنساء

• رفقه ﷺ بالمرأة التي كانت تبكي عند القبر

عن أنس رضي الله عنه قال: (مرّ النبي ﷺ بامرأةٍ تبكـي عنـد قـبرٍ فقـال لهـا: «**اتقي الله واصبري**» قالت: إليكَ عني فإنك لم تُـصَب بمـصيبتي، ولم تعرفـه

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (١٨٥٧)، وأحمد (٤/ ٢٧)، [«السلسلة الصحيحة» (١١٨٤)].

(٢) فما زالت تلك طعمتي بعد: أي صفة أكلي، والحدي عند البخاري (٥٣٧٦).

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (١/ ٢٩٣)، [«صحيح الجامع» (٧٩٥٧)].

فقيل لها: إنه النبي ﷺ. وفي رواية: (قيل لها: إنه رسول الله، فأخذها مثلُ الموت) فأتت النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين فقالت: لم أعرفك، فقال: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**»[1].

وفي هذا الحديث دليلٌ على ما كان عليه ﷺ من التواضع والرفق بالجاهل، وترك مؤاخذة المصاب وقبول اعتذاره[2].

ثالثاً: رفقه ﷺ في دعوته للشباب.

• رفقه ﷺ ولينه بالشاب الذي جاء يستأذنه في الزنا

• عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: إن فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا. فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه! فقال: «**ادنه**» فدنا منه قريباً قال: فجلس. قال: «**أتحبه لأمك**»؟ قال: لا، والله! جعلني الله فداءك. قال: «**ولا الناس يحبونه لأمهاتهم**» قال: «**أفتحبه لابنتك**»؟ قال: لا، والله! يا رسول الله جعلني الله! فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لبناتهم**» قال: «**أفتحبه لأختك**»؟ قال: لا والله! جعلني الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لأخواتهم**» قال: «**أفتحبه لعمتك**»؟ قال: لا، والله! جعلني الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لعماتهم**». قال: «**أفتحبه لخالتك**» قال: لا، والله! جعلني الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه**

(١) **صحيح**: رواه البخاري (١٢٨٣)، ومسلم (٩٢٦) مختصراً.

(٢) «عمدة القاري» (٨/ ٦٨).

لخالاتهم» قال: فوضع يده عليه، وقال: «**اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه**» فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيءٍ[1].

رابعاً: رفقه ﷺ في دعوته للرجال

١. رفقه ﷺ بالرجل الذي تحدث في الصلاة وثمرته

• عن معاوية بن الحكم السُّلمي رضي الله عنه قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أُمِّياه! ما شأنكم تنظرون إليّ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم. فلما رأيتهم يُصمِّتونني. لكني سكتُّ. فلما صلى رسول الله ﷺ، فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلِّماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني قال: «**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيءٌ من كلام الناس، إنما هو التسبيح وقراءة القرآن**»[2].

• يقول الإمام النووي تعليقاً على الحديث الشريف: (فيه بيان ما كان عليه رسول الله ﷺ من عظيم الخُلق الذي شهد الله تعالى له به، ورفقه بالجاهل ورأفته وشفقته عليه. وفيه التخلق بخلقه ﷺ في الرفق بالجاهل وحسن تعليمه، واللطف به وتقريب الصواب إلى فهمه)[3].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٢٥٦)، والطبراني (٧٦٧٩)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٧٠)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٥٣٧).

(٣) «شرح النووي» (٥/ ٢٠).

وماذا كانت نتيجة الرفق واللطف مع الرجل؟ نقرأ بقية القصة يحدثنا الرجل نفسه. قلت: يا رسول الله! إني حديث عهدٍ بجاهلية.

ما أسرع الرفق أثراً! يا ليتنا نعي هذه الحقيقة! عُومل الرجل بالرفق وفُهِّم باللين، فأدرك حقيقة تصرفه، ومنبعه ومنشأه وظهر ذلك في قوله: (يا رسول الله! إني حديث عهد بالجاهلية).

وقد جاء الله بالإسلام، وإن منا رجالاً يأتون الكهان. قال: «**فلا تأتهم**» قال: ومنا رجال يتطيرون. قال: «**ذاك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدَّنهم**» قال: قلت: ومنا رجالٌ يُخُطُّون قال: «**كان نبي من الأنبياء يخط، فمن وافق خطه فذاك**» قد أَثر الرفق في معاوية بن الحكم السُّلمي رضي الله عنه وأدرك أن ما صدر منه كان بسبب قرب عهده بالجاهلية، فبدأ يستفسر عن الأمور التي كانت شائعة في الجاهلية كي يتمكن من اجتنابها -إن كانت محرمة- بدل أن تظهر منه فينكَر عليه، وليس هذا فحسب، بل عزم على كفارة خطأ قد كان صدر منه، بصورة يستغرب المرء التحول العظيم الذي يشاهده في شخصيته.

فلنسمع منه وهو رضي الله عنه يحدث قصته:

(قال: وكانت لي جارية ترعى غنماً لي قِبل أُحد والجوانية -مكان بالقرب من أُحد- فاطلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم آسف -أي أغضب- كما يأسفون لكني صككتها

صكة. فأتيت رسول الله ﷺ فعظَّم ذلك عليّ، قلت: يا رسول الله! أفلا أعتقها؟ قال: «**ائتني بها**» فأتيته بها فقال لها: «**أين الله**»؟ قالت: في السماء. قال: «**من أنا**»؟ قالت: أنت رسول الله. قال: «**أعتقها فإنها مؤمنة**»[1].

٢. رفقهُ ﷺ بالأعرابي الذي بال في المسجد وأثُر ذلك.

• عن أنس رضي الله عنه قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابيٌّ فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مه مه! -وهي كلمة زجر- قال رسول الله ﷺ: «**لا تُزْرِموه**» دعوه. فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له: «**إن هذه المساجد لا تصلح لشيءٍ من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله -عز وجل-، والصلاة وقراءة القرآن**»[2]. ما أرفق النبي الكريم ﷺ بالجاهل!

يقول الإمام النووي: (وفيه الرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف ولا إيذاء إذا لم يأت بالمخالفة استخفافاً أو عناداً). وكيف كان وَقْعُ هذا التعليم المقرون بالرفق على قلب الأعرابي؟

إننا نلاحظه في قول الأعرابي الذي نقله الإمام ابن ماجه

عن أبي هريرة - قال: فقال الأعرابي بعد أن فقه: فقال لي بأبي وأمي! فلم يؤنب ولم يسب، فقال: «**إن هذا المسجد لا يُبال فيه، إنما بُني لذكر الله**

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٥٣٧).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٥).

وللصلاة»[1] سبحان الله! يفدي أبويه على رسول الله ﷺ قبل أن يخبر الناس بما قاله ﷺ له، ما الذي حمله على هذا؟ إنه التعليم المقرون بالرفق.

خامساً: رفقه ﷺ في دعوته للكافر

• رفقه وملاطفته ﷺ مع ثُمامة بن أثال وأثرها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث النبي ﷺ خيلاً قِبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أُثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ فقال: «**ماذا عندك يا ثمامة؟**» فقال: عندي خيرٌ يا محمد! إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت، فتُرك حتى كان الغد، قال له: «**ما ظنك يا ثمامة؟**» فقال: ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر. فتركه حتى كان بعد الغد، قال له: «**ما عندك يا ثمامة؟**» فقال: عندي ما قلت لك، فقال: «**أطلقوا ثمامة**» ما أعظم لطف رسول الله ﷺ ورفقه مع عدوه! وكيف كان أثر ذلك على العدو البغيض؟ فلنقرأ الرواية نفسها ثم نستمع إلى ما يحدثنا ثمامة نفسه.

يقول أبو هريرة رضي الله عنه: فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل، ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. يا محمد! والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحبَّ الوجوه إليّ، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك،

---

(١) **حسن**: رواه ابن ماجه (٥٢٩)، [«صحيح الجامع» (٢٢٥٢)].

فأصبح دينك أحب الدين إليّ، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك، فأصبح بلدك أحبّ البلاد إليَّ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟ فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر.

فلما قدم مكة، قال له قائل: (صبَوت)؟ قال: لا والله، ولكن أسلمت مع محمدٍ رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيه النبي ﷺ[1].

الله أكبر! ما أعظم هذا التحول! ولم يكن هذا التحول العظيم إلا بفضل الله تعالى، ثم بتعامل النبي الكريم ﷺ المقرون باللين والرفق.

يقول الإمام النووي: قوله ﷺ «**ما عندكَ يا ثُمامة؟**» وكرر ذلك ثلاثة أيام. هذا من تأليف القلوب، وملاطفة لمن يُرجى إسلامه من الأشراف الذين يتبعهم على إسلامهم خلق كثير).

هكذا كانت ثمرات الدعوة بالرفق واللطف واللين للنبي الكريم ﷺ، وعلى الداعي الذي يقوم مقامه ﷺ في القيام بالمهمة الدعوية أن يجعل دعوته كذلك، عسى الله تعالى أن يجعلها مثمرة ومفيدة أيضاً.

فعلى المسلمين عامةً والدعاة إلى الله خاصةً أن يتأسَّوا برسول الله ﷺ في رفقه في الدعوة إلى الله، فالرفق لا يكون في شيءٍ إلا زانه، ولا يُنزع من شيء إلا شانه، كيف لا؟ والنبي ﷺ يقول: «**إن الله -تعالى- يحب الرفق في الأمر كله**»[2].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤٣٧٢).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠٢٤)، ومسلم (٢١٦٥).

فعلى الداعي إلى الله، أن يتعلم قبل الأمر والنهي، وأن يرفق عند الأمر والنهي، وأن يصبر بعد الأمر والنهي. بهذا ينجح الداعي إلى الله في دعوته.

عباد الله! رسولنا محمد ﷺ أرفق الناس في دعوته إلى الله -تعالى- وأحياناً ينتقل ﷺ من الرفق واللين إلى الشدة والغلظة.

أولاً: إذا انتهكت حرمات الله، وأراد أحدٌ أن يشفع في حدٍّ من حدود الله

عن عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت. فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ ومن يجترئ عليه إلا أسامة حِب رسول الله ﷺ؟ فقال: «**أتشفع في حد من حدود الله**»؟ ثم قام فخطب فقال: «**يأيها الناس! إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد ﷺ سرقت لقطع محمد ﷺ يدها**»[1].

ثانياً: إذا وجد عنادٌ أو استخفافٌ بالأمر والنهي

فقد ثبت أن النبي الكريم ﷺ دعا على من منعه الكبر من تنفيذ أمره. عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله، فقال: «**كل بيمينك**» قال: لا أستطيع. قال: «**لا استطعت**» ما منعه إلا الكبر. قال: فما رفعها إلى فيه[2].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٧٨٨)، ومسلم (١٦٨٨).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٠٢١).

ثالثاً: إذا وقعت مخالفةٌ للشرع لدى من لا يُتوقع منه ذلك

غضبه وشدته ﷺ على معاذ بن جبل رضي الله عنه عندما أطال الصلاة بالناس وقال له: «**أفتَّانٌ أنت يا معاذ**»؟[1]

وغضبه وشدته ﷺ على من تختَّم بالذهب. عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ رأى خاتماً من ذهب في يد رجل، فنزعه وطرحه، وقال: «**يعمد أحدكم إلى جمرةٍ من نار فيجعلها في يده**؟» فقيل للرجل: خذ خاتمك انتفع به، قال: لا، والله لا آخذه أبداً، وقد طرحه رسول الله ﷺ[2].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٠٥)، ومسلم (٤٦٥).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٠٩٠).

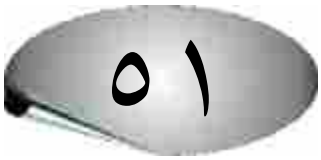

الثمرة الثانية والثلاثون لدراسة السيرة النبوية العطرة: التأسي بالنبيِّ ﷺ في رفقه بالحيوان

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء]. ويقول سبحانه: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة]. وقال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ [الأحزاب].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان **اللؤلؤ والمرجان من قصص القرآن: دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**، والتي نتكلم فيها عن قصة نبينا وحبيبنا محمدٍ ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **الثمرة الثانية والثلاثون التي سنقطفها -إن شاء الله تعالى- من دراستنا للسيرة النبوية العطرة ألا وهي: التأسي بالنبي ﷺ في رفقه بالحيوان**

عباد الله! أعداء الإسلام قديماً وحديثاً يتهمون الإسلام ونبيّ الإسلام كذباً وظلماً وزوراً بالعنف والإرهاب ﴿كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا ٥﴾ [الكهف]. ﴿قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُ﴾ [آل عمران:١١٨]

وهم بذلك يريدون أن يصُدوا الناس عن دين الله، وخابوا وخسروا، فإن الله تعالى يقول: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾[التوبة].

فالإسلام هو الدين الحق الذي ارتضاه الله للبشرية ديناً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩] وقال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

الإسلام هو دين الرفق والرحمة واللين والشفقة، وهو أيضاً دين الجهاد في سبيل الله وإقامة الحدود، ورسولنا محمد ﷺ أرسله الله رحمةً للعالمين، فكان ﷺ رفيقاً رحيماً يحب الرفق في الأمر كله؛ كان ﷺ رفيقاً بالأطفال، رفيقاً بالنساء، رفيقاً بالشباب، رفيقاً بالرجال، رفيقاً بالكفار، رفيقاً حتى بالحيوان، بأبي هو وأمي ﷺ.

ومن مظاهر رفقه ﷺ بالحيوان:

أولاً: أمره ﷺ بالإحسان إلى الحيوان في كل شيء

• قال ﷺ: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيءٍ؛ فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذّبح، وليُحدّ أحدكم شفرته، فَلْيُرِحْ ذبيحته**»[1].

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٥٥).

هذا هو ديننا يا أعداء الإسلام! أين دعاة الحضارة وحقوق الإنسان، وحقوق الرفق بالحيوان، في العالم ليتعلموا الرفق من رسول الله ﷺ؟!

• بل أخبر ﷺ أن الله تعالى يشكر للعبد الذي يُحسن إلى الحيوان ويغفر له ذنوبه.

• قال ﷺ: «**بينما كلبٌ يُطيف بركيّةٍ[1] قد كاد يقتله العطش، إذ رأته بَغيٌّ من بغايا بني إسرائيل، فنزعت مُوقها، فاستقت له به، فسقته إياه فغُفر لها به**»[2].

• وقال ﷺ: « **بينما رجلٌ يمشي بطريقٍ اشتد عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها فشرب، ثم خرج فإذا كلبٌ يلهثُ يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلبَ من العطش مثلُ الذي كان قد بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفّه ماءً ثم أمسكه بفيه حتى رقي، فسقى الكلب؛ فشكر الله له، فغفر له**». قالوا يا رسول الله! وإنّ لنا في هذه البهائم لأجراً؟ فقال: «**في كلِّ كبدٍ رطبةٍ أجرٌ**[3]»[4].

• بل وأخبر ﷺ أن من يرحم الذبيحة عند ذبحها فإن الله -تعالى- يرحمه يوم القيامة.

---

(١) بركية: أي: بئر.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٤٦٧)، ومسلم (٢٢٤٥).

(٣) في كل كبد رطبةٍ أجر: معناه في الإحسان إلى كل حيوان حي يسقيه أجر. وسمى الحي ذا كبد رطبة لأن الميت يجف جسمه وكبده.

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٣٦٣)، ومسلم (٢٢٤٤).

• قال رجلٌ يا رسول الله! إني لأذبح الشاة فأرحمها، أو قال: إني لأرحم الشاة أن أذبحها، قال: «**والشاة إن رحمتها رحمك الله**» مرتين[1].

• وقال ﷺ: «**من رحم -ولو ذبيحة عصفورٍ- رحمه الله يوم القيامة**»[2].

والرحمة بالحيوان تقتضي عدم ذبح الشاة بحضرة أخرى، وأن لا يُحدَّ الشفرة أمامها، وأن لا يقطع رأسها فيرمي به.

• عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً أضجع شاةً وهو يُحدّ شفرته، فقال النبي ﷺ: «**أتريد أن تُميتها موتاتٍ؟! هلا أحددت شفرتك قبل أن تُضجعها؟!**»[3].

• وقال ﷺ: «**ما من إنسانٍ يقتل عصفوراً فما فوقها بغير حقها إلا سأله الله عنها يوم القيامة**». قيل: يا رسول الله! وما حقها؟ قال: «**حقُّها أن يذبحها فيأكلها، ولا يقطع رأسها فيرمي به**»[4].

• فجعل ﷺ رحمة الحيوان سببٌ لرحمة الله تعالى كيف لا؟ وهو الذي قال: «**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض؛ يرحمكم من في السماء**»[5].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٤٣٦)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٢٣، رقم ٤٥)، والبزار (٣٣١٩)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٦)].

(٢) **حسن**: رواه الطبراني في «الكبير» (٧٩١٥)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٦٢٩)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٧)].

(٣) **حسن لغيره**: رواه الحاكم (٧٥٦٣)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٤)].

(٤) **حسن لغيره**: رواه النسائي في «الكبرى» (٤٨٦٠)، والحاكم (٧٥٧٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٠٩٢)].

(٥) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤)، وأحمد (٢/ ١٦٠)، [«السلسلة الصحيحة» (٩٢٥)].

• وقال ﷺ: «**لا تُنزع الرحمة إلا من شقيٍّ**»[1].

• وقد ربى النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم على الإحسان والرحمة والرفق بالحيوان.

• فهذا الفاروق عمر رضي الله عنه ضرب جمّالاً، وقال له: لِمَ تحمل على بعيرك ما لا يُطيقه؟![2]

• ورأى رضي الله عنه رجلاً حدّ شفرةً، وأخذ شاةً ليذبحها فضربه بالدّرة، وقال له: أتُعذِّب الروح؟! ألا فعلت هذا قبل أن تأخذها؟![3]

• ورأى رضي الله عنه رجلاً يجرُ شاةً ليذبحها، فضربه بالدِّرة، وقال: سُقها -لا أمَّ لك- إلى الموت سوقاً جميلاً[4].

ثانياً: ومن مظاهر رفقه ﷺ بالحيوان: حثّه ﷺ الناس أن يتقوا الله في هذه البهائم؛ لأن الله سائلهم عنها يوم القيامة

• عن سهل ابن الحنظلية رضي الله عنه قال: مرّ رسول الله ﷺ ببعيرٍ قد لصق ظهره ببطنه فقال: «**اتقوا الله في هذه البهائم المعجمةِ**[5]، **فاركبوها صالحةً، وكلوها**[6] **صالحة**»[7].

---

(١) **حسن**: رواه أبو داود (٤٩٤٢)، والترمذي (١٩٢٣)، وأحمد (٢/ ٣٠١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢٦١)].

(٢) **صحيح**: رواه ابن سعد في «طبقاته» (٧/ ١٢٧)، وابن عساكر في «تاريخه» (٥٨/ ١٩١)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٠)].

(٣) رواه البيهقي في «سننه» (٩/ ٢٨٠).

(٤) رواه البيهقي في «سننه» (٩/ ٢٨١).

(٥) المعجمة: أي التي لا تقدر على النطق، فتشكوا ما أصابها من جوع أو عطش.

(٦) وكلوها: ويجوز بالكسر (كِلوها) أي: اتركوها وانزلوا عنها.

(٧) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٥٤٨)، وابن خزيمة (٢٥٤٥)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٣)].

• ودخل رسول الله ﷺ حائطاً -أي: بستاناً- لرجلٍ من الأنصار، فإذا فيه جمل، فلما رأى النبي ﷺ حنّ وذرفت عيناه، فأتاه رسول الله ﷺ فمسح ذفراه، فسكت، فقال: «**من ربّ هذا الجمل. لمن هذا الجمل؟**» فجاء فتىً من الأنصار فقال: لي يا رسول الله!

فقال: «**أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملّكك الله إياها؟! فإنه شكا إليّ أنك تُجيعه وتُدْئبه**» -أي: تتعبه-[1].

• وقال ﷺ: «**دخلت امرأةٌ النار في هرةٍ ربطتها، فلم تُطعمها، ولم تدعها تأكل من خَشاش الأرض**»[2]. وقال ﷺ: «**ما من إنسانٍ يقتل عصفوراً فما فوقها بغير حقّها، إلا سأله الله عنها يوم القيامة**»[3].

وقد ربى النبي ﷺ أصحابه على الرفق بالحيوان، وأخبرهم أن الله سائلهم عنها يوم القيامة:

• فهذا ابن عمر رضي الله عنهما رأى راعيَ غنم في مكانٍ قبيح، وقد رأى ابن عمر مكاناً أمثل منه، فقال ابن عمر للراعي: ويحك يا راعي! حوّلها؛ فإني سمعت النبي ﷺ يقول: «**كل راعٍ مسؤولٍ عن رعيته**»[4].

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٥٤٩)، وأحمد (١/ ٢٠٤)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٠)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٣١٨)، ومسلم (٢٦١٩).

(٣) **حسن لغيره**: رواه النسائي (٤٣٤٩)، والحاكم (٧٥٧٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٠٩٢)].

(٤) **حسن**: رواه أحمد (٢/ ١٠٨)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٠)].

• وهذا أبو الدرداء ﷺ كان له جملٌ يقال له (دمون)، فكان إذا استعاروه منه؛ قال: لا تحملوا عليه إلا كذا وكذا؛ فإنه لا يطيق أكثر من ذلك، فلما حضرته الوفاة قال: يا دمون! لا تخاصمني غداً عند ربي، فإني لم أكن أحملُ عليك إلا ما تطيق[1].

• هذا هو ديننا؛ دينٌ يأمر بالرفق في كل شيءٍ حتى بالحيوان، فنقول للعالم عامةً ولِلجان الرفق بالحيوان خاصةً، تعالوا فتعلموا الرفق من الإسلام ونبي الإسلام والصحابة ﷺ بدل أن تتهموا الإسلام ونبي الإسلام بالعنف والإرهاب ظلماً وزوراً.

ثالثاً: ومن مظاهر رفقه ﷺ بالحيوان: نهيُه ﷺ عن الاعتداء على الحيوان، والتمثيل به، ولعنه ﷺ من يفعل ذلك.

• عن ابن مسعود ﷺ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفرٍ، فانطلق لحاجته، فرأينا حُمّرة[2] معها فرخان، فأخذنا فرخَيْها، فجاءت الحُمَّرة فجعلت تَفَرَّشُ[3]؛ فجاء النبي ﷺ فقال: «**من فجع هذه في ولدها؟ ردوا ولديها إليها**» ورأى قرية نملٍ قد حرقناها فقال: «**من حرق هذه؟**» فقلنا: نحن. قال: «**إنه لا ينبغي أن يُعذِّب بالنار إلا ربُّ النار**»[4].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الورع» (١٧٩).

(٢) الحُمّرة: وقد تخفف الميم: وهو طائرٌ صغير كالعصفور أحمر اللون.

(٣) تفرّش: أي: ترفرف بجناحيها وتقترب من الأرض.

(٤) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٦٧٥)، والطيالسي (١٣٣٧)، [«السلسلة الصحيحة» (٤٨٧)].

• وعن عبد الله بن عباسٍ رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**لا تتخذوا شيئاً فيه الروح غرضاً**»[1].

• وعن سعيد بن جُبير -رحمه الله- قال: مرّ ابن عمر -رضي الله تعالى عنهما- بفتيان من قريش قد نصبوا طيراً وهم يرمونه، وقد جعلوا لصاحب الطير كلّ خاطئة من نَبلهم، فلما رأوا ابن عمر تفرّقوا. فقال ابن عمر: من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا. إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً[2].

• وقال ﷺ: «**لعن الله من مثّل بالحيوان**»[3].

• وعن جابر أن النبي ﷺ مر عليه حمارٌ قد وُسِم في وجهه، فقال: «**لعن الله الذي وسمه**»[4]. وفي رواية له: (نهى رسول الله ﷺ عن الضرب في الوجه، وعن الوسم في الوجه).

نعم والله! إنك نبيُّ الرحمة، نعم والله! إنك رحمة مهداة قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء].

هذا هو نبينا محمدٌ ﷺ الذي تتهمونه يا أعداء الإسلام كذباً وظلماً وزوراً بالعنف والإرهاب.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٥٧).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٥٨).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٥٥١٥).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢١١٧).

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [النحل]، وقال تعالى: ﴿الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [المؤمنون].

رابعاً: ومن مظاهر رفقه ﷺ بالحيوان: إخبارُه ﷺ بعدم استخدام الحيوان في غير ما خُلق له، وإخبارُه ﷺ عن القِصاص يوم القيامة بين الحيوانات

• فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: صلى رسول الله ﷺ صلاة الصبح، ثم أقبل على الناس فقال: «**بينما رجلٌ يسوق بقرةً، إذ ركبها، فضربها** (وفي رواية لهما: يسوق بقرة له، قد حمل عليها، التفتت إليه البقرة) **فقالت: إنا لم نُخلق لهذا، إنما خلقنا للحرث**» فقال الناس: سبحان الله (تعجباً وفزعاً) بقرةٌ تكلّم؟ فقال رسول الله ﷺ: «**فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر**»[1].

• وعنه أيضا، أن رسول الله ﷺ قال: «**لتُؤَدُّنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يُقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**»[2].

خامساً: ومن مظاهر رفقه ﷺ بالحيوان: نهيُه ﷺ عن لعن الحيوان أو سبه، ونهيُه ﷺ عن اتخاذ الحيوانات كراسيّ أو منابر من غير حاجةٍ

• عن جابر رضي الله عنه قال: لعن رجلٌ من الأنصار بعيره فقال ﷺ: «**من هذا اللاعن بعيره؟**» قال: أنا يا رسول الله! قال: «**انزل عنه، فلا تصحبنا**

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٤٧١)، ومسلم (٢٣٨٨).
(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٨٢).

بملعون، لا تدْعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعةً يُسأل فيها عطاءٌ، فيستجيب لكم»[(١)].

• وقال ﷺ: «**لا تسبوا الديك فإنه يوقظ للصلاة**»[(٢)]. وقال ﷺ: «**اركبوا هذه الدوابَّ سالمةً، وابْتدِعوها**[(٣)] **سالمةً، ولا تتخذوها كراسيَّ**»[(٤)].

• وقال ﷺ: «**إياكم أن تتخذوا ظهور دوابكم منابر؛ فإن الله تعالى إنما سخرها لكم لتبلّغكم إلى بلدٍ لم تكونوا بالغيه إلا بشقِّ الأنفس، وجعل لكم الأرض؛ فعليها فاقضوا حاجاتكم**»[(٥)].

والمراد بعدم جعلها منابر: بأن يستوطن الراكب دابّته، ويتخذها مقعداً من غير حاجة إلى ذلك، فيتعبها، أما إذا كان بقصد السير، أو إعلام الناس ما يحتاج إلى إعلامه، ولم يكن عنده منبر يصعد عليه فذلك جائز، كما فعل النبي ﷺ في حجته والله تعالى أعلم.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٣٠٠٩).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٥١٠١)، وأحمد (٥/ ١٩٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٧٩٧)].

(٣) وابتدعوها: أي: اتركوها ورفّهوا عنها إذا لم تحتاجوا إلى ركوبها.

(٤) **حسن**: رواه أحمد (٣/ ٤٤٠)، والدارمي (٢٦٦٨)، والطبراني في «الكبير» (٢/ ١٩٣، رقم ٤٣١)، [«السلسلة الصحيحة» (٢١)].

(٥) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٥٦٧)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٨٦٧)، والبيهقي (٥/ ٢٥٥)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٢)].

فعلى المسلمين في كل مكان أن يتأسَّوا برسول الله ﷺ في رفقه بالحيوان قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب].

الثمرة الثالثة والثلاثون لدراسة السيرة النبوية العطرة

التأسي بالنبي ﷺ في شجاعته

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح]. ويقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [التوبة].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمرجان من قصص القرآن: دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**، والتي نتكلم فيها عن قصة نبينا وحبيبنا محمدٍ ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **الثمرةُ الثالثة والثلاثون التي سنقطفها -إن شاء الله تعالى- من دراستنا للسيرة النبوية العطرة ألا وهي: التأسي بالنبي ﷺ في شجاعته**

عباد الله! الشجاعة عماد الفضائل، ومن فقدها لم تكمل فيه فضيلةٌ، يُعبَّر عنها بالصبر وقوة النفس[1].

---

(١) «نضرة النعيم» (٦/ ٢٣٢٣).

• الشجاعة المحمودة تتوسط خلقين مذمومَيْن وهما الجُبن والتهوُّرُ، وتكون محمودةً، إذا كان المقصود بها نصرَ الحق وردَّ الباطل وتحصيلَ المنافع العامة والمصالح المشتركة[1].

• الشجاعة دليلٌ على حسن الظن بالله والتوكل عليه، وأصلها الذي يمدُّها: الإيمان بالله والصبر.

• والشجاع يحب كل الخلق ويهابونه حتى الأعداء، وهو درعٌ لأمته وصونٌ لها[2].

وقد جاءت الآيات في كتاب ربنا -جل وعلا- تحث على الشجاعة قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾﴾ [الأنفال]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [التوبة].

والأنبياء والرسل هم أشجع الناس

• فهذا نوحٌ عليه السلام يتحدى قومه وحده بكل شجاعةٍ قال تعالى: ﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾ [يونس].

(١) «الرياض النضرة» للشيخ السعدي.

(٢) «نضرة النعيم» (ص٦/ ٢٣٤٣).

• وهذا إبراهيم عليه السلام يتحدى قومه وحده بكل شجاعةٍ، قال تعالى عنه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ ثم قال لهم: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾، وقال لهم: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنبياء].

• وهذا هود عليه السلام يتحدى قومه وحده بكل شجاعة، قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ فقالوا له: ﴿يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود].

ورسولنا محمد ﷺ أشجع الناس على الإطلاق

• قال تعالى: ﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء] ففي الآية يأمر ربنا -جل وعلا- رسوله محمداً ﷺ أن يباشر القتال بنفسه، وهذا أكبر دليلٍ على شجاعته ﷺ.

• يقول أنس رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ أحسنَ الناس، وكان أجودَ الناس، وكان أشجعَ الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلةٍ،

فانطلق ناسٌ قِبل الصوت، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعاً، وقد سبقهم إلى الصوت، وهو على فرسٍ لأبي طلحةَ عُرْيٍ، في عنقه السيف، وهو يقول: «**لم تُرَاعوا**[1]، **لم تُرَاعوا**». قال: «**وجدناه بحراً**[2]؛ **أو إنه لبحرٌ**» قال: وكان فرساً يُبطَّأ[3].

فهذا الموقف يبين شجاعته ﷺ حيث خرج قبْل الناس لمعرفة الأمر وليطمئنهم ويهديءَ من روعهم.

- ويقول البراء رضي الله عنه: (كنا والله! إذا احمرّ البأس نتقي برسول الله ﷺ)[4]. أي: إذا اشتد القتال في أرض المعركة نتقي برسول الله ﷺ.
- ويقول عليٌّ رضي الله عنه: (لقد رأيتنا يوم بدر، ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً)[5].
- ومن شجاعته ﷺ التي لا مثيل لها عندما كان في الغار مع أبي بكرٍ الصديق رضي الله عنه، والمشركون على باب الغار. يقول أبو بكر رضي الله عنه: (نظرت إلى أقدام المشركين على رُؤُسنا ونحن في الغار. فقلت: يا

(١) لم تراعوا: أي: لا تخافوا ولا تفزعوا.

(٢) وجدناه بحراً: أي: وجدنا الفرس سريع العدو.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٨٢٠)، ومسلم (٢٣٠٧).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (١٧٧٦).

(٥) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٨٦) والنسائي في «الكبرى» (٨٥٨٥)، [والحديث صححه الشيخ شعيب الأرناؤوط والشيخ أحمد شاكر].

رسول الله! لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه. فقال: «**يا أبا بكر ما ظَنُّكَ باثنين الله ثالثهما**»[1].

قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[التوبة].

- ومن شجاعته ﷺ: (أن رُكانة صارعه، فصرعه النبي ﷺ)[2] وركانة هذا كان من أشد الناس، ولم يُعلم أن أحداً صرعه، وكان لا يُغلب، ولذلك لما صرعه النبي ﷺ قال: (والله! ما رمى أحدٌ جنبي إلى الأرض)، وقال: أشهد إنك لنبيٌّ، فأسلم.
- ومن شجاعته ﷺ يوم حنين عندما أصاب المسلمين ما أصابهم، وفرّ بعضهم من أرض المعركة، ركب النبي ﷺ بغلته وانطلق نحو العدو وهو يقول: «**أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب**»[3].
- ومن شجاعته وقوته ﷺ في غزوة الخندق عندما عرضت صخرةٌ قويةٌ للصحابة رضي الله عنهم وهم يحفرون الخندق فعجزوا عنها فقام لها النبي ﷺ
- يقول جابر رضي الله عنه: (إنَّا يوم الخندق نحفر، فعرضت كُدْية[4] شديدة، فجاؤوا النبي ﷺ فقالوا: هذه كُديةٌ عرضت في الخندق، فقال: «**أنا**

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١).

(٢) **حسن**: رواه أبو داود (٤٠٧٨)، والترمذي (١٧٨٤)، [«صحيح السيرة النبوية» (٢١٧)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٨٦٤)، ومسلم (١٧٧٦).

(٤) كدية: قطعة صلبة من الأرض لا يعمل فيها المعول.

نازل»، ثم قام وبطنه معصوبٌ بحجر، ولبثنا ثلاثة أيامٍ لا نذوق ذواقاً، فأخذ النبي ﷺ المِعول فضرب في الكُدية، فعاد كثيباً أهْيَل[1])[2].

• ومن شجاعته ﷺ التي لا مثيل لها: أنه في إحدى الغزوات استظل عليه الصلاة والسلام- تحت ظل شجرةٍ لينام القائلة، وقد علَّق سيفه على غصن الشجرة، وبينما هو كذلك إذ أقبل عليه أحد المشركين، فأخذ سيف رسول الله ﷺ وقال له: من يمنعك مني يا محمد؟ فأجاب ﷺ إجابة الشجاع الذي لا يخاف: «**الله**»، فسقط السيف من يد الأعرابي المشرك، فأخذ رسول الله ﷺ السيف، وقال له بكل شجاعةٍ وقوة: «**من يمنعك مني؟** » فقال الأعرابي: يا **محمد! كن خير آخذ. فعفى عنه النبي** ﷺ[3].

إن رسولنا محمد ﷺ أشجع الناس على الإطلاق، وربى أصحابه على الشجاعة فضربوا لنا أروع الأمثلة في الشجاعة ومن الأمثلة على ذلك:

١. سعد بن عبادة، وسعد بن معاذ، والمقداد بن الأسود رضي الله عنهم عندما شاور النبيُّ ﷺ المسلمين للخروج لملاقاة العدو ببدرٍ.

---

(١) أهيل: أي: تفتت حتى صارت كالرمل ينهال فيتساقط من الجواب.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٤١٠١).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٩١٠)، ومسلم (٨٤٣) وقول الأعرابي ذكره الحاكم (٤٣٢٢)، وأبو يعلى (١٧٧٨)، وعبد بن حميد (١٠٩٦).

• عن أنسٍ ﷺ؛ أن رسول الله ﷺ شاور، حين بلغه إقبال أبي سفيان، قال: فتكلم أبو بكرٍ فأعرض عنه، ثم تكلم عمر فأعرض عنه. فقام سعد بن عبادة فقال: إيانا تريد؟ يا رسول الله! والذي نفسي بيده! لو أمرتنا أن نُخيضها البحر لأخضناها. ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغِماد لفعلنا.

قال: فندب رسول الله ﷺ الناس، فانطلقوا حتى نزلوا بدرا[1].

• وهذا المقداد بن الأسود ﷺ قام فقال: والله! لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق! لو سرت بنا إلى بَرْكِ الغِمادِ لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه.

• وهذا سعد بن معاذٍ ﷺ عندما قال النبي ﷺ: «**أشيروا عليّ أيها الناس**» فقام سعدٌ فقال: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: «**أجل**». قال سعد: فقد آمنا بك، وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك، فامض يا رسول الله! لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجلٌ واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصُبْرٌ في

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٧٧٩).

الحرب، صدقٌ عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقرُ به عينك، فَسِر على بركة الله، فسُرَّ رسول الله ﷺ بقول سعد ونشّطه ثم قال ﷺ: «**سيروا وأبشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم**»[1].

٢. غلامان من الأنصار - معاذ بن عمرو ومعاذ بن عفراء رضي الله عنهما:

• عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال: بينما أنا واقفٌ في الصفِّ يوم بدرٍ. نظرت عن يميني وشمالي. فإذا أنا بين غلامين من الأنصار. حديثةٍ أسنانهما. تمنّيت لو كنت بين أضلَعَ منهما[2]، فغمزني أحدهما. فقال: يا عمّ! هل تعرف أبا جهل؟ قال: قلت: نعم. وما حاجتك إليه؟ يا ابن أخي!

قال: أُخبرت أنه يسُب رسول الله ﷺ. والذي نفسي بيده! لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده[3] حتى يموت الأعجل منا[4]. قال: فتعجّبت لذلك. فغمزني الآخر فقال مثلها. قال: فلم أنشَبْ[5] أن نظرت إلى أبي جهلٍ يزول[6] في الناس.

---

(١) «السيرة النبوية الصحيحة» أكرم ضياء العمري (١/ ٣٥٨-٣٥٩).

(٢) أضلع منهما: أي أقوى.

(٣) سوادي سواده: أي: شخصي شخصه.

(٤) حتى يموت الأجل منا: أي: لا أفارقه حتى يموت أحدنا.

(٥) لم أنشب: أي: لم ألبث.

(٦) يزول: يتحرك.

فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسألان عنه. قال: فابتدراه، فضرباه بسيفيهما، حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه. فقال: «**أيكما قتله؟**» فقال: كلٌّ واحدٍ منهما: أنا قتلته. فقال: «**هل مسحتما سيفيكما؟**» قالا: لا، فنظرا في السّيفين فقال: «**كلاكما قتله**»[1].

عباد الله! وقوله ﷺ: «**كلاكما قتله**» تطييباً لقلب الآخر من حيث أن له مشاركةً في قتله، وإلا فالقاتل الشرعي الذي قتله هو معاذ بن عمرو رضي الله عنه.

- يقول معاذ بن عمرو رضي الله عنه جعلتُ أبا جهلٍ يوم بدرٍ من شأني. فلما أمكنني حملت عليه، فضربته، فقطعت قدمه بنصف ساقه، وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي، وبقيت معلقةً بجلدةٍ بجنبي، وأجهضني عنها القتال، فقاتلت عامة يومي وإني لأسحبها خلفي. فلما آذنتني، وضعت قدمي عليها ثم تمطأت عليها حتى طرحتها»[2]. قال الذهبي بعد هذه القصة: (هذه والله الشجاعة).

٣. أنس بن النضر رضي الله عنه في غزوة أحد

- عن أنس رضي الله عنه قال: غاب عمّي أنس بن النضر رضي الله عنه عن قتال بدرٍ، فقال: يا رسول الله! غِبتَ عن أول قتال قاتلتَ فيه المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين لَيَرَينَّ الله ما أصنع. فلما كان يوم احدٍ

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣١٤١)، ومسلم (١٧٥٢).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٢٥٠-٢٥١).

انكشف المسلمون ... فقال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء -يعني أصحابه- وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء -يعني المشركين- ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذٍ.

فقال: يا سعدُ بنَ معاذ الجنة وربِّ النضر، إني أجد ريحها من دون أُحدٍ!

فقال سعد: فما استطعتُ يا رسول الله ما صنع!

قال أنس: فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربةً بالسيف، أو طعنةً برُمح أو رميةً بسهم، ووجدناه قد قُتل ومثّل به المشركون، فما عرفه أحدٌ إلا أخته ببنانه.

قال أنس: كنا نرى -أو نظنُّ- أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب]»[1].

٤. أبو دجانة رضي الله عنه

• عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ سيفاً يوم أحدٍ. فقال: «**من يأخذ مني هذا؟**» فبسطوا أيديهم، كل إنسانٍ منهم يقول: أنا، أنا، قال: «**فمن يأخذه بحقه؟**» قال: فأحجمَ[2] القوم، فقال سِماك بن خرشة، أبودُجانة: أنا آخذه بحقه، قال: فأخذه ففلق به هام المشركين[3].[4]

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٨٠٥)، ومسلم (١٩٠٣).

(٢) فأحجم: تأخروا وكفّوا.

(٣) ففلق به هام المشركين: أي: شق رؤوسهم.

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤٧٠).

• نعم والله! إنها الشجاعة، نعم والله إنهم ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب:٢٣]، ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور:٣٧].

عباد الله! الشجاعة خلقٌ عظيم وسطٌ بين التهور والجبن، وهي من أكرم الخصال التي يتصف بها الرجال، وأشجع الناس هم الأنبياء والرسل، وأشجع الناس على الإطلاق هو رسولنا ﷺ كيف لا؟ وهو ﷺ المتصف بجميع الصفات الحميدة، شجاعٌ في موطن الشجاعة، قويٌّ في موطن القوة، رفيقٌ في موطن الرفق، رحيمٌ في موطن الرحمة، شديدٌ في موطن الشدة، بأبي هو وأمي ﷺ!

• ولهذا تقول عائشة رضي الله عنها: (ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده، ولا امرأةً ولا خادماً، إلا أن يُجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيءٌ قط فينتقم من صاحبه، إلا أن يُنتهك شيءٌ من محارم الله تعالى، فينتقم لله تعالى)[1].

• الشجاعة خلقٌ عظيمٌ يحبه الله، قال ﷺ: «**المؤمن القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير. احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدّر الله وما شاء فعل، فإنَّ لو تفتح عمل الشيطان**»[2].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣٢٨).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٦٤).

• أما الجبن فهو خلقٌ مذمومٌ قد استعاذ منه رسول الله ﷺ

• يقول أنس رضي الله عنه كنت أسمع رسول الله ﷺ كثيراً يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الهَم والحَزن، والعجز والكسل، والبُخل والجُبن، وضلع الدّين، وغلبة الرجال ... الحديث**»[1].

• عن سعد بن أبي وقاصٍ رضي الله عنه كان يأمر بهؤلاء الخمس ويُحدثهن عن النبي ﷺ: «**اللهم إني أعوذ بك من البُخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك أن أردّ إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من عذاب القبر**»[2].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**شرُّ ما في رجلٍ شُحٌّ هالعٌ وجُبنٌ خالعٌ**»[3].

• قال أبو الزناد -رحمه الله تعالى-: (لما حضرت خالدَ بن الوليد الوفاةُ بكى، ثم قال: لقد حضرت كذا وكذا زحفاً وما في جسدي شبرٌ إلا وفيه ضربةُ سيفٍ أو طعنةٌ برمحٍ، أو رميةٌ بسهمٍ، وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت العير، فلا نامت أعين الجبناء)[4].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٨٩٣)، ومسلم (٢٧٠٦).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٦٣٦٥).

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٥١١)، وأحمد (٢/ ٣٠٢)، [«السلسلة الصحيحة» (٥٦٠)].

(٤) «البداية والنهاية» (٧/ ١١٧).

فعلى المسلمين أن يتأسَّوا برسول الله ﷺ في شجاعته، فالشجاع يسود ويكون إماماً، أما الجبان فلا يسود ولا يكون إماماً، والشجاعة من أكرم الخصال، والجبن من أسوأ الخصال.

- فإذا أردت أيها المسلم! أن تكون شجاعاً فكن دائماً على الحق، والحق أن تعبد الله وحده ولا تُشرك به أحداً، وأن تتَّبع النبي ﷺ وحده، ولا تبتدع في دين الله، وأن تسلك سبيل الصحابة رضي الله عنهم وحدهم، ولا تتبع سبيل أهل الأهواء والبدع.
- وأن تعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيءٍ لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك.
- واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك.
- واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً.
- واعلم أن الرزق والأجل بيد الله وحده ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأعراف].
- وعليك أيها المسلم! بمصاحبة أهل الحق، فإنهم هم أهل الشجاعة لا يعرفون التهور، ولا يتصفون بالجبن، نسأل الله أن يرزقنا وإياكم الشجاعة في قول الحق والعمل به، ودعوة الناس إليه.

الثمرة الرابعة والثلاثون لدراسة السيرة النبوية العطرة:

التأسي بالنبي ﷺ في حجه

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحج]. ويقول سبحانه: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ [البقرة].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدة من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمرجان من قصص القرآن: دروسٌ**

وعظاتٌ وعبرٌ، والتي نتكلم فيها عن قصة نبينا وحبيبنا محمد ﷺ، أتـدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **الثمرة الرابعة والثلاثون التـي سـنقطفها -إن شـاء الله تعـالى- مـن دراستنا للسيرة النبوية العطرة، ألا وهي: التأسي بالنبي ﷺ في حجه**

عباد الله! في هذه الأيام يبدأ الحجاج في شدّ الرحال إلى بيت الله الحـرام، ليؤدوا فريضة الحج، -جعلنا الله وإياكم من حجاج بيته هذا العـام وفي كـل عامٍ حتى نلقاه، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه-.

- الحجُّ ركنٌ من أركان الإسلام، فرضه الله على عباده مرةً واحـدةً في العمـر لمن استطاع إليه سبيلاً.

- قـال تعـالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران:٩٧]. وقال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَـٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة:١٩٧].

- وقال ﷺ: «**أيها الناس! قد فرض الله عليكم الحجَّ، فحُجُّوا**»(١).

- الحج والتطوع به؛ فضله عظيمٌ على المسلم في الدنيا والآخرة، قـال تعـالى: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ﴾[الحج:٢٨] فالحج كله منافعُ في الدنيا والآخرة.

قال ﷺ: «**من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**»(٢).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٣٣٧).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٥٢١)، ومسلم (١٣٥٠).

• وقال ﷺ: «**العمرة إلى العمرة كفارةٌ لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة**»(١).

• وقال ﷺ: «**الغازي في سبيل الله والحاج والمعتمر وفد الله، دعاهم فأجابوه، وسألوه فأعطاهم**»(٢).

• وقال ﷺ: «**تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الذنوب والفقر كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس لحجةٍ مبرورةٍ ثوابٌ إلا الجنة**»(٣).

• ورسولنا محمدٌ ﷺ أرسله الله بالحق بشيراً ونذيراً رحمةً للعالمين، فصلى ﷺ: وقال: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»(٤)، وتوضأ ﷺ وقال: «**من توضأ نحو وضوئي هذا**»(٥). وحجّ ﷺ وقال: «**لتأخذوا مناسككم**»(٦).

والله -عز وجل- يقول: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١]. ورسولنا ﷺ حج حجةً واحدةً وهي حجة الوداع.

يقول جابر رضي الله عنه: (إنّ رسول الله ﷺ مكث تسع سنين لم يحج، ثم أذّن(٧) في الناس في العاشرة؛ أن رسول الله ﷺ حاجٌّ، فقدم المدينة بشرٌ

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩).

(٢) **حسن**: رواه ابن ماجه (٢٨٩٣)، وابن حبان (٤٦١٣)، [«السلسلة الصحيحة» (١٨٢٠)].

(٣) **حسن**: رواه الترمذي (٨١٠)، والنسائي (٢٦٣١)، وأحمد (١/ ٣٨٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١١٠٥)].

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٦٣٢٩).

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٥٩)، ومسلم (٢٢٦).

(٦) **صحيح**: رواه مسلم (١٢٩٧).

(٧) ثم أذن في الناس: معناه: أعلمهم بذلك وأشاعه بينهم ليتأهبوا للحج معه ويتعلموا المناسك والأحكام وليشهدوا أقواله وأفعاله.

كثيرٌ، كلهم يلتمس أن يأتمَّ برسول الله ﷺ، ويعمل مثل عمله. فخرجنا معه). ... إلى أن قال جابر: (فنظرتُ إلى مدّ بصري بين يديه، من راكبٍ وماشٍ، وعن يمينه مثل ذلك. وعن يساره مثل ذلك. ومن خلفه مثل ذلك، ورسول الله ﷺ بين أظهرنا، وعليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله، وما عمل به من شيءٍ عَمِلنا به)[1].

الحجُّ ثلاثة أنواع:

أولاً: حجُّ القِران: وهو لمن ساق هديَهُ معهُ، مُحْرماً بالعمرةِ والحجِّ -جميعاً- قائلاً عند التلبية: (لبيكَ اللهم عُمرةً وحجَّاً؛ لا رياءَ فيهما ولا سُمعة) فإذا وصل مكة طاف طواف العمرة -وهو طواف القدوم ثم سعى بين الصفا والمروة للعمرة والحجِّ -سعياً واحداً- ويستمر على إحرامه حتى يحلّ منه يوم العيد.

ثانياً: حج الإفراد: وهو أن يُحرم بالحجِّ مُفرِداً -دون عمرة- قائلاً عند التلبية: (لبيك اللهم حجاً؛ لا رياء فيه ولا سمعة).

فإذا وصل مكة طاف طواف القدوم، وسعى سعي الحجّ، ويستمرُّ على إحرامه حتى يحلّ منه يوم العيد.

ويجوز أن يؤخر السعي -في هذين النوعين- إلى ما بعد طواف الحجِّ، فعملُ الحاج المفرد والحاج القارن سواءٌ؛ إلا أنَّ القارن عليه الهديُ لقيامه بالنُسُكين -الحج والعمرة- دون المفرد.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٢١٨).

ثالثاً: حج التمتع: وهو القيامُ بعمرةٍ في أشهر الحجّ، ثم التّحلل منها، ثم الإحرامُ بالحجّ في يوم الثامن من ذي الحجة قائلاً -عند التبلية بها- (لبيك اللهم عمرة متمتعاً بها إلى الحجّ؛ لا رياءَ فيها ولا سُمعة).

وهو الأيسرُ على النفس، والأفضلُ في اتباع الشرع؛ فقد أمرَ النبي ﷺ به أصحابه بقوله: «مَنْ حجّ منكم فليُهلِّ بعمرةٍ في حجَّةٍ»[1].

وعلى الحاجِّ المتمتع هديٌ -إن استطاع- فإن لم يستطع الهدي فعليه صيامُ ثلاثة أيامٍ في الحجّ حتى لو كانت أيام التشريق، وسبعةٍ عند رُجوعهِ إلى أهلهِ وبلدهِ.

عباد الله! تعالوا بنا لنعيش مع حج التمتع (وهو عمل العمرة متمتعاً بها إلى الحج)

أولاً: أعمال العمرة

الأعمال التي يقوم بها الحاج عند الوصول إلى الميقات:

١. يستحب له الاغتسال لإحرامه حتى الحائض والنفساء.

٢. يلبس الرجل المحرم رداءً وإزاراً، أما المرأة فتحرم بلباسها الشرعي.

٣. ويجوز للمحرم أن يلبس ملابس الإحرام في بيته قبل وصوله الميقات.

٤. من السنة أن يتطيب المحرم ويأخذ من أظفاره وشاربه وعانته.

---

(١) **صحيح**: رواه ابن حبان (٣٩٢٠)، وأبو يعلى (٧٠١١)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٤٦٩)].

٥. يجب عليه أن يحرم من الميقات لا قبله، إذ الميقات هو مكان الإحرام.

٦. والإحرام من الميقات يكون بالتلبية بأن يقول (وهو مستقبل القبلة) رافعاً صوته: «لبيك اللهم بعمرة لا رياء فيها ولا سمعة».

٧. يستحب أن يقرن مع تلبيته الاشتراط على ربه خوفاً من عارض مرض أو خوف فيقول: «اللهم مِحِلِّي حيث حبستني».

٨. يبدأ بالتلبية إذا ركب السيارة وهي: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك).

٩. ويستحب للمحرم أن يرفع صوته بالتلبية، والنساء في ذلك كالرجال إلا أن تُخشى الفتنة.

الأعمال التي يقوم بها الحاج إذا وصل إلى مكة

١. يستحب للمحرم أن يغتسل إذا وصل مكة قبل دخولها -إذا تيسر-.

٢. يدخل من باب السلام ويقول ذكر دخول المسجد.

٣. إذا رأى الكعبة رفع يديه -إن شاء- وَلْيَدْعُ بما شاء، وإن دعا بدعاء عمر رضي الله عنه فحسن، وهو: (اللهم أنت السلام ومنك السلام فحيِّنا ربَّنا بالسلام)[1].

(١) رواه ابن أبي شيبة (١٥٧٥٧)، والبيهقي في «سننه» (٥/ ٧٢) بسند حسن.

• **الطواف:**

٤. إذا دخل المحرم المسجد الحرام بادر الحجر الأسود فاستقبله قائلاً: (الله أكبر) ثم يستلمه بيده ويقبله، ويسجد عليه -إن استطاع- فإن لم يستطع أشار إليه، وليحذر المدافعة والمزاحمة.

٥. ثم يبدأ الطواف حول الكعبة، يجعلها عن يساره سبعة أشواطٍ، كل شوطٍ يبدأ من الحجر الأسود وينتهي إليه، وليحذر دخول الحِجر.

٦. يرمُل في الأشواط الثلاثة الأولى -إن استطاع- ويضطبع في جميع الأشواط (والاضطباع هو أن يكشف الكتف الأيمن ويغطي الأيسر).

٧. يستلم الركن اليماني بيده في كل شوط -إن استطاع- ولا يقبله، فإن لم يستطع استلامه فلا يشر إليه بيده.

٨. يدعو بين الركنين (الأسود واليماني) بقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة].

٩. فإذا فرغ من الشوط السابع غطى كتفه الأيمن بردائه، ثم يتوجه إلى مقام إبراهيم ويقرأ: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة:١٢٥] فيجعله أمامه، بينه وبين الكعبة، ويصلي ركعتين، يقرأ في الأولى بعد الفاتحة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾﴾ [الكافرون] وفي الثانية: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ [الإخلاص] وإن عجز عن الصلاة في المكان صلى في أي مكان من المسجد.

١٠. فإذا فرغ من صلاة الركعتين ذهب إلى زمزم، فشرب منها وصب على رأسه.

١١. ثم يرجع إلى الحجر الأسود فيكبر ويستلمه ويقبله -إن استطاع- وإلا فليشر إليه.

• **السعي:**

١٢. ثم يتوجه إلى الصفا، فإذا دنا منها قرأ قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ [البقرة]: «نبدأ بما بدأ الله به».

١٣. ويبدأ السعي بين الصفا والمروة بصعوده الصفا، حتى يرى الكعبة فيستقبلها ويقول: (الله أكبر) (ثلاث مرات)، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيءٍ قدير، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ثلاث مرات، ويدعو بين التهليل والتكبير بما شاء، وخير الدعاء ما أُثر عن النبي ﷺ وعن السلف الصالح.

١٤. ثم يتوجه إلى المروة فيمشي إلى العَلَم المعروف بالميل الأخضر، ثم يسعى منه إلى العلم الآخر الذي بعده سعياً شديداً، ثم يمضي في مشيه حتى يصل المروة ويصعدها، ويصنع فوقها ما صنع على الصفا.

١٥. ثم يعود إلى الصفا فيصعدها، يمشي ويسعى كما سعى في الشوط الأول.

١٦. ثم يعود إلى المروة، وهكذا حتى يتم له سبعة أشواط، نهاية آخرها على المروة.

١٧. إذا انتهى من الشوط السابع على المروة قصَّر من جميع شعر رأسه، وبذلك تنتهي العمرة، وحلّ له كل ما حرُم عليه بالإحرام، ويظل حلالاً إلى يوم التروية، وهو اليوم الثامن من ذي الحجة.

ثانياً: أعمال الحج

الأعمال التي يقوم بها الحاج في اليوم الثامن من ذي الحجة (وهو يوم التروية)

١. إذا دخل يوم الثامن من ذي الحجة أحرم، وأهلّ بالحج من المكان الذي هو نازل فيه، فيفعل كما فعل عند إحرامه بالعمرة من الميقات: من الاغتسال والتطيب ولبس الإزار والرداء والتلبية.

٢. ينطلق إلى مِنى ليبيت فيها ويصلي الصلوات الخمس في وقتها قصراً دون جمع.

الأعمال التي يقوم بها الحاج في اليوم التاسع من ذي الحجة (يوم عرفة)

١. بعد طلوع الشمس من يوم عرفة يتوجه الحاج من منى إلى عرفة، ويسن له أن ينزل في نَمِرة حتى الزوال -إذا تيسر ذلك- لفعله ﷺ.

٢. يصلي الحاج الظهر والعصر قصراً وجمعاً في وقت الأولى.

٣. ثم بعد ذلك يقف بعرفة، وكلها موقف.

٤. يستحب للحاج أن يكثر من قول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيءٍ قدير».

٥. ولا يزال هكذا داعياً بما شاء ملبياً مهللاً، متضرعاً، متذللاً، سائلاً ربه سبحانه أن يجعله من عتقائه في هذا اليوم حتى تغرب الشمس.

• **ليلة مزدلفة**

الأعمال المطلوبة من الحاج ليلة مزدلفة (وهي ليلة العاشر من ذي الحجة)

١. إذا غربت الشمس يوم عرفة، أفاض الحاج إلى مزدلفة في سكينة وخشوع، ولا يدافع أحداً، ولا يزاحم الناس بدابته أو سيارته.

٢. فإذا وصلها، صلى المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين جمع تأخير، لا يصلي بينهما نافلة، ولا بعدهما إلا الوتر، والسنة أن ينام حتى طلوع الفجر. فإذا تبين له الفجر صلى في أول وقته بأذان وإقامة، ثم يأتي المشعر الحرام (وهو جبل بمزدلفة) فيصعد عليه، ويستقبل القبلة فيحمد الله ويكبره ويهلله ويوحده ويدعو، ولا يزال كذلك حتى يسفر جداً .. وقبل طلوع الشمس ينطلق إلى منى، وعليه السكينة وهو يلبي.

الأعمال التي يقوم بها الحاج في اليوم العاشر من ذي الحجة (يوم العيد)

أولاً: رمي جمرة العقبة الكبرى

١. إذا وصل منى التقط الحصيات ليرمي بها جمرة العقبة، وهي آخر الجمرات وأقربها إلى مكة، ويستقبل الجمرة بوجهه، ويجعل مكة عن يساره ومنى عن يمينه، ويرميها بسبع حصيات، ويكبر مع كل حصاة، فإذا رمى آخر حصاة قطع التلبية.

٢. ولا يرمي جمرة العقبة إلا بعد طلوع الشمس.

٣. إذا وجد حرجاً وصعوبة في رمي جمرة العقبة فله أن يؤخر الرمي إلى الليل.

٤. فإذا فرغ من رمي جمرة العقبة حلّ له كل شيءٍ إلا النساء، ولو لم ينحر أو يحلق فيلبس ثيابه ويتطيب، ويسمى ذلك التحلل الأول -وبعض العلماء يشترط الحلق أو التقصير مع الرمي-.

ثانياً: الذبح والنحر:

١. ثم يأتي المنحر في منى فينحر هديه ويقول: «بسم الله والله أكبر، اللهم إن هذا منك وإليك، اللهم تقبل مني».

٢. ويجوز أن يذبح أو ينحر في كل مكان من منى وفي مكة وفجاجها كلها.

٣. ووقت الذبح أربعة أيام: يوم العيد وأيام التشريق الثلاثة، ولا يجوز تقديم الذبح عن ذلك أو تأخيره.

٤. والبدنة من الإبل والبقرة تجزئ عن سبعة.

٥. وله أن يأكل من هديه.

٦. إذا لم يجد هدياً أو عجز عن ثمنه فعليه أن يصوم عشرة أيام، ثلاثة منها في الحج، وسبعة إذا رجع إلى بلده، ويجوز له أن يصوم الثلاثة التي في الحج في أيام التشريق.

ثالثاً: الحلق أو التقصير:

١. بعد النحر يحلق رأسه كله أو يقصره والحلق أفضل.

٢. المرأة ليس عليها الحلق بل التقصير، فتقصر من أطرافه قدر الأنملة.

رابعاً: الطواف والسعي:

١. فإذا رمى وذبح وحلق، أفاض من يومه إلى البيت فيطوف به سبعاً كما تقدم في طواف القدوم، لا يضطبع فيها ولا يرمل، ثم يصلي ركعتين عند المقام ويذهب إلى زمزم فيشرب منها.

٢. ثم يصعد إلى الصفا ليسعى بينها وبين المروة كما تقدم، وهذا السعي إنما هو للمتمتع، أما القارن والمفرد فقد كفاهما السعي الأول.

الأعمال التي يقوم بها الحاج في أيام التشريق الثلاثة (الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر)

١. إذا طاف وسعى ورجع إلى منى ليمكث بها أيام التشريق الثلاثة بلياليها إن لم يتعجل، فإن تعجل أقام بها يومين بليلتيهما.

٢. في هذه الأيام يرمي الجمرات الثلاثة، في كل يوم بعد الزوال بسبع حصيات لكل جمرة، على نحو ما تقدم في رمي جمرة العقبة يوم النحر.

٣. يبدأ بالجمرة الأولى وهي أقربها على مسجد الخَيف، فإذا فرغ من رميها تقدم قليلاً فيقوم مستقبلاً القبلة قياماً طويلاً رافعاً يديه يدعو.

٤. ثم يأتي الثانية فيرميها، ثم يأخذ ذات الشمال فيقوم طويلاً مستقبلاً القبلة رافعاً يديه يدعو.

٥. ثم يأتي الجمرة الثالثة (جمرة العقبة) فيرميها ولا يقف عندها.

٦. ويفعل في رمي اليوم الثاني والثالث من أيام التشريق مثل ما فعل في اليوم الأول، وإن أراد أن يَقصر في المبيت بمنى والرمي على يومين فقط، وهما الأول والثاني من أيام التشريق جاز له ذلك، لكن الأحوط ألا يدركه الغروب وهو داخل منى، وإتمام الثلاثة في الرمي أفضل.

٧. ويجوز الرمي بعد الغروب في كل يوم من الأيام الثلاثة.

• **طواف الوداع:**

وهو واجب لغير الحائض والنفساء، ويكون السفر بعده مباشرة ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

• **فائدة:** طواف الوداع خاص بالحج دون العمرة، لأنه ﷺ لم يطف للوداع عند خروجه من مكة بعد عمرة القضاء.

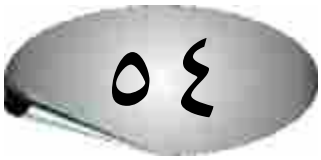

الثمرة الخامسة والثلاثون لدراسة السيرة النبوية العطرة

التأسي بالنبي ﷺ في استغفاره

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران]، ويقول سبحانه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **اللؤلؤ والمرجان من قصص القرآن: دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**، والتي نتكلم فيها عن قصة نبينا وحبيبنا محمد ﷺ، أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **الثمرة الخامسة والثلاثون التي سنقطفها -إن شاء الله تعالى- من دروسنا للسيرة النبوية العطرة، ألا وهي: التأسي بالنبي ﷺ في استغفاره**

• الاستغفار هو طلب المغفرة من الله -عز وجل-: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:١٣٥]. والمغفرة هي: الوقاية من شرّ الذنوب بعد تركها، والإنسان في هذه الدنيا معرضٌ للوقوع في الذنب لأنه ليس معصوماً،

كما قال ﷺ: «**ما من عبدٍ مؤمنٍ إلا وله ذنبٌ يعتاده، الفينة بعد الفينة، أو ذنبٌ هو مقيمٌ عليه، لا يفارقه حتى يفارق الدنيا**»[1].

وقال ﷺ: «**كل بني آدم خطَّاءٌ، وخير الخطائين التوابون**»[2]. فالعبد في هذه الدنيا بين ذنبٍ ونعمةٍ، لا يصلحها إلا الحمد والاستغفار (ومن اتصف بهذه الصفة -أي الاستغفار- يسّر الله عليه رزقه، وسهّل عليه أمره، وحفظ شأنه)[3].

فالاستغفار يجلو القلوب، ويجعل الله به لعبده المستغفر من كل ضيق مخرجاً، ومن كل همٍّ فرجاً، ويرزقه من حيث لا يحتسب، والاستغفار يُخرج العبد من الفعل المكروه إلى الفعل المحبوب، ومن العمل الناقص إلى العمل التام، ويرفع العبد من المقام الأدنى إلى المقام الأعلى والأكمل.

والاستغفار سببٌ من أسباب حسن الخاتمة، وسببٌ من أسباب مغفرة الذنوب، وسببٌ من أسباب الأمان من العذاب في الدنيا والآخرة، وسببٌ من أسباب نزول البركات من السماء، وخروجها من الأرض، فالعبد المؤمن يحتاج إلى الاستغفار آناء الليل وأطراف النهار، بل هو مضطرٌ إليه دائماً في الأقوال والأحوال.

---

(١) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» (١١٨١٠)، وفي «الأوسط» (٥٨٨٤)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٢٧٦)].

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (٢٤٩٩)، وابن ماجه (٤٢٥١)، وأحمد (٣/ ١٩٨)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٣٩)].

(٣) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٩٢).

• ولذلك أمر الله عباده بالاستغفار فقال تعالى: ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت]، وقال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ...﴾ [غافر].

قال الإمام ابن كثير -رحمه الله-: (هذا تهييج للأمة على الاستغفار)[1].

وذلك لأن رسول الله ﷺ غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومع ذلك يأمره الله -عز وجل- بالاستغفار.

• ويقول رب العزة في الحديث القدسي: «**يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم ..**»[2].

• ورسول الله ﷺ يأمر أمته بالاستغفار، ويحثهم عليه، قال ﷺ: «**استغفروا ربكم، إني أستغفر الله وأتوب إليه كل يومٍ مائة مرة**»[3].

• وقال ﷺ: «**طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً**»[4].

• وقال ﷺ: «**من أحبّ أن تسُرّه صحيفته، فليكثر فيها من الاستغفار**»[5].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٨٩).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٧٧).

(٣) **صحيح**: رواه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ١٨٩، ترجمة رقم ٦٩٠)، وورواه بدون قوله (استغفروا ربكم) الإمام أحمد (٢/ ٤٥٠)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٢٦٨)، [«صحيح الجامع» (٩٤٤)].

(٤) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٣٨١٨)، والبزار (٣٥٠٨)، والطبراني في «الدعاء» (١٧٨٩)، [«صحيح الجامع» (٣٩٣٠)].

(٥) **حسن**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٨٣٩)، والبيهقي في «الشعب» (٦٤٨)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٢٩٩)].

• والاستغفار دأب الأنبياء والمرسلين:

• فهـــذا آدم عليه السلام وزوجتـــه: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف].

• وهـــذا نـــوحٌ عليه السلام قـــال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [نوح:٢٨].

• وهذا إبـراهيم عليه السلام قـال: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم].

• وهذا موسى عليه السلام قال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ﴾ [القصص:١٦].

• وهذا سليمان عليه السلام قال: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِيَ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ [ص].

• وهذا داود عليه السلام قال: ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾﴾ [ص].

وهذا رسولنا محمد ﷺ غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح].

• وتقول عائشة رضي الله عنها: (إن نبي الله ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لِمَ تصنعُ هذا يا رسول الله! وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر) فقال ﷺ: «**أفلا أحبُّ أن أكون عبداً شكوراً**»[1].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩).

• ومع ذلك يقول ﷺ: «**إنه ليُغان**[1] **على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرةٍ**»[2].

قال القاضي عياض -رحمه الله-: (المراد -بالغين-: الفترات والغفلات عن ذكر الذي كان شأنه الدوام عليه، فإذا فتر عنه، أو غفل عدّ ذلك ذنباً واستغفر منه)[3].

• ويقول ﷺ: «**والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**»[4].

• ويقول ابن عمر رضي الله عنهما: (كنا نعدُّ لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة (ربّ اغفر لي، وتب علي إنك أنت التواب الرحيم)[5].

عباد الله! والله -عز وجل- أمرنا في كتابه أن نتأسى برسول الله ﷺ فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١]

• فتعالوا بنا لنعيش مع رسول الله ﷺ في استغفاره لنتأسى به.

---

(١) الغين: بالغين المعجمة، والمراد هنا: ما يتغشى القلب من الفترات والغفلات.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٠٢).

(٣) مسلم بشرح النووي (١٧/ ٢٣).

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٦٣٠٧).

(٥) **صحيح**: رواه أبو داود (١٥١٦)، والترمذي (٣٤٣٤)، وابن ماجه (٣٨١٤)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٥٥٦)].

١. الاستغفار عند الخروج من الخلاء

• عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ إذا خرج من الخلاء قال: «**غفرانك**»[(١)])[(٢)].

استغفر ﷺ من تركه ذكر الله تعالى مدّة لبثه على الخلاء، فإنه كان لا يترك ذكر الله بلسانه أو قلبه إلا عند قضاء الحاجة، فكأنه رأى ذلك تقصيراً فتداركه بالاستغفار[(٣)].

٢. الاستغفار بعد الوضوء

• عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «... **ومن توضأ فقال: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا الله أنت، أستغفرك وأتوب إليك...**»[(٤)] الحديث.

• وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «... **اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين**»[(٥)].

٣. الاستغفار في دعاء الاستفتاح بعد تكبيرة الإحرام

• عن علي رضي الله عنه كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة قال: «.. **اللهم أنت الملك، لا إله إلا أنت، أنت ربي، وأنا عبدك، ظلمت نفسي، واعترفت**

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٠)، والترمذي (٧)، وابن ماجه (٣٠٠)، وأحمد (٦/ ١٥٥)، [«إرواء الغليل» (١/ ٩١)].

(٢) غفرانك: أي: اطلب غفرانك.

(٣) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣/ ٣٧٣).

(٤) **صحيح**: رواه النسائي في «الكبرى» (٩٩٠٩)، والطبراني (١٤٥٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢٥)].

(٥) **صحيح**: رواه الترمذي (٥٥)، [«صحيح الجامع» (٦١٦٧)].

بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعاً، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت .. أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك»[1].

٤. الاستغفار في الركوع والسجود

• قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي**»[2].

٥. الاستغفار بين السجدتين

• عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يقول بين السجدتين: «**اللهم اغفر لي، وارحمني، واهدني، واجبرني، وعافني، وارزقني**»[3].

٦. الاستغفار في التشهد الأخير قبل السلام

• عن علي رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: «**اللهم اغفر لي ما قدّمت وما أخرت وما أسررت، وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت**»[4].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٧٧١).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٩٤)، ومسلم (٤٨٤).

(٣) **حسن**: رواه أبو داود (٨٥٠)، والترمذي (٢٨٤)، وابن ماجه (٨٩٨)، [«صحيح الكلم الطيب» (٨٠)].

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٧٧١).

• وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال لرسول الله ﷺ علّمني دعاءً أدعو به في صلاتي، قال: قل: «**اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرةً من عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم**»[(١)].

٧. الاستغفار بعد الانصراف من الصلاة

• عن ثوبان رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً[(٢)] ...

٨. الاستغفار للميت بعد خروج الروح وفي الصلاة عليه، وبعد دفنه

• عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شُقّ بصره، فأغمضه ثم قال: «.. **اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره ونوّر له فيه**»[(٣)].

• وعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: صلى رسول الله ﷺ على جنازةٍ فحفظت من دعائه وهو يقول: «**اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه، وأكرم نزله ووسّع مُدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقه من الخطايا كما نقّيتَ الثوب الأبيض من الدنس**»[(٤)].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٨٣٤)، ومسلم (٢٧٠٥).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٥٩١).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٩٢٠).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٩٦٣).

• وعن عثمان ﷺ قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: «**استغفروا لأخيكم، وسلوا له التثبيت فإنه الآن يُسئل**»[1].

٩. الاستغفار إذا استيقظ ليلاً

• عن عبادة بن الصامت ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**من تعارَّ من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**» ثم قال: «**اللهم اغفر لي، أو دعا استجيب له، فإن توضأ وصلى قُبلت صلاته**»[2].

١٠. الاستغفار عند الانصراف من المجلس

• عن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**كفارة المجلس أن يقول العبد: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، أستغفرك وأتوب إليك**»[3].

١١. الاستغفار بالأسحار

• قال تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ [آل عمران]، وقال تعالى في وصف أهل الجنة: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات].

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٢٢٣)، والحاكم (١٣٢٠)، والبيهقي في «سننه» (٤/ ٥٦)، [«صحيح الجامع» (٩٤٥)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (١١٥٤).

(٣) **صحيح**: رواه الطبراني (١٠٣٣٣)، وقد صحّ كذلك من رواية عبد الله بن عمرو عند أبي داود (٤٨٥٩)، [«صحيح الجامع» (٤٤٨٧)].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ينزل ربنا كل ليلةٍ إلى السماء حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، ومن يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فأغفر له**»[1].

١٢. الاستغفار بعد الذنب وبعد الطاعة

• **أما بعد الذنب**

• قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء].

• وقال ﷺ لعائشة في حادثة الإفك: «**إن كنتِ ألممت بذنب فاستغفري الله، وتوبي إليه، فإن التوبة من الذنب الندم والاستغفار**»[2].

• ولما وقع ماعز بن مالك في جريمة الزنا، قال له رسول الله ﷺ: «**ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه**». ثلاث مرات[3].

• **وأما بعد الطاعة**

• قال تعالى: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [المزمل].

• وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾ [البقرة].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١٦٩٥).

١٣. الاستغفار في خاتمة خطب الجمعة والأعياد

• عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خطب يوم الفتح، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**أما بعد أيها الناس! فإن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية، الناس رجلان: برٌّ تقيٌّ كريم على ربه، وفاجر شقي هينٌ على ربه** ثم تلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحجرات] **ثم قال: أقول هذا وأستغفر الله لي ولكم**»[(١)].

ثمار الاستغفار وفضائله

• أما ثمار الاستغفار وفضائله على العبد المسلم المستغفر في الدنيا والآخرة فهي عظيمةٌ جداً منها:

الثمرة الأولى: صقل القلب وسلامته من شر الذنوب

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن العبد إذا أخطأ خطيئةً، نُكتت في قلبه نكتةٌ سوداءٌ، فإن هو نزع واستغفر وتاب صُقل**[(٢)] **قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه، وهو الرّان الذي ذكر الله تعالى:** ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤﴾ [المطففين]»[(٣)].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٢٧٠)، وعبد بن حميد (٧٩٥)، وابن حبان (٣٨٢٨)، وابن خزيمة (٢٧٨١)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٨٠٣)].

(٢) صقل قلبه: أي: انجلى قلبه من أثر الخطيئة.

(٣) **حسن**: رواه الترمذي (٣٣٣٤)، وابن ماجه (٤٢٤٤)، وأحمد (٢/ ٢٩٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٢٠)].

فبالاستغفار يصبح القلب سليماً طاهراً من أدران الشرك والمعصية، سالماً من البدعة والزيغ، مطمئناً إلى السنة، مستحقاً لدخول الجنة: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء].

فائدة: قال قتادة رحمه الله: (القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم، أما داؤكم فالذنوب، وأما دواؤكم فالاستغفار)[1].

الثمرة الثانية: الأمان من العذاب في الدنيا والآخرة

• قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال].

• قال ابن عباس رضي الله عنهما: (كان فيهم أمانان: النبي ﷺ والاستغفار، فذهب النبي ﷺ وبقي الاستغفار)[2].

• وقال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾﴾ [الكهف].

• وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**يا معشر النساء تصدّقن، وأكثرن الاستغفار، فإني رأيتُكُنَّ أكثر أهل النار**»، فقالت امرأةٌ منهن جزلة: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟ قال: «**تُكثرن اللعن، وتكفرن العشير..**»[3].

---

(١) «إحياء علوم الدين» (٣/ ١٧٦).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٣٧).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٧٩).

وقال عليٌّ رضي الله عنه: (العجب ممن يهلك ومعه النجاة) قيل: وما هي؟ قال: الاستغفار. وكان يقول: (ما ألهم الله سبحانه عبداً الاستغفار، وهو يريد أن يُعذِبَه)[1]. فالاستغفار يمنع العذاب، والله -عز وجل- لا يُعذب مستغفراً.

• والاستغفار الذي يمنع العذاب عن صاحبه هو: أن يُقلع المستغفر عن الذنب، ولا يصرّ عليه قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران].

قال ابن القيم -رحمه الله-: (إن الله لا يعذب مستغفراً، وأما من أصرّ على الذنب، وطلب من الله مغفرته، فهذا ليس باستغفار مطلق، ولهذا لا يمنع العذاب)[2].

وقال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: (من شرط قبول الاستغفار أن يُقلع المستغفر عن الذنب، وإلا فالاستغفار باللسان مع التلبس بالذنب كالتلاعب)[3].

الثمرة الثالثة: الاستغفار سببٌ للحصول على خيري الدنيا والآخرة

• **أما خير الدنيا فهو**: البركات، والأولاد، والأموال، والقوة قال تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا

(١) «إحياء علوم الدين» (٣/ ١٧٦).

(٢) «مدارج السالكين» (١/ ٣٠٨).

(٣) «فتح الباري» (١١/ ١٠١).

﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح]. وقال تعالى على لسان هود عليه السلام: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [هود].

ولذلك لما جاء رجلٌ إلى الحسن البصري يشتكي الجدب، فقال له استغفر الله، وجاء رجلٌ آخر يتشكي جفاف بستانه، فقال له: استغفر الله، وجاء آخر يشتكي قلة الولد، فقال له: استغفر الله، ثم تلا عليهم قول الله - تعالى -: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾﴾ [نوح].

• **أما خير الآخرة فهو:**

١. **مغفرة الذنوب**؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [المزمل]، وقال تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾ [نوح].

وقال ﷺ: «**من قال: استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، غفرت ذنوبه وإن كان قد فرّ من الزحف**»(١).

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقومٍ يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم**»(٢).

---

(١) **صحيح لغيره**: رواه أبو داود (١٥١٧)، والترمذي (٣٥٧٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٣١)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٤٩).

• وفي الحديث القدسي: «**يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم**»(١).

وعن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: «**يا ابن آدم! إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم! لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم! إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة**»(٢).

وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الشيطان قال: وعزتك يا ربّ لا أبرح أُغوي عبادك، ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقال الربّ: وعزتي وجلالي: لا أزال أغفر لهم ما استغفروني**»(٣).

٢. **دخول الجنة؛** قال تعالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ [آل عمران].

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على**

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٧٧).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٥٤٠)، وأحمد (٥/ ١٤٨)، [«السلسلة الصحيحة» (١٢٧)].

(٣) **حسن لغيره**: رواه أحمد (٣/ ٢٩)، وعبد بن حميد (٩٣٢)، [«السلسلة الصحيحة» (١٠٤)].

عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شرّ ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. من قالها في النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقنٌ بها، فمات قبل أن يُصبح فهو من أهل الجنة»[1].

فعلى المسلمين أن يتأسَّوا برسول الله ﷺ في استغفاره ليتحصلوا على سعادة الدنيا والآخرة. قال ﷺ: «**طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً**»[2].

وبهذا نكون قد انتهينا من الحديث عن ثمرات السيرة النبوية العطرة، وختمناها بالاستغفار، سائلين المولى في علاه أن يغفر لنا ولكم ولجميع المسلمين الموحدين المحبين لرسوله ﷺ وللصحابة رضي الله عنهم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

ونبدأ بعدها بمجموعةٍ جديدةٍ من السيرة النبوية العطرة ألا وهي: **المبشرات النبوية**.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٣٠٦).

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٣٨١٨)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٢٨٩)، [«صحيح الجامع» (٣٩٣٠)].